العلّامة السيد محمد بحر العلوم رحمه الله
سفير النجف للعالم

بسم الله الرحمن الرحیم

مسيرة العطاء

(٣)

العلّامة السيد محمد بحر العلوم رحمه الله
سفير النجف للعالم

مجموعة كلمات ومقالات وأبحاث بقلم أصدقاء الفقيد
بمناسبة مرور الذكرى السنوية الأولى لرحليه
نيسان ٢٠١٦م ـ جمادي الثاني ١٤٣٧هـ

إعداد وتقديم
د. إبراهيم بحر العلوم

■ الجزء الأول ■

العارف للمطبوعات

العلّامة السيد محمد بحر العلوم ﵀ سفير النجف للعالم ـ الجزء الأول

إعداد وتقديم: د. إبراهيم بحر العلوم

الطبعة الأولى: بيروت 2016
القياس: 17 × 24
عدد الصفحات: 464
ISBN 978-614-441-085-1

برعاية ودعم مؤسسة بحر العلوم الخيرية
مركز النجف للبحوث والثقافة

العراق ـ الكوفة ـ النجف الأشرف
العنوان البريدي: ص.ب. 109 النجف الأشرف
هاتف: 07703888288 (00964)
البريد الإلكتروني: alalmain@gmail.com
الموقع الإلكتروني: www.alalmain.com

نشر وتوزيع
شركة العارف للأعمال ش.م.م

بيروت ـ لبنان 00961 70 839503
العراق ـ النجف الأشرف 00964 7801327828
Website: www.alaref.net

© جميع حقوق النشر محفوظة للمؤلف، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطّي من المؤلف.

© All rights reserved. No part of this book may be reproduced, or transmitted in any from or by any means, electronic or mechanical, including photocopyings, recording or by an information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

● هامّ جدّاً: إن جميع الآراء الواردة في الكتاب تعبّر عن رأي كتّابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر...

هاتف الحزن بالمصيبة ردد

والغري ارتدى الحداد وأنشد

يا أخا المجد لن تموت وأرخ

سوف تبقى مخلدا يا محمد

١٤٣٦ هـ

الشيخ إبراهيم النصيراوي

العلامة الكبير السيد محمد بحر العلوم
في الذكرى السنوية الأولى لرحليه

كان رحيل العلامة السيد بحر العلوم ايذانا بتوديع مرحلة تاريخية في المشهد العراقي السياسي والادبي والعلمي والاجتماعي، شكلت في الوجدان العراقي والعربي والاسلامي علامة فارقة، ليس في عطائها العلمي والسياسي فحسب، بل شكلت في محصلة حلقاتها، عبرعقود من الزمن، وجودا شاخصا وفاعلا في مجمل حركة المجتمع على المستوى الوطني، وحافظت تلك الشخصية الفذة على خصائصها المتفردة لتضع بصماتها على اكثر من ساحة عربية واجنبية، فلم تستشعر بغربتها بل اعادت انتاجها بشكل ساهم في الحفاظ على هويتها الاصيلة، فكلما تقدم الزمن وتعملقت الاحداث، واشتد وجع الوطن، وتكشفت شراسة وحقد الحاكمين، كانت تزداد صلابة وايمانا واعتزازا وحركة واقتحاما للأسوار المسيجة، فكانت حقا العمامة السوداء التي كسبت ثقة الجميع.

كان حريا بنا، وفي الذكرى السنوية الأولى لرحليه، استكشاف وسبر المؤهلات والمقومات التي خلقت هذه الشخصية وجعلتها تعيش مبادئها وتلتصق بقضيتها وتتفيأ بخيمة الوطن وتلتحم بآلام الشعب وتحمل همومه ومعاناته، وتمتلك نوافذ متعددة تطل منها على كل ما هو يدفع بالحياة لأجل مستقبل أفضل. من هنا اختمرت فكرة الحديث عن مسيرة الفقيد الكبير من خلال شخصيات متعددة، عاصرت قسما منها حركته الممتدة على اكثر من رقعة جغرافية ومسافة زمنية، ولكنها تعبر في مجملها عن قدرات الانسان في الدفاع عن قضيته، والتفاعل مع الاخر العابر للحدود الايدلوجية، والمنفتح على كل الثقافات بدون تعقيدات مسبقة، وقادرة على التأثير بالحكمة والعقلانية والموضوعية، والتأثر الإيجابي نحو تطوير حركة الانسان، كاشفة

في كل محطاتها عن اعتزازها وتمسكها بالهوية الاصيلة والقيم النبيلة ووفية للمبادئ التي رسمتها معالم مدرسة النجف الاشرف في اطرها المتعددة.

كان بالإمكان الاستعانة على تحقيق ذلك من خلال الفكر والتراث الذي تركه بين ايدينا، وهذا ما سيأخذ دوره بعون الله قريبا بعد نشر تراثه الكامل، واستكشاف اثر ذلك من خلال الدراسة والبحث. لكن ما هو مهم في هذه المرحلة استنطاق الحلقات الحية التي اشتركت مع السيد الراحل في مفاصل العمل المشتركة والصداقة عبر البوابات المتعددة سواء في داخل الوطن او خارجه، فتلك بحد ذاتها ثروة تستكشف فيها ابعاد الشخصية من خلال المحاكاة العفوية للعلاقة والسلوك التي تترك اثارها على الاخر، لتؤرخ عن مراكز الريادة في شخصيته.

كان يمكن لهذا المشروع ان يأخذ طريقه بشكل أوسع، لاستجلاء الصورة في أطارها الكامل في كل الساحات التي عاشها الفقيد الكبير، غير ان محددات الزمن وظروف البلد الضاغطة اضطرتنا الى نشر ما توفر لدينا من بحوث ومقالات وكلمات وتفضل بها أصدقاؤه ومحبوه وعارفو فضله في دوائر محدودة، ولكنها تفضي الى الإطار العام، املين ان نستوفي تغطية المحاور الاخرى في القريب العاجل.

***

لم تكن علاقة العلامة الكبير الراحل السيد بحر العلوم بالنجف خاصة والعراق عامة، علاقة عابرة يمكن تجاوزها، بل شكلت ظاهرة لها معالمها الواضحة التي طبعت شخصيته وسلوكه ومنهجه وعلاقاته ونشاطاته وفعالياته، وتجذرت وترسخت عبر مسيرة حياته باوجهها المتعددة عبر الزمان والمكان على مدى العقود التي عاشها في العراق والمهجر.

كان الراحل الكبير قلبا نابضا بحب النجف، وعقلا ذابا عن حوزتها العلمية بحكمة، ومدافعا صلبا عن رسالة مرجعيتها الدينية، ووفيا لمؤسساتها الأدبية والعلمية، ومؤمنا بحركتها الإصلاحية والتجديدية، وحاملا لرسالتها في الاعتدال والوسطية، وعاشقا لنسيجها الاجتماعي، ومنسجما مع رسالتها الأدبية والشعرية، وحريصا على ديمومة واستمرار محافلها العلمية والاجتماعية، ومشاركا في مشروعها الحضاري في الفكر والثقافة، ورافدا لنتاجها المعرفي والتراثي والفقهي والاصولي والتأريخي والادبي والسياسي، ومتأثرا بمنهجية مدرستها العلمية، ورائدا لمهرجاناتها

المعبرة عن تطلعات الشعب، ومؤسسا لحركتها الإسلامية، ومجاهدا صلبا في مواجهة الطغاة والاستبداد.

وقد اختزل المرحوم اية الله الشيخ الاصفي هذه العلاقة بين الفقيد الكبير والنجف بشكل معبر وناطق عن مكنون الحركة بقوله: "عندما نقرأ تأريخ العلامة الجليل حجة الاسلام والمسلمين الدكتور السيد محمد بحر العلوم (رحمه الله) نقرأ ثلثي قرن من تاريخ النجف الاشرف. وعندما اقول تاريخ النجف الاشرف اقصد بذلك مثلث البعد العلمي وبعد الصراع الفكري والثقافي وبعد المواجهة والمعارضة مع الانظمة الفاسدة".

ويؤطر الدكتور عبد الجبار الرفاعي عن هذه العلاقة التفاعلية من زاوية أخرى، تكشف عن المسؤولية التي تحملتها هذه الشخصية في بعدها الحضاري وتأثير مدرسة النجف في مجمل حركتها، والقدرة الإبداعية في تطويرها فيقول: "ان السيد بحر العلوم هو الحلقة الأخيرة من جيل حوزوي عصامي متميز، واحد ابرز ممثلي هذا الجيل اذ اصبح رسول النجف للعالم ورسول العالم للنجف، وهو في ذلك كله يثري هويته، ويرسخ وطنيته، ويكرس ايمانه، ويعمق وعيه عبر الاصغاء لصوت العصر والانفتاح على افاق رحبة في فهم الدين والحياة وما ينبغي ان يكون عليه التدين المواكب للواقع ومستجداته السريعة الإيقاع والتغيير).

***

تميزت مسيرة الفقيد الكبير بروح الريادة والمبادرة ما جعلتها متميزة في الموقف والكلمة، وتجد تلك ظاهرة في مجمل المحطات من حياته بغض النظر عن الزمان والمكان، وكان لاصالة وعراقة الاسرة والبيئة النجفية التي ترعرع فيها، والمدرسة التي نهل منها المعرفة إضافة الى المقومات الشخصية الدور في استلهام هذا الدور الريادي.

ولعل ما مثله (ديوان بحر العلوم) من ريادة اجتماعية واسرية في النجف، شكلت مفصلا أساسيا في التكوين البنيوي لشخصية الفقيد الكبير وحركته، وكانت احد مفاتيح الأساسية للروح الريادية التي تميز بها حيث تصدى لإدارة ديوان الاسرة وكان عمره لا يتجاوز عقده الثالث الا قليلا. وأصبح من الشخصيات البارزة ومن ذوي الحل والعقد، وكان ديوانه الذي تصدره بعد رحيل والده مثابة تقصده مختلف الطبقات

يوميا، وتطرح في رواقه مسائل تفيد مناقشاتها في توجيه الراي العام وخلق المناسبات لتسويق مسارات لها أهدافها الانية والمستقبلية حسب ما يراه الأستاذ القاموسي. وان هذا (البراني) او الديوان اصبح لاحقا غرفة عمليات لدعم المرجع الديني الراحل السيد الحكيم في موافقه الجرئية ضد نظام البعث، وتبلورت فيه فكرة إقامة المهرجان السنوي احتفاء بمولد الامام الحسين (ع) كما اكد عليه العلامة السيد الميلاني.

يصور الدكتورالسيد مسلم الجابري الديوان، باعتباره مدرسة فاعلة في خلق روح الريادة الاجتماعية والعلمية، "كنت ارتاد ذلك الديوان وانا في بداية العقد الثالث من عمري وكان مكاني في الموقع الثالث من الديوان الذي يتصدره من تقدم علي من ادباء النجف والشعراء فترة الستينات، ولم اذكر اني غيرت مكاني لاقترب من السدة الثانية التي هي مكان بعض الشخصيات، اما المكان الأول وهو صدر الديوان للمجتهدين الكبار كالحلي والحكيم والسيد محمد حسين الحكيم، وكان من يناقشهم وهم اساتذتنا من الجيل المتصل بهم مثل السيد محمد تقي الحكيم والسيد محمد باقر الصدر والسيد مصطفى جمال الدين والسيد علاء الدين والسيد عز الدين بحر العلوم".

***

ومن المراكز الأساسية التي ساهمت في خلق روح الريادة في هذه الشخصية، هو الانتماء المبكر الى المؤسسة العلمية (جمعية منتدى النشر) لمؤسسها المجدد المصلح الشيخ المظفر، وكان الفقيد الكبير وزملائه جنودا لحركته الإصلاحية وأدوات للتغيير المستقبلي. وكان مساهما بحمل همها وتطوير رسالتها كجمعية وككلية ومدارس، كانت محاولاته دوما لتذليل العقبات امامها لتصبح أحد اركان الأساسية في دعم حركة الحوزة العلمية. وبفعل تحصيله الحوزوي، وانخراطه في هذا المشروع الحضاري، وما توفر عليه من تلمذة على يد أساتذة معروفين، امتاز الفقيد الكبير بغزارة انتاجه الفكري في مجالات متعددة وأصبح معروفا على الساحة النجفية بقدراته العلمية في وقت تزدحم النجف بالعشرات من المفكرين والمبدعين.

وتجلى انتماؤه في سن مبكر الى جمعية الرابطة الأدبية كاحدى مراكز الريادة الأدبية في مدرسة النجف، الأثر الكبير في تطوير قابلياته الأدبية والشعرية، وكانت

مجموعة الراحل الكبير تتطلع الى رواد الادب والشعر مثل اليعقوبي والحبوبي والجعفري والخليلي وغيره، وانخرط في مشروع الرابطة وبقي حاملا لرسالتها، وعندما الت اليه الرئاسة بعد وفاة عميدها الشيخ اليعقوبي يقول الشيخ الخاقاني (وقد رأيت منه النشاط والهمة العالية وكان يطمح لتطوير نشاطها فكانت الدورات الثقافية والمواسم الثقافية الأدبية)، والتي نجحت في تعشيق محور المرجعية الدينية والحركة الإسلامية ومحور الاكاديمين العراقيين ومحور الكتاب والعلماء خارج العراق، هذا التعشيق اضفى للرابطة ابداعا الى ابداعاتها وأعاد للنجف يريقها الادبي والعلمي.

يقول سماحة الشيخ اليعقوبي في نعيه المميز للراحل "غاب اليوم من سماء النجف الاشرف والحوزة العلمية والساحة الفكرية والأدبية والسياسية نجم لمع على مدى سبعين عاما لم تستطع حجبه كل أدوات البطش والقسوة والغربة والمعاناة والقيود....وبعد وفاة عميدها جدي الشيخ محمد علي اليعقوبي في عام ١٩٦٥، اختير السيد بحر العلوم رئيسا لها، ومنذ ذلك الحين، شهدت الجمعية تحولا نوعيا في تعاطيها مع قضايا الامة، فدأبت على إقامة موسم ثقافي سنوي تدعى اليه شخصيات ثقافية وفكرية واعية من العراق والدول الإسلامية".

ولعل مشروع (اسرة الادب اليقظ) الذي كان السيد بحر العلوم احد رواده خلق ابعادا في عالم الابداع والخلق، وأضافت تجاربهم الذاتية اكثر توهجا واروع تألقا. وقد سبق ذلك ريادته للشعر الحر في مدرسة النجف الشعرية، يشير الأستاذ القاموسي ان السيد بحر العلوم هو اول شاعر نجفي يقف امام الجمهور لقرأ قصيدة حرة مهرجان الشعر العربي ضمن فعاليات مؤتمر ادباء العرب الذي انعقد في الكويت عام ١٩٥٨.

اما مركز الريادة الاخر هو الواجهة السياسية، فقد كان الفقيد الكبير احد اهم اركان المرجعية الدينية للامام الراحل السيد الحكيم وحلقة الوصل للنخب السياسية والأكاديمية في العراق وخارجه، وداينمو الحركة الإسلامية بريادة الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر الذي ساهم في تأسيسها في منتصف الخمسينات.

ان تشابك هذه العوامل مجتمعة خلقت لدى الفقيد الكبير نمطا من الأداء المتميز والمتنوع على اكثر من صعيد وفي وقت مبكر، وكان ذلك ملحوظا في داخل

الحوزة العلمية وفي اطار النجف والعراق، وعندما يستجمع الشيخ فاضل السهلاني ذاكرته للحديث عن سنواته الأولى في النجف للدراسة الحوزوية، تمكن من تحديد تلكم الملامح الريادية في الفقيد يقول في استذكاره "تمضي السنون وتتوطد علاقاتي بالأسرة العريقة وصرت احسب نفسي واحدا منهم، وما زلت ارشف العلم والادب والأعراف والاجتماع والسياسة من ديوان ال بحر العلوم وكان على رأس المعلمين فيه الفقيد الراحل المقدس واخواه العالمان اللذان تشرفت بالتلمذة على منبريهما، وكان السيد الفقيد لايفتؤ عن تفقدي ورعايتي وكأني واحد من مسؤولياته التي لا تعد ولا تحصى فهو الأستاذ في الحوزة والجامعة وطالب ماجستير، واحد اركان المنتدى، واحد مؤسسي الرابطة الأدبية والمصلح الاجتماعي وحلال الخصومات الاجتماعية، ومنسق العلاقات العامة والخارجية في إدارة المرجع السيد الحكيم، ومحور الحركة والتنظيم للأعداد للاحتفالات في النجف وكربلاء وكان يتخذ منها منبرا للتعبير عن راي المرجعية في ما يمر به العراق من احداث وظلم وتهميش".

وتجد مثيلا لهذه الصورة مختزنة في اذهان الجيل الثاني، ومنهم الخطيب السيد داخل السيد حسن، الذي عاصر مسيرة الفقيد الكبير في النجف والكويت ولندن فيشير اليه كرقم طليعي في شخصيات النجف الفاعلة والرقم المتوهج في الرابطة الأدبية، والعماد الرفيع في محافل النجف، ثم الكويت ومنصب القضاء وكان موضع الاجلال والتكريم والمحبة والاحترام عند مختلف الطبقات، واذا تخطينا الكويت الى دمشق الشام، حتى اذا قذفتنا سفينة الغربة في لندن كان لي شرف الخدمة في المجالس الحسينية كان مجرد حضوره في هذه المجالس يضفي عليها مهابة وجلالا فكيف اذا تولى بنفسه قراءة المقتل بنفسه كما كان يفعل يوم العاشر من المحرم.

لذلك يرى القاموسي ان هناك محطات في حياة السيد بحر العلوم تومئ في مجملها الى تفرد يستحق التأمل في مساراته، وحفلت بتجارب قد لا تتاتى لغيره القدرة على خوض غمارها، والإفادة من معطياتها، واقتناص فرصها، ففي جوانبها الاجتماعية والمعرفية والمؤسساتية خلقت منه "سيرة متفردة" عبر مساحة زمنية محدودة مليئة بالثراء مسكونة بالتألق، كان للفقيد بصمات في صنعها تمثلت بدوره المتميز ودوره الفعال.

***

منذ بواكير عمره، استشعر الفقيد الكبير بضرورة الاصلاح في الاوضاع الاجتماعية، وتشير مذكراته ويومياته الى نشاطات غير مألوفة مع ثلة من اصحابه في نهاية الاربعينات، واستمرت الى البداية الخمسينات وانفتقت عن ارهاصات اولية ابان حرب ١٩٥٦ العدوان الثلاثي، يقول د. علي المؤمن (كان السيد بحر العلوم من المشاركين في الجلسات الأولى لمناقشة فكرة الحزب منذ عام ١٩٥٦)، وما لبثت حتى ولدت اول حركة اسلامية بريادة الشهيد السيد الصدر في ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨، وكان الفقيد الكبير من مؤسسيها وانتظم في (حزب الدعوة الاسلامية) وبقي فيه حتى ان استقال من التنظيم عام ١٩٦٠، لكنه بقي فاعلا ومؤثرا في اوساط الحركة الاسلامية في العراق، وكانت تأثيراته الفكرية والتربوية على الطليعة المؤمنة من خلال ما انتجه في تلك الفترة.

ترسخت علاقة الكثير منهم بالفقيد الكبير، من خلال ريادته في اعادة كتابة التأريخ الاسلامي بأسلوب ادبي مشوق، تشير مذكراته كان ذلك بطلب من الشهيد السيد الصدر بعد ان عرف قدراته الادبية والتاريخية وحاجة الشباب الى ارواء الظمأ وشحذ هممهم وزيادة طاقاتهم الايمانية مقابل ما يواجهونه من هجمات فكرية إضافة الى تعسف واعتقالات في السجون، كانت البداية في كربلاء المقدسة، عندما طلب منه السيد الشهيد الصدر إعطاء محاضرات للشباب. هذه المراكز الريادية التي امتازت بها مدرسة النجف في الخمسينات والستينات من القرن الماضي تفاعلت في صقل شخصية الفقيد الكبير ومنحته القدرة في رسم حركته العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية وانعكست تأثيراتها التربوية في جيل الشباب بشكل جلي، وما اختزنته ذاكرة السيد الجوادي والسيد اكرم الحكيم والأستاذ نزار حيدر والأستاذ محمد عبد الجبار، التأثيرات الفكرية والتربوية لكتب الفقيد الكبير حين كانوا في بداية الطريق تستحق التفصيل. هذا النسيج التأريخي كان يرسم ملامح الريادة في اذهان شباب في الوسط الاسلامي، ونستعرض شهادات بعض مفكري وقيادي الحركة الاسلامية في هذا الصدد.

يقول السيد اكرم الحكيم "لم يدر بخاطري ولو للحظة باني سأوفق للقاء كاتب ذلك الكتاب الذي كنت اقرؤه وانا في السادسة عشرة من العمر في أواسط الستينات القرن الماضي، واظنه كتاب (مواقف حاسمة في سبيل التضحية والفداء) وكتاب ضحايا العقيدة، وكلا الكتابين تمت كتابتهما بأسلوب قصصي رائع وجذاب يدخل

قلوب القراء ليزرع فيها بذور حب الدين والتضحية... زال عجبي بعد سنوات طوال عندما تعرفت على العلامة السيد بحر العلوم بعد ان عرفت البيئات الأساسية التي صنعت شخصيته".

اما الأستاذ نزار حيدر فقد ارخ الى العلاقة "حتى اذا انخرطت في اول حلقة رسالية، اعطاني مسؤولي الحركي كتابين من الحجم المتوسط، دسهما بين صفحات جريدة الثورة طالبا مني قراءتها وتلخيصها في اللقاء القادم، مزقت (الثورة) واذا بالكتابين هما (بين يدي الرسول (ص) و(من مدرسة الامام علي (ع)) لمؤلفهما محمد بحر العلوم... التهمتهما بسرعة البرق لسلاسة اسلوبهما الادبي الذي استخدمه السيد وكأنه كتبهما للشباب واليافعين ليقدم بهما انموذجا رساليا ومحاولا تكريس قيم الايمان والشجاعة والوفاء والايثار والعمل الصالح والثقة بالنفس في نفوس الجيل الجديد".

***

اما الدكتور السيد علاء الجوادي فيستذكر العلاقة في هذا الصدد "كنا نحن شباب الحركة الاسلامية واقصد عموم شبابها، كانت صور التضحيات تلهب مشاعرنا وتوقد عزمنا على المضي في طريق العمل للاسلام، وكانت تلك النماذج من صحابة رسول الله والمؤمنين برسالته عليهم الرحمة والرضوان وحياة اهل بيته الاطهار عليهم السلام نبراسا لنا في قطع ظلمات الطريق والاندفاع في طرق الجهاد. كانت بين ايدينا كتب عن حياة الانبياء وتتسم اغلبها بالطرح التقليدي للسير، كما كانت هناك ثمة كتب كتبتها مدارس اسلامية لا تتطابق رؤيتها مع منهجنا المرتبط بمدرسة اهل البيت... وهنا كان علينا ان نصفي ماء الساقية لنحصل على جرعات ماء لارواء العطش! في تلك الاجواء تعرفت منذ سنة ١٩٦٦ وما بعدها على كاتب نجفي يمتاز باسلوبه البسيط الشيق من جهة كما انه يقتبس ما يرويه من مدرسة اهل بيت محمد صلوات الله عليه وعلى اهل بيته الاطهار، وهكذا قلّت حاجتنا للرجوع الى كتب الاخوانيين القصصية، وكان ذلك هو العلامة السيد محمد بحر العلوم، اذ اكتشفته كاتبا لشباب الحركة الاسلامية العراقية".

ويشير الأستاذ محمد عبد الجبار "كان العلامة بحر العلوم بالنسبة لي شخصيا معلما واخا وصديقا وابا وزعيما... ولاغرو اذن ان تكون أولى الكتب التي بدأت

بمطالعتها في مطلع حياتي وانا احث الخطى نحو مرحلة الدراسة الإعدادية هي كتب السيد حيث التقيته لأول مرة على صفحات كتبه التربوية السلسة التي كانت تستهدف شد الشباب العراقي الطالع الى الإسلام وشخصياته التأريخية".

ولعل العشرات من هؤلاء الكتاب والمفكرين والعاملين في الحركة الإسلامية ارتبط اسم الفقيد الكبير بذاكرتهم من خلال مشروعه الكبير، الذي طوع فيه كتابة التأريخ الإسلامي بأسلوب ادبي شيق، شد الشباب في تلك المرحلة الى قيم الايمان والفداء والتضحية في سبيل العقيدة والتي تركت بصماتها في الجيل. وفي هذا السياق يرى السيد الجابري في بحثه عن روح الريادة لدى السيد بحر العلوم (نحن الجيل المتصل والتالي للحقبة التي عاشها بحر العلوم، والتي شهدت عطاءه الثر ونشاطه الغامر من حقنا ان نسميه رائدا لجلينا وان زخر عصره بالرواد العظام الذين كانوا روادا له ولجيله، ومن واجبنا ان نتحرى روح الريادة وخصائصها النيرة في شخصيته الكريمة وفي تراثه الرائع باحثين عن الاسوة والعبرة والدروس ومعطيات التجارب التي هي زاد الأجيال وقناديل مسيرتها ورموز بقاء الأمم).

فلا غرابة ان تجد معظم الذين شاركوا في الكتابة في هذا المشروع، ليس من جيل المرحوم الراحل، بل من الجيل الاخر الذي يفصل بينهم وبينه عقدان او اكثر من الزمن، فبالتالي لم يعاصروا المرحوم فترة حياته الأولى، لكن ذاكرتهم وهو ابناء العاشرة اختزنت علاقة الفقيد الكبير بالاباء، واستمرت العلاقة لتتحول الى الأبناء وتبقى الحلقات متصلة، وتترسخ وتستمر في العراق والمهجر، والبعض الاخر كان الكتاب التربوي قد حفر في الذاكرة علاقتهم بالفقيد الكبير، حتى تحولت الى علاقة صداقة وعمل فيما بعد، فلم يقف حاجز العمر في استمرار العلاقة وتطورها.

***

فقد كان لمدرسة النجف العلمية اثرها الكبير في رسم ملامح منهجه العلمي، ولعل ابرز تلكم المسارات هو تأثره بمنهجية المرحوم العلامة المجدد السيد محمد تقي الحكيم الذي كان موجها ومشرفا لعطائه العلمي في بداية الستينيات من القرن الماضي، ويشير نجله السيد عبد الهادي الحكيم عن مسار العلاقة المتجذرة بين السيد الحكيم الأستاذ، والفقيد الكبير، فيقول (اذا كانت علاقة الجدين الكبيرين فعلاقة انجالهما لا تقل ارتباطا ومواصلة ومتانة وقوة، اما علاقة الراحل السيد بحر

العلوم بسماحة سيدى الوالد، فقد امتدت على مدى اكثر من نصف قرن وفي اكثر من بلد، والى اكثر من مساحة، فقد استوعبت التلمذة والاستاذية، والكتابة والتأليف والترجمة والتدوين والادب والفن شعرا ونثرا وتوثقت بولع الغوص في عمق البحث التأريخي واستجلاء مكنوناته، والعلاقة ابعد من ذلك، تعود الى الاربعينيات من القرن الماضي عند تأسيس منتدى النشر.

لقد واصل الراحل السيد بحر العلوم تلمذته على يدي استاذه السيد الحكيم في منتدى النشر وكلية الفقه ثم لاحقا في معهد الدراسات الإسلامية العليا بجامعة بغداد ليشرف على رسالته العلمية (الاجتهاد اصوله واحكامه)، كان يرى ان الحكيم يمتلك قدرة فريدة نظم المنهجية العلمية وموهبة على تخطيط البحث وكتابته، ويعتبره صاحب مدرسة في منهجية البحث العلمي، واستمر التواصل العلمي حتى في اختيار أطروحة الدكتوراه (عيوب الإرادة في الشريعة الإسلامية) ومتابعة ما يكتبه فصلا فصلا وبابا بابا.

***

وتميز الفقيد الكبير بتشجيعه للاكاديمين والباحثين ورفد مسيرتهم العلمية وتطويرها، فلم يبخل بعلمه ومنهجيته، بل سخيا بوقته عندما يطرق بابه طلبة العلم باحثين عن خطة بحث او مصدر او معلومة في مجالات الفقه والأصول والسياسة والادب والشعر والاجتماع والتأريخ، كان يتحسس ان هناك مسؤولية ملقاة على عاتقه تجاه هذه الشريحة.

ونستعرض في هذا الصدد بعض الشهادات لمفكرين واكاديميين: الأولى للأستاذ الدكتور جهاد الحسني، أستاذ الفكر السياسي في جامعة بغداد، وهو يتحدث عن تجربته الشخصية مع الفقيد الكبيرعندما كان يعد اطروحته لدرجة الدكتوراه في بريطانيا في بداية السبعينات من القرن الماضي (ان مؤهلات العلمية والصفات الخلقية التي تميز بها السيد العلامة السيد بحر العلوم منذ ستينات القرن الماضي قد اظهرته مصدرا أساسيا وينبوعا ثرا للباحثين الاكاديميين الشباب في مجال الدراسات الإسلامية التخصيصية العليا لينهلوا منه الإجابة على استفساراتهم وليملؤوا الفراغات الحاصلة في مشاريع ابحاثهم، وليتجنبوا الهفوات والمطبات التي تعترض مساراتهم البحثية.. لابد ان نؤكد بكل صدق ووفاء ان العطاء العلمي

والمعرفي للسيد العلامة الذي غمرنا به كباحثين قبل أربعة عقود كان كبيرا ووافرا ووارفا وقد تواصل وتسامق في العقود اللاحقة لتكون مؤلفات السيد العلامة وابحاثه ودراساته في الفقه والتاريخ والسيرة والتفسير مصادر تنوير ينهل منها الباحثون الاكاديميون وكل محبي المعرفة الإسلامية، وعندما نستذكر السيد فانما نستذكر قمة سامقة من قمم الاعلام الناصعة النقية التي عبرت بكل اخلاص ووفاء عن مسيرة النجف العلمية طيلة اكثر من ثماني عقود خلت.

والشهادة الثانية التي عكست اهتمام الفقيد الكبير بالعلم وبالمرأة وهي في رعايته للاكاديميين في تطوير قابلياتهم الفكرية وتشجيعهم للتأليف والنشر، تقول الدكتورة نجوى الجواد "كثيرون سيكتبون عن تجاربهم الشخصية وذكرياتهم مع السيد الدكتور المرحوم، ممن عاصروه في العراق او التقوه في واحدة من محطاته مهجره، ولكن تجربتي لا اظن لها مثيلا، واهميته تنبثق من كون صاحب التجربة هو امراة، وهو تفرد يستحق القراءة.

وتشير الى بداية العلاقة الاكاديمية مع الفقيد الكبير كانت المناسبة هو حضور احدى المؤتمرات عام ١٩٩٤ باسم الامام علي بن ابي طالب(ع) في الولايات المتحدة "وطلب مني ان اكتب عن المرأة في نهج البلاغة والقيته وبحضور السيد بحر العلوم فاستحسن البحث وطلب مني توسعته، مبديا استعداده في الاشراف والتوجيه، فبقيت فترة زمنية اكتب واعيد صياغتها، ويحذف ويقترح فصولا لتضمنيه، فكان دوره كاستاذ مشرف على الرسالة، وكنت كطالبة في مؤسسة اكاديمية لما كان يوليه من اهتمام كبير بكتاباتي، حتى اكتمل الكتاب فكتب له مقدمة وتكفل بطباعته واصدره ضمن منشورات معهد الدراسات العربية والإسلامية. وشجعني في الاستمرار في الكتابة، وانشغلت بموضوع اخر (المرجعية والسياسة في العراق الجديد) اعددتها كورقة لموضوع لرسالة ماجستير في جامعة أميركية، واكتمل الكتاب الثاني باشرافه ورعايته".

وتستطرد د. الجواد في تثمينها لدور الفقيد "لقد التقيت في مسيرة حياتي بالكثير من الشخصيات الا اني لم التق بشخصية دينية علمية تهتم وتشجع الإنتاج الفكري كالسيد بحر العلوم، فكيف بالامر وانا امراة اخوض في مواضيع قد تعتبر من اختصاص الرجال ومن لهم المام بالعلوم الإسلامية، لقد كان السيد يؤمن في داخله بان عقل المراة مثل عقل الرجل قادر على الإنتاج والتفكر والتدبر".

ولعل تجربة الصديق القانوني البرفسور الدكتور شبلي ملاط في رحلته الاكاديمية في جامعة لندن، احد مصاديق اهتمام السيد بحر العلوم بالباحثين وخاصة أولئك الباحثون في الفكر الإسلامي، حيث كانت اطروحته في الدكتوراه عن فكر الشهيد السيد الصدر، وكان الفقيد الكبير احد اهم الروافد للباحث عن تطور النظرية الفقهية عند الشيعة الامامية، وكان كتاب الفقيد عن (الاجتهاد اصوله واحكامه) والمناقشات المستفيضة في هذا الشأن المعين للباحث في اكمال مشروعه الاكاديمي. يشير ملاط الى تجربة السيد بحر العلوم في السياسة والقانون (عاش بحر العلوم قائدا في بحر السياسة كما عالما في بحر القانون، فادخل على تراث الفقه العميق ما حوله في العالم الشيعي تقريبا بين الإخبارية والاصولية، وبعده تقريبا بين المذاهب السنية والشيعية في كتابه المرجعي عن الإرادة وعيوبها).

وتميز نشاط السيد بحر العلوم العلمي بغزارة مشاركاته في المؤتمرات العلمية والفكرية في خارج وداخل العراق، وكان حريصا ان تكون مشاركته بحثية، وفيها الشي الجديد من المعالجات الفكرية، يشير الدكتور إبراهيم العاتي الى ان السيد قد ساهم في الجهود الاكاديمية للجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، فاشرف على بعض طلبة الدراسات العليا، وناقش بعضهم الاخر، كما ساهم في الندوات والمؤتمرات البحثية التي أقامها قسم الدراسات والبحوث في الجامعة، ومنها (ندوة الحضارة الإنسانية بين التصور الديني والقوانين الوضعية) والتي عقدت بالتعاون مع جامعة SOAS وكانت مشاركته ببحث مهم عن (الإسلام والتغيير الاجتماعي). وقد نشر هذا البحث مع مجموعة بحوث فكرية أخرى تعالج العديد من القضايا المعاصرة في كتاب (نظرية الإسلام السياسية).

***

كان معهد الدراسات العربية والإسلامية الذي انِشأه في لندن مثالا حيا على اهتمام السيد بحر العلوم بالعمل الاكاديمي والفكري، ولعل الفصل السادس من هذا الكتاب الذي تحدث السيد الجوادي عن تجربته العملية مع الفقيد، يكشف فيها عن الكثير من الاسهامات الفكرية التي اضطلع بها الفقيد الكبير في المهجر، حيث كان يؤمن الفقيد بالاستثمار في الانسان العراقي، ويشجع الباحثين على النقاش الحر والاستمرار في البحث ونشر نتاجهم ويتعهد بطباعته، يقول الكاتب محمد عبد

الجبارفي تجربته مع الفقيد الكبير (كنت ارسل اليه كتاباتي الفكرية لاخذ رأيه فيها وكان يعبر عن اعجابه بما اكتب ويشجعني كما كان يفعل الامام الراحل السيد محمد حسين فضل الله على الاستمرار بالبحث والكتابة، وتعبيرا عن هذا الموقف الإيجابي طبع لي السيد كتابين هما (مستقبل الديمقراطية في العراق) وكتاب (الإسلام والديمقراطية)، إضافة الى نشر بحوثي في مجلته الرصينة (المعهد). هذا الاهتمام يمثل الجزء التنفيذي من المشروع الفكري للسيد.

ويؤكد الكاتب عبد الجبار عن التزواج بين الاصالة والمعاصرة التي تحلى بها فكر الفقيد الكبير، ففي الوقت الذي كان يتمتع فيه بدرجة الفقاهة والاجتهاد وهي قمة الاصالة الإسلامية فان السيد كان على تماس مباشر مع عصره الذي يعيش فيه على حركة البشرية وتطورها وتحولاتها، وهذا يمثل قمة المعاصرة. وبين هذه وهذه جسد السيد العلاقة الجدلية بين الاصالة والمعاصرة في اجلى صورها لينتج فكرا إسلاميا مستنيرا قادرا على تقديم رؤية مستقبلية تستوعب حركة البشرية باتجاه المستقبل دون ان يكون قيدا عليها او عقبة في طريق تقدمها ونموها.

وفي هذا السياق، يرى الدكتورمحمد الهماوندي (ان الفقيد بحر العلوم هو العالم الجليل ومن المفكرين الذين جمعوا بين الاصالة والمعاصرة، الاصالة الإسلامية الغنية بشريعتها وبفقها وبفكرها النير والمعاصرة بكل منجزاتها من العلم والحداثة الفكرية، لذا ترك وراءه تراثا مرجعيا ثريا في العلوم الإسلامية مصادر الشريعة وتأريخها وفكرا سياسيا معاصرا كاساس للعمل السياسي).

***

كان تأسيس معهد العلمين للدراسات العليا في النجف حال عودته للعراق، انطلاقا من ايمانه ان حاضرة النجف تعاني من غياب مؤسسة اكاديمية علمية قادرة على ربط الف عام من تأريخ النجف العريقة بالجامعات لتطوير المنظومة المعرفية الإسلامية ودفعها باتجاه خدمة الأهداف العلمية والدينية للنجف ومدن العراق والمنطقة، يقول الدكتور سعد علوش، أستاذ القانون الدستوري (وعلى هذا الفهم كان الفقيد الكبير من رجال الصفوة الخيرة التي سعت بإخلاص وايمان لحمل الأمانة السماوية التي تحملها النجف لدعم مشروع انشاء جامعة الكوفة الاهلية في عام ١٩٦٦بشكل يتحقق فيه التقارب كما يقول المرحوم العلامة محمد مكية بين العلم

والدين والتنمية الاقتصادية والاجتماعية)، ويصور الدكتور علوش حال الفقيد الكبير حين افتتاح المعهد (الفيت المرحوم أبا إبراهيم جذلان فرحا يستقبل جمهور المدعوين بوجه طليق يطفح بالبشر ويجلله الحبور، كيف لا وهو أدى فيه الفقيد العزيز عن النجف قسطا من الأمانة التي تحملها في عنقه).

ويشير الدكتور عباس عبود، أستاذ القانون الدولي وعميد المعهد عن اهداف تأسيس المعهد بقوله "نعم. لقد كان السيد الفقيد سجلا تاريخيا حافلا، وطاقة فياضة للعمل الدؤوب استقرت في النهاية في اروقة مؤسسته الخيرية وانشطتها المختلفة ولاسيما معهد العلمين الذي اراد له كما صرّح بذلك ان "يتحول الى مركز استقطاب للطاقات في تحقيق قنوات حوار يصب في مصلحة الوحدة والاستقرار واشاعة السلم الاهلي الذي ينحو منحى العقلنة والوسطية استنادا الى العقل والبرهان في البلد والمنطقة".

هذا المشوار الاكاديمي والعلمي للفقيد الكبير ما هو الا ثمرة من ثمرات المشروع التنويري للمصلح المجدد لشيخ محمد رضا المظفر(قده)، الذي قام بتخريج ثلة من رجال العلم والفقه والادب بلغت عدتهم مئة او يزيدون، استطاع العدد الاكبر منهم ان يكون بوابه النجف للعالم وذلك بتأسيسه لمؤسستين علميتين هما: جمعية منتدى النشر وكلية الفقه. ويؤرخ الدكتور علي خضير الحجي للمشروع الحضاري الذي انطلق من النجف والذي انجب أمة من العلماء وثلة من رجال الفكر والادب كان بينهم الفقيد الراحل، فكان جهده توثيقيا شافيا لمرحلة مهمة من مراحل مدرسة النجف الإصلاحية.

وأشار بشكل تفصيلي الى دور الفقيد الكبير في جمعية منتدى النشر وكلية الفقه ولاحقا في كلية الفقه بجامعة الكوفة. هذه المباحث التأريخية تسلط الضوء بشكل جلي حول المنهج التجديدي الذي اعتمده الشيخ المظفر قبل نصف قرن في مشروعه، وكان الفقيد الكبير احد ابرز الطليعة المؤمنة برسالة النجف والتي حملها معه في محطاته المختلفة في الهجرة، وأخيرا تأسيسه للصرح الاكاديمي العلمي الذي شهدته النجف كأول مشروع ريادي اكاديمي للدراسات العليا في التعليم الأهلي. ولعلنا نحتاج مستقبلا تسليط الضوء بشكل أوسع على مشاركة الفقيد الكبير في مشاريع اكاديمية في العراق في فترة الستينات ومنها جامعة الكوفة المنحلة

لمؤسسها المرحوم الدكتور محمد مكية، ودور الفقيد في التأسيس والتدريس في كلية أصول الدين ببغداد التي أسسها المرحوم اية الله السيد مرتضى العسكري.

***

في نهاية الستينات من القرن الماضي، اضطر الفقيد الكبير مغادرة العراق بعد صدور حكم الإعدام عليه من قبل السلطات البعثية الحاكمة، وبعد عامين من التجوال في دول المنطقة، حطت رحاله في الكويت حيث تصدى للعمل في السلك القضائي للأحوال الشخصية، في المحكمة الكلية بدولة الكويت، واستمر عمله في القضاء الشرعي حتى عام ١٩٧٨، كانت فترة حافلة فقد حمل معه معالم مدرسة النجف الى دولة الكويت، على مستوى الاصعدة العلمية والاجتماعية والادبية، فترك بصمات واضحة فيها، ومن اجل استكشاف هذه المساحة في مسيرة العطاء، شارك الكثير من محبيه الذين عملوا معه في تلك الحقبة، بشهادات حية معبرة نستعرض قسما منها.

يقول المحامي عبد العزيز طاهر "لسبر اغوار شخصيته القضائية، يستلزم فهم وادراك البِنية التي بُنيت عليها هذه الشخصية، فهو رجل عِلم وسياسة بافقٍ ديني مُتطور، وبكل المقاييس، هو ايضا رجل الانسانية، وتتمثل الانسانية لديه في كل ما يتعلق بحقوق الانسان، يدعو الى بناء الانسان عقلا ودينا وروحا والنأي به عن كل ما يخدش انسانيته، وهكذا كان قلمه وعقله ووضعه الديني وقُدراته السياسية والقيادية رهن ما ينفع الانسان ويرفع شانه، واذا اردنا ان نؤرّخ القضاء الكويتي فلابد ان نعرج على الزمن الذي كان فيه (قدس سره) احد اعضائه، وفترة عطائه في القضاء الكويتي عندما تقلّد القضاء جاءت في ادقّ تفاصيله، وهي في مواضيع الاحوال الشخصية. وهذه هي المرحلة التي عاصرتُهُ رحمه الله فيها باعتباري المهني في عملي بالمحاماة وجعلني لصيقا به، فهو القضاء الجالس ومهنتي تجعلني القضاء الواقف".

وبشير المحامي القدير في مقاله (اود في تقديمي للقارئ هذا الرجل العالم الديني القاضي الذي شدّ انتباهي، وانا في بدايات عملي المِهني كما تقبلته انذاك ولما رسمت له صورة في ذاكرتي، كان رجلا في منتصف العمر معمم، على مُحيّاة علامات الحَزم وابتسامة دائمة، يُثير في المتقاضين وكل يدعى ان الحق بجانبه، ولكنه ببساطة العالم وبحنكة القاضي ومرونة السياسي كانت جلسات المحكمة تسير

وفق ما رسم لها، كانت افكاره وقناعاته وتوجيهاته تجد طريقها سهلة الى الناس المُتقبّلين لها، كنت اراقب هذه الحالة الفريدة وعودي الاخضر مهنيا لم يتصلّب بعد، فقررت ان اتعلم منه ما لا استطيع تعلّمه في اي مكان اخر، حيث كنت انهيت تعليمي الجامعي في جامعة القاهرة سنة ١٩٦٩م، والتي صادفت هذه البدايات، كان عليّ ان اقف امامه مُمثلا لاحد طرفي النزاع، ووطدت علاقتي بسماحته، ووجدت فيه ناصحا وموجها في اقدام بالطرح وجراة في حرية الراي، وفرصة التعامل معه تؤكد ان لا يُستغنى عن ما لديه من علوم ومعرفة).

ويستمر في رسم ملامح شخصية السيد بحر العلوم وهو يعتلي منصة القضاء الكويتي، "هذا القاضي العراقي الذي اعتلى منصّة القضاء الكويتي رسم صورة مُختلفة للتعامل خلال جلسات المحكمة، وكانت عِمامته السوداء تُضيف هيبة الى هيبة مَنطقهِ وسلوكِه حتى ذاعت شُهرته وعُرِف من مُعظم المواطنين والمقيمين في البلاد، وفي هذه البدايات كانت لي رُؤى سياسية واجتماعية من مكتسبات فترة الدراسة، ولكني وجدت لدى السيد محمد بحر العلوم رحمه الله الكثير مما يُخالفها، لكنها ليست في ثوب الماضي، فقد كان يُحدثني بِلُغة العصر، وتعلمت ان الخبرة والتطور الثقافي والمدركات الانسانية عملية تراكمية تتطلب غربلتها بين حين واخر، ويكون الوضع اصدق عندما تكون في رعاية عالم مِثله، بما يكسبك الحكمة والمعرفة الحقيقية بعيدا عن الفهم المُنحرِف، ويوجد التوازن بين المفاهيم والمُسلّمات ومعطيات العصر".

ويخلص الطاهر الى القول "اننا كُنا بصدد رجل عِلم ومعرفة واجتهاد ديني وقاضي تزخر اسرته بنجوم القضاء في العراق، تتوسم فيه القاضي الذي يحمل تُراثا واسعا في عالم القضاء ومخزونا حضاريا بالقوانين وابن بلد عريق الحضارة القانونية من قِبَل حمورابي وبعده، ونجده يُجيد استخدام هذا المخزون لديه ليحقق ما يصبو اليه من خدمة البشر اينما كانوا، ولم يشغله ضيق الفهم الانساني بل انطلق الى رحاب قضاء الانسانية الواسع لا يحدّه قوميات او شعوب او قبائل، ولا يحدّه الخلافات العقائدية في تحقيق العدالة على ضوء القيم والاخلاق السامية".

ويرسم فضيلة المحامي السيد علي الموسوي صورة لا تختلف في مضامينها عن صورة السابقة "تولى المرحوم السيد بحر العلوم منصب القضاء الجعفري عند مجيئه الى الكويت، وكان (ره) مخلصا في عمله، على الرغم من انه لم يمارس مهنة القضاء

قبل ذلك، اما وانه اضطر الى ممارستها منذ وصوله الى الكويت فقد كان وبحق عالما يستحق كل اشادة واحترام، وقاضيا يضع الحق في نصابه ويرفع المنازعة عن أطرافها، فقد كان رحمه الله خير من يرفع لواء القضاء ويصدر الاحكام فيما كان يعرض عليه من منازعات، وعلى الرغم من الجهد الذي كان يبذله في محاولة منه لصدور الحكم الصحيح والفصل في المنازعات المعروضة امامه، فقد كان يخشى من الوقوع فيما لا ينبغي للقاضي الوقوع فيه".

ويرى الدكتور عبد الرسول عبد الرضا أستاذ القانون في جامعة الكويت ورئيس دائرة الفتوى والتشريع في الكويت حينها "من الصعب ان تكتب عن شخصية ذات همة عالية كشخصية السيد محمد بحر العلوم، فسيدنا رحمه الله شخصية في عدة اشخاص، تجذب كل من يقترب منه وينهل من اخلاقه وحلمه وحكمته وعلمه الكثير الكثير. كان في سدة القضاء قاضيا مجتهدا، وفي الاخلاق والتسامح قدوة، وفي المعرفة علما واسعا، كان شاعرا اديبا متمكنا، كان كل هذا واكثر. كان قاضيا يحرص على التوصل الى حكم عادل بين الذين عرضوا خصومتهم عليه، ذلك انه الى جانب تفقهه بالمسائل الشرعية، كان على المام تام بعلم الاجتماع، فضلا عن اطلاعه الواسع بالمنطق والفلسفة، فكان رحمه الله ذو ثقافة متعددة تسهل له الحصول على المعلومات الصحيحة والصادقة التي تجعله يحيط احاطة كاملة بالموضوع المطروح عليه فيطمئن الى الحكم الذي يصدره".

ويشير المحامي العنزي عن بحوث السيد بحر العلوم الفقهية يقول "لقد شرفني المرحوم بإهدائي بحثا قام بإعداده تحت عنوان ((الشهادة على الزواج والطلاق والرجعة))، هذا البحث الزاخر بالمعلومات والمبادئ المجمعة الذي اعتبره والكثير من الإخوة المحامين مرجعا قيما لقضايا الأحوال الشخصية الجعفرية يتم الارتكان إليه والتأصيل في ضوئه فهو بحث متعمق وفر ذو غزارة في الفكر وتدفق في المعلومات المجمعة المبسطة التي يستفاد منها القاصي والداني وبالأخص رجال القانون من محامين ومستشارين.

***

وهذه الصورة الناصعة عن مسيرة السيد بحر العلوم القضائية لم تنحصر في اذهان النخب، بل تجدها واضحة في الأوساط الاجتماعية والتي كانت على تماس مع

السيد بحر العلوم، حيث تجذرت علاقات محبة ومودة واحترام مع الكثير من الاسر الكويتية المعروفة، وكشهادة على عمق هذه العلاقات المجتمعية يقول الحاج عبد الاله معرفي في سياق العلاقة التأريخية التي تربط ال معرفي بالسيد الفقيد السيد محمد بحر العلوم (قدس سره)، هو شخصية دينية واجتماعية وسياسية متنوعة الجوانب، يرتبط بعائلة معرفي الكويتية بروابط حميمة أخوية ودينية وصداقات دامت حقب حتى وفاته رحمه الله، وارتباطه بالعائلة امتداد لارتباط العائلة بالحوزة العلمية والمراجع العظام بالنجف، فقد كان الحاج محمد رفيع حسين معرفي رحمه الله لصيقا بالمرجعية في النجف الاشرف تجمعه صداقة ود برجال الحوزة العلمية ويحمل لهم مشاعر التقدير والاحترام". ووفاء لهذه العلاقة اقامت اسرة الفقيد وال معرفي مجلس الفاتحة على روح الفقيد الكبير في ديوان ال معرفي بالكويت.

وتتسع دائرة علاقته مع المؤسسات والحسينيات والجمعيات، يستذكر الاخوة في مجلس أمناء الاحقاقي، مسجد الامام الصادق (ع)، الذي شهد العملية الإرهابية في رمضان العام الماضي واودت بحياة العشرات من المصليين في رمضان العام الماضي. جاء في استذكارهم للفقيد الكبير "لقد اسديت رحمك الله وأسست المبادئ المباركة في القضاء الكويتي وكانت بصماتك واضحة للقاصي والداني من دماثة الخلق والحرص على المصلحة العامة والتوصيات والمقترحات الكبيرة التي أسهمت وبشكل كبير في ارساء قواعد ومواد قضائية وأحكام متميزة حتى كانت الأنموذج الذي يحتذى به ولأجيال متعاقبة في محاكم الكويت، لم تكن قاضياً او مستشاراً بل كنت مدرساً ومعلماً وضع الأسس لأجيال لاحقة تتعلم من أحكامك وصياغتها والسير على نهجها كل ذلك كان ارساء للعدالة ورضا الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام. والكثير يشير ان دور السيد بحر العلوم تجاوز الدور القضائي بل كان له كما أسلفنا لم يقتصر عملك وجهدك على كرسي القضاء فقط بل كنت مصلحاً ورائداً في التصدي لمشاكل المجتمع ومواطن الكويت ولم تكن ترى ان العمل مختص في ساحة القضاء وإنما في مرافق المجتمع بشكل عام حتى حفظك أهل الكويت في ذاكرتهم ووجدانهم".

وتصدت جمعية الثقافة الاجتماعية في الكويت في إقامة حفل تأبيني بمناسبة مرور أربعين يوما على وفاته، شارك فيه علماء ونواب ووزراء ورجال اعمال استذكارا لاعماله الجليلة ومواقفه النبيلة تجاه الكويت، وعمدت الى اصدار فلم وثائقي خاص

بمسيرة الفقيد الكبير شارك فيه العديد من الشخصيات العلمية والاجتماعية للحديث عن ماثر الفقيد، واقامت العديد من الحسينيات الفاتحة على روحه ومنها حسينية الزهراء للحاج كاظم عبد الحسين.

***

علاقة السيد بحر العلوم مع الكويت قيادة وشعبا، ترسخت جذورها مجتمعيا، وخاصة بعد غزو النظام الصدامي للكويت، ونستعرض شهادات عدد من أساتذة العلوم السياسية في جامعة الكويت. يقول أ. د. عبد الرضا اسيري وفي الفترة الواقعة بين عامي ١٩٧٢- ١٩٧٩، عمل السيد "محمد بحر العلوم" قاضيا للاحوال الشخصية في محاكم الكويت، وترك انطباعا حسنا وماثر طيبة خلال توليه المهمة الفقهية والرسالة القانونية، ومن خلال عمله اختلط بالمجتمع الكويتي وقطاعاته المختلفة وبالمجتمع المدني، فاستقرت الكويت في وجدانه وضميره فكان ينبري مدافعا شرسا عن الكويت وعن الحق عند كل لائمة او شدة تتعرض لها الكويت وأهلها، ان العالم الاسلامي والعراق، فقدنا برحيل السيد "محمد بحر العلوم" قمه شامخه من قمم العطاء والخصب من الفكر المستنير والرشد في الطرح والعقلانية في الموقف. انها خسارة كبيرة للعالم الاسلامي والعربي، بفقده في وقت احوج ما نكون فيه لشخصه وارائه، في زمن تشتعل فيه الفتن ويتمزق العالم العربي والاسلامي. الرحمة للفقيد الغالي، والصبر والسلوان لذويه واهله ومحبيه".

ويؤكد الأستاذ الدكتور غانم النجار ان اعتدال السيد بحر العلوم ومرونته وقبوله للراي الاخر اوجد له مكانا في المجتمع الكويتي "كنت ادرك جيدا بان غيابه عن المسرح السياسي سيؤدي إلى ثلمة في معسكر الإعتدال في ساحة سياسية مضطربة في العراق والمنطقة. كان بحرا للعلوم كما هو اسمه، لاينكره ولاينفصل عنه، كان مرنا متسامحا، متقبلا للراي الآخر بصدق وبلا افراط ولاتفريط، وكان قبل هذا وذاك إنسانا بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى، ولا أراني مبالغا إن قلت بأن رحيله وغيابه عن الساحة العامة، لن يمكن تعويضه".

ولاينسى الكويتيون دور السيد بحر العلوم في ردم الهوة المجتمعية التي اوجدها الغزو الصدامي للكويت، يشير أ. د. عبد المحسن جمال "يعتبر سماحة السيد بحر العلوم من الشخصيات التي استطاعت التقريب بين الشعبين الكويتي العراقي، في

كافة المراحل حياته العلمية، وخاصة في فترة الازمات الشديدة سواء اثناء عمله كقاضي شرعي في محاكم الكويت، او في فتره الغزو اثناء اقامته في بريطانيا او بعد تحرير العراق واستلامه اعلى المناصب فيها. فحب الشعب الكويتي بقي في قلبه وعواطفه الى انتقاله للرفيق الاعلى. ويشهد بذلك كل من تعامل معه او التقى به من كافة المستويات الرسمية والشعبية. فهو عاش فتره من عمره في الكويت حين تسلم القضاء في المحكمة الجعفرية، فااحبه الناس واحبهم وكان كثير الالتقاء بهم يستشيرونه في قضاياهم الشرعية وشؤونهم العامة والخاصة، وكان يمتاز بحزمه مع تواضعه. وبمحاوراته مع قوة حجته، وانفتاحه على الجميع مع قوة شخصيته".

اما الوزير السابق والمستشار الدكتور عبد الله المعتوق يرى في السيد بحر العلوم رمزا سياسيا وعروبيا بارزا (وقد عرفت الراحل عالما جليلا له العديد من المؤلفات في كل صفوف المعرفة وفروعها، ورمزا سياسيا وعروبيا بارزا، ملما بالقضايا العربية، حتى انه كان يردد من شدة اهتمامه وسعة علاقاته العربية، انه "عربي الهوى"، ولم تكن مجالسه تخلو من مثقفين وسياسيين ومفكرين عرب واجانب ينتمون الى مشارب وايديولوجيات وثقافات مختلفة. كما عرفت الراحل سليلا لأسرة عريقة وذات مكانة اجتماعية وسياسية مرموقة، وكان ساعيا -كما عبرت عن ذلك مواقفه ومؤلفاته للتقريب بين اهل السنة والشيعة وجمعهم على المشتركات، كان من عاداته رحمه الله اذا زار الكويت يلتقي بأهلها في دواوينهم، ويحسنون استقباله، ويستمعون الى دروسه وتحليلاته لاوضاع الامة والاخطار المحدقة بها).

ويستذكر الصديق والشاعر الحاج على يوسف المتروك مواقف الفقيد الكبير في الدفاع عن الشعب الكويتي" أود أن أوثّق دوراً مهماً هو غاية للوفاء فعندما اجتاحت قوات صدام سنة ١٩٩٠م الكويت؛ كنت يومها في لندن فاتصل بي المرحوم الشيخ سالم الصباح، وكان وزيراً للدفاع لترتيب اجتماع مع المعارضة العراقية لإصدار بيان استنكار ورفض للاحتلال الصدامي، فكان المرحوم بحر العلوم أول من تم الاتصال به، وبالفعل فقد تمَّ الاجتماع بحضور حوالي عشرين شخصية عراقية وأكثرهم حضروا بدعوة من سماحة السيد بحر العلوم، فكان العتاب والاحتجاج واللوم. ومنهم من لم يكن متحمِّساً لهذا الطلب، ولكن المرحوم بحر العلوم لعلو مكانته وجلالة قدره، ومحبته للكويت، استطاع أن يطفئ نيران الغضب فصدر بيان بالإجتماع استنكاراً وتنديداً بالاحتلال. وينهي استذكاره "لو كان الأمر بيدي لنصبت للفقيد السعيد السيد

بحر العلوم تمثالًا يعبِّر عما قدَّمه للعراق من خدمات جليلة. ليكون مثالًا يحتذى به للجهاد والمثابرة والإصرار على المقاومة حتى النصر".

تواصل السيد بحر العلوم مع المجتمع الكويتي منذ السبعينات وحتى رحليه، رسخت عند عارفي فضله ذكريات لا تنسى، فالوزير السابق سامي النصف يرى" بأن الثروة الحقيقية للأوطان وللشعوب هي في الحكماء والعلماء والنبلاء والعقلاء من الأبناء وعلى رأس هؤلاء يأتي السيد والعلامة الفقيه والدكتور والقاضي والسياسي والمؤرخ والمناضل والشاعر والأديب ودمث الأخلاق المرحوم محمد بحر العلوم الذي كان بحق بحراً زاخراً من المعرفة ونهراً جارياً من العلوم ولا زلتُ أذكر زيارتنا لسماحته في بيته المتواضع بالنجف الأشرف الذي لا يغلق بابه عن الضيوف والمحتاجين بالليل والنهار واستقباله لنا بكل أريحية وبشاشة وكرم شديد وحديثه الشائق الذي لا يُمَل.

استمرت علاقاته مع المجتمع الكويتي، وكان يرى الفقيد الكبيران المرجعية الدينية في النجف تهتم بتوثيق العلاقة بين العراق ودول الجوار، ولها مواقف مشهودة منذ مرجعية الامام الحكيم ومرورا بالامام السيد الخوئي وانتهاءا بالامام السيستاني، ويستشهد د. إبراهيم بهبهاني في مقالته، عن لقاء صحفي مع السيد بحر العلوم نشرته الصحف الكويتية يتحدث فيه عن تلك العلاقة "قاربت على ٨٦ عاما من العمر، وأقصد المجيء إلى الكويت كل عام منذ سقوط النظام الصدامي من أجل ان أفهم الاخوة الكويتيين أن العراق لكم وبلدكم، وأن أي استقرار في العراق استقرار لكم، واستقراركم استقرار للعراق"، مشددا على أن "الوشائج التي تربطنا مع الشعب الكويتي كثيرة، فلا نجعل هذه الوشائج في مهب الريح في قضايا لا أثر لها في المصلحة العامة. نحن مع المصلحة العامة وعملنا كثيراً"، ومؤكدا أن "المرجعية الدينية في النجف تهتم كثيرا بتوثيق العلاقة مع دول الجوار وتهتم كثيرا بضوابط هذه العلاقة وأن تكون في مصلحة البلدين"، موضحا: "اننا لاحظنا أن الأجواء المكفهرة والكثير من المشاكل التي تشهدها البلاد، اضافة الى الكثير من القضايا التي تهم دول الجوار مع العراق تأتي بطريقها من بعض دول الجوار التي انزه وابعد الكويت عنها".

ولم يفت الإعلامي حمزة عليان الإشارة الى نفس السياق "كان على الدوام صديقا وفياً للكويت، أبدى حرصه وسعيه المتواصلين على توضيح الموقف العراقي

تجاه القضايا الساخنة والمعلقة التي غالباً ما تطرح في الاعلام بطريقة التحريض والاثارة، وقال اكثر من مرة في العلن والسر: "ليست لنا اطماع في الكويت، وترسيم الحدود حصل بقرار دولي وانتهى، وصدام حسين سقط الى الأبد وستبقى الكويت جارة وفية ومخلصة لنا"، على حد تعبيره. ولها مكانة خاصة في قلبه، فقد كانت اول محطة عندما تغرَّب عن وطنه وآخر محطة عندما عاد من منفاه".

***

تلك الصورة التي انطبعت في المجتمع الكويتي، هي ذاتها التي تركها الفقيد الغالي لدى العراقيين قبل هجرته القسرية من وطنه، ولعلنا نجزم ان نفس الصورة نجدها في أي محطة يحل بها السيد الراحل، ففي الساحة الإيرانية وعلاقاته المتشابكة والواسعة مع مختلف الطبقات وخاصة في طهران وقم ومشهد وشيراز تحتاج الى استكشاف مساحتها بشكل تفصيلي، وخاصة مع المرجعيات الدينية والعلماء الاعلام منذ الخمسينيات من القرن الماضي وحتى رحليه، كان يحرص على التواصل وخاصة على مستوى المرجعيات والحوزات العلمية والشخصيات السياسية والجالية العراقية، وما بيانات نعي المراجع الكبار والمؤسسات الإيرانية وكبار السياسيين والمستشارين برحيل السيد بحر العلوم الا انعكاس لعمق العلاقة مع جمهورية ايران الإسلامية الذي كان يخصها بزيارات متواصلة سنوية رسخت جذور العلاقات على المستوى العلمي والسياسي والاجتماعي. ولعلنا نوفق مستقبلا لتغطية ذلك.

ومن المحاور التي يفترض تغطيتها لاحقا علاقاته المجتمعية والرسمية مع بعض البلدان العربية التي كان يشد الرحال لها حيث تكتسب جزءا من مشروعه، كسوريا ولبنان والقاهرة. ففي بيروت كانت علاقاته متميزة مع رموزها الدينية والثقافية والأدبية وفي مقدمتهم الامام المغيب السيد موسى الصدر والامام الشيخ شمس الدين والمرجع السيد محمد حسين فضل الله وسماحة الشيخ عبد الأمير قبلان، واخرين من رموز لبنانية مجتمعية، إضافة الى مشاركاته العديدة في مؤتمرات علمية وسياسية عقدت في بيروت، واخرها تكريمه من قبل الجامعة الإسلامية في بيروت من قبل رئاستها الدكتور حسن الشلبي ومنحه لقب (الاستاذية)، وكذلك زيارته لمعلم مليتا الجهادي للمقاومة الاسلامية.

وعلى الصعيد السوري، احتفظ الفقيد الكبير بشبكة واسعة من العلاقات على الصعيد الرسمي والثقافي في دمشق، منذ الستينيات القرن الماضي، وتطورت اثناء هجرة الكثير من العراقيين الى سوريا، وتشعبت بفعل العمل السياسي ومتطلباته في الثمانينات، وأصبحت اكثر فاعلية في التسعينات، وتستحق التغطية للتعرف على ما تركه الفقيد الكبير من اثار في بلاد الشام.

وفي مصر، حيث قضى فترة من مسيرته لاكمال دراسته العليا، وتضمن المقال الأخير من الفصل الثالث، اطلالة سريعة على نشاطه السياسي والثقافي والعلمي في مصر مع علمائها وشعرائها وادبائها ومؤسساتها الدينية والثقافية، وخاصة مع علماء الازهر وشيوخها، وشعرائها وادباؤها ومنهم احمد عبد المعطي حجازي، وصلاح عبد الصبور، واحمد حسن إسماعيل، ومحمد التهامي، والدكتور بدوي طبانه، وخالد محمد خالد، وعبد الرحمن الشرقاوي، واحسان عبد القدوس، والدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي)، والاستاذة المربية امينة السعيد. إضافة الى تواصله مع الجالية العراقية رغم قصر الفترة، ويشير الحكيم الى ان النشاط الثقافي الخلاق الذي ساهم فيه السيد بحر العلوم سواء في النجف او في القاهرة او في الكويت او في لندن هو جزء من مشروعه النهضوي الذي ينير للامة العربية والاسلامية طريق المجد والعزة، واخيرا: لقد عاش السيد بحر العلوم في ظروف تميزت بالهزات والاضطرابات والثورات والحروب سواء في العراق او في منطقة الشرق الاوسط ولم تؤثر على منجزاته الفكرية والثقافية واستمر في العطاء حتى الرمق الاخير، واستمر في الوفاء لاصدقائه ومحبيه حتى الشهيق الاخير، فرحم الله ابا ابراهيم يوم ولد بوم يبعث حيا.

***

بريطانيا هي المحطة الابرز في مسيرة الفقيد الكبير في غربته، فقد اقام فيها قرابة ثلاثة وعشرين عاما، وتميزت نشاطاته بعملية بناء تربوي ومؤسساتي وحركي وسياسي وثقافي واجتماعي للجالية العراقية بشكل خاص والجاليات العربية والمسلمة بشكل عام. وما كتبه الدكتور بهاء الوكيل والذي رافق الفقيد الكبير على مدى ٣٠ عاما، واشترك في الكثير من مشاريعه، على ما جاء فيها من اختصار لكنه تمكن من فهرسة ابرز فعاليات الفقيد الكبير في الساحة البريطانية على الصعيد

الديني والاجتماعي والثقافي والسياسي، وما حققه مركز اهل البيت الإسلامي من خطوات ثابتة على صعيد تجميع طاقات الجالية العراقية وتوحيد جهودها.

يشير السيد على الحيدري، احد ابرز العاملين معه في حقبة الثمانينات، الى ان مركز اهل البيت الإسلامي اصبح قاعدة جعلته من اهم مراكز الاشعاع الإسلامي في تلك الحقبة، وعمل على استقطاب العراقيين والجيل الناشئ في بلد التغرب، ولقد نجح الفقيد الكبير في ذلك نجاحا باهرا، فكثير من الإباء والامهات يجدون أبنائهم وبناتهم اكثر التزاما بالإسلام مما كانوا هم عليه في صغرهم وشبابهم، وكذلك اوجد المركز وشائج الصلة بين الاسر العراقية وبقيت هذه الوشائج حية تنمو مع الزمن، واليوم محل اعتزاز عندما نرى معظم هؤلاء الشباب الذين نشأوا في مركز اهل البيت اصبحوا كوادر علمية ومساهمين في نشاطات إسلامية، ان في مقدمة من أسس لهذا النهج في الرعاية والتوجيه للجالية العراقية فقيدنا الكبير السيد بحر العلوم.

ويشير السيدان الوكيل والحيدري الى توجه الفقيد الكبير للنشاط النسوي، وترى اثاره فاعلة اليوم في الدور التي يقمن به لاسناد اليتامى واسر الشهداء بتأسسهن للجمعيات الخيرية، ولا شك ان مركز اهل البيت كان هو التربة الخصبة لهذه الثلة المؤمنة من النسوة التي كانت تحت نظر وتوجيهات الفقيد الكبير.

وفي هذا السياق يذكر د. منذر الكاظمي، احد العناصر الفاعلة في برامج الناشئة، كان السيد بحر العلوم حريصا على مستقبل أبناء الجالية العراقية، ومحتضنا للكفاءات العراقية في المساهمة في تطوير البرامج الثقافية الهادفة الى تحصين الجالية، وتوفير ما يمكن توفيره للحفاظ على هويتهم العربية والإسلامية. فما قدمه السيد الكبير من دعم وتشجيع لتأسيس المدارس العربية الأسبوعية لتعليم أبناء الجالية الإسلامية بشكل عام والعراقيين بشكل خاص، لتعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية الأثر الكبير في حفظ الناشئة، وما اشرافه المباشر على إقامة الملتقيات الدورية للمدارس العربية في بريطانيا لاختيار المناهج لتدريس أبناء الجالية وتوحيدها والبحث عن افضل الطرق العلمية لتدريسها لابناء الجالية كان موضع تثمين وتقدير.

كان الفقيد الكبير حريصا على احياء المناسبات الدينية والوطنية وتجذيرها في أوساط العائلة العراقية، ومنها المولد النبوي الشريف في نفوس الناشئة من أبناء

الجالية، فكانت مطعمة بالمسرحيات والمسابقات التي تركت بصماتها على ذكريات الطفولة، لم تكن المخيمات التي كانت تقام في المركز والمسرحيات الفنية التي تحكي معاناة الشعب العراقي، والسفرات الترفيهية للعوائل العراقية في مناسبات الأعياد، وسفرات الناشئة الى سوريا والعمرة وايران، الا احد المهام التربوية التي تعهدها الفقيد الكبير في المهجر لتعضيد العلاقات الاسرية والاهتمام بالجيل الناشئ.

***

الجانب الأخلاقي في شخصية السيد بحر العلوم يحتل جزءا أساسيا في علاقاته وسلوكه على الصعيد العائلي ودائرة الأصدقاء والمحبين وفي علاقاته السياسية مع الاخرين. ويصور السيد جعفر الحسيني (ان اللقاء مع السيد بحر العلوم يمسح احزان النفس وتشعر معه بجمال الحياة ورقي الانسان حتى كأنه ليس في هذه الدنيا كره او حقد او خوف، هكذا بحر العلوم طيبا دافئا محبا متواضعا واكاد اجزم انه لم يحمل طيلة حياته ضغينة لاحد"، ويرى الحسيني "ان الجانب الإنساني من حياة الفقيد يستحق تسليط الضوء عليه، لان الجوانب الأخرى معروفة وقد كتب عنها الكثير، ان في الجانب الإنساني للفقيد الكبير ما يشد المرء لامثاله، وما يجعله رمزا للحب والتسامح).

ويشترك الدكتور على السعدي في طرح الجانب الإنساني في حياة الفقيد فيقول (لا أتذكر بالضبط متى تعرفت على السيد بحر العلوم للمرة الأولى، ولا كيف ومتى حصل ذلك، لكن ما هو راسخ في الذاكرة ان كل اللقاءات معه وطوال السنوات التي عرفته فيها كانت بمثابة المرة الأولى، واعتقد اني ليس الوحيد الذي يرافقه شعور كهذا).

يقول الباحث عبد الحسين شعبان (كان انسانا رقيقا وعميقا، له من الخصال الشخصية ما يندر ان تجتمع في شخص واحد، حيث التواضع والظرافة وخفّة الظل والفكاهة لدرجة تستهويه النكتة فيضحك من القلب، ويطرّبه النغم الجميل، ويستولي على لبّه بيت شعر، وحين يعجب بفكرة او راي يرقص كالطفل، ببراءة وعفوية وبلا تكلّف، كما كان فمه معطّرا باستمرار بالحديث عن مزايا الناس وحسناتها وايجابياتها، دون ان يعني عدم معرفة عيوبها ومثالبها)

اما الخطيب الشيخ النصيراوي يصف تلك الخصال الإنسانية من زاوية اخرى (ان السيد بحر العلوم نسيم المحبة ووهج التودد وحبل التواصل الممتد عبر مسافات طويلة، فهو ذو برنامج يحق لنا الاقتداء به والاقتفاء لاثره فهو يطوف على بيوت المراجع ويحضر المناسبات العامة والخاصة مشاركا ويقطع المسافات ليؤدي حق المحبة والخلق الذي اتخذه مبدأ في حياته).

ويتحدث الشاعر السيد جابر الجابري عن المتعة في علاقاته مع السيد بحر العلوم (كان السيد بحر العلوم متالفا في روحه الخفيفة الظل وابتسامته التي حفظناها عن ظهر قلب ونكته السريعة والحاضرة وكانت امتع الأوقات هي التي تقضيها في ظله ورعايته لا يشعرك انه اكبر منك ولا اعلى مقاما ولا ارفع درجة، هو قريب منك ومثلك تماما في مشاعرك وعواطفك.

وترتسم نفس الصورة عن تواصله مع الجالية في بريطانيا يقول د. منذر الكاظمي (لم يكن العلامة السيد بحر العلوم عالما دينيا فقط، بل كان أبا روحيا واجتماعيا لكل من خالطه وعمل معه، كان يتفقدنا بين الحين والأخر). اما سماحة السيد الموسوي يرى في الفقيد الكبير رمزا للتواصل مع اعداد كبيرة من الناس، ويبدي اهتماما خاصا لجميعهم والسؤال عن احوالهم ومتعليقهم، يزور الناس في مناسباتهم ويحضر افراحهم واتراحهم، ويقف معهم مواسيا على استقبال المعزين مع اهل الفقيد).

ويشير الدكتور الوكيل الى ان صفات اجتماعية فريدة تميز بها السيد بحر العلوم، حيث كان متواضعا ولطيف المعشر يتحلى بروح النكتة ولا تفارقه الابتسامة، وكان رحمه الله يمثل واجهة اجتماعية مهمة تتقرب منه الناس لحل مشاكلها ورفع مظلومياتها، كان يسلم على الصغير ويقف مع المراة ويحاورها ويستفسر عن مشاكلها، يتقرب الى الجميع حتى المناوئين والمنافسين، ويستنتج الوكيل ان هذه الصفات لم تأت اعتباطية بل كانت حصيلة التأثير العائلي والاجتماعي والتربوي بالإضافة الى خبراته وتعدد المجتمعات التي عاش فيها. ويختتم حديثه عن الفقيد الكبير اجتمعت في هذه الشخصية ما لا يحصى من الصفات والمأثر ما يندر اجتماعه في شخص واحد.

ان التواصل الاجتماعي كانت صفة مميزة للسيد الراحل، لم توقفه استحقاقات

العمر، فتراه حريصا على التواصل مع كافة الشرائح بمختلف اتجاهاتهم، تلك الصفة لازمته طوال حياته حتى اقعده المرض في الفترة الأخيرة من حياته. كان يأنس بهذا التواصل المباشر، وكان ديوانه، بعد العودة الى الوطن، في المدينة القديمة واحة علمية وثقافية يلتقي فيه مراجع دين وعلماء ومفكرون ونخب ثقافية واكاديمية ورموز اجتماعية، حرص السيد تفعيل السجلات الشعرية والمناقشات الثقافية كما عبر الإعلامي د. علي شمخي.

ومن السمات الأساسية لشخصية الفقيد الكبير التي تركت بصماتها مع الكثير من محبيه وعارفي فضله هو القدرة على التواصل الاجتماعي، والانسجام بين مختلف الطبقات، وربما لا يختلف فيه اثنان في تفرد السيد بحر العلوم بقدرته على الانسجام مع مختلف الطبقات وسعة صدره في التعامل مع متطلباتهم وباسلوب منقطع النظير حسب ما عبر عنه الأستاذ القاموسي.

***

كان تأسيس مركز اهل البيت الإسلامي في لندن في بداية الثمانينات، هو الخطوة الأولى نحو اعمال مؤسساتية أخرى، حيث تعددت نشاطات وفعاليات السيد بحر العلوم على الساحة البريطانية، يقول السيد محمد الموسوي (كان للزعيم الوطني العراقي الدكتور السيد محمد بحر العلوم دور مهم في النشاط الإسلامي الشيعي، بدأ مع رفيق دربه نشاطات متنوعة للجالية الإسلامية عموما والشيعية خاصة في محاولة لتثبيت الهوية الإسلامية للعوائل المسلمة المهاجرة الى الغرب، كان له الدور البارز في تأسيس مشروع رابطة عالمية لاتباع اهل البيت في العالم، هذا المشروع الذي راود كثيرا من علماء ومفكري الشيعة حتى تم تأسيس رابطة اهل البيت الإسلامية العالمية في ١٩٨٣). لقد جمع هذا المشروع كبار العلماء الاعلام في العالمين العربي والإسلامي.

وسلط العلامة السيد الميلاني، الذي تربطه بالفقيد الكبيرعلاقات متينة من النجف، الضوء عن مشاريع مهمة أخرى في بريطانيا في التسعينات اضطلع بها السيد المرحوم، ومنها مؤسسة الامام الخوئي ومهرجان الغدير العالمي، والجامعة الإسلامية العالمية للسيد الشهرستاني رحمه الله، وكان للفقيد الكبير الدور فيها.

لقد تعددت نشاطات الفقيد الكبيرفي الساحة البريطانية ومنطقة الشرق

الأوسط الى الساحة الاروبية والأميركية، وكانت تتوسع حركته الثقافية افقيا وتتزامن مع تطورات الوضع السياسي وتصدي المعارضة العراقية في مواجهتها للديكتاتورية والاستبداد، ولعل المقال الأخير من الفصل الرابع يعكس صورة موجزة عن تحركاته ونشاطاته منذ منتصف الثمانينات ومرورا بالتسعينات مع الجالية العراقية والعربية والإسلامية في الولايات المتحدة ومنها مؤتمرات الجمعية العراقية الإسلامية في اميركا، حيث كان للسيد صادق بحر العلوم ورفقائه الدور في اعداد هذه المؤتمرات.

***

في بريطانيا، لعب السيد بحر العلوم دورا سياسيا بارزا منذ الثمانينات، يقول الوكيل (كان مركز اهل البيت يتصدى لاقامة الندوات والاجتماعات في المناسبات الوطنية، ويتصدر الواجهة في تنظيم الاعتصامات والتظاهرات ضد النظام، وكان السيد بحر العلوم محور هذه الفعاليات، وكان سباقا الى عقد الاجتماعات في معظم المحن التي مر بها الشعب العراقي)، ويقول الحيدري (لقد تبنى الفقيد استقطاب العراقيين لمعارضة نظام صدام حسين وكان دوره رئيس وفاعل في إبقاء شعلة المعارضة متقدة، لقد كان كتلة من النشاط الدؤوب في إدارة مركز اهل البيت بكل الكوادر الملتفة حوله موجهها كل النشاط باتجاه معارضة نظام صدام، السيد علي الحيدري لقد فقد العراقيون في بريطانيا السيد بحر العلوم مرتين، الأولى بعد سقوط النظام حين انتقل الى العراق للقيام بالدور القيادي في تأسيس الحكم الجديد، ولقد شعرنا بالفراغ الكبير الذي تركه في الساحة البريطانية من هذه الشخصية الجامعة البارزة والتي احبها الجميع كان قائدا وابا واخا كبيرا، والأخرى عند رحليه الا ان ذكراه واثاره باقية في قلوب وعقول العراقيين).

ومن المشتركات بين معظم السياسيين قدرة الفقيد الكبير على جمع شتات المعارضة العراقية، يقول الباحث عبد الحسين شعبان (كان بحر العلوم يمثل "الجامع" للمعارضة العراقية، ويحاول امتصاص التقاطعات والاختلافات، وكان هدفه الأول والاساس هو الإطاحة بالنظام السابق...لقد تحول مركز اهل البيت في لندن الى خلية نحل لاجتماعات وخطط وبرامج وبيانات، مثلما كان بين بحر العلوم مفتوحا بكرم غير مبالغ فيه، ولكن بعطاء لا حدود له)، ويعلق الكاتب محمد عبد الجبار على حرص الفقيد الكبير في توحيد المواقف بين مختلف الفرقاء (كان السيد يحفر

الأرض من اجل الكشف عن نقاط الاشتراك ويبني السدود من اجل تطويق نقاط الاختلاف لانه كان يدرك ان الخلاف لن يوصلنا الى شيء، وكان أحيانا يهدد باستخدام سلطته الروحية الفقهية خاصة مع الإسلاميين من اجل التوصل الى موقف موحد ومشترك.

أما د. الرفاعي فيرى في ان شخصية بحر العلوم كانت موضع اجماع من قبل العراقيين فقد "استطاع المرحوم بحر العلوم بناء شبكة علاقات ثقة مع مختلف الشخصيات في الحوزة وخارجها، من رجال دين، ومثقفين، واكاديميين، وسياسيين، من العراقيين وغيرهم. لم يعطله مذهب او دين او موطن او قومية اي شخص عن بناء علاقة معه. قلما وجدت اجماعا على قبول شخصية عراقية، واحترام الجميع وثقتهم بها، كما وجدت في شخصية السيد بحر العلوم". وفي هذا السياق يشير الأستاذ حميد الكفائي (كان السيد بحر العلوم وطنيا في كل تصرفاته وتوجهاته وخطاباته وكان فوق الاختلافات الطائفية والعرقية، وطوال ثلاثين عاما عرفته فيها، لم اسمعه يوما يتحدث عن الاختلافات المذهبية، بل كان يتحدث عن الجوانب الإنسانية في الإسلام، لم يكن يفرق بين العراقيين بل اصر على المساواة وكان دائما يدافع عن الاخر وقلما سمعته يدافع عن طائفته او مجموعته السياسية).

ويعتقد السيد اكرم الحكيم (بان الاسرة والحوزة العلمية والظروف والادوار التي عاشها او نهض بها السيد بحر العلوم، كل تلك البيئات صاغت شخصيته بكل خصائصها من علم إسلامي نقي ووسطية واعتدال في الطرح فضلا عن خلق وتواضع عال واريحية جعلت بيت الراحل ومراكز عمله ونشاطه بمثابة خيمة امنة يجتمع تحت ظلالها العراقيون بمختلف انتماءاتهم). وينفرد السيد اكرم الحكيم برؤويته في أهمية التعريف بريادة الفقيد الكبير للحركة المناهضة للشيعة فوبيا، وبانه من رواد التحرك المبكر لمعالجة هذه الظاهرة، علما بانه ما كان بالامكان ان يساهم الجهد الدولي المباشر في اسقاط اخطر طاغية عرفه تاريخ العراق المعاصر، لولا نجاح جهود نخبة من شخصياتنا العراقية الوطنية (في مقدمتها العلامة السيد محمد بحر العلوم)، التي عملت بصمت وجد لسنوات لمعالجة تأثير الشيعة فوبيا على دوائر سياسية دولية ذات تأثير كبير على توجّهات السياسة الدولية في منطقتنا الهامة، كل ذلك بتوفيق الله. ومن هنا تبرز أهمية نهج العلامة بحر العلوم في تبني الوسطية والاعتدال وإيجاد العلاقات والحوار والانفتاح على العالم الخارجي والسعي

لابراز الوجه الحقيقي للتشيع والشيعة، وقد اثبتت الأيام صحة النهج الذي انتهجه في مجال الساحة الدولية والتي تحمل من اجل انجاحه الكثير من القيل والقال والكلام غير المسؤول.

***

والفصل الأخير من الكتاب، شهادة حية تضمنت الكثير من التفاصيل حول تحرك السيد بحر العلوم العلمي والسياسي والاجتماعي، وغطيت مساحة واسعة من سنوات التسعينيات وجانب كبير من دوره في مجلس الحكم، معتمدة على المشاهدات والمتابعات الحية من خلال رفقة عمل مع الفقيد الكبير، يقول السيد الجوادي في دراسته الاستقصائية التي اعتمد في بعض محاورها على ارشيفه الخاص (سنسير في استعراض تلك المعطيات بامانة الشهادة على تأريخ رجل مضى لرحمة الله وكان مناضلا صلبا من اجل وطنه ودينه وانتمائه الأصيل وفضلا عن ذلك كان لنا عما فاضلا واخا كبيرا قضينا معه سنين صعبة كان وجوده يخفف بها عن كواهلنا نحن اخوته واصدقاؤه في لندن كثيرا كثيرا). وقد ارخ الجوادي لتحركه مع السيد بحر العلوم منذ تأسيس لمعهد الدراسات العربية والإسلامية في لندن، والمشاريع التي اضطلع بها المعهد طيلة التسعينات من القرن الماضي وفي مقدمتها مشروع الكتابة عن الانتفاضة الشعبانية والسيمنارات الخاصة والاصدارات الفكرية التي تصدى لها المعهد. وقد استعرض فيه جزءَ من نشاطات المرحوم السيد بحر العلوم في الجانب السياسي كتأسيس هيئة التنسيق عام ١٩٩٥ ومؤتمر لندن. وتفاصيل عودة الفقيد الكبير الى العراق عن طريق الكويت، ومجمل التحرك في دولة الكويت رسميا وشعبيا قبل الدخول العراق، ووصوله الى مدينة النجف الاشرف وتفاصيل اشتراك السيد بحر العلوم بمجلس الحكم والنشاطات التي تولاها في الفترة الأولى من المجلس. وقد تفضل السيد الجوادي تعبيرا عن وفائه ومحبته بتوسعة البحث وتضمين اغلب ذكرياته الى ان يتحول الى مشروع كتاب منفصل بحدود ٦٠٠ صفحة، سيرى النور قريبا.

***

في الختام، أتوجه باسم مؤسسة بحر العلوم الخيرية، واسرة ال بحر العلوم واخوتي الافاضل السيد السفير محمد حسين وسماحة السيد محمد علي، الى

أصدقاء ومحبي الفقيد، الاخوة والأساتذة الافاضل من الكتاب والادباء والشعراء والسياسيين والاكاديمين من العراق وخارجه، والذين تفضلوا علينا بهذا العطاء المتميز من الكلمات والمقالات والبحوث والمعبرة بمجموعها عن محبة ووفاء وتثمين وتقدير لدور الفقيد الكبير خلال مسيرته في العراق والمهجر. فلهم جمعيا كل الشكر والامتنان، اعتزازا منا بوفائهم وصدق محبتهم. واشكر الأخوين الشاعر ثامر العساف على مراجعته للنصوص الشعرية الواردة في الكتاب، والاخ السيد علي الغريفي على مراجعته للنص، والى كل الاخوة العاملين في المؤسسة واخص بالذكر الاخوين صلاح العابدي وحسين غليبش الذين اعانونا على تنضيد المواد وترتيبها بالشكل المرضي والمناسب. املين من الله التوفيق لاستكمال باقي الحلقات من سلسلة (مسيرة العطاء) عن مسيرة الفقيد الكبير، مبتهلين الى العلي القدير ان يتغمد فقيدنا الكبير برحمته الواسعة.

إبراهيم بحر العلوم

٥ نيسان ٢٠١٦

الفصل الأول

بحر العلوم
وروح الريـادة

١ ـ **السيرة المتفردة**..... الاستاذ محمد رضا القاموسي
٢ ـ **الذكريات الماثلات تهزني**... أ. د. سعد علوش
٣ ـ **وترجل فارس النجف**.... سماحة الشيخ محمد الخاقاني
٤ ـ **نقاط مضيئة**.... الخطيب الدكتور الشيخ إبراهيم النصيراوي
٥ ـ **السيد الكبير**... الدكتورالسيد جابر الجابري
٦ ـ **سنوات الجهاد والابداع**... أ. د. إبراهيم العاتي
٧ ـ **خواطر أدبية في سجل الذكريات**... الخطيب السيد داخل السيد حسن
٨ ـ **شمعة الهدى لاتخبو**... سماحة الشيخ فاضل السهلاني
٩ ـ **روح الريادة**... سماحة الدكتور السيد مسلم الجابري

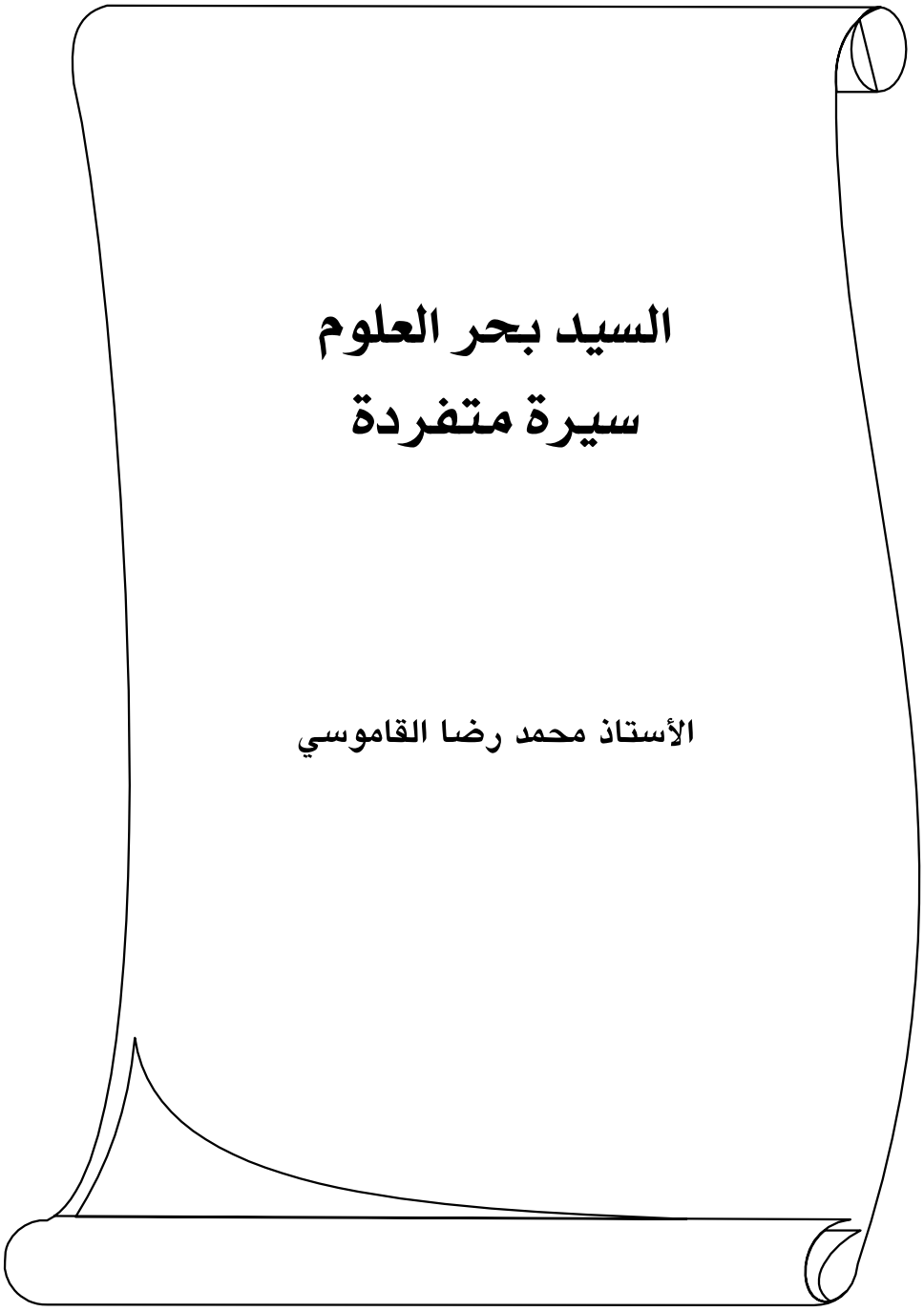

السيد بحر العلوم
سيرة متفردة

الأستاذ محمد رضا القاموسي

تستوقفك ـ وانت تحاول الولوج الى عالم الفقيد الكبير ابي ابراهيم ـ طيب الله مثواه ـ ومتابعة اوجه نشاطه المتنوعة ومن ثم تلمس مقومات شخصيته وعناصر قوتها ـ محطات تومئ في مجملها الى (تفرد) يستحق التامل في مساراته، والتاني في التقاط ملامحه.

ومن دون ادنى ريب، ان من حق (ابي ابراهيم) علينا، وقد انطوت في رحيله صفحة عمر حافل بتجارب قد لا تتاتى لغيره القدرة على خوض غمارها، والافادة من معطياتها، واقتناص فرصها، ان نقف عند (محطات تفرده) وعبر مساحة زمنية محددة كانت ـ كما ازعم ـ مليئة بالثراء، مسكونة بالتالق، وفاء لما اعطى ووهب، وتنويها بفصول معاصرة من تاريخ النجف الاجتماعي والثقافي، كان للفقيد بصمات في صنعها، تمثلت في حضوره المتميز ودوره الفعال.

- ١ -

ففي الجانب الاجتماعي كان السيد بحر العلوم واحدا من شخصيات المدينة البارزين ومن ذوي الحل والعقد ـ كما يقال ـ وكان ديوانه الذي تصدره بعد رحيل والده العلامة السيد علي (ت ١٩٦٠) مثابة تقصده مختلف الطبقات يوميا، وتطرح في رواقه ـ كما في اروقة دواوين اخرى ـ مسائل تفيد مناقشاتها في توجيه الراي العام، وخلق المناخات المناسبة لتسويق مسارات لها اهدافها الانية والمستقبلية.

ومنذ ان شقت ظاهرة الدواوين طريقها في القرنين الثامن والتاسع عشر للميلاد تبعا لتضخم دور بعض البيوتات وبروزها نلاحظ انها كانت تسير في

اتجاهين، طغى على الاول منهما الطابع الفقهي والادبي، وقد اختصت به دواوين بيوتات اهل العلم والادب ـ عربية وغيرها ـ، واتسم الثاني بطغيان المسحة القبلية التي قامت على اساسها قواعد العشائر العربية التي هبطت النجف من اطراف مختلفة طلبا للجوار، او استثمارا لموقع المدينة الجغرافي واهميته الاقتصادية.

وباستثناء دور اسرة كاشف الغطاء العلمية ايام العصر العثماني الاخير ومواقفها من التطورات السياسية والعشائرية التي مرت على النجف امثال هجمات الوهابيين وتهديداتهم باباحة المدينة، ومعارك الزكرت والشمرت والصراعات التي كانت تظهر بين حين واخر بين طبقتي رجال الدين والعشائر، نجد ان الحقبة التالية لقيام ما يسمى بالحكم الوطني اوائل العشرينيات من القرن الماضي، شهدت تعاظم نفوذ دواوين الاسر العلمية المعروفة وقوة سيطرتها على سواها من دواوين الاسر التي عاد دورها ـ هامشيا ـ الى حد ما. ويعود السبب ـ كما احسب ـ الى فاعلية المرجعية الدينية وتسنمها ازمة قيادة المعركة في حركة الجهاد ضد الانكليز وانضواء العشائر تحت لوائها ـ وبعناوين متعددة ـ، وبمرور الايام تجذرت (تبعية) العشيرة وانحسارها النسبي ازاء تضخم دور رجل الدين في ادارة دفة الاحداث.

وبالنسبة لديوان ال بحر العلوم ربما كان السيد محمد علي بحر العلوم هو اول من ارسى دعائمه ـ كواجهة اجتماعية ـ ابان مشاركته المعروفة في ثورة النجف ١٩١٨م ومن ثم دخوله عالم السياسة بمواقفه من انتخابات المجلس التاسيسي وتعيينه عضوا في مجلس الاعيان العراقي حتى وفاته عام ١٩٣٦م.

وكان من حسن الطالع كما يبدو ان وجد السيد محمد علي من بين افراد اسرته من يطمئن الى قدرته على مساعدته في مهامه، وتبوء مركز الزعامة بعده، فتعهده بالرعاية، وكان ان تصدر السيد علي بحر العلوم ـ فيما بعد ـ المجلس ليواصل المسيرة، مضفيا عليه من مؤهلاته ما صيّره (واجهة) يحسب لها حسابها في سياقات التعامل مع الاحداث.

وبعد رحيل السيد علي عام ١٩٦٠ حلّ كبير انجاله السيد محمد محله،

ويومها كان في النجف ديوانان لهما ثقلهما الاجتماعي اولهما ديوان ال الشيخ راضي ويتصدره العلامة الشيخ محمد جواد الشيخ عبد الرضا الشيخ راضي (ت ١٩٩١ م) وثانيهما ديوان العلامة السيد سعيد السيد حسين الحكيم (ت ١٩٧٥ م)، ومع ان فارق العمر والتجربة بين هذين العلمين وفقيدنا الكريم واضح، الا ان الاخير استطاع بما رزق من قابلية ان يبقي لديوان اسرته (هيبته)، وان يسد الفراغ الذي تركه رحيل والده.

ومازالت الذاكرة تحتجن في زواياها بقايا صور لاحداث محلية تعضد ما اشرت اليه، فقد طغت في اواسط الستينيات ـ وبين شباب المدينة ومراهقيها ـ ظواهر سلبية حادة لامس شررها قيما اجتماعية واخرى اخلاقية، فتكررت الاعتداءات ـ وبمسمع ومرأى من الجميع ـ وكان معظم اولئك الشباب من ابناء اسر لها ثقل اجتماعي وديني، وكان المساس بهم يُعد (جريرة) تجر الى ما لايحمد عقباه. هنا لم يجد السيد ابو ابراهيم بُدا من التصدي بنفسه للحد من تلكم الظواهر، حفاظا على سمعة النجف ورعيا لامنها، فدعا الى (ديوانه) عددا من الوجوه العلمية والاجتماعية للتشاور في الامر ووضع الحلول المناسبة، وقد انفض الاجتماع عن قرارات ملزمة باجلاء بعض الاشقياء الذين كانوا مصدر قلق للعوائل الامنة عن المدينة، واخذ تعهد من ذويهم المتنفذين عشائريا بطردهم والحيلولة دون عودتهم. وتقديم طلب الى السلطة باعادة مدير شرطة النجف السيد جاسم محمد عثمان الى منصبه بعد ان نُقل الى مدينة اخرى. وقد عُرف عن هذا الموظف قدرته على ضبط الامن، وحزمه في ادارة الامور.

ويوم تازمت العلاقة بين المرجعية الدينية العليا المتمثلة بالسيد الحكيم والسلطة العارفية لعوامل طائفية، واخرى تتعلق بتشريع قوانين التاميم التي جاءت مقاساتها لتشمل كبار صناعيي الشيعة، عملت السلطة على الافادة من ثغرات نظام المرجعية المالي والتفاوت في توزيع مستحقات رجال الدين مما يردها من حقوق وهبات، فحركت (لمة) من طلبة العلوم الدينية ومن قومية معينة، ودفعتهم للاعتداء على كرامة احد الاعلام المقربين من المرجعية، مما

اثار استياء جمهورها ومؤيديها والمطلعين على ما يحاك من خيوط في دهاليز السياسة لبث الفرقة والعبث بمشاعر البسطاء. حينها انبرى السيد ابو ابراهيم لدعوة الاعلام والوجوه الى اجتماع خاص للحيلولة دون بلوغ السلطة اهدافها. واستنكار هذه التصرفات وكشف نوايا محركيها وفيهم من هم من صميم الحوزة او ابناء اسرها.

ومن طريف ما اختزنته الذاكرة ـ وفيه اكثر من دلالة على واقع معاش حينئذ ـ ان العلم المعتدى عليه عرض على الطلبة المعترضين ان يخضعوا لامتحان خاص بما تعلموه في الحوزة، الا انهم رفضوا ذلك، بحجة ان الامتحان يجب ان يسري على جميع الطلاب دون تمييز بين قومياتهم، واتذكر جيدا ان نقاشا حادا جرى في محل والدي بين اثنين من (المعممين) اشك في ان احدهما قد اكمل المقدمات او كان له نصيب من (دروس المقدمات) وكان يبدي حماسا بالغا في رفض تعميم الامتحان، وشاء قدري ان ادس انفي فيما لا يعنيني فقلت له " وماذا يضيرك ياعم لو طبق المقترح المذكور؟" اجابني ساخراصحيح انك (...). ماذا سيكون مصيري وامثالي اذا تم شمولنا في الامتحان؟!

واذ اشير الى هذا الحدث ارى ـ وبكل وضوح ـ ان في تفاصيله (حقا اريد به باطل) فقد كان بين المعترضين على النظام المالي للمرجعية على جانب كبير من العسر والفاقة، ويشعر بمرارة بغمط حقه الشرعي في توزيع المال من قبل المرجعية التي دابت في الكثير من مفاصلها اعتماد اسس عليها اكثر من ملاحظة، وفيها من الثغرات ما يتعذر سدها في مجتمع تتحكم فيه (ظاهرة البسرية) وتتجاذبه (اعراف الشانية والطبقية) ولا ازيد.

وفي ديوان السيد بحر العلوم تبلورت فكرة اقامة المهرجان السنوي احتفاءً بمولد الامام الحسين(ع) وانطلقت الدعوة اليه بتشكيل لجنة عليا اختيرت بدقة لتمثل المرجعيات الدينية والمؤسسات الثقافية وكان ذلك عام ١٩٦٠م وقد استمر قرابة عقد من السنين كان ثلاث منها في عهد الزعيم قاسم وخمسة

في عهد الحكم العارفي وواحد بعد انقلاب تموز ١٩٦٨م، وواضح لدى المتتبع ان اهدافا سياسية معينة كانت وراء هذا النشاط، ربما عكستها بعض المواد الادبية فيه، وقد دابت المرجعية العليا في استثمار هذه المناسبة لترسيخ مكانتها واعلان رايها في مجمل التطورات التي كان يعيشها العراق ويعاني من عقابيل دائها؟؟

وليس ببعيد ان يكون (ابو ابراهيم) قد بدا ـ ومعه اخرون ـ مشواره في العمل السياسي في ذلك التاريخ، ووفق رؤى محكومة بظروفها، وكان طبيعيا ان يتخذ من (المهرجان) منطلقا لمد الجسور مع ضيوفه ممن لهم برامج سياسية معينة ليس مهما ان تلتقي مع رؤاه او تختلف مازال ثمة هدف جامع.

وليس ببعيد ايضا ان الاجهزة الامنية يومها كانت على علم بما يجري الا ان هشاشة الحكم من جهة وقوة المرجعية من جهة اخرى، ومن ثم ادراك الاجهزة لحجم المعارضة وعملها السياسي المشار اليه وربما اختراقها له، كانت وراء غض النظر والاجتزاء بمراقبة الاحداث ورفع التقارير عنها (فكان ما كان مما لست اذكره...). وبلا شك ان ما تقدمت اليه الاشارة من نشاط ـ وفي مجتمع كالنجف له خصوصياته ـ ما كان ليحقق اهدافه او يقاربها، لو لم يكن قطب رحاه السيد بحر العلوم الذي يمتلك من مقومات (الزعامة الاجتماعية) ما يؤهله للاضطلاع بدوره.

ولعل ملامح (تفرد) السيد بحر العلوم في هذا الجانب تتجلى في ان عمره يوم تصدى لادارة الديوان كان لم يتجاوز عقده الثالث الا قليلا، في حين ان اعمار نظرائه من اصحاب الدواوين تجاوزت عقودها الستة او اكثر فضلا عن ان من بينهم من كان يحظى بمكانة متميزة في الوسط الحوزي والاجتماعي.

وعلى هذا الوقع اشير الى ان المرجعية يوم اعلنت استنكارها لقوانين التاميم المشار اليها سابقا، اتخذت من ارسال البرقيات الى الجهات الرسمية العليا وسيلة للتعبير عن رايها، ولم تشا ان تتصدى لذلك باسمها، فعهدت به الى مناصريها من اعلام الحوزة، فصدرت عن النجف برقيتان حملت الاولى

تواقيع عدد من المشايخ، وذيلت الثانية بتواقيع الطبقة التي تليهم شهرة وفضلا، وكان (ابو ابراهيم) هو المستثنى الوحيد، فقد ظهر اسمه الى جنب المشايخ في البرقية الاولى، وفي هذا اكثر من دلالة لا يدركها الا من وقف على طبيعة النجف ومديات تحسسها ومقاييس حوزتها.

وربما لا يختلف اثنان في تفرد السيد بحر العلوم بقدرته على الانسجام مع مختلف الطبقات وسعة صدره في التعامل مع متطلباتهم ـ حتى مع فرض عدم قناعته بها ـ وتواصله الدؤوب في المناسبات الاجتماعية ـ وباسلوب منقطع النظير ـ. ومن حرصه على ديمومة هذا التواصل كان يحمل في جيبه دفترا صغيرا يدون فيه اسماء المجالس واوقاتها ومواسمها.!!

واتذكر انه دخل في وقت متاخر من ليلة رمضانية، مجلس العلامة المغفور له السيد سعيد الحكيم، وما ان استقر به المقام حتى اعلن ان عدد المجالس التي امًها في تلك الليلة قد قاربت الثلاثين، وليس في هذا مبالغة فمن عاش في النجف يومئذ يتذكر ان المسافة بين مجلس واخر في المحلة الواحدة وازقتها الضيقة كانت لا تتجاوز الامتار المعدودة، وان بعض رواد المجالس ـ لضيق وقته ـ كان لا يلبث في المجلس الا بمقدار ارتشافه فنجان القهوة او كوب الشاي.

وكم كنت اتمنى ـ مثل غيري ـ على السيد (رحمه الله) ـ وقد عاد من غربته ـ ان تعود ايام ديوانه العامرة، وتعود النجف مزهوة بامسياته المتواصلة، وربما تكلمنا معه على ذلك ولكنه ـ وللظروف احكامها ـ اكتفى بفتح باب المجلس ليلة واحدة من كل اسبوع، يستقبل فيها محبيه، وكم سرني ان اجد يومه كامسه، موئلا لذوي الحاجات، ياملون شفاعته لدى اولي الامر في حل هذه المشكلة او تلك، وكم شدني اليه ذلك الخلق المتلفع بشمم الاسلاف في نظرته الى الجميع من دون تمييز.

وما كان ليدور في خلدي ـ مع ايماني باحقية الموت ـ انني يوما سازورالمجلس فلا اجد ابا ابراهيم، واقصده فافتقده، وذلك لانه كان بالنسبة

لي واضحا في حديثه ومناقشاته واستذكاراته، ولم اشعر يوما ـ مع ما بيني وبينه من مسافة في العمر والمعرفة، وتباين في النظرة الى الامور وتفسيرها ـ بوجود جدار يحجبه عني او يحجبني عنه، وقد كُتب لي ان التقيه ـ وهو في ايامه الاخيرة ـ وملؤه احساس بقرب النهاية، وكان يمد الطرف الى المقربين اليه وفي كل نظرة اكثر من ايماءة وداع، وايذان برحيل لا رجعة بعده. واشهد ان تماسكه وهو يغالب اوجاع المرض، وحرصه على ان لا تند منه حتى اهة تشعر بما يعانيه ـ كان مثار دهشة وشفقة في ان واحد.

- ٢ -

وفي مجال المعرفة، كان ابو ابراهيم فارسا له في اكثر من ميدان صولة، وفي اكثر من منجز اصبع، فمنذ ان بدا رحلته مع الحرف في رحاب ديوان ابيه وحلقات الدرس الحوزي وفي اروقة مدارس منتدى النشر، تلبسه طموح باضافة (رقم) في عالم يزدحم بالرموز ويموج بالاعلام.

وقد كان من الاساليب الشائعة في تلكم الحقبة ان يدفع الاستاذ بتلميذه المبتدئ ـ متى ما توسم فيه النبوغ ـ الى محافل المدينة التي لا يمر اسبوع الا وفيها منطلق للقول، ليلقي شيئا من منثور او منظوم يقابل بالاستحسان والتشجيع ـ وان جاء دون المستوى المطلوب ـ، وحتى لو عرف بعض المتلقين ان لا اصبع للمنشد فيما يقدم، فالمطلوب في هذه المرحلة هو التمرن على مواجهة الاخرين والنزول الى الميدان. لذا لم ياتِ ابو ابراهيم نكرا وهو يقف امام الجمهور، وعمره لم يتجاوز منتصف العقد الثاني في حفل اقيم لتابين احد الاعلام، ليلقي كلمة كتبها له احد اساتذته ـ كما نقل لي رحمه الله ـ.

واذ اشير الى هذه الظاهرة الفت نظر الباحثين في الادب النجفي الى ان كثيرا من النصوص المدونة في المجاميع والدوريات والمنسوبة الى قسم من الذوات هي ليست لهم، وانما نحلوها لانفسهم برضى من منشئيها وعن قصد. وبعد ان تخطى ابو ابراهيم العشرين من عمره وجد في نفسه (نزوعا) الى

دراسة التاريخ والكتابة فيه، وميلا الى قراءة ما كُتب عن الفرق الاسلامية، وبخاصة الاسماعيلية، فدون ما وقف عليه ـ جمعا وتحليلا ـ، وكان شريكه في البحث ـ باديء الامر ـ احد مجايليه الذي استقل فيما بعد في اصدار كتاب عن (عيد الغدير عند الفاطميين)، في حين نشر هو ـ فيما وقفت عليه ـ بحثين الاول عن (منبع الفكرة الاسماعيلية) والاخر عن (شهر رمضان عند الفاطميين).

ولا يبعد ان يكون باعث نزوع السيد بحر العلوم في توجهه هذا، محتجنا بنزوع الى الظهور (بالتفرد)، ولا ضير في ذلك، فلم تعهد حوزة النجف ـ حينئذ ـ اهتماما بهذا النوع من البحوث ووفق المناهج الحديثة، اما خارجها فقد عرفت النجف اثنين من الاعلام لهما اهتمام بهذا المجال هما السيد صادق كمونة الذي غطى نشاطه السياسي على مجمل اهتماماته في التاريخ والعقائد، والاستاذ محمد صالح شمسة الذي كان لطبيعة شخصيته وزهده في الظهور، وعدم عناية ذويه بما خلف من اثار، دور في ابتعاده عن الاضواء.

واحسب ان ما انجزه السيد بحر العلوم من بحوث في التاريخ، سواء اكان في سيرة الرسول(ص) واهل بيته الاطهار(ع) وصحابته الابرار (رض) او في مجالات اخرى امثال بحوثه عن الحوزة واعلامها يشكل مادة خصبة لدراسة جامعية متخصصة.

ويوم اخذ الناشر الشيخ محمد كاظم الكتبي ـ صاحب المكتبة الحيدرية ـ على عاتقه مواصلة مسيرة اسلافه في نشر التراث وطبع ما تيسر من مخطوطات كانت محبوسة في صناديق اعلام النجف، لم يجد بُدا من الاستعانة بمن كان على جانب من الخبرة في قراءة النص المخطوط وتقويمه سواء من الجيل المتقدم امثال الشيخ محمد السماوي والشيخ محمد علي الاوردبادي والسيد عبد الرزاق المقرم والسيد محمد صادق بحر العلوم والاستاذ صالح الجعفري او ممن جايلهم وتاخر عنهم في السن امثال السيدين محمد مهدي ومحمد رضا الخرسان (امد الله في عمريهما) والسيد محمد بحر العلوم

والسيد محمد حسن الطالقاني والشيخ عبد الزهراء عاتي والاستاذ كاظم المظفر واخرين ممن بذلوا ـ ما وسعهم الحال ـ جهودا مضنية سواء في قراءة المخطوط او مقابلته او كتابة مقدمة له والتعليق عليه.

وكان نصيب الفقيد الغالي من جملة منشورات المكتبة الحيدرية وغيرها متميزا فقد حقق وقدم لعدد من كتب التراث امثال (كتاب الظراف والمتماجنين) لابن الجوزي والذي جاوزت مقدمته المائة صفحة تناولت شخصية المؤلف وحقيقة مؤلفاته وطبيعة كتابه، ومثله (كتاب ايمان ابي طالب) لابن معد الموسوي، و(عقلاء المجانين) للحسن بن محمد النيسابوري، و(النقود الاسلامية للمقريزي)، و(كتاب نشوة السلافة) لمحمد علي بشارة الخاقاني الذي اضطلعت بنشره ادارة مكتبة الامام الحكيم العامة، والسيد بحر العلوم من اعضائها. وعلى ذكر مكتبة الامام الحكيم، اشير الى انها انتدبت السيد بحر العلوم ومعه العلامة الشيخ محمد الرشتي للتفاوض مع بعض المؤسسات الثقافية خارج القطر حول تصوير المخطوطات المتوافرة في خزائنها، وقد سافرا لهذا الغرض وعادا بمئات المصورات والافلام ليفيد منها الباحثون والطلاب.

ويوم احتفل العراق ـ حكومة وشعبا ـ بالذكرى الالفية لتاسيس بغداد وفيلسوفها الكندي. انجز(ابو ابراهيم) عملين علميين تمثل الاول في كتاب تناول سيرة الكندي وعصره، وقد طبع مستقلا بتقديم استاذه الحجة السيد محمد تقي الحكيم وتمثل الاخر في دراسة فلسفته، وقد طبع ملخصه في العدد الخاص من مجلة النجف الذي اصدره طلاب كلية الفقه بالمناسبة، وبتقديم ورعاية عميدهم يومئذ الحجة المجدد الشيخ محمد رضا المظفر.

ومن منجزات الفقيد المعرفية في تلكم الحقبة، ممارسته التدريس في كلية اصول الدين ببغداد حدود عام ١٩٦٦ م ومشاركته في وضع مفردات مناهجها في علوم القران والعقيدة، وقد نُشِر قسم منها في مجلة رسالة الاسلام التي كانت تصدر عن الكلية.

وفي تلكم الحقبة ايضا، كان واحدا من خمسة ذوات تخرجوا في كلية الفقه

واجتازوا امتحانات القبول في معهد الدراسات الاسلامية العليا التابع لجامعة بغداد، ليواصلوا دراستهم في الحصول على شهادة الماجستير، وهم الشيخ احمد الوائلي والسيد مصطفى جمال الدين والشيخ محمود المظفر والشيخ عبد الحميد الحر اضافة الى بحر العلوم.

- ٣ -

وفي الاربعينيات من القرن العشرين ارتاى (نفر) من اعضاء جمعية الرابطة الادبية في النجف عقد جلسات دورية في بيوتهم بعيدا عن اروقة الجمعية والتزاماتها، وقد انصب نشاطهم على اقتناص المناسبات او خلقها لنظم القصائد ونشرها فيما بعد في مجلة الغري، وقد اطلقوا على تجمعهم هذا اسم (الادب الحي). وذات امسية لهم حلّ الفقيه الاديب الشيخ محمد امين زين الدين ضيفا كريما، غير انه ـ كما يبدو ـ لم يلمس (حياة) فيما دار من مساجلات في الجلسة، فغادرها وهو يضمر في نفسه تشكيل تجمع اطلق عليه ـ بعد تحققه ـ اسم (الادب المحتضر)، وفي ذلك اكثر من مغزى يتجلى في كون الشيخ زين الدين ومعه رفيقه العلامة الشيخ سلمان الخاقاني وتلامذتهما كانوا على جانب كبير من الانفتاح على افاق ادبية لم تتهيا لاخرين التفاعل معها او استثمار تجاربها، لبعدها عن طبيعة تكوينهم ونشاتهم ـ خلا نخبة من الادباء كان معظمهم قد غادر (الحوزة) الى حيث لا رجعة، ولم يجد (محيطهم) بدا ـ وقد تمردوا على تقاليده ـ من ان يعلن انسلاخهم عنه وبراءته منهم!!

وقد قدر للسيد ابي ابراهيم ان يلتحق بركب (الادب المحتضر) بحكم تلمذته للشيخ زين الدين وشقيقه الشيخ علي، الا انه لم يفد كثيرا من (الندوة) التي كانت (تحتضر) فعلا لعوامل عدة اهمها انصراف عميدها الاول الى الدرس الحوزي وانغماره فيه، وهجرة الخاقاني الى المحمرة لممارسة دوره في التبليغ والارشاد.

حينها عملت (مجموعة) من تلامذة الندوة كان ابو ابراهيم احدهم، ومع اخرين، ممن تالفت اذواقهم وتقاربت تطلعاتهم، ان يكون لهم تجمع خاص

اختاروا له اسم (اسرة الادب اليقظ)، يبوحون من خلال جلساته الدورية بكل ما يدور في اذهانهم من رؤى وافكار، ويعبرون عما في دواخلهم من معاناة واحاسيس بقطع شعرية تنبض رقة وتفيض صدقا، ويتداولون ـ بتذوق ـ ما يقع بين ايديهم من مجلات ودواوين ودراسات، متنوعة المصادر، مختلفة النزعات، ولها ابعادها في عالم الابداع والخلق، فضلا عن تواصلهم مع التراث شعرا ونثرا في قراءات متانية وفاحصة اضافت الى تجاربهم الذاتية غنى صيرها اشد توهجا واروع تالقا.

ويجد الباحث فيما كتبه اعضاء الاسرة ممن اشاروا في مقدمات دواوينهم الى بدايات عالمهم الشعري وفي حواراتهم المدونة، ما يعكس حرصهم على تطوير (القصيدة النجفية) ودورهم فيها. ولا اذيع القاريء سرا اذا قلت اني وقفت على جلّ ما دار بين اعضاء الاسرة من مساجلات وعلى معظم ما كتبوه من شعر ونثر احيانا في مختلف المناسبات والاغراض، محاولا الكشف عن التيارات الفكرية والمدارس الادبية التي تاثروا بها ـ مجتمعين او منفردين ـ، وتلمّس مواطن الالتقاء والافتراق فيما بينهم بعد ان تباعدت بهم السبل ـ سلوكا وفكرا ـ ليركن كل واحد الى زاويته التي اختارها قدره له.

اشيرالى ان هذا النشاط ما كان ـ يومها ـ ليقف حائلا دون مواصلة مزاوليه الحضور في الدرس الحوزي فاخذ كل منهم نصيبه منه، وكان فيهم من اكمل مشواره فاعتلى منصة الافتاء (مرجعا) له مريدوه.

ويوم بدات حركة الشعر الحر تشق طريقها على يد السياب ونازك الملائكة وسواهما من الرواد الاوائل وجدت ـ ولو بعد حين ـ لدى بعض (الاسرة) صدى واستجابة، فكتب السيد محمد حسين فضل الله قصيدة حرة عام ١٩٥٣ ـ لم تنشر في حينه، واقدم السيد بحر العلوم والشيخ جميل حيدر على نشر قطعتين من نظمهما في مجلة التوجيه النجفية عام ١٩٥٥ اثارتا اوساط العموديين، ثم كتب فضل الله قصيدة اخرى نشرت في المجلة نفسها بتوقيع مستعار.

ولم تكن اراء (الاسرة) متفقة حيال هذه الحركة، ولا يبعد انها خصصت مساحة كبيرة من حواراتها حولها وربما كانت تلكم الحوارات وراء ما كتبه

استاذنا السيد جمال الدين (عميد الاسرة) من بحوث معمقة القيت في قاعة المجمع الثقافي لمنتدى النشر في النجف عن الشعر الحر ونشرت حينها في مجلة النجف.

ولم يحل موقف النجف السلبي دون السيدين بحر العلوم وفضل الله من مواصلة عطائهما فيما بعد، وبحسب علمي ان السيد محمد بحر العلوم هو اول شاعر نجفي يقف امام الجمهور ليقرا قصيدة حرة عند مشاركته في امسية شعرية ضمن فعاليات مؤتمر اتحاد الادباء العرب في الكويت عام ١٩٥٨، وربما قرا اخرى في جلسات الرابطة الادبية.

يذكر: ان موقف النجف المشار اليه لم يكن نابعا من تعصب لعمود الشعر وقصدية في رفض الحداثة بقدر ما كان لانشداد الجمهور للمناسبة اثره، فقد تالفت واعية النجف مع القافية بحميمية فعادت مسكونة بها، وعاد (رصدها) لها خاصية تفاخر بها، حتى ليتعذر على الجمهور ان تتملكه نشوة تعادل نشوته في التسابق على الاعلان عن القافية قبل ان يصل اليها المنشد.

ولعل من ابرز ما لاحظت ـ وانا اقرا لشعراء الاسرة ـ هو تفاعلهم ادبيا مع المشاكل الاجتماعية، ومواكبتهم للاحداث السياسية، وقد حفلت دواوينهم المطبوعة بالشواهد الحية الناطقة عن الشوط الذي قطعوه في هذا المجال. وكان نصيب السيد ابي ابراهيم منها وافرا، ففي (حصاد الغربة) من النماذج ما يحملك الى عالم مليء بالاحاسيس الانسانية والعواطف النبيلة.

ومن ملامح تفرد السيد بحر العلوم من بين اعضاء (الاسرة) انه عمد الى كتابة بحوث ومقالات تنم على خصوبة في الذوق، وطرافة في الاختيار، فكانت بحوثه عن (المطر في الشعر العربي) و(الالتزام في الادب) و(الصوم وتاريخه) وغيرها.

- ٤ -

وفي النجف قامت اكثر من جمعية شبه رسمية، ولكل منها نظامها واهدافها وانصارها، وكانت جمعية الرابطة الادبية التي تاسست عام ١٩٣٣

وجمعية منتدى النشر التي تاسست عام ١٩٣٥ من اظهر تلكم الجمعيات فاعلية واثرا.

ومع ان لكل من الجمعيتين مسارها الخاص الذي لا يتعارض مع الاخر، الا ان الصراع بينهما كان له حضور في مناسبات متعددة ـ لا محل لذكرها الان ـ ولا يبعد ان يكون الصراع قد بدا منذ ان عهد (المنتدى) الى فريق من اعضائه بتشكيل لجنة المجمع الثقافي لياخذ على عاتقه القيام بتحقيق الاهداف الثقافية التي هدف اليها. وقد كان من بين هذه الاهداف ما تعتقد الرابطة انها الاكثر اهلية في تحقيقه. ومن هنا رات في (المنتدى) منافسا لها، سواء بقصد او دونه.

ويلاحظ المتتبع لتاريخ الجمعيتين ـ من خلال تعرفه على الاعضاء العاملين فيهما وفي مختلف ادوارهما ـ ان الفقيد (تفرد) من بين الجميع في الجمع بين عضويتي ادارة المؤسستين في ان واحد. فقد دفعه الشيخ المظفر رئيس المنتدى عام ١٩٦٢ للترشيح عضوا في ادارته، في وقت كان يعمل في الرابطة مديرا لادارتها.. وما كان هذا ليحدث لولا قابلية السيد بحر العلوم، وثقة المظفر باهليته. واشير الى ان (معايير) المظفر في اختيار العاملين معه كانت تخضع لرؤى خاصة يرى انها تمد مشروعه بزخم يصب في صالحه، ومن يدرينا فلعل المظفر ـ وقد توسم في فقيدنا الامل ـ كان يرغب في جره الى التمحض للعمل في المنتدى والذوبان في مشاريعه، وبذلك يضيف (رقما) الى الناشطين ممن كان مجهره يلتقطهم بعناية.

وقد احدث رحيل المظفرالمفاجيء عام ١٩٦٤م شرخا في (المنتدى) لم يكن من اليسير معالجته، اذ لم تجد محاولات اغلبية الاعضاء ـ ومنهم السيد بحر العلوم ـ في صرف نظر المرحوم الاستاذ السيد هادي الفياض عن الترشيح لرئاسة الجمعية واصراره على احقيته فيها وجدارته بها، وقد ارتاى معارضوه ـ على الرغم من كثرة عددهم وقوة عدتهم ـ النزول عند ارادته، وبخاصة ان مرشحهم العلامة السيد محمد تقي الحكيم لم يشا ان يصطدم

بالفياض لاعتبارات معينة ـ لا مجال لذكرها ـ، ورای ان يتسلم عمادة كلية الفقه لمواصلة المسيرة، تاركا امر الجمعية للسيد الفياض، غير ان الاخير ـ وبحكم مركزه وقوة شخصيته ـ اوغل في التدخل في شؤون الكلية وربطها به، مما حمل السيد الحكيم على الانسحاب من العمادة بحجة التفرغ للعمل العلمي.

واشهد ان السيد بحر العلوم واخرين حاولوا الاستمرار في العمل حفاظا على تماسك المشروع وديمومته، الا ان عوامل عدة حالت بينهم وبين ما يهدفون اليه، فانسحب السيد بحر العلوم من الترشيح عام ١٩٦٨ في وقت راى الاخرون ان بقاءهم ـ ولو اسميا ـ كاعضاء اداريين يصب في صالح الجمعية، حتى واتتهم الفرصة عام ١٩٧٥ فاتفقوا ـ ومعهم اخرون ـ على ازاحة الفياض وانتخاب هيئة ادارية جديدة برئاسة الشيخ احمد الوائلي وسكرتارية الشيخ محمود المظفر.

اما الرابطة الادبية، فقد انتمى (ابو ابراهيم) اليها مبكرا، ويوم اعيد تاسيسها بعد حلها ـ بموجب قانون الجمعيات ـ عام ١٩٥٤، كان واحدا من الموقعين على طلب تاسيسها مجددا، ثم عمل مديرا لادارتها وسكرتيرا. وانتخب عميدا لها بعد رحيل الشيخ اليعقوبي عام ١٩٦٥م، وفي عهده ـ الذي امتد حتى عام مغادرته العراق ـ استطاعت الرابطة ان تعيد نشاطها بعد سبات دام سنوات ـ فكانت مواسمها الثقافية الدورية محط انظار الجميع، وقد شارك في احيائها العشرات من اعلام الفكر العراقيين والعرب، بمحاضرات ذات قيمة علمية، وفي مختلف العلوم التطبيقية والانسانية، فضلا عن احياء شعراء النجف لامسيات رائعة ما زال لاريج عطرها بقية في ذاكرة معاصريها.

ولم يكن انتخاب بحر العلوم لعمادة الرابطة بالامر اليسير ففي اعضاء الجمعية ـ اساسيين واداريين ـ من هم اقدم عهدا منه واكبر سنا، فضلا عن ان الهيئة العامة كانت تضم في صفوفها عددا من زملائه، وكان بعضهم يسعى الى ان يجد له موضع قدم في الهيئة الادارية الجديدة ليستعيد ما افتقده من مكانة في الوسط النجفي ـ بحكم الصراعات السياسية او الظروف الاجتماعية

والمعيشية ـ واحسب ان السيد بحر العلوم كان يعد للامر عدته منذ ان قرب بعض (الاسلاميين) امثال استاذنا الشيخ عبد الهادي الفضلي(ره) والسيد طالب الرفاعي والشيخ محمد مهدي الاصفي(ره) والشيخ جعفر الهلالي والسيد عدنان البكاء فتسنم كل واحد منهم منصبا اداريا في دورات انتخابية متتالية، وقد راى هؤلاء في (الرابطة) فسحة لتحقيق شيء مما يصبون اليه من استثمار لمناسباتها و(اسلمة) لنشاطاتها، واقامة الدورات التعليمية لكسب الدعاة والانصار من خلالها، وكان لا بد لهؤلاء من ترجيح كفة السيد بحر العلوم في الانتخابات على غيره ردا لجميل، واقتناصا لفرصة.

ومن طريف ما جرى يومها ان السيد مصطفى جمال الدين كان قد فاجا اصدقاءه بزواجه الثاني من ابنة عم له صدفة، فارسل الشيخ جميل حيدر(بيتا) في برقية الى صديقه بحر العلوم تردد صداه في الوسط الادبي وهو قوله:

فوزك في رئاسة الجمعية فوز جمال الدين بالعلوية

على ان العلاقة بين بحر العلوم والاخرين من رفاقه لم تتصدع، وظلت تشده اليهم اواصر المحبة والاخوة، ولم تنقطع صلتهم بالجمعية فكانت لهم اكثر من مشاركة في امسياتها المشار اليها، ومن وفائه (رحمه الله) مشاركته ادبيا وعمليا في تكريمهم احياءً، وفي احياء ذكراهم بعد رحيلهم الى دار البقاء، ولا اظن ان حديثا كان اقرب الى نفسه من الحديث عنهم وعن ظروفهم التي عاشوها ـ ايام غربته ـ.

وبعد:

فان ما تقدم من (محطات)، استوقفتني خصوصيتها وانا استعرض ـ فيما اقرا واستذكر ـ سيرة فقيدنا الكبير ابي ابراهيم خلال عقدين من عمره، فما كان هينا ابدا ان يجمع رجل بين ادارة (ديوان) تستنزف جهدا لاداء ما عليه من التزامات اجتماعية، ومنجزات ثقافية متنوعة تستدعي استحضار ومراجعة المئات من المصادر والمراجع، وعمل اداري في اكثر من مركز ثقافي

واجتماعي ينتظر منه دورا، ونشاط سياسي يتطلب وقتا لمتابعة ما يجري في الساحة من تطورات...

اجل: ما كان ذلك ليكون، لو لم تكن سيرة (ابي ابراهيم) تشخص ماثلة امامنا معلما على (تفرد) لا احسب ان له نظيرا.

الذكريات الماثلات تهزني

الاستاذ الدكتور سعد علوش

أستاذ القانون الدستوري

الذكريات الماثلات امامي تهزني اليوم في ذكرى الفقيد الجليل ابي ابراهيم رحمه الله، وهواجس الذكرى لها اغوار ايام غردت الحياة ورقت النجوى او ايام ادلهمت بخطوبها السود. وقد اليت ان استرجع في هذه السطور ما اقوى على تذكره وفاء لصاحب الذكرى.

كانت لقاءات كثيرة جمعتني بالراحل الجليل منذ العام ١٩٥٧ الذي انهيت فيه دراستي في كلية الحقوق بجامعة بغداد. وقد التقيت به اللقاء الاول في دار المرحوم الحاج عبد الرزاق مرجان في الحلة يوم افتتاح مستشفى مرجان للامراض الصدرية الذي شيده المرحومان الحاج عبد الرزاق مرجان والحاج عبد العباس مرجان، ولم يكن هذا الافتتاح هو الرسمي الذي جرى في ٢١ من اذار من العام ١٩٥٧ برعاية المرحوم الملك فيصل الثاني ورجال الحكومة العراقية وقتذاك، وانما سبقه بايام افتتاح اخر في مهرجان مبارك جميل شهدته الحلة الفيحاء عندما طاف الامام الراحل السيد محسن الحكيم رحمه الله ومعه اعلام مرجعيته في ارجاء المستشفى وردهاته ومرافقه الاخرى يباركون هذا الانشاء الخيري العظيم الذي ابتغى به منشئوه وجه الله تعالى وكانهم بهذا التطواف والمباركة يقولون:

كل شئ مصيره للزوال غير ربي وصالح الاعمال

وعقب انتهاء مراسم مباركة المستشفى انتقل الجميع الى ديوان المرحوم الحاج عبد الرزاق مرجان حيث اقيم فيه مهرجان اخر للترحيب بالمرحوم السيد الجكيم ورجال المرجعية وتكريمهم، وكان المرحوم الزعيم الديني السيد علي بحر العلوم ضمن هذه الصفوة الخيرة من الاعلام وبصحبته نجله المرحوم الفقيد.

وتوالت الايام ووجهت وجهي شطر القاهرة للانخراط في سلك الدراسة العليا في قسم القانون العام بجامعة القاهرة، ثم عدت الى العراق في عام ١٩٦٠ للمكوث فيها قليلا والعودة مرة ثانية الى القاهرة. وقد علمت اثناء وجودي في بغداد بوفاة الزعيم الحجة السيد علي بحر العلوم فعزمت على التوجه الى النجف الاشرف لتقديم العزاء بوفاته رحمه الله. فقصدت المدينة المقدسة بصحبة المرحومين الحاج عبد الرزاق مرجان ووالدي الحاج عبد الجبار العلوش حيث اقيم الحفل الكبير في جامع الهندي لتابين الزعيم الديني الكبير، وقد قدمت العزاء لابي ابراهيم ولال بحر العلوم عموما.

ولا انسى كم كان الحفل مهيبا وكيف كانت جموع الحاضرين تهتز لقصيدة الشاعر الفحل السيد مصطفى جمال الدين وتستعيد ابياتها التي كانت تمثل دعاءً ومناجاة في رحاب الامام علي(ع) ليسلم الوطن الحبيب من عنف التيارات السياسية التي كانت تعصف في البلد بعد ثورة تموز ١٩٥٨ الى ما يشبه الحرب الاهلية. لقد كانت القصيدة بحق تصويرا للحالة التي عاشها العراق والنجف الاشرف يومئذ. ولا اجاوز الحقيقة اذا قلت انها تشبه الحالة التي تنتاب العراق بعد ٢٠٠٣ في كثير من صفحاتها.

لقد انشد المرحوم الشاعر الفحل خطابه الشعري مخاطبا فيه المرحوم الحجة السيد علي بحر العلوم، ولاوجه الشبه بين الحالين بعد ١٩٥٨ وبعد عام ٢٠٠٣، فانا اكاد اجزم لو قدر للشاعر الفحل ان يكون حاضرا بيننا اليوم لما تردد في ان يستل بعض ابيات القصيدة ويخاطب بها ترب صباه ويقول له:

لا تقل أينَ فالطريقُ بعيدُ ... السرى موحشٌ وأنتَ فقيدُ
والسبيلُ التي سلكنا كما تعهدُ ... شوكٌ دامٍ ورملٌ وَقِيدُ
وشعابٌ تخادعَ العينَ فالقصدُ ... القريبُ الـمدى قصيٌّ بعيدُ
والسراة الذينَ خلفَك أعياهم ... على البعدِ بأُسمِك الترديدُ
زاحمتْهم عليكَ، والشوطُ نشو ... انُ، فلولٌ من الاعاصيرِ سودُ
تعبتْ أعين الاماني فكمْ ... تزعمُ أنّ الدليلَ سوفَ يعودُ

هـوّم الـركـبُ واسـتـفـاق عـلـى الـنـعـي ... فـغـصّ الـحـادي ومـاتَ الـنـشـيـدُ
مـا نـسـيـنـاك كـيـف يُـنـسـى الـربـيـعُ ... الـشـهـمُ والـمـنـبـعُ الـسـخـيُّ الـبـرودُ
كـنـتَ مـلـكَ الـجـمـيـع لِم يـحـتـجـزك ... اهـلُ يـومـاً ولا ادعّـتـكَ الـحـدودُ
كـيـفَ نـنـسـى رايـا عـلـى وهـجِ ... الـشـمـسِ تـغـذى وأسـمـنـتـه الـجـهـودُ
ذكـريـاتُ الـطـمـوح غِـالـى بـهـا الـمـو ... تُ لـتـنـسـى فـعـاشـهـنَّ الـخـلـودُ
لا تـسـلـنـا ايـن آنـتـهـيـنـا ومـاذا ... سـوفَ يـاتـي بـه الـغـدُ الـمـنـشـودُ
لـيـسَ غـيـرُ الاحـلام نـجـتـرّهـا ... ضـغـثـاً ونـلـهـو بـصـقـلـهـا ونُـعـيـدُ

في اثناء اقامتي في القاهرة بعد رجوعي اليها من فرنسا للتحضير لمرحلة الدكتوراه في القانون، تشرفت باستقبال السيد الجليل المرحوم ابي ابراهيم في داري في حي (الدقي) (واظن ذلك كان في عام ١٩٦٤)، وكان يرافقه صديقي الحميم المرحوم الشيخ عبد الحميد الحر قاضي بيروت الجعفري الذي كان يواصل دراسته العليا في الشريعة الاسلامية في جامعة القاهرة. لقد كنت سعيدا جدا بهذا اللقاء وذلك لانه جاء بعد سنوات وانه جاء بعد سنوات من غيابي عن العراق. واذكر ان جلسة اللقاء التي حضرها بعض الاخوة من الطلاب العراقيين الدارسين في جامعة القاهرة، كانت ممتعة ومفيدة تحدث فيها سماحته عن وجوب التمسك بالوحدة الوطنية بين المواطنين العراقيين ـ خصوصا الطلاب منهم في غربتهم ـ والا يدعوا لنزعات الراي والمعتقد الديني والمذهبي والسياسي ان تنال منها او تفسخها.

وقد علمت ان السيد الجليل قد جاء القاهرة حيث اجرى فيها لقاءات مع العلماء والفقهاء والاساتذة المصريين وغير المصريين ودعاة التقريب بين المذاهب الاسلامية، من اجل العمل على دعم الوحدة الاسلامية وتعزيز اواصر التقارب بين المذاهب الاسلامية المختلفة.

واستذكر في هذه الذكرى ايضا اني تشرفت ـ في وقت متقارب ـ باستقبال سماحة السيد الجليل المرحوم محمد تقي الحكيم ومعه ايضا الراحل العزيز ابو ياسر الشيخ عبد الحميد الحر. وقد علمت انه جاء للغرض نفسه الذي

قصد اليه الراحل ابو ابراهيم وهو الجهاد في سبيل التقريب بين المذاهب الاسلامية. ولا انسى في هذا اللقاء الذي حضره ايضا عدد من الزملاء الدارسين في الجامعات المصرية كيف كانوا يصغون بشغف الى حديث السيد الحكيم وهو يعضهم بوجوب التمسك بفريضة الصلاة والحرص على ادائها في اوقاتها والا يدعوا اي سبب يغريهم في التهاون بها او التفريط فيها.

واسترجع بالذاكرة الموقف الوطني العالي لسماحة السيد محمد بحر العلوم من مسالة وضع دستور جديد للعراق بعد عام ٢٠٠٣. فقد تساءل الناس يومذاك عما عسى ان يكون عليه الدستور المرتقب للبلاد، وارتفعت اصوات كثيرة تفصح عن اراء اصحابها ووجهات نظرهم في الاساس الذي يجب ان يبنى عليه الدستور والفكرة القانونية التي تهيمن عليه والطريقة التي يوضع بها. وقد استشعر رحمه الله بمسؤوليته الوطنية على هذا الصعيد فدعا الى داره ثلة من اصدقائه من الاساتذة القانونيين ـ وكنت احدهم ـ واخرين من كبار رجال القضاء والثقافة والفكر والسياسة في البلاد وعرض عليهم وجهة نظره في ان تتضافر جهودهم وياخذوا على عاتقهم مسؤولية وضع مشروع دستور جديد للبلاد يكون ردفا لمشروع الدستور الذي تختص بوضعه اللجنة الرسمية التي تم تاليفها في ظل قانون ادارة الدولة. وقد عكف هؤلاء على هذا الامر وعقدوا لاجله اجتماعات متوالية منتظمة في دار الفقيد تولى رحمه الله رئاستها وادارتها ادارة متقنة من فيض خبرته القانونية والقضائية وحكمته السياسية. وقد استغرق العمل لاجل ذلك اشهرا معدودات بذل المجتمعون فيها جهدا محمودا في ارساء مشروع القانون السياسي للمجتمع العراقي تهيمن عليه الفكرة القانونية والفلسفية السائدة في البلاد وتتلاقح فيه التجارب الدستورية في الدول الديمقراطية. واتذكر ان ديباجة هذا المشروع الدستوري قد تضمنت فقرتها الاولى كلام امير المؤمنين علي(ع) فجاءت كالاتي:

نحن شعب العراق: الذي آلى على نفسه الا يكون عبد غيره وقد خلقه الله حرا.

لقد اسدى السيد الجليل محمد بحر العلوم بهذا الانشاء الدستوري خدمة وطنية عالية، اذ بعد ان اتم المشرعون عملهم ارسل نسخة منه الى اللجنة الرسمية لكي تركن اليه اما بالاقتباس منه او الاستئناس به او البناء عليه. غير ان الذي وقفت عليه هو ان السيد الراحل كان قد استشعر بعظم هذه المسؤولية منذ سنوات سبقت رجوعه الى العراق، وهذا ما تجلى في الدراسة القانونية التي قدمها اثناء اقامته في لندن في ٢٩ تموز ١٩٩٥ الى ندوة مشروع الدراسات الدستورية للعراق التي اقامها المعهد العراقي في واشنطن وبمشاركة معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن. وقد تضمنت هذه الدراسة تصورات لمبادئ عامة لدستور عراق الغد فصل مضامينها في كتابه (اوراق سياسية عراقية)، وحددها في الاسس التي يقوم عليها مشروع الدستور والفكرة القانونية المهيمنة عليه. هذه الفكرة التي اطلق عليها الفقه الدستوري خصوصا الفقه الفرنسي (الفكرة القانونية السائدة) او فكرة القانون الرسمية في الدولة بحكم ما تتضمنه من احكام تبين المذهب السياسي والاجتماعي والاقتصادي فيها، وبتعبير اخر الفكرة التي تبين الاطار القانوني العام لجميع اوجه النشاط العام والخاص في الدولة وتحديد الهدف الذي يتقيد به الحكام والافراد وهم يباشرون اوجه نشاطهم، وهذا ما حدده الفقيد الراحل في (الواقع العراقي الديني والوطني والاجتماعي والاقتصادي) ثم اجمله بعبارة (دولة الوطن والمواطن). واذ يؤكد الفقه الدستوري الراجح ان الدستور وهو يحدد الفكرة القانونية السائدة فانه لا يتجه في البلدان ذات الانظمة الديمقراطية الى القضاء على الفلسفات والاتجاهات المناقضة لفكرته، ولكنه يسمح لها بدرجات تتفاوت باختلاف الانظمة السياسية بان يكون لهذه الفلسفات والاتجاهات دور فعال في الصف المعارض مما يفضي الى تعزيز الفكرة القانونية السائدة وتقويمها. وفي هذا يقول الفقيد رحمه الله في دراسته (واذا كنا نؤمن بالتعددية فمن مظاهرها الاساس حرية تاسيس الاحزاب وعقد الاجتماعات العامة والصحافة والنشر والمواكب العقائدية بصفتها مظهرا من مظاهر التعبير

والراي التي يجب ان يتمتع بها كل المواطنين على اختلاف اديانهم ومذاهبهم وايديولوجياتهم بشرط ان تخدم الوطن وتدعم وحدة الامة وان لا تكون سببا لتمزيقها وسوء الاستفادة منها).

كذلك قدم الفقيد الراحل خدمة وطنية مجيدة للتعليم الاهلي في النجف الاشرف والعراق عندما افلحت جهوده المحمودة عن انبثاق المنبر العلمي العالي لمعهد العلمين ومكتبته العامة في النجف الاشرف، وعندما وقف من قبل في عام ١٩٦٦ مع الصفوة الخيرة التي دعمت مشروع تاسيس جامعة الكوفة الاهلية.

لقد كان الفقيد يؤمن ايمان النجف بانها تحمل في عنقها امانة سماوية وان الله عز وجل قد اقامها حارسا ومناصرا ومدافعا عن هذه الامانة وهي الدين وشريعة سيد المرسلين فمن دخلها يجب ان يدخلها بهذا القصد ومن تخرج منها يجب ان يعمل ويتجه الى هذا القصد، فهي في حقيقتها وواقعها ـ كما يقول الشيخ محمد جواد مغنية ـ جامعة اسلامية لا طائفية عملت طوال الف عام في خدمة الاسلام ونشر تعاليم القران والسنة النبوية وصانت شريعته من الجمود وتسرب البدع وما يثير الشكوك والشبهات وانجبت للاسلام والمسلمين اضخم العقول واغنى الافكار ومع هذا فان اكثر المسلمين او الكثير منهم يظن ان النجف للشيعة والتشيع فقط وانها عاصمة التعصب لطائفة ولمذهب ضد مذهب.

وعلى هذا الصعيد في دور النجف الاشرف في دراسة علوم الشريعة الاسلامية يقول المرحوم العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي في مقال نشرته مجلة الاعتدال النجفية عام ١٩٣٤ " فالحقيقة ان النجف قد اشتهرت بين البلدان بامور منها كونها مدفن بطل الاسلام الامام علي عليه السلام، اما الامر الثاني فهو مدارسها القديمة التي انشئت لدراسة علوم الشريعة الاسلامية وفنون اللغة العربية على الطريقة المالوفة منذ عصور وقد كانت هذه المدارس تعد ما يناهز الثلاثين مدرسة كبيرة وذلك خلال الربع الاول من هذا القرن ولا شك ان عددها الان دون ذلك".

اما السيد الفقيد رحمه الله فقد ذكر بخصوص فكرة مشروع معهد العلمين "ان حاضرة النجف تعاني من غياب مؤسسة اكاديمية علمية قادرة على ربط الف عام من تاريخ النجف العريقة بالجامعات لتطوير المنظومة المعرفية الاسلامية ودفعها باتجاه خدمة الاهداف العلمية والدينية لمدينة النجف الاشرف ومدن العراق والمنطقة". هذا المنهج الذي عرضه الفقيد الراحل وصفه المرجع الديني الكبير السيد محمد سعيد الحكيم " بانه مشروع للتواصل بين المنهج الحوزوي الذي سارت ولا تزال تسير عليه جامعة النجف الاشرف العريقة والمنهج الاكاديمي في الجامعات الاخرى من اجل ايصال الثقافة الحوزوية والتعريف بها وفتح باب الحوار وتبادل وجهات النظر بين المحاور الثقافية الاخرى".

لقد ادرك الراحل العزيز ابو ابراهيم منذ وقت ليس بالقصير ان منابر العلم ومؤسساته غير مقصور قيامها على ارادة الحكومات وحدها فالامم العريقة والدول المتحضرة نهضت مؤسسات التعليم فيها وتالقت بالمبادرة الفردية الخاصة قبل ان تتسع مجالات الدولة الحارسة واهدافها فتعمد ـ وفق سياسة التدخل ـ الى انشاء الجامعات والمدارس الحكومية الخيرية والثقافية الخاصة. ولهذا جرى فقه القانون العام في فرنسا ومصر والعراق على التمييز بين تعبير المؤسسة الخاصة ذات النفع العام التي يكون انشاؤها وفقا على الحافز الخاص وحده، وتعبير المؤسسة العامة التي يستند قيامها على ارادة السلطة العامة، وقد اقرت هذه المفارقة بين التعبيرين الهيئات القضائية المدنية والادارية في تلك البلدان.

وعلى وفق هذا الفهم كان الفقيد الراحل من رجال الصفوة الخيرة التي سعت باخلاص وايمان لحمل الامانة السماوية التي تحملها النجف لدعم مشروع انشاء جامعة الكوفة الاهلية في عام ١٩٦٦ بشكل (يتحقق فيه التقارب ـ كما يقول الدكتور محمد مكية رحمه الله ـ بين العلم والدين والتنمية الاقتصادية والاجتماعية)، غير ان ولاة الامر وقتذاك ادركوا هذا الهدف النبيل الذي يرنو اليه المشروع على خلاف مقصده فكان ـ مع الاسف ـ ان صيروه حطاما قبل

ان يستوي على سوقه. وكان من الاجدر ان يكونوا رعاة له قائمين بالقسط الاكبر منه. وكانهم لم يسمعوا او يتعضوا بقول المرحوم الجواهري وهو يخاطب به الرئيس بشارة الخوري رئيس جمهورية لبنان عندما جاء بغداد قائلا:

قفْ في ضفاف الرافدين وناجِهِ وتَفيَّ صفصافاً بها ونخيلا
واستوحِ (كوفانا) (وبصرَة) إذ هُما يتصدّران العالمَ المأهولا
يستوردانِ حضارةً ومواهباً ويصدّران فطاحلًا وفحولا
وتَقَرَّ بغداد فانّ دروبَها ستُريكَ من سفرِالزمانِ فصولا
ستريك كيف إذا استتمّتْ دولةٌ اعمى الغرُور رجالهَا لتدولا

قبل ايام من افتتاح المنبر العالي لمعهد العلمين تحدث الي المرحوم الفقيد في داره في النجف الاشرف عن السنوات الخاليات من حياة هذه المدينة وكيف كانت سعيدة هانئة بمدارسها ومجالسها ودواوينها، فخورة بالعلماء الاعلام من علمائها وبما انتجته قرائح ادبائها وفحول شعرائها من رائعات الادب والشعر، وفصل القول في هذا الوصف حتى قال غير ان هذا لم يرق لولاة الامر يومذاك فعصفوا بصفاء تلك الحياة ونضارتها وشتتوا شمل الرجال وبدلوا من بعد امنها اسى وحزنا، قال هذا واشار بيده الى لوحة معلقة على جدار غرفة الاستقبال الكبيرة تضم صور الشهداء من ال بحر العلوم الذين قضوا بمشانق السلطة دون ذنب اقترفوه او جريرة اجترحوها. وعندما استبد به الالم والحزن وهو يروي لي وقائع هذا التاريخ قاطعته قائلا له " ان الله مع الصابرين ورحم الله الشهداء" ثم قرات معه سورة الفاتحة على ارواحهم النقية، ورددت على مسمعه قول الجواهري:

لا بدّ عائدةٌ الى عشّاقِها تلك العهودُ وإن حسُبنَ ذواهبا

وفي مساء اليوم الذي جرى فيه الاحتفال بافتتاح المنبر العالي لمعهد العلمين الفيت المرحوم ابا ابراهيم جذلان فرحا يستقبل جمهور المدعويين بوجه طليق يطفح بالبشر ويجلله الحبور، وكيف لا وهو يوم ادى فيه الفقيد العزيز عن النجف قسطا من الامانة التي تحملها في عنقه للدين وشريعة سيد

المرسلين. وقد استرجعت في خاطري في هذا اللقاء بعض الابيات من رائعة المرحوم الشيخ علي الشرقي عن وادي النجف التي يقول فيها:

وطني المفدّى ايُّ سرٍّ في ثراك الطهرِ عالقْ
مرّت بصخرتك القرونُ سريعةً مرَّ الدقائقْ
ملأى بكلِّ طريقةٍ من كلِّ معجزةٍ وخارقْ
زاهي الحدود منيعُه ببني المدارسِ والخنادقْ
ساعٍ لرفعةِ شعبهِ بلدُ المنابرِوالمشانقْ
ولواؤه القوميُّ فوقَ شعارِه الوطنيِّ خافقْ
العزّ وضّاءُ المنارة لامعٌ والعزمُ صادقْ
اينَ اللواحقُ يا غريُّ فأنتَ أنتَ أبو السوابقْ
يا لمعةَ النجفِ المعلّى لا تجهّمك الطوارقْ

توالت لقاءاتي بالفقيد العزيز في بغداد خصوصا عندما ينعقد الملتقى الثقافي في داره بالجادرية مساء يوم الثلاثاء من اول كل شهر، او عندما اتوجه الى النجف الاشرف لزيارة مرقد امير المؤمنين علي(ع) او لانجاز بعض المهام العلمية في معهد العلمين او للاشتراك في مناقشة الاطاريح القانونية التي يؤلفها طلاب المعهد. وكنت اقتنص الفرصة لزيارة الفقيد في ديوانه، او التزم بتلبية دعوته لي وبعض اخوتي لقضاء المساء في ضيافته. وكان الديوان دائما يعج بالعلماء الاجلاء والاساتذة الافاضل وسواهم من الادباء والشعراء والمثقفين من مدينة النجف او خارجها، وكان عامرا بالشعر والادب والافكار التي تتلاقح فيها العقول وتزدهر الاراء. وكنا نتجاذب اطراف الحديث في موضوعات مختلفة او نتبارى في قراءات شعرية لفحول الشعراء او من روائع الادب العربي الرصين، او نستذكر النكات الادبية التي كانت على قدر عال من الرقة وسمو المعنى.

وكنت استذكر معه الايام الخوالي مع الراحلين الكرام عليهم رحمة الله السيد محمد تقي الحكيم والشيخ عبد الحميد الحر والسيد مصطفى جمال

الدين والاستاذ صادق القاموسي واشعر بالحنين لتلك الايام الهانئة والزمن الجميل الزاهي في النجف الاشرف وسوق الغرب في لبنان وبغداد والقاهرة.

عندما نعى الناعي الي رحيل الفقيد العزيز ابي ابراهيم الى رحاب الرحمن الرحيم سرحت فكري متاملا صفحات تاريخه المجيد، وكيف طويت سراعا في ايام معدودات. ففقدنا بذلك رجلا من الرجالات الذين نصبوا مجدهم على الوطنية والسعي الى فعل الخير ومكارم الاخلاق. واذا كانت هذه الصفحات قد انطوت بالم وحزن ممضين، فقد ترك رحمه الله سيرة مشرقة في السياسة والقانون والقضاء والادب واولادا اورثهم سيرته وسيرة جدهم الزعيم الحجة السيد علي بحر العلوم.

رحم الله ابا ابراهيم وجمعه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا.

وترجل فارس النجف

سماحة الشيخ محمد الخاقاني

قالو مات ابو ابراهيم، فكظم الحزن خناقي، وتسارعت دقات القلب معلنةً هول ماسمعت الاذن، ولم يكن ذلك شك في قضاء أو ريب في قدر انما هي اثقال ستين عاماً من الذكريات والعلاقة تداعت انعكاساتها لحظة وقوع النبأ، فاستصرختها الذاكرة واستحضرها الوجدان فشبّ في القلب ضرام الوجد لصفاء ما خلى من الايام ونقاء مامر من الذكريات والعلاقات.

فهذا اخر الفرسان في حلبة كنا من شخوص صولتها، هذا هو يترجل الآن تاركا الساحة لوحشة الفراغ والضياع.

هذا اخر الفرسان ممن عرفتهم وعشت معهم وصحبتهم وخبرتهم.

هذا هو يترجل اليوم من صهوته ويتركني لوحشة السرى وضيق المدى، متخبطا في وحدتي لا اجد احداً ممن عايشتهم اشكو له لوعتي ووحدتي وغربتي.

لقد رحلوا جميعاً وربما رحل الكثير منهم بدون وداع، وترك للاحزان جذوة تذكرني بالنهايات القاسية المؤلمة.

قالوا رحل ابو ابراهيم فانتزعت نفسي من معاناة احزانها واهاتها ودموعها وعدت الى صحوتي بعد ذهولي ومنعت حسرتي من ان تدنس شموخ ذكراه وذوت دموعي من ان تطفأ توهج حضوره ورأيت ان الاحزان لا تليق بأمثاله لأنها لا تصبح ألما على الذين يموتون والذين يذهبون ولا يعودون والذين ينسون حين يودعون.

الاحزان لا تليق بمثل ابي إبراهيم من الذين يتجذرون في اعماقنا ويملأون

وجداننا ويعرشون في مشاعرنا لانهم يرحلون عن عالم مصنوع الى عالم صفوه لانفسهم.

لقد لملم أبو إبراهيم أوراقه وجمع اقلامه وملأ محابره ثم غادر مرتحلا الى عالم انقى واجمل وارحب من عالمنا خلو من التعقيد والابتذال كثير النقاء دائم البقاء لايعكر المزاج فيه نفاق او رغبة شوهاء، عالم فسيح المدى لا يضيق باهله ولا اهله يضيقون به لانهم صفوة بأنفسهم ولانفسهم.

رحل أبو إبراهيم ولم يمت لان الموت فناء والفناء لا يليق إلا بالخاملين المهملين الذين يحكمون على انفسهم بالنفاد منذ وجودهم، اما الذين يعرفون معنى الحياة فالموت لا يطالهم لانهم يختارون بقائهم وان غابت اجسامهم، أولئك الذين يعرفون ان الحياة حركة الروح نحو الكمال وانها كلمة الحق والصدق وانها العمل الصالح انها الخير والمعروف، الضمير والوجدان، الحب باسمى معانيه، هي تالق الوعي بالمعرفه والحكمة، هي السعي للاجمل والاكمل انها الوجود الأمثل.

هذا النوع من الناس هم الذين يعيشون ولايموتون لانهم يستقرون في الوجدان ويلامسون الشغاف ويعرشون في القلب ويفترشون شعاب العقل نعم تغيب اجسامهم وتبقى معنا اراؤهم واعمالهم وافكارهم وانجازاتهم، انهم يعيشون معنا وبيننا ونحن نتغذى من معين وجدانهم الذين فاض معرفه وخبرة ونورا.

نحن اليوم نرى وجود ابي إبراهيم في مؤسسته العلمية هذه وفي تأليفاته العلمية والثقافية والادبية في اشعاره وافكاره في مشاريعه ومؤسساته في شذى سيرته واخلاقه في تواضعه وسعيه للخير، انه يعيش معنا كما عاش كل العظماء الذين لازال معين اثارهم يزودنا ويكمل ماهو خير، الذين عجز الزمن عن ان يعفي ذكرهم ولا يطمس اثارهم وان عفى أجسادهم، ماقيمة ان يعيش الجسد خاويا وان طال به الأمد، وما يضير العقل غيابه الابدي بعد ان يملئ الدنيا عبق معرفته وحكمته فان تناثر أوراق الزهرة الفواحة لايظيرها ما دام شذى عطرها ينعش الانوف والقلوب.

رحل أبو إبراهيم مضمخا بطيب صفائه وطيبته واريحيته ونقائه وتواضعه ومعروفه مضى شامخا باعماله وجهوده ومواقفه واقواله.

رحل ابن النجف الممتدة جذوره امتداد جذور ذكواتها البيض والمتألق حسه تالق قبابها ومنائرها.

رحل أبو إبراهيم وكل زقاق من ازقة النجف وكل حبة رمل يحمل ثناء لا ينقطع لحسن سيرته وتستذكر محبته لمدينته بل لوطنه وتقدس مواقفه الوطنيه وهو يحمل هم وطنه ويجول به بلاد الغربه مستصرخا ضمير العالم لانقاذه من سوط الدكتاتورية والعبودية.

أبو إبراهيم بالنسبه لي صديق ومعلم تعرفت عليه منذ اكثر من ستين عاما من ضمن من عرفتهم ممن كان يتتلمذ حول المرحوم والدي الشيخ سلمان الخاقاني تلميذا او صديقا.

من تلك المجموعه كان فقيدنا الغالي المرحوم السيد محمد بحر العلوم والمرحوم السيد حسين بحر العلوم والسيد مصطفى جمال الدين والمرحوم الدكتور صالح الظالمي وجميل حيدر وغيرهم ممن كنت اراهم في دارنا في كل الأيام العاطلة من الدرس، يومها لم اكن قد تجاوزت العاشرة من العمر ولم يكن احد منهم يتخلف عن جلسات العطل ليلة الخميس والجمعه.. كانت ليالي ممتعه.. باحاديث الادب والشعر بقرضه وانشاده، بتقطيعه وتعقيده، كنت اجلس مستمتعا بالاستماع وقضاء ما يلزم من حاجتهم.

ومع الأيام وطول الزمن كنت اتحول من صبي يستمع ويستمتع بما يسمع من احاديث ودعابات الى صديق يشارك في الحوار وبعد ان تقدم العمر ودخلت سلك (الطلبه) وأصبحت واحدا من هذه المجموعه التي كان يجمعها حب الادب والثقافه والشعر وكان يؤلفها الصفاء والحب ويجلو مواقفها نكران الذات وحب الخير وصدق اللسان وحسن المقاصد وعلو الهمة فكانت بحق خير من التقيت ومن اصفى من عرفت وقد تعلمت منهم الكثير رحمهم الله جميعا.

ومنذ تلك الأيام الضاربة في عمق الزمن كانت صحبتي مع المرحوم السيد محمد بحر العلوم ويوم كان في العراق قبل ان يغادره الى بلاد الغربه لم اكن

افارقه في اغلب الأيام، عملت معه في جمعية الرابطة الادبيه بعد ان تسلم رئاستها فكنت ضمن الهيئة الادارية وقد رأيت منهم كثيراً من النشاط والهمة العالية وكان يطمح لتطوير نشاط الرابطة بعد ان اصابها الخمول قبل تسلمه رئاستها بسبب ضيق حالتها المادية، فاخذ يفكر ببرامج ثقافية وادبية تعيد لجمعية الرابطة نشاطها الا ان وضعها المادي لم يكن يسمح لمثل هذه النشاطات غير ان ذلك لم يكن يعيقه عن تنفيذ قراره، فقام خلال العطلة الصيفيه للمدراس بفتح دورة ثقافيه يحاضر فيها بعض الأساتذة الاخصائيين، كما قام بإقامة موسم ثقافي بجلستين في كل أسبوع ولمدة ثلاثه اشهر جلسه شعرية وأخرى ثقافية خاصة بالمحاضرات وكان ينفق على هذه البرامج من جيبه الخاص ويسجل ما ينفقه بدفتر خاص به دين على الجمعية الى ان يتحسن حالها والذي اعرفه أنه ترك العراق وحال الرابطة المادي لم يتحسن علما ان الموسم الثقافي والدورة الثقافية كلفته الشيء الكثير فلم يكن يبالي بما ينق من اجل تحقيق طموحاته الثقافية خدمة لجمعيته ومدينته فلم يكن يتقاعس او يخمل او يتكاسل عن أي نشاط بهذا الاتجاه، وكنت ذراعه الذي يعينه على تحقيق مايصبو اليه.

كان أبو إبراهيم قوي الايمان شديد التمسك بعقيدته مؤمنا بقضاء الله وقدره، وقد لمست منه ذلك يوم صحبته وهو يغادر العراق الى الكويت فبعد ان صدر امر باعتقاله بعد الازمة التي اثارها البعثيون عند التعرض لسماحة مرجع الطائفه السيد الحكيم صدر الامر باعتقال عدة اشخاص كان من ابرزهم المرحوم السيد محمد بحر العلوم فاختفى عن الأنظار ولم تستطع السلطه اعتقاله وطال اختفائه وكنت مع المرحوم السيد مصطفى جمال الدين والمرحوم الدكتور صالح الظالمي نتابع قضيته مع من نعرفهم ممن نجد فيه القدرة على العمل في سبيل رفع الحظر عنه وقد تم ذلك بعد جهود مضنيه وبعد لقات عديده مع أخيه المرحوم السيد ايه الله عز الدين بحر العلوم.

عاد المرحوم السيد بحر العلوم الى الظهور لفترة قصيرة، ولم تك نفوسنا مطمئنه فكان العمل على تحصيل موافقة بالسفر ليكون خروجه من العراق

رسميا وقد تم ذلك بجهود المرحوم السيد جمال الدين عندها صحبته متوجهين الى الكويت عن طريق البصره وركبنا القطار من مدينه الحله كانت احاديثه ونحن في مقصورتنا تبعث على الاطمئنان، وقد كنت أتوقع ان يكون خائفا او مرتبكا فوجدته اكثر ثباتا مني واشد عزيمة ولم يكن مرتبكا او مهزوزا حتى حين وصلنا نقطة الحدود وكان ثابت الجأش وهو يقف امام مسوؤل الجوازات لكي يختم جوازه للخروج، بعد ساعتين من مغادرتنا نقطه الحدود وصلنا الكويت بحمد الله سالمين وقد حمدت الله على نعمة الوصول ولا اكتمكم اني كنت ارتجف وانا اقف أمام موظف الجوازات عند عودتي ظنا مني أن امري قد انكشف.

كان المرحوم السيد محمد بحر العلوم غايه في التواضع واحترام الغير والتسامح وحسن الاستماع وعدم التعالي ولم تتغير اخلاقياته وقيمه بتغير موقعه الاجتماعي والسياسي، زرت ايران بعد الحرب وكان هو في مدينه قم زائرا وكان عازما على مغادرتها الى لندن مقر اقامته وعمله فلما سمع باني قادم الى قم ارجأ سفره الى لندن ليراني فالتقيته بعد وصولي بساعات اذ زراني في محل اقامتي وكنت اعتقد ان لقائنا سيكون دبلوماسيا، واني لن اجد تلك الحراره التي كنت اتمناها فيه بسبب تغير وضعه الاجتماعي والسياسي كما هو شأن الكثير ممن اعرفهم، ففجاءني جدا حين احتضنني عند لقاء وهو يبكي ساعتها فادركت بعمق ان صاحبي لم يتغير وان الذي فارقته قبل سنين لازال كما هو يحمل نفس الروح الطاهرة والأخلاق الاصيلة.

وقد زاد اعجابي به ليلة جمعتنا مائدة ولده العلامة السيد محمد علي وفي خلوة معه سألني سؤالا ربما كان الجواب مني يقتضي بعض المجامله الا أني تعمدت ان يكون غير ذلك وكان جوابي جريئا خارجا عن اللباقة والادب واقسم لو كان جوابي لغيره لاحدث مشكلة الا أنه تقبله برحابة صدر ولم يكن عليه أي ردة فعل او امتعاض بل انه ايدني باسلوبه وان كان خارجا عن اللياقه لكنه اكثر انطباقا وواقعية.

رحم الله أبا إبراهيم فقد فقدناه انسان نبيلا.

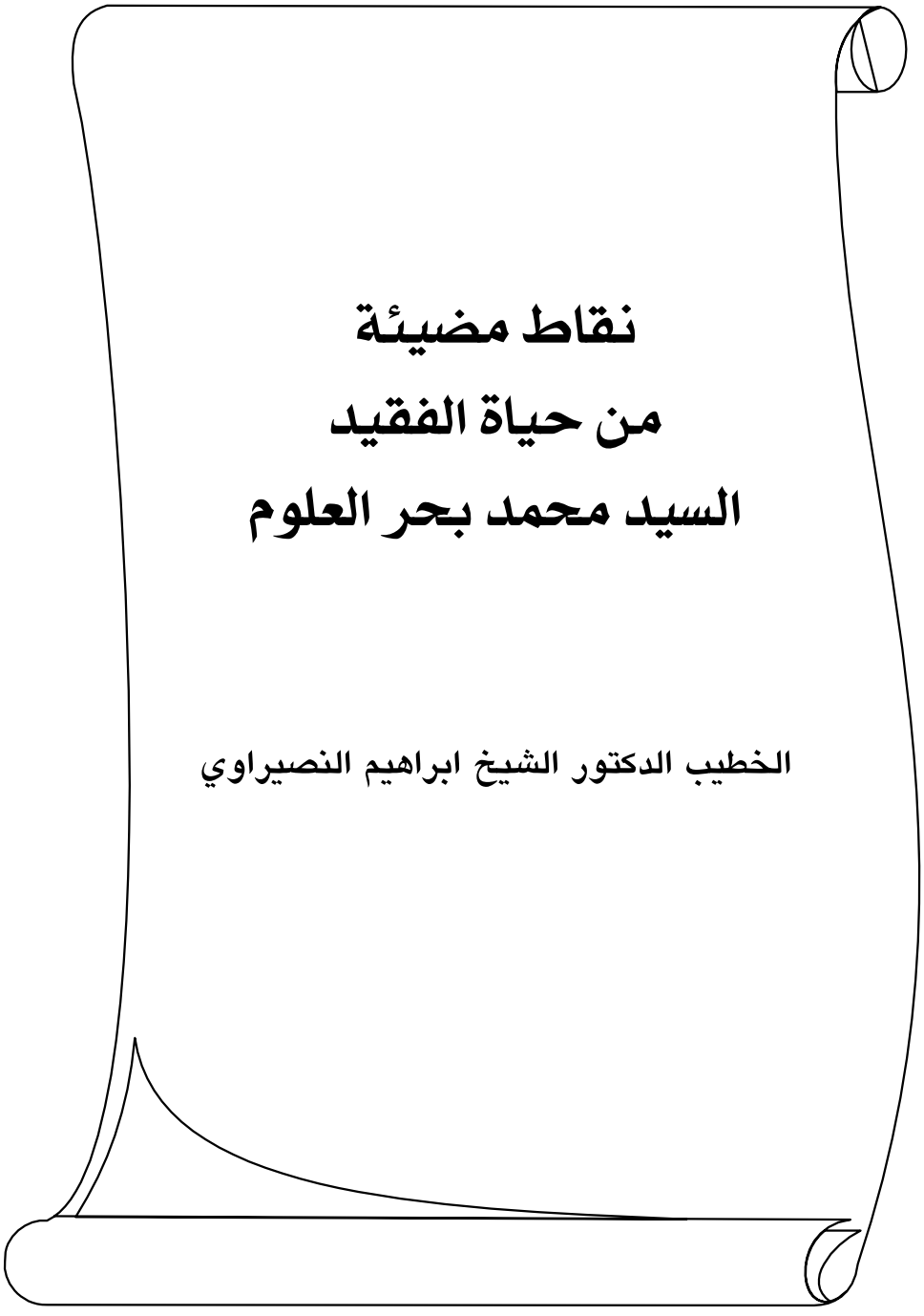

نقاط مضيئة
من حياة الفقيد
السيد محمد بحر العلوم

الخطيب الدكتور الشيخ ابراهيم النصيراوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد واله الطيبين الطاهرين

عرفت الفقيد العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم منذ فترة ليست بالقصيرة ولعلها عند مجيئي للنجف الاشرف عام (١٩٧٨م) وجرت بيني وبينه مراسلات والتقيته لاول مرة في مدينة قم المقدسة عام (١٩٩١م) بعد هجرتي لها وفي زواج سبطه الاخ السيد احمد الحكيم.

لقد احتضنني بحفاوة وخلق شعرت وكان هذا الانسان صديقي وزميلي منذ فترة برغم فارق السن حيث يكبرني بثلاثة عقود من الزمن فعجبت لهذه الروح الشبابية الجميلة التي يتمتع بها.

توالت زياراته للجمهورية الاسلامية الايرانية لزيارة المشاهد الشريفة، وزيارة عدد من افراد عائلته الذين كانوا يسكنون هناك، ورايت الحفاوة والتكريم الذي كان يحظى به من مختلف الطبقات والشخصيات، وتوالت اللقاءات وتوثقت العلاقة اكثر وكذلك تكررت زياراتي الى لندن واللقاء به مما شكل عندي تصورا كاملا لهذه الشخصية المهمة التي اود الحديث عنه في النقاط التالية:

أولا: التميز بالشخصية:

كانت لي علاقات واسعة ومعرفة بكثير من الطبقات والشخصيات العراقية وغيرها ومن اهل العلم وغيرهم ومما حباني به الله تعالى انني اقرا شخصية الانسان منذ بداية اللقاء به فتتضح لدي صورة معينة وانطباع خاص، وممن

احتل مساحة كبيرة من قلبي وقلوب الاخرين، ودخل اعماق الوجدان الفقيد العزيز الدكتور السيد محمد بحر العلوم رحمه الله، لما يملك من كارزما قلّ نظيرها خلقا وتواضعا وفضلا وادبا ومكانة فهو ينتمي الى بيت رفيع ونسب شامخ، فاسرة ال بحر العلوم عريقة في اصالتها نجفية في نكهتها، لها امتداد علمي وجهادي وديني واجتماعي حافل يغور في عمق تاريخ ملئ بالمواقف، تقف هذه الاسرة على قمّة هرم وراس قائمة من الاسر العراقية الكريمة والنجف الاشرف ولعل لهذا النفوذ والاسم الكبير اثر في القضاء على رجال الاسرة من قبل طاغية العراق صدام الذي كان ينتقي رجال العراق وذوي المكانة فقتل من رجالهم اكثر من ستة عشر فردا ممن كان لهم ثقل ومكانة علمية واجتماعية.

المرحوم الدكتور السيد محمد هو وارث هذا المجد لهذه الاسرة وتاريخها المشرق والبقية الباقية منهم. اضافة لهذا النسب الزاخر كان رحمه الله متميزا في شخصيته وتفكيره واسلوب حياته ودماثة اخلاقه وقلمه وسيرته كما سيتضح من خلال الحديث. السيد بحر العلوم عالم فاضل واديب مثقف وسياسي نزيه وكاتب وباحث جمع بين الاكاديمية والحوزة العلمية، صفات قلّ ان تجتمع عند رجل فكان اسمه علما وصوته مدويا، ولم يحدّه مكان بل امتد ليكون قامة حاضرة في اوربا وامريكا ودول الخليج وجمهورية ايران الاسلامية ولبنان وغيرها من دول العالم، واما في العراق فقد كان وجهه الجميل وسراجه المنير وابنه البار والحبيب الذي لا يمله محبوه.

ثانيا: التواصل من ابرز صفاته:

السيد محمد بحر العلوم رحمه الله نسيم المحبة ووهج التودد وحبل التواصل الممتد عبر مسافات طويلة، يتفقد احبابه يقصدهم بالزيارات التي لا تنقطع ويبادلهم اعذب واجمل وارق الكلمات والتحيات، فمثلا كان اول من يبادر لزيارتي عند وصولي الى لندن فاقابله بكل عبارات الاعتذار عن زحمة المجيء فيقابلني بكل محبة وصدق وبشاشة الاب والاخ والصديق، لم يضع في حساباته

في ميزان التواصل فارق العمر ومشقة الالتزام الذي قطعه على نفسه مع كل الاصدقاء والذوات، وقد رايته في النجف الاشرف نموذجا للتراث الذي كاد ان يختفي وصورة من التواصل التي نفتقدها في كثير من منتدياتنا وعلاقتنا، فالسيد محمد بحر العلوم ذو برنامج يحق لنا الاقتداء به والاقتفاء لاثره فهو يطوف على بيوت المراجع زائرا ويحضر المناسبات العامة والخاصة مشاركا ويقطع المسافات ليؤدي حق المحبة والخلق الذي اتخذه مبدا في حياته.

من الذكريات التي تدل على سيرته التواصلية واحترامه للاخرين انه جاء الى قم المقدسة بايران في ٢٠٠٠/١/٢٥ وتوافد لزيارته مختلف الاعلام والشخصيات والمحبين، واتصلت بنجله الصديق العزيز الحجة السيد محمد علي بحر العلوم لارى الوقت المناسب لزيارته ولم افلح بامد قريب للزيارة وكان قلبي يضطرب شوقا للقائه والموعد يتاجل اكثر من مرة ـ دون قصد طبعا ـ على غير العادة لان مثلي لا يحتاج الى طلب موعد من مثلهم لعمق العلاقة فكتبت لسيدنا الفقيد الابيات التالية وارسلتها له:

كنتُ أسعى نحوَ رؤياكَ مجدّا ... واعدُّ الوقتَ كي ألقاكَ عدّا
وبقلبي آختلجتْ كلُّ الرؤى ... هل أرى الوجهَ الذي أُصفيه ودّا
لم أخلْ يوماً بأنْ يحجبَني ... عنكَ شيءٌ أو أرى دونَك سدّا
فالمسافاتُ تهاوتْ عندَ مَنْ ... لم يضعْ يوماً لمن يهواه حدّا
لست ادري أبقيٌّ وضعوا ... حولَ نبعِ الحبّ والاخلاصِ جندا
وتلاشتْ فرحتي اذ أغلقوا ... بابَك الرحبَ وإنْ لم يَكُ عمدا
إنْ سددتَ البابَ فالبحرُ له ... يا (ابا جعفرَ) بابٌ لن يُسدّا

واذا بالتلفون يرن من سماحته ليقول لي بنبرة ملؤها الحنان: ان لم تات الان انا اتيك. فاسرعت للقائه ووجدت فيه الخلق والرقة والادب والسمو.

اجمل ما فيه عصبية بلا حقد وغضب بلا انانية وشجار بمحبة وخلاف بمودة اذكر في عام ١٩٩٣م عقد المؤتمر العالمي للذكرى الالفية للشيخ المفيد في مدينة قم المقدسة ودعي له كبار الشخصيات من دول عديدة وكان الفقيد

على راس قائمة المدعوين وبرنامج المؤتمر حافل بالبحوث والكلمات والقصائد وابرز الشعراء كان المرحوم العلامة الدكتور السيد مصطفى جمال الدين رحمه الله حيث دعي من قبل رئيس جلسة الافتتاح المرحوم اية الله الشيخ الاميني لالقاء قصيدته ومنح مدة عشر دقائق فقط لزحمة البرنامج وبدا بقراءة قصيدته التي مطلعها:

جذورك في بغداد ظامئةٌ سغبى وظلك في طهران يحتضن العربا

وكانت قصيدة رائعة جدا ولكن ما ان قرا المقطع الاول حتى استعيد من قبل الحضور فانتهى الوقت المحدد، فاشار له رئيس الجلسة معلنا انتهاء الوقت فغضب السيد جمال الدين وتصور ان انهاء الوقت كان مقصودا رعاية لوفد العراق الرسمي الذي كان حاضرا فنزل من على المنصة وخرج من القاعة وتاثر المحبون فخرجوا خلفه واحدا تلو الاخر حتى القى هذا الفعل ظلاله على اجواء الجلسة مما اضطر رئيسها ان يعتذر علنا عن ما حدث مبينا انه غير مقصود.

كان الفقيد السيد محمد جالسا في مكانه بالصف الامامي الى جنب الشهيد اية الله السيد محمد باقر الحكيم رحمه الله ولم يبد اي ردة فعل لما جرى وكان فعله هذا ملفتا لنا جميعا فكلفني الاخوة ان اذهب اليه واطلب منه ان يغادر القاعة ليشارك المحتجين وفعلا ذهبت له وهمست باذنه ان اغلب العراقيين غادروا القاعة فلا مبرر لجلوسك يا سيدنا، فلم يستجب لطلبي وكان يرى ان المسالة طبيعية ولا داعي لهذه الاثارة. ثم ذهبنا مع السيد مصطفى جمال الدين لمحل سكناه وبعد انتهاء جلسة الافتتاح جاء السيد بحر العلوم للسيد مصطفى وبدا لون من العتاب الاخوي الجميل الشديد في ظاهره، حيث ارتفع الصياح بينهما عتابا ولوما بمنتهى الصراحة من السيد جمال الدين مبينا للسيد بحر العلوم انك لم تكترث بما جرى وقد كنت مجاملا للايرانيين، ويرد السيد الفقيد ان القضية لم تخرج عن اطار العفوية ولا تستحق هذا الموقف المتشدد واشتد العتاب وعلت الاصوات بمشهد يثير الانتباه هل سيؤدي هذا

العتاب الحاد للقطيعة بين الحبيبين وظننا الظنونا، واذا بالسيد بحر العلوم رحمه الله بدا يستعير كلمات المحبة والاخوة فغير الموضوع فجاة بدعابة وابتسامة ليقول لنا: ـ وقد شغلنا المنظر كثيرا ـ طالما اختلفنا انا والسيد جمال الدين ويبلغ الامر احيانا ان (نتعارك) ولكن باللسان فقط. ما اجملها من صداقة وما احلاها من علاقة انها القلوب الكبيرة واقعا والنفوس الطيبة التي لا يفسد الاختلاف عندها للود قضية، انهم نماذج قلما تتكرر في زماننا المجدب الذي يحاسب فيه بعضنا الاخر على الصغيرة والكبيرة لم يضع الكثير من الناس في حساباتهم حقوق الصداقة والحمل على الصحة.

وصورة اخرى من روحه العالية التي تحفظ للاخوان حقوقهم فقد ذهبت لبغداد ايام مجلس الحكم وعرجت على زيارة سماحة السيد محمد رحمه الله وكان يسكن انذاك في مجمع القادسية ببغداد وجلسنا نتبادل الاحاديث والادب والشعر والقصص وما يدور ويجري من احداث في بلادنا الذي يمر بتحول كبير ويعاني من ازمات وتكالب للارهاب واثارات للفتن. كان السيد الفقيد قد دعا لاقامة حفل تابيني بمناسبة مرور اربعين يوما على رحيل الاستاذ الشهيد عزّ الدين سليم عضو مجلس الحكم رغم التحديات الامنية والوضع المضطرب لكن وفاءه للاصدقاء لا يوصف، فطلب مني سماحته ان ابقى عنده تلك الليلة للمشاركة بالحفل فاستجبت لطلبه العزيز رغم اني كنت وجلا لخطورة الوضع انذاك كما ذكرت، فرقدت في صالة الاستقبال التي رقد هو فيها ايضا وقمنا فجرا لصلاة الصبح وعند اقتراب طلوع الشمس رن تلفون سماحة السيد فرايته خرج من الصالة وهو يرد على المكالمة حتى لا يزعج ضيفه النائم عنده ولكنني انتبهت حينما رايته مضطربا قلت: له خيرا يا ابا ابراهيم؟

قال: لقد اتصل بي شخص مجهول وقال انصحك بعدم اقامة الحفل واحذرك، قلت له: ومن المتصل؟ قال: طلبت معرفة اسمه فلم يخبرني واكتفى بقول اني صديق محب.

فقلت له وماذا انت صانع؟ قال للشهيد حق وهو يستحق التكريم وانا لا

اكترث بالتهديد لكن اخشى على الناس ان يصيبهم سوء لا قدّر الله ولابد ان استشير فاتصل بالمرحوم الدكتور احمد الجلبي فرجح له الغاء الاحتفال ولكن السيد كان مصرا على اقامته.

فقال للدكتور الجلبي: ساطلب من الحكومة ان توفر لنا الحماية والامن، فرد بان الحكومة غير قادرة على ان تحمي نفسها. وهكذا استشار اخرين من المعنيين وذوي الشان ولم يرجحوا له اقامة الحفل فحصلت قناعة عنده بالغائه على مضض وبدا اتصالاته ليخبر المدعوين بما حصل.ان هذه الحكاية تكشف عن همّة هذا الانسان العالية ووفائه وشجاعته ونشاطه واهتمامه ورعايته لحقوق الاصدقاء.

ثالثا: قلمه واسلوبه الحداثوي ومنهجه التقريبي:

يشكل السيد محمد بحر العلوم رحمه الله مع نخبة من اقرانه مدرسة ذات ابعاد فكرية وثقافية منفتحة على الثقافات الاخرى كمصر وبلاد الشام وغيرها وساهموا بحق بنهضة معرفية انبعثت من رحم الحوزة العلمية حيث كانوا على تماس مباشر مع المرجعية الدينية العليا المتمثلة انذاك بمرجع الطائفة السيد محسن الحكيم قدس الله سره فهم انفتاحيون وفق الضوابط والحدود المتعارف عليها انذاك.

ابرز رجال هذه المجموعة الكريمة اضافة للسيد الفقيد الدكتور صالح الظالمي والشيخ ضياء الخاقاني والشيخ محمد الهجري والدكتور السيد مصطفى جمال الدين والدكتور الشيخ احمد الوائلي والشيخ محمد مهدي شمس الدين والسيد حسين بحر العلوم والدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي وغيرهم، وكان من ثمرة اعمالهم اسرة الادب اليقظ، وتربط هذه المجموعة علاقة متميزة مع العديد من الشخصيات واصحاب السماحة كايات الله الشيخ محمد امين زين الدين رحمه الله فهو بالاضافة لكونه احد مراجع الدين كان شاعرا وكاتبا بارعا ذا اسلوب متميز وخلق رفيع، والشيخ محمد حسين كاشف

الغطاء والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ سلمان الخاقاني والشيخ محمد رضا المظفر ولكل فرد من هؤلاء الاعلام دور بارز وكبير في مجال العلم والمعرفة والثقافة.

ابرز ما قام به سماحة السيد محمد من انشطة انذاك وبمعية عدد من الناشطين ممن ذكرنا اقامة الاحتفالات التي تعقد بالمناسبات الدينية وكان لها صدى جماهيري كبير كذلك رفدوا الساحة الاسلامية بمؤلفات وكتب وبحوث ومقالات يحتاجها الشارع الاسلامي في ذلك الوقت خصوصا المثقف، فقد عالجت نتاجاتهم قضايا تاريخية واخرى معاصرة بلغة رصينة واسلوب جذاب وطرح رصين ترك اثرا كبيرا في الحركة والنشاط العلمي والفكري، وازدهرت المكتبة الاسلامية مما وفّر ارضية صلبة للتبادل المعرفي بين الاكاديمي والحوزوي ونتج عن ذلك صحوة اسلامية كان ثمارها ترسيخ المبدا الاسلامي ومدرسة اهل البيت عليهم السلام في عقلية الانسان وازاحة كثير من الشكوك والشبهات عن المدرسة الاسلامية الاصيلة.

ترك الفقيد تراثا مهما ومؤلفات كثيرة مطبوعة ومخطوطة اضافة للبحوث والمقالات وهي تحتاج لبحث خاص عنها، والذي اريد التنبيه عليه هنا ان الفقيد كان يسعى جاهدا لتقريب وجهات النظر بين المذاهب الاسلامية التي كانت الفرصة متوفرة انذاك اكثر من اي وقت اخر، وكان السيد بحر العلوم يملك شبكة كبيرة من العلاقات مع رموز اسلامية معروفة ومتعددة الانتماء، ونجد هذه الفكرة واضحة من خلال معايشتنا له ومن كتاباته التي كان فيها موضوعيا في ما يطرح ليمكن القارئ ايا كان من الاقتراب للفكرة، قال في مقدمة كتابه الاجتهاد اصوله واحكامه ص١٣: (وقد حاولت ان اتبع في بحثي النهج الموضوعي المقارن فاقتضاني ذلك ان اطّلع على مختلف الاراء لمختلف اعلام المذاهب الاسلامية المشهورة وهي: الامامية والحنفية والشافعية والظاهرية والزيدية والمالكية والحنابلة وان ارجع الى مصادرها الاصيلة جهد الامكان).

من جهة اخرى كان له احيانا اسلوب اخر يعتمده في ايصال الفكرة هو اقرب الى اسلوب القصة وهذا ما نجده جليا في كتابه بين يدي الرسول الاعظم(ص) حيث تراه لوحة فنية ذات ادب جم ونكهة خاصة حاول من خلالها شد الفرد المسلم بسيرة النبي المصطفى محمد صلى الله عليه واله واهل بيته عليهم السلام ورجال الاسلام المضحين، قال ـ وهو يتحدث عن بطولة ياسر وولده عمار وزوجته سمية رحمهم الله ـ ص٣٤: (وفي ليلة ثقيلة الظل هومت عين ياسر، ثم انتفض، وهو يبتسم، ويزحف لولده المتظاهر بالنوم، ويلتفت اليه عمار فيهمس بصوت اتعبه الالم: ماذا بك يا ابتاه؟ ويطبع على شفتيه الذابلتين بسمة مضيئة كانها فرحة العطر وصحوة الورد. وبين الفرحة والثناء تنساب الكلمات من فم الاب المضرج بالدماء: يا عمار رايت حلما ما اجمله كان هذه الصحراء روضة غناء في وسطها امك تلف خمارها على راسها تبتسم لي وتقول: اننا بانتظارك يا ابا عمار....).

وفي الجانب السياسي كان ذا رؤية ثاقبة وبصيرة حاذقة فلم يلج عالم السياسة من منطلق غرض شخصي او اسري او من فراغ انما كان يرى بوضوح ان سياسة اليوم لها جذور في عمق التاريخ من الاقصاء والتهميش وخنق الصوت الحق فانطلق في تحركه السياسي وهدفه مواصلة مسيرة الجهاد التي امتدت عبر مئات من السنين فكان الصراع السياسي اليوم نتيجة حتمية للامس، قال في كتابه الصراع السياسي في الاسلام ص٧: (والذي بان من خلال مسيرتهم الرسالية واضحا تفجر الصراع السياسي الذي استوعب تلك المسيرة الدامية عبر التاريخ الاموي والعباسي والعثماني، وامتد لهذا اليوم ونحن اتباع هذه المدرسة نعاني منذ اليوم الاول محاولات جادة لتهميش كبير في كل جوانب الحياة سواء من اعداء الدين او المرتزقة الذين لا ضمير لهم حيث جندوا اقلامهم لخدمة الحاكم المستبد رعاية لمصالح السلطان وحصر سلطتهم عبر العصور والازمان لخدمة الباطل). اكتفي بما ذكرت وفي هذا الحقل امور كثيرة تحتاج الى تسليط ضوء ببحث مستقل.

رابعا: الفقيد وعالم الادب:

عشق الفقيد الشعر وهام فيه، كان اسعد لحظاته حين يجلس مسامرا للشعراء والادباء فهو يملك رصيدا كبيرا من الروح الادبية وكان شاعرا وقاصا وناقدا ومتذوقا لا حدود لقابلياته. يتميز مجلسه بفوائد عديدة بالفكر والعلم والطرافة والمطارحات الادبية فيستوقفه الشعر القوي ويستعيده ويستعذب صورته وينتقي كلماته ليرددها اعجابا ويرفع صوته طلبا للاعادة مما يضفي زخما من الاعتداد بنفس الشاعر.

قضى سماحته اكثر من ثلاثة عقود بالمهجر وعينه شاخصة الى بلده وارضه ونجفه الذي كان يعشقه ويعشق اهله ومنتدياته ومواقع نشاته وانشطته وجهاده وادبه وشعره وفي احدى زياراته لمدينة قم المقدسة عندما كنا نحن بالمهجر ايضا واتصور في حدود عام ١٩٩٩م تشرفت بدعوته مع نخبة من الشعراء الكبار في بيتي وهم الاخوة الافاضل السيد مهند جمال الدين والشيخ مجيد الصيمري وحسن السنيد وفرات الاسدي وثامر الوندي والمرحوم السيد سلام الحيدري والمرحوم ضياء البدران المعروف بابي يقين البصري حيث اطلقنا على هذه المجموعة الادبية (جماعة نون والقلم).

وما ان التقينا وتبادلنا مع سماحة السيد محمد احاديث الشعر والادب انفتحت قريحته واستعاد ايام مجد الادب النجفي العريق الذي كان يحن اليه حنين الارض للماء فاستنطقنا شعرا واستنطقناه فقرا البعض منا قصائد ليبدا النقد الادبي بعدها، واول من بدا الاخ الشاعر فرات الاسدي حيث قرا قصيدة كانت في الامام الحسين عليه السلام مطلعها:

على وريديك شبّ الفتحُ وانعقدا وراح يكشفُ خلفَ الموت ألفَ مدى

فكانت اكثر من رائعة وان دار حولها نقد ادبي هادف، ثم انشدنا الشيخ مجيد قصيدة مطلعها:

الف سعديك ايّها الصيادُ نحنُ موتى متى يكون المعادُ

ثم تلا الشاعر حسن السنيد الذي كان يعرف باسم (جواد جميل) قصيدة مطلعها:

لا تكوني وجهي فوجهي تقاطيعُ صخور منسية في وادِ
لا تكوني عمري فما هو إلّا لحظةٌ فوق شفرة الجلّادِ

وانشد المرحوم الشاعر ابو يقين البصري قصيدة منها:

رجعتُ بأيامي لعمر طفولتي واسرجتُ في قلبي شموعَ صبابتي
وكم شُعلٍ من مقلتيك نسجتُها رداءً جميل يستفزّ قريحتي
وأغريتني أن استجير محبّةً بشاطئِك الحاني لتُطفئَ غلتي

وبدا التعليق الجميل والمداعبة الحلوة مع ابي يقين وكان يتقبل ذلك برحابة صدر وهكذا جاء الدور الشاعر المرحوم السيد سلام الحيدري فقال:

تنأى وتَمنى وغطى الثلج اتربة عليك منها اذا ساءلته اثرُ
ودونَك الصبحُ قدّما كان ذا بلج يدنو اليك ومنه اسّاقطَ البصرُ
تلمّ من وشلِ الاقداحِ اغنيةً يغصّ شاربُها والعودُ والوترُ

ثم استمعنا للشاعر ثامر الوندي وهو ينشدنا:

وطني طعنة في خلاياي كنت اعيش به او اعيش له
ولكنه الان صار يعيش بقلبي ويمنحني غربة غربة
وطني نفخة في مراياي كنت ارانّي به او ارانّي له
ولكنني الان صرت اراه بقلبي دماء تخضبني غربة غربة

واعترض السيد الفقيد على قوله: (نفخة في مراياي) ودار جدل حول المعنى واستمر الحوار الادبي الجميل.

اما السيد مهند جمال الدين فانشدنا قصيدته المهداة لجماعة (نون والقلم) قائلا:

شدّي بنا أحرفاً بمعناها وأسرجي جمرةً فقدناها
وأيقظي نجمةً معلّقةً تُديرُ في كأسنا حميّاها
وناولي البدرَ ما ألحّ بنا وجدّدي في سمائهِ آهها

وعلى العادة دار النقاش الادبي الممتع حولها وفي نهاية المطاف تفضل السيد بحر العلوم بقوله: استمعت لنقدكم الادبي الجميل لكنني يشهد الله وانا استمع لهذه القصيدة شعرت بالسعادة حين ادركت ان السيد مصطفى جمال الدين لم يمت. اما انا فانشدته قصيدة كتبتها فيه عام ١٩٨٨م والقيتها في الحفل التكريمي الذي اقيم له في المكتبة الادبية المختصة بمدينة قم قلت فيها:

عُدْ بي الى وطني الحبيب لمدى يفوح بخير طيبِ
عُدْ بي الى تلك الرياضِ يلفّها ألمُ الخطوبِ
عُدْ بي الى خمرِالفراتِ ودجلةٍ وأبي الخصيبِ
والى النخيلِ الشامخاتِ برغمِ ألسنة اللهيبِ
ولرملةِ النجفِ الشريفِ تطّرزت بدمِ القلوبِ
عُد بي لالحانِ الصبا ملء الفؤاد منَ النحيبِ
قد أهرقوا كأسَ الصبابةِ فانكفأتُ بلا نصيبِ

—

(بحرَ العلوم) وعدتُ منك لمرتعِ حلو قٍشيبِ
لديار أهلينا المشعّةِ بالشروقِ وبالغروبِ
لا الشمسُ تحكي الرافدينَ وإن تلفّعَ بالشحوبِ
(بحرَ العلوم) وكلُّ هاتفةٍ تراكَ صدى المجيبِ
وترى عمامتَك المنى ورؤاك اشرعةَ الدروبِ
أهلًا فقد فَرشتْ لك الأجفانَ أبرادُ السهوبِ
وجواهر الكلماتِ تنثرُ فوق قارعةِ الدروبِ
يومٌ مع النجفِ الشريفِ كألف يوم لِلغريبِ

ثم جاء الدور للسيد الفقيد فانشدنا من ادبه الرائع مقاطع من شعره اقتطف منها قوله:

ورملًا تقلّبنا عليه فما آشتكت جوانحُنا من لذعِ حصبائهِ الحرّا

أغرنا به زهوَ الحريرِ فأجفلتُ وسائده لمّا آحتضنا به الصخرا
ثلاثون عاماً من حياتي تصرّمتْ فما هجعَ الحادي ولا أنكرَ المسرى
وتاه بأجفاني الرقادُ ولوعةٌ من الغربةِ الرعناءِ تلتهبُ العمرا
أبا السعدُ إلّا أن يحلّ بناظري فيملكُ منه النورَ والبشرَ والسحرا
وانّ صليلَ الساجياتِ يرُيعني فينفثُ في أحلاميَ الضيمَ والضرّا
اُلمّ طيوفَ الامس أتُرع كأسَها لعلّ بها ما يطفئ المهجةَ الحرّى

ثم خاطبنا بقوله:

أحبّايَ قلبي إذْ تطرّزه المنى بلقياكُم فالحبُّ في واقعي ادرى
ارى بكُم نبعَ الغريينِ صافياً فآستافُ من موّاره الشعرَ والنثرا
وحشداً من الذكرى يعجّ بخاطري وكان على رغم الِاسى صاخبُ المجرى
ومجداً من الفضلِ الذي عرفتْ به بلادي وخاضت في مساربهِ دهرا
أحييكُم والحبّ ملءَ جوانحي وشدو يراعي بالثناء بدا مهرا

وهكذا انتهت جلستنا التي استمرت ما يقرب من ثلاث ساعات كانت جميلة بكل ما للكلمة من معنى حيث مرت دقائقها ونحن نستمتع باحلى الكلمات واعذب الذكريات.

من ناحية اخرى كان الفقيد رحمه الله كلما يراني يهز مشاعري ويقول لي هل من جديد؟ الا تعرّج بنا على الشعر؟ وهذا الحس المرهف يدعو للكتابة والاستحضار فطالما نظمت وتغزلت به غزل الحب والاكبار والاعتزاز فانشدته في عام ٢٠٠٦م ونحن في ربوع النجف في وطننا الحبيب ابياتا خاطبته بها:

ما زلتَ وجهاً به نحظى ونفتتنُ فأنتَ آخرُ ما أبقى لنا الزمنُ
وأنتَ أول حرف خطّ مبتهجاً إن العراق له أرواحُنا ثَمنُ
ويا أبا الفذّ (ابراهيم) قافيتي لانها فيك تصغي نحوها الاذنُ
يا قامةَ ما مشت إلا على خطرٍ وما خشيتَ ولم يقعدُ بك الوَهنُ
يوماكَ يومٌ على الأسوار مِنتفضٌ وآخرٌ انَت فيه الاهلُ والوطنُ
وانّك البحرُ ما ملّت شواطئه وطالما آزدحمت في بابه السفنُ

يا سيّد الرافدينِ آرتجّ في خلدي شوقٌ فناغاك قلبٌ كلّه محنُ
بغدادُ خجلى وفي أغصانها يبسٌ وفي عيونِ المها يا سيدي وسنُ
والشمسُ أذيالها الغراُء لملمَها جوى المغيب وغطّى ليلَها دجنُ
وكابرت فعلمنا أنّ ضحكتَها طبع لتشمخ مهما مسّها شجنُ
بغدادُ رغمَ احتراق فِهي عاصمتي وإنها الاهلُ والأولادُ والسكنُ

فكان يستعيد كل بيت فيها مستحسنا وناقدا.

وجاء في عام ٢٠٠٥م الى ايران واحتفينا به على العادة واقام له سماحة الاخ الحجة السيد جواد الشهرستاني مادبة غداء ودعينا لها مع عدد من العلماء والشعراء فكتبت انا والمرحوم الشاعر السيد سلام الحيدري قصيدة مشتركة ترحيبا بالضيف الكبير وما ان استقر بنا المقام في ضيافة السيد الشهرستاني حتى تحولت اجواؤنا الى الادب والشعر فانشدته القصيدة:

ملءُ عينيك صبوةٌ وجهادُ وبخطويك تقصر الأبعادُ
طلعةٌ منك تبعث الأمس حيّاً وتثيرُ الجراحَ وهي ضمادُ
قدُ تهادى مع المساءِ صباحٌ فزهت ليلةٌ وطاب السهادُ
فأرقْنا نوظّفُ الشعرَ ترحاباً بشيخٍ يُلقى إليه القيادُ
قدْ شممنا عطرَ الفراتِ بخّديه ولاحت بعينه بغدادُ
يتشهّى وصالَه ألقُ النجم ويهفو لعرشه الميعادُ
والغواني ترى بعينيه وهجاً اريحياً يذوب منه الجمُاد
فيصير الحديث همساً رقيقاً ويغنّي على السطور المدادُ
وتذوبُ السنينُ في شفة الحرفِ حواراً كأنّه الميلادُ
أيها القادمُ الذي قد تحلّت بمحيّاه للعيونِ البلادُ
فسقانا عذبَ الحديث وزّوى ظمأ الشعر فازدهى الانشادُ
والقوافي سخيةٌ تتهادى في يدينا واخضرّ حتى الرمادُ
يا بنَ (بحر العلوم) فيكِ تراءت ذكرياتٌ بالأفق منها احتشادُ
حضنتك القلوبُ حبّاً وشوقاً وبك الجوُد يحتفي و(الجوادُ)

نـجـفُ غـالٍ هـا هـنـا قـد تـراءى وهـــو مـــاء لـــلروح وهـــو الـــزادُ
مـفـرداً يـا عـراقُ تـبـقـى ولـكـنْ لـيـسَ يـزري بـشـمـسـنـا الانـفـرادُ

فاهتز مع كل بيت وترنم واستعاد، وطلب المزيد من قراءة الشعر حتى نسينا غداءنا وانشغلنا باجواء الشعر ونسائم الذكريات وجمال الاحاديث.

في سنة ٢٠٠٢م ونحن في تدافع سياسي وتوجس لا نعلم حقيقته والولايات المتحدة الامريكية قد تغير اسلوبها ونبرتها تجاه النظام الصدامي المقبور في العراق والمعارضة تتنفس الصعداء من جديد وامامها مستقبل مفعم بالضبابية وتحرك كل من موقعه ففي ايران وسورية وبريطانيا والداخل العراقي تاهب لشرارة المعركة مع النظام فذهبت حينها الى لندن فالتقيت سماحة السيد وجلسنا مع عدد من الاخوة منهم المرحوم السيد مجيد الخوئي والمرحوم السيد حسن بحر العلوم والاستاذ السيد اكرم الحكيم والدكتور علاء الجوادي والاستاذ عبد الجبار الشبوط والدكتور السيد ابراهيم بحر العلوم واخرين والحديث يدور عن الوضع السائد وما ستؤول له الامور فرايت الهمّة عند ابي ابراهيم والصمود والحيوية وكنت قد كتبت له قصيدة فلما فرغنا من الاستعراض العام للوضع الراهن التفت لي الفقيد ليقول لي ايها القادم من ايران هل من جديد؟

قلت: نعم، وظن انني ساتحدث في عالم السياسة فاخرجت قصيدتي من جيبي وقلت عندي شعر فتبسم وقال: انشدنا وارحنا فقلت ـ والاعجاب بهمته في ذلك الظرف يملا قلبي وادبي:

مِـنْ جـديـدٍ تـنـفّـسـتْ أحـلامـي واسـتـعـادت جـمـالَهـا ايـامـي
والـى شـاطـئِ الـمـنـى رحـتُ أدنـو مـسـرعَـا تـسـبـقُ الـمـدى أقـدامـي
قـد رسـا زورقٌ تـحـمّـل بـالـدفء وحـضـنُ يـلمّـنـا كـالـحـمـامِ
واحتضنا الربيعَ يملأ دنيانا شذى يـــذيـــب وهـــج الـــضـــرام
وأتيناه ينثر الحبَّ فينا فانتشينا عـــلى صـــدى الاَنـــغـــامِ

—

مـن جـديـدٍ ارى الـعـراَق فـتـيّـاً ... يـتـحـدّى قـسـاوةَ الأعـوامِ
فـيـه مـن تـربـةِ الـغـريِّ بـقـايـا ... ومـن الـطـفّ روعـة الإقـدامِ
قـدْ تـهـاوى الـقـصـيُـد بـيـنَ يـديـه ... وهـو فـيـنـا شـمـوخُـه لـلأمـامِ
خـجـلت أحـرفـي وروحـيَ ذابـت ... فـي دواتـي لـتـرتـوي أقـلامـي
وشـمـوعـي وإنّ تـضـاءل فـيـهـا ... الـضـوُء قـد مـزّقـت سـتـارَ الـظـلامِ
لابـن (بـحـر الـعِـلوم) جـئـت أغـنـي ... فـعـلـيـه تـحـيـتـي وسـلامـي
هـمّـه والـعـراقُ حـلّا بـروحٍ ... تـتـشـظّـى نـدى مـع الأنـسـامِ
فـهـو يـبـكـي لـه ويـزرع مـا بـيـنَ ... الـفـراتـيـنِ بـسـمـةً لـلوئـامِ
فـسـلامٌ عـلـى جـهـادٍ طـويـلِ ... وسـلامٌ لـبـدئـه والـخـتـامِ

وقبل سبع سنوات وفي تاريخ ٢٠٠٨م من شهر رمضان المبارك حيث كنت في دولة الكويت لالقاء المحاضرات بالشهر الكريم زار الكويت سماحة السيد بحر العلوم على عادته السنوية ليحل ضيفا عزيزا على الحكومة والشعب بكل اطيافه سنّة وشيعة لتعطي عمامته الجميلة وبسمته المعهودة نظرة اهل البيت عليهم السلام للتلاحم والاخوة والمحبة، وليعكس صورة مشرقة من اخلاق النجف الاشرف بمرجعيتها الرشيدة وحوزتها العامرة اننا يد واحدة وصف اسلامي واحد. التقيته بديوان ال معرفي وزرته في قصر بيان فقال لي انا والوفد المرافق مدعوون غدا على مائدة الافطار عند الوجيه الاستاذ عبد العزيز البابطين صاحب مؤسسة البابطين الثقافية الكبيرة والاديب المعروف باهتماماته الادبية فارغب ان تكون معنا وتسعدني اكثر لو تشنف اسماعنا بابيات شعرية، وفعلا ذهبنا بمعية سماحته بموكب حافل ضم عددا من السادة والاخوة الاعزاء فاستقبلنا بحفاوة وجلسنا على مائدة الافطار نتبادل الاحاديث الودية والشعر بكل الوانه القريض والشعبي والنبطي ثم التفت السيد لي وقال هات ما عندك فتوجهت الانظار لي فقلت:

فـيـا بـشـرايَ فـي دنـيـا ودينِ ... بـإنـي فـي رحـابِ (الـبـابـطـيـنِ)
وفـخـراً بـالـكـويـتِ أرى وجـوهـاً ... يـعـانـقـهـا نـسـيـمُ الـرافـديـنِ

فذا (عبد العزيز) و(بحر علمٍ) على دعواي أكبر شاهدينِ
تناغينا على بعدٍ فلمّا تقاربنا اعتنقنا مّرتينِ
سلامُ اللّه يا أدباً تسامى كأن به شعاعَ الفرقدينِ
عشقنا فيه ألواناً تلاقت فكانت شمسُنا بالخافقينِ
هنا وجه الثقافةِ شعّ حسناً تغازله اشتياقاً كلُّ عينِ

وفي سنة ٢٠٠٩م اشتد عند سيدنا الفقيد الم في ركبتيه تطور لاجراء عملية له فقصدت داره في النجف الاشرف حي الحنانة لزيارته وجلسنا في حديقة الدار الجميلة حيث تميز الفقيد بذوقه العالي وكان معنا اخي المرحوم السيد حسن بحر العلوم والسيد جعفر الحكيم والسيد محمد علي والسيد كاظم بحر العلوم وكنت قد نظمت قصيدة بالمناسبة لملهم الشعراء احساسهم وبعد الاطمئنان على صحته بدات بقراءتها فاستوى جالسا ونسي الامه ليستمع لمعشوقه الشعر فقلت:

على كفّيكَ تورقُ وردتانِ قوافي شعرنا والرافدانِ
سقيتَهما بقلبٍ منك عَذباً وقلبُك سيدي نبعُ الحنانِ
وأنتَ على الشفاهِ نشيُد حبٍّ يُرّدد بيننا مثل الاذانِ
ومسّ الشمسَ وجدٌ حينَ قالوا بأنّ البحرَ من ألمٍ يُعاني
وهل يلوي جمالَ الصبحِ جرحٌ مداه الخصبُ يرفلُ بالمعاني
أسرتَ قلوَبنا فلربَّ يومٍ به نلقاكَ يخلُد في الزمانِ
أعيذك والخيولُ لها صهيلٌ وكفُك ليسَ تمسكُ بالعنانِ
ألستَ فتى العراق وقدْ تناست دموعَ الحزنِ منه المقلتانِ
ولملمَ جرحَه بلدي المدمى وعاد إليه بعضُ العنفوانِ
وعادت أرضنا يبساً لنمشي عليها حيث تحضُنُنا اليدانِ
ووجهُ النخلِ يشمخُ من جديدٍ وينزُع عنه أرديةَ الهوانِ
كفاني أن احاكي النجمَ فخراً فأرضي والكواكبُ توأمانِ
كأنّك والسنيُن تمرّ عجلى فتى تشتاُقه كلُّ الحسانِ

وفـي خـدّيـكَ يـنـدى الـوُرد قـلّ لـي أفـــي خـــدّيـــكَ مـــاُء الأرجـــوان
وانّــك فـــي الـــعـــراقِ شـــمـــوخُ عـــزٍّ لأنّـــك والـــعـــراق مـــنـــارتـــانِ

والذكريات كثيرة حاشدة اكتفي منها بما ذكرت خشية ان اثقل على القارئ الكريم وانا اليوم استعيدها واقراها واكتبها بلوعة والم لفراق هكذا انسان كنا نحظى بلقياه فنعيش اجمل اللحظات، يدنينا له ويقربنا لقلبه، ويستمع لنا بمحبة، ويلّبي دعواتنا ونهابه مهابة الاب والعالم والشموخ الكبير، وحينما نلتف حوله نشعر باننا في النجف الاشرف، ولكنه القدر الذي امنا به فيرن التلفون في سمعي ليخبرني صديقي العزيز ولده المفجوع السيد محمد علي ان صاحب القلب الكبير نقل الى المستشفى وهو في لحظاته الاخيرة فاسرعت الخطى اليه لعلي اسمع منه كلمة الوداع واقبله قبلة الرحيل بلا تلاق، وما ان وصلت حتى رايت الدموع تنهمر من المحبين فعلمت ان الطود قد انهدم ورياح الموت قد عصفت بالجبل، والوجه الجميل قد فارقنا والاب الذي كان يجمعنا قد رحل عنا فبكيت حسرة واسفا مؤمنا بقضاء الله تعالى وقدره واخر ما املك من قول لقد خسرناه وخسره العراق وارخت وفاته بدموعي قبل مدادي فقلت:

هـاتـفُ الـحـزنِ بـالـمـصـيـبـةِ ردّدْ والـغـريُّ ارتـدى الـحـداَد وأنـشـدْ
يـا أخـا الـمـجـدِ لـن تـمـوت وأرَخ [سـوف تـبـقـى مـخـلّداً يـا (مـحـمّـدْ)]

١٤٣٦هـ

والحمد لله رب العالمين.

السيد الكبير

الدكتور جابر الجابري (ابو مدين)

قليلون جدا هم الافذاذ الذين عبروا هذه الدنيا الى مثواهم الاخير بعد ان غرسوا في كل موضوعة وطأته اقدامهم غرسا من الذكريات والبصمات والشواهد الحية، واقل منهم من صنعوا خلودهم بأيدهم قبل ان يرحلوا عن ذاكرة الحياة، والسيد الكبير، محمد بحر العلوم، كان واحدا من السلسلة الذهبية التي وضعتنا جمعيا امام خلودها ومثولها وحضورها في حدقات عيوننا وخفقات قلوبنا نتمثلها ونستحضرها ونستشهد بها كل ماخفق العراق او نطق او صمت حزنا وفرحا، كنت واحدا من مريديه ومحبيه وتلامذته في الادب والخلق والايمان بالوطن، وكان ينظر الي بعطف الابوة ورعايتها ودفئها وحنوها، فشدني اليه اكثر فاكثر، سمعته ورايته وقرأته، أنصت الية خاشعا، وهو يرتل ايات العراق بين شفتيه وكان يتوسع الى درجة التي لاحدود لها في استعياب الغربة على محياه، والدمعة الخفية لاتلوح بين جفونه حتى لو اغرورقت عيناه بالدمع لان ابتسامته وظرافته وسعادته يمنحنها للاخرين ويترك لنفسه البقايا من اللوعة والالم، استفاق قبل ان يصحوا الجميع على خطورة البعث بوصوله للسلطة عام ١٩٦٨ واستنفر مايملك من وسائل القوة لمنع الانقلاب البعثي من الاستحكام، فتتمترس بالمرجعية الدينية العليا المتمثلة انذاك بالامام الحكيم، واطلق النار بتجاه الانقلاب، من خلال كلماته وخطبه ولقاءاته واجتماعاته التي كان يعقدها مع أصحاب الشأن في الحوزة والمجتمع العراقي، وهذا ماجعل سلطة الانقلاب ترد النار علية بفوهاتها المشتعلة حقداً وكراهية للنجف واهلها ومرجعيتها وقيادتها الاجتماعية وكان هذا اول الغيث في المواجهة بين سلطة الانقلاب البعثي ورجالات النجف وعمدائها، وكان السيد بحر العلوم في

الخطوط الامامية انذاك لم تكن اعمارنا تليق بمجالسته والحضور الى جانبه وبين يديه كنا فتيانا صغارا نسمع من احاديث بيوتنا المسائية ان السيد مهدي الحكيم والسيد محمد بحر العلوم مطلوبان لامن السلطة، منذ ذلك الوقت رافقنا هذا الاسم وعشنا على الاصداء التي يتركها في دوائر الهمس النجفي، انه غادر العراق ولا نعرف الوجهة التي قصدها.

بعدما شببنا عن الطوق، ولاحقتنا عيون السلطة وحاصرتنا في ميادين حياتنا لتفرض علينا شروط العيش في دولة البعث، أحسسنا اننا في دولة المنظمة السرية، وان الخناق يضيق على انفاسنا وحريتنا وحتى على طريقة تفكيرنا، فحاولنا ان نواجه بما تيسر لنا من اساليب المواجهة والتحدي والعناد أمام املاءات الاتحاد الوطني في الثانوية والجامعة واعضاء المنظمة الحزبية واجهزة الامن التي لاعدد لها حتى ألقيت القبض علينا لاكثر من مرة، ورأينا في أبنية التعذيب مالم يخطر ببال بشر، انضممنا حينها الى قافلة بحر العلوم، وقائمته التي ازدادت أرقامها يوما بعد يوم وعاما بعد عام لتشمل العراقيين بكل فئاتهم وطوائفهم وأسمائهم وألوانهم فاجتمعنا به طهران عام ١٩٨٥ يوم التأم شمل المعارضة، وعقدت أول اجتماعاتها الموسعة، ووفقت انا امام رجالاتها لأنشد قصيدتي:

نريده عناقْ.. تلتصق الأضلاعُ بالأضلاعْ.. والقلب على القلب إلى الخناقْ

نريده عناقْ.. يلهبُ من لسانِ بندقيةٍ مريرةِ المذاقْ

نريده عناقْ.. تلتحم الفوهاتُ في الخنادقْ

بفوهةٍ واحدةٍ تصرخ للعراقْ

نكفر بالصراخ والزعاقْ.. نكفرُ بالضجيج والأوراقْ

لأننا نؤمن في كفّ على زنادِ بندقيةْ.. حتى ولو لم تحسن الإطلاقْ

نهض السيد بحر العلوم، واحتضنني وضمني إلى صدره، احسست حينها إنني قلت ما يريده هو، كما أريده أنا، في وقت ضجت القاعة بالهتاف

والأهازيج، كانت هذه المرة الأولى التي أعانق فيها بحر العلوم، قال لي كلمات سريعة وعديدة تكررت فيها مفردة العراق اكثر من غيرها، احسست ان هذا البلد داخل في جوفه يختلط باحشائه، إنتزعت القصيدة ضميره المستتر ولوّحت به في الفضاء، فانطلق العراق على صفحات وجهه وطيات لسانه.

بعدها تعددت اللقاءات وتنوعت وتوزعت على مساحات المنفى الشاسع الذي لفت الكرة الارضية بكاملها، إذ لا تكاد تجد أرضاً لم تمر بها قدم عراقية، لكننا نرابط في الميدان، او نحوم حول الحمى، لم نبتعد عن السواتر والخنادق، واذا استحقت منا أجسامنا استراحة المحارب لذنا بالمدن القريبة من حدود العراق، نستنشق عبيره القادم مع الريح، ونترقب الاخبار والانباء، نحللها وندرسها ونناقشها ونضع لها كل الاحتمالات وكان اللقاء الأهم بالسيد الكبير، في ثورة شعبان (انتفاضة آذار) التي قربت الطاغية من مزبلة التاريخ، وكانت الملايين المنفيين قسرا وطوعا يشدون رحال العودة إلى الوطن لاح بينهم وجه بحر العلوم، يتهلل فرحا وشوقا، ويتقاطر جبينه ضوءا لفجر جديد يجتاح العراق وشعبه، وقرأنا في ملامحه وملامح الانتفاضة ذات العناوين المشتركة، إلا ان الفرحة لم تدم طويلا، فقد انتكست الثورة وانكسرت الانتفاضة وعادت دوامة الموت إلى الشوارع والأزقة والبيوت الآمنة الوداعة، فاجتاحت الدبابات والمدرعات وقطعات الحرس الجمهوري والقوات الخاصة والأجهزة الأمنية مدن الانتفاضة والثورة، واستباحتها وفتكت بأبريائها وعزلها تحت شعار " لا شيعة بعد اليوم " ودكت صواريخ سكود الأضرحة المقدسة في كربلاء والنجف وانهار معها الامل بعد تواتر الأنباء عن الموت والقتل والسجن والدفن احياء في مقابر جماعية، لا فرق بين طفل وشيخ وامرأة ورجل، تحولت البيوت إلى مقابر والشوارع الى حقل للجثث الممزقة كانت أسرة (آل بحر العلوم) تفقد العشرات من كبارها وعلمائها ورجالاتها ونسائها وتعاقبت الأخبار على مسمع السيد الكبير، لكن تسليمه لربه كان اكبر من الفاجعة لملم حزنه وانطلق مع اطياف المعارضة الواسعة الى ميادين الفعل والعمل، فالتأم الشمل

والتقت الارادات، وانعقدت حلقات الرد، فكان المؤتمر الوطني العراقي في صلاح الدين، ليكون السيد الكبير على راس المؤتمر الموسع في شمال العراق، يمسح الاحباط والياس والقنوط عن وجوه القيادات والقواعد، ويقابل الاعلام برسالة مفتوحة الى ابناء وطنه في الداخل، كان يقيم في لندن لكنه قرر مواجهة الطاغية من الداخل من على تراب العراق وبين اهله، كانت عمته السوداء تضئ المكان ولسانه العذب يزرع الامل فلا خيبة مع العمل ولاباس مع النضال والكفاح، انفض المؤتمر بتشكيل الهيئات وفرق العمل، وكان السيد الكبير على راس الوفود التي تطوف العالم حتى وصل البيت الأمريكي، وطرق ابوابه بعنف، بذات القسوة التي جلد بها الطاغية ظهور العراقين تحت المظلة الامريكية بعد ان تخلت عن الشعب وانضمت للسلطة، لتمدد من عمرها وتوسع من اجرامها، قال في امريكا للمعنيين: ان عمتي السوداء هذه انظف من ايديكم وقلوبكم واذا لم تقبلوا بها ستأتيكم ايام اشد سوادا ودموية ورعبا وعنفا وصدقت نبوءته فسقطت ابراج التجارة وتمزقت هيبة القطب الواحد بالوحل وتم استدراجه الى حروب لانهاية لها في الشرق الأوسط، كنت اقصده لالتقيه لا انتظر المواسم والمناسبات ولقاءات المعارضه، حيثما يكون احاول ان أكون، وهو يتفقدني اذا غبت عن عينه يسأل كل زائر وصديق ويبعث لي بتحياته العطرة، فاذا حضرت تدفقت علي منه الابوة والحنو والعناية الفائقة وسألني عن كل صغيرة وكبيرة في حياتي، واستعاد معي ايامه ولياليه في النجف التي لاتكاد تفارقه حتى في نومه، تحدث عن شعرها وادبها وفكاهاتها وحميمية الصداقات التي لاتغيب عن باله ثم ينهمر بشعره اللذيذ وقصائده الناعمه وحين رحل رفيق عمره السيد مصطفى جمال الدين، انهار ركن من اركانه ودعامة من دعامته، احس بالفراغ والوحشة، فشارك في كل عزاء عقد له وكل مجلس ورد فيه ذكره، واقام له مأتما حاشدا في مؤسسته بلندن حضرها اقطاب السياسة والاجتماع والادب، وتنادوا على رثاء جمال الدين وتعزية بحر العلوم، كنت من اوائل المدعوين لحضور حفلة التأبين، فانشدت امام الحشد المهيب:

منذُ ألفٍ ونحنُ نمسخُ وجهَ الصبحِ ... ليلًا ليختفي الجلادُ
كلَّ آمالنا نعيشُ وبعضُ العيش ... موتٌ وبعضُه أصفادُ
ننطق الضادَ في الضبابِ فتُدني ... سدرةَ المنتهى إلينا الضادُ
ويرى جمعَنا الجميعُ جميعاً ... حين نزرى كأننا آحادُ
فعلى الخصم يقطرُ العفوَ منٌّ ... وعلى بعضِنا غلاظٌ شدادُ

بعدها تعددت اللقاءات والفعاليات والزيارات التي تشرفت بها بلقائه ورؤيته في لندن ودمشق وبيروت ونيويورك وطهران، واخيرا جمعنا مؤتمر المعارضة الاخير في لندن عام ٢٠٠٢، لنبدأ رحلة العودة الى الوطن بعد اسقاط الطاغية ونظامه الدموي، وكان السيد الكبير اول الوافدين الى دياره سبق الجميع بالوصول الى النجف يقبل ذا الجدار ويترامى على اعتاب حضرة جده امير المؤمنين ثم يختار العاصمة لمواصلة دربه في تشكيل مجلس الحكم، وترشيح الشخصيات المناسبة لمنصب الدولة الجديدة، فتم اختياري من قبله، وتأييد د. احمد الجلبي والمجلس الاعلى وبقية اعضاء مجلس الحكم بالاجماع وكيلا لوزارة الثقافة قائلا لي ان الوكيل باق والوزير زائل، انت اصبحت ذا منصب ثابت وكبير في الدولة العراقية اريد منك ان تشد حيلك كان يعرفني جيدا، انني لا الهث وراء المناصب ولا ابحث عن المغانم لذلك قدمني على غيري ليقال فيها بعد ان اختياره كان صائبا في محله.

كانت الاجواء النفسية للعراقين تهدأ شيئا فشيأ بعد ماتذوقوا طعم الحرية والانعتاق من دكتاتورية الحزب الواحد والقائد الضرورة، تنفسوا الصعداء والتقى بعضهم ببعض وتعارف الاقارب على اقربائهم والعوائل على انسبائهم وائتلف شمل الاسرة العراقية الممزقة من الداخل والخارج، وكان السيد الكبير ممن يراقبون التحولات عن كثب ويشارك الناس افراحهم واتراحهم ويتألم لما يحدث في الساحة أحيانا من تحركات تفسد الأجواء، فيما كانت المرجعية العليا والقيادات الروحية والسياسية تعد اوراقها لمراحل بناء الدولة الدستوري واستكمال تأسيسها، كان السيد الكبير يتلوى من الألم على أمته التي انساقت

وراء الضجيج والفحيح، وكنت اراقب وجه الماضي يتلفع أحيانا بالخيبة والإحباط ذلك الوجه الذي طالعت فيه الامل والبهجة حتى في اشد الأيام تحديا وتصديا لنظام القتلة.

ترأس السيد الكبير مجلس الحكم والقى كلمة الافتتاح في جلسته الأولى، واستشهد خلالها ببيت شعري لي من قصيدة عاتبت فيها العرب والقيتها في لندن بحضوره وهو:

كنا لكم حطباً في كلِّ نازلةٍ فلا تكونوا لنا حمّالةَ الحطبِ

وعندما عاد الى مقعده سأله الرئيس مام جلال الطالباني لمن هذا البيت الجميل لم يرد على من قبل، فاجابه السيد انه لشاعر جاهلي قديم، فسكت الطالباني متأملًا بالجواب سألت السيد معاتباً مولاي اي شاعر جاهلي قديم، الم اقراه انا في حضرتك وهو لي ومن قصديتي ثم اين حمالة الحطب من الجاهلية، وضحك السيد الكبير ضحكة من اعماق قلبه، نمت عن طهارة لانظير لها، كان الرئيس مام جلال حافظا متذوقا وراويا للشعر ومتعلقا بأذيال الجواهري حتى صنف نفسه انه درويش الجواهري، لذلك لم يغفل عليه ان البيت ليس لشاعر جاهلي.

كان السيد الكبير متألفا في روحه الخفيفة الظل وابتسامته التي حفظناها عن ظهر قلب ونكته السريعة والحاضرة وكانت امتع الاوقات هي التي تقضيها في ظله وتحت رعايته لايشعرك انه اكبر منك ولا اعلى مقاما ولاارفع درجة هو قريب منك ومثلك تماما في مشاعرك وعواطفك، تشعر دائما انك اقرب الناس اليه حاضر معك في فرحك وحزنك وحضرتك وغربتك، يسد عليك الوحشة ويملؤك بالزهو والفرح والامل، لكنني على يقين انه ينطوي على براكين العراق وحمامات دمه ولوعاته وخفقاته... حين اقترب لقاءه بربه دعا محبيه ومريديه ورفاق دربه ليطلب منهم العفو والصفح ولا ادري اي ذنب اقترفه بحقهم او حق حتى الد خصومه، انه النقي حتى الصفاء والشهي حتى في غضبه وحنقه.. رافق العراق بكل نعيمه وجحيمه ووهبه من قلبه وروحه وجسده مايفوق غاية

الجود، وقدم النفيس من اهله واحبته، ليظل على وجه العراق يلوح كالوشم البهي متالقاً يفوح عطره ويتفصد مسكا رحمك الله يابا إبراهيم، وجعل روحك مع ارواح السعداء والشهداء من اهل بيتك.

العلامة الدكتور
السيد محمد بحر العلوم
(سنوات الجهاد والإبداع)

أ. د. إبراهيم العاتي

عميد الدراسات العليا

الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية (لندن)

عرفت سماحة العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم (طيب الله ثراه) منذ مطلع الصبا، نظرا للعلاقة الادبية التي ربطته مع والدي سماحة الشيخ عبد الزهراء العاتي (طاب ثراه)، كونهما قد انتميا الى جمعية الرابطة الادبية في النجف الاشرف منذ الاربعينيات، وان كان السيد بحر العلوم قد اخبرني مرة ان الشيخ قد انتمى الى الرابطة قبله وقبل السيد مصطفى جمال الدين ايضا.

وهناك مواقف مفصلية جمعتهما معا تعود الى اوائل الخمسينيات من القرن العشرين، وهي تسلط الضوء على مواقف النجف الاشرف الوطنية والقومية ونبذها للفتن المذهبية، وكنت اعرف عنها على سبيل الاجمال من الشيخ الوالد، حتى استمعت الى تفاصيلها في المحاضرة التي القاها السيد بحر العلوم في ديوان الكوفة في لندن عام ١٩٩٨عن (الرابطة الادبية.. صفحة مشرقة من تاريخ الحركة الادبية في النجف)، ونشرتها جريدة (المنبر) التي كان يصدرها في لندن العلامة السيد حسين الصدر، في الاعداد (٤٦، ٤٧) سنة ١٩٩٨.

كان احدها حينما عقد مؤتمر للمعلمين العرب في بغداد سنة ١٩٥٤، وقد جرت العادة ان تزور الوفود مدينة النجف ويقام لهم احتفال تكريمي يشارك فيه الشعراء والخطباء، وحينما ابدت الوفود المشاركة رغبتها بزيارة النجف لم توافق الحكومة على ذلك بحجة انهم سيتعرضون لاعتداء من اهالي النجف، لكن الحقيقة، كما يذكر السيد بحر العلوم، هو خشية السلطة في بغداد من ان تحتفل مدينة النجف بالوفود فتحدث تظاهرة ادبية ضد الحكومة، بسبب

توقيعها على معاهدة حلف بغداد، الذي كانت الحركة الوطنية في العراق تعتبره حلفا استعماريا موجها ضد طموحات الشعوب في الاستقلال والحرية. وازاء اصرار الوفود وافقت السلطة على زيارتهم لمدينة النجف، شريطة ان يقام الحفل التكريمي في الكوفة، ويمثل النجف فيه مشاركان من الجيل الثاني في الرابطة الادبية: احدهما بكلمة والاخر بقصيدة، وقد تم الاتفاق على ان يلقي الكلمة السيد محمد بحر العلوم اما القصيدة فسوف تكون من نظم والقاء الشيخ عبد الزهراء العاتي. وقد وجه السيد بحر العلوم نقدا لاذعا للحكومة لعدم سماحها لجمعية الرابطة الادبية باقامة الاحتفال التكريمي للوفد كما جرت العادة بالنسبة لجميع الوفود والشخصيات العربية والاسلامية التي تزور العراق. يقول السيدرحمه الله: (وكانت خلاصة كلمتي ان ابناء علي لا يمكن لهم ان يمدوا يدا لمن وقعوا معاهدة حلف بغداد، ولهذا يخشى حكام بغداد ان يسمعوا من النجف ما تضيق به صدورهم المريضة، ومهما حاول الحاقدون على النجف فستبقى مصدر الحرية والكرامة الوطنية. وبعد ان انهيت كلمتي تقدم المرحوم الشيخ عبد الزهراء العاتي والقى قصيدة رائعة قوبلت بالاستحسان والاستعادة والتصفيق، ومطلعها:

بدتِ الحياةُ بمسمعي ولساني ... وجرى الرجاءُ بساعدي وبناني
وتزاحمت قطعُ الظلام بناظري ... منثورةً كالنجمِ في اللمعانِ

الى ان يقول:

فعلى ضفافِ الرافدينِ تعانقتْ ... رسلُ الاخوّة والتقى الجمعانِ
وغدا العراق تشعّ من جنباته ... سمةُ الولاءِ وبسمةُ الايمانِ
وفدت عليه من العروبةِ عصبةٌ ... جمعت لواءَ العلمِ والعرفانِ

وانتقل الشاعر ليبين موقف النجف الحقيقي نحو اخوانه، فقال:

رسلَ الثقافةِ والاخاءِ تحيةً ... هيَ كالنسيمِ يهبّ في نيسانِ
خطرتْ على زهرِ الربى فتعطّرتْ ... ببدائعِ الازهارِ والريحانِ
وسرتْ من النجفِ الشريفِ عواطفٌ ... كعواطفِ الاخوانِ للاخوانِ

بـلدُ (الامـام) وطـالـمـا وفـدت لـه صِـيـدُ الـمـلوكِ وحـامـلو الـتـيـجـانِ
وفـطـاحـل الـعـلـمـاء تـنـزلَ ارضَـه شـغـفـاً بـنـهـجِ بـلاغـةِ الـقـرآنِ
بـلدٌ يـضـمُّ مـن الـعـروبـةِ فـخـرَهـا ومـنَ الـرجـالِ صـواعـقُ الأقـرانِ
فـكـرٌ يـفـيـضُ وأنـفـسٌ عـربـيـةٌ وشـجـاعـةٌ عـصـفـت بـكـلِّ جـبـانِ

ثم يستسرل الشاعر في وصف مشاعرالانسان النجفي نحو اخوته العرب فيقول:

يـا قـومُ مـا احـلى الـتـزاورَ إنّـه دعـةُ الـمـشـوقِ وصـحـوةُ الـنـشـوانِ
يـا قـومُ نـحـن كـمـا تـرون كـأخـوةٍ فـي اللّه بـيـن مـفـرِّق الاخـوانِ
لـعـبَ الـزمـانُ بـنـا فـردّوا كـيـدَه يـا قـومُ مـنْ حـسـدٍ ومـنْ أضـغـانِ
ودعوا النفوسَ تفيضُ من حسناتِها مـن كـلَّ اصـيـد فـي الـنـهـى غـيـرانِ
وصِلوا البلادَ قريبَها ببعيدِها تـصـلـوا الـمـرامَ بـوحـدةٍ وتـفـانِ
((لـتـزفّ مـصـرُ إلـى الـعـراق ودادَهـا ولـيـرفـقِ الـسـوريُّ بـالـلبـنـانـي))

وتستمر القصيدة على هذا النفس الوطني القومي الوحدوي....وما ان انتهى الشاعر من القاء قصيدته حتى ضج الحفل بالاستحسان، خاصة من قبل الضيوف الذين لمسوا فيها الروح العربية الصادقة والمشاعر الاخوية الاصيلة. وختم الحفل الدكتور محمد سعيد العريان رئيس الوفد المصري ورئيس المؤتمر، فحيا الذين احتفو بهم وخاصة الرابطة الادبية بعضويها المشاركين في حفل التكريم على حسن مشاعرهما العربية، ثم قال: تفهمنا الان لماذا لا ترغب السلطة العراقية ان نزور النجف، وتؤكد لنا خشيتها علينا من طائفية النجفيين!! اود ان استفسرمن المسؤولين اهذه الروح الاخوية التي لمسناها من هؤلاء هي الطائفية التي يشير اليها حكام بغداد؟! وختم حديثه بقوله: سلام والف سلام على السنتكم المحجوزة يا ادباء الرابطة، ويا ابناء علي، وتحية اكبار وتقدير للنجف العربية).

ويشير السيد بحر العلوم في محاضرته تلك الى مواقف اخرى جمعتهما معا، مثل مشاركتهما معا في مؤتمر الادباء العرب في الكويت سنة ١٩٥٨، وقد

حصل توتر كبير في ذلك المؤتمر بسبب هيمنة التيار اليساري على الوفد العراقي، وما اثارته محاضرة الدكتور صلاح خالص من جدل ونقاش حاد، ولكن وجود اثنين من شعراء النجف وهما من رجال الدين في الوقت نفسه، قد خفف من الاحتقان الذي حصل، وخاصة بين الوفدين العراقي والمصري. ويشير كذلك الى ندوة اقيمت في جمعية الرابطة عام ١٩٥٩ لنصرة الثورة الجزائرية خصصت للمناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد، وقد القى السيد بحر العلوم قصيدة عن جميلة من الشعر الحر بينما كانت قصيدة الشيخ العاتي من الشعر العمودي، وقد اعود الى هذا الموضوع فيما بعد. وللشيخ العاتي قصائد اخرى عن الثورة الجزائرية نشرها الكاتب والدبلوماسي الجزائري عثمان سعدي في كتابه (الثورة الجزائرية في الشعر العراقي) المطبوع في الجزائر عام ١٩٨٥ عن المؤسسة الوطنية للكتاب، والذي اقتنيته اثناء وجودي في الجزائر خلال الثمانينيات، استاذا في جامعة قسنطينة في الجزائر. وانا ادعو المغرر بهم من الارهابيين الجزائريين الذين ياتون الى العراق ليقوموا بعمليات انتحارية ضد المدنيين العراقيين تحت دعاوى طائفية، الى قراءة هذاالكتاب، ليتعرفوا على ما بذله شيعة العراق من دعم غير محدود للثورة الجزائرية وجهاد المغرب العربي، يوم كان العراق مركزا لحلف بغداد وكان الوقوف مع الثورة الجزائرية يعني الصدام مع النظام الملكي الحاكم، وتحمل الاثمان السياسية الباهضة، دون ان يسال مناصروا ثورة الجزائر وغيرها من ثورات الشعوب العربية في فلسطين ومصر وغيرها عن الهوية المذهبية لهذه البلدان!

ولكن تبقى الامسية الشعرية التي حضرتها عام ١٩٦٦ بصحبة الشيخ الوالد من اجمل ما اقامته الرابطة من اماسي، وقد ادارها السيد بحر العلوم، وشارك فيها اعلام الشعر العراقي النجفي من الجيل الاول كالاستاذ صالح الجعفري والسيد محمود الحبوبي والشيخ عبد المنعم الفرطوسي ومن الجيل الثاني كالسيد مصطفى جمال الدين والدكتور صالح الظالمي والاستاذ صادق القاموسي والشيخ العاتي الذي القى قصيدة مطلعها:

قالوا وقولهمُ في النفس يرتسمُ نعمَ الحياةُ حياةٌ خطّها القلمُ

كما القى قصيدة عن مدينة (زحلة)، وكان عائدا لتوه من لبنان، ومطلعها:

ومليح رمتُ وصْلَه ما رأت عيناي مثلَه

قال لي إنْ رمتَ وصلًا موعدُ العشاقِ (زحلَه)!

غير ان هذه الاجواء الثقافية المتفتحة لم تدم طويلا. اذ حصل انقلاب ١٧ تموز المشؤوم عام ١٩٦٨، وعاد البعثيون الفاشست الحكم بعد ما عانى منهم الشعب العراقي الامرّين خلال الشهور العشرة التي قضوها في الحكم سنة ١٩٦٣، مما اجهض الكثير من المشاريع الثقافية والعلمية الاصلاحية التي تاسست بجهود ومباركة المرجعية الدينية في النجف الاشرف، لان الانقلابيين كان هدفهم استئصال كل المشروعات الخيرة التي هي خارج قبضتهم الاجرامية، كبيرة كانت تلك المشاريع ام صغيرة! وهكذا قاموا بحرب مفتوحة ضد كل من يساهم، من قريب او بعيد، في تلك المشاريع، وبما ان السيد بحر العلوم كان من اعلام تلك المرحلة وممن تعتمد عليهم المرجعية في ايصال صوتها الى الدولة والى العالم فقد صوّب البعثيون سهامهم عليه، واوذي وحكم عليه بالاعدام، لكنه غادر العراق دون ان يتمكنوا منه واستقر اخيرا في دولة الكويت.

وتمر السنين، وبعد ان حصلتُ على البكالوريوس من جامعة دمشق، غادرتُ الى القاهرة في اواخر عام ١٩٧٥، وهناك دعاني صديقي القديم الاخ المهندس رضوان مهدي العبود ـ رحمه الله ـ الى بيته، وكانت المفاجاة ان التقي هناك العلامة السيد بحر العلوم، الذي كان يحضر لاطروحة الدكتوراه في كلية دار العلوم في جامعة القاهرة، وكان جالسا معه الشاعر الدكتور صالح الظالمي. وكانت القاهرة يومذاك تزخر بالكثير من اعلام الثقافة العراقية من دارسين او عاملين او زائرين او مقيمين، كالاستاذ احمد الحبوبي والدكتور السيد طالب الرفاعي والدكتور الشيخ احمد الوائلي والشاعرة نازك الملائكة وزوجها الدكتور عبد الهادي محبوبة والاستاذ قاسم الخطاط والدكتور عبد الرزاق محي الدين،

والعلامة السيد محمد تقي الحكيم والعلامة الشهيد الدكتور السيد عبد الهادي نجل الامام السيد محسن الحكيم (قدس سره) وغيرهم. وكان لهذا الوجود ثراء ثقافي افدنا منه كثيرا، كما انه خفف من احساسنا بالغربة الذي كان قويا جدا ونحن في مقتبل العمر.

في هذه الفترة تعرفت عن قرب على استاذنا الراحل السيد بحر العلوم، فازددت معرفة بتكوينه العلمي الذي جمع فيه بين الدراسة الحوزوية والدراسة الاكاديمية: الاولى جاءت من دراسته في الحوزة العلمية العريقة في النجف الاشرف، لاسيما وهوسليل اسرة علمية عريقة ترجع الى جدهم السيد مهدي الطباطبائي الملقب بـ(بحر العلوم) مجدد الحوزة العلمية في النجف منذ بداية القرن التاسع عشر، والثانية حصلها من دراسته في كلية الفقه التي اسسها العلامة المجدد الشيخ محمد رضا المظفر (رضوان الله عليه) في خمسينيات القرن الماضي. كانت رسالته للماجستير عن (الاجتهاد)، وتعد من ادق ما كتب من ابحاث في هذا الموضوع، وزاد عليها انه اتبع منهجا مقارنا شمل مختلف مذاهب الفقه الاسلامي ولم يقتصر على مذهب بعينه. اما اطروحة الدكتوراه فكانت عن (عيوب الارادة في الشريعة الاسلامية)، وقد اتبع فيها المنهج نفسه، لكنه لم يكتف بالمقارنة مع المذاهب الاسلامية المختلفة ولكنه قارن ايضا مع القانون الوضعي، فجاءت اطروحته غنية في موضوعاتها ومتميزة في استنتاجاتها. وقد حضرت مناقشتها في كلية دارالعلوم (جامعة القاهرة) عام ١٩٨٠ مع جمع من اصدقاء السيد واقاربه ومحبيه.

والامر الذي لاحظته ان السيد ـ رحمه الله ـ رغم مكانته العلمية فانه كان يتعامل مع بحثه كاي طالب علم جاد، يراجع ويدقق ويحقق ويستفسر، ولا يتكيء على منزلته العلمية السابقة اوالحالية، او مكانته الاسرية او الدينية، وتلك صفات العالم الحق التي يعز وجودها هذه الايام!! كما كان قارئا جيدا لما يهدى له او ما يقتنيه، واذكر انني اهديته كتابي عن الشاعر الكبير احمد الصافي النجفي، وكان السيد قد دخل المستشفى في لندن لاجراء بعض الفحوصات،

واذا به يتصل بي بعد ايام هاتفيا ليهنئني على الكتاب الذي قرا فصلين طويلين منه في المستشفى وليقول لي بالحرف: لقد انصفت هذا الشاعر المظلوم واهنئك على هذه الدراسة.

بعد ان انتهى السيد من مناقشة الدكتوراه غادرنا ليستقر في لندن مع العلامة الشهيد السيد مهدي الحكيم ـ رض ـ وليؤسسا معا مركز اهل البيت الاسلامي في لندن، لكن مراسلاتي ولقاءاتي معه لم تنقطع، ثم غادرت مصر بعد حصولي على درجة الدكتوراه في الفلسفة الاسلامية حيث عملت استاذا في جامعة قسنطينة في الجزائر وجامعة ناصر في ليبيا، ثم رحلت الى لندن عام ١٩٩٢ للعمل في الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية بعد ان وصلتني دعوة كريمة من مؤسسها الدكتور المهندس السيد محمد علي الشهرستاني ـ رحمه الله ـ لتتعزز العلاقة بشكل اكبر مع سماحة السيد بحر العلوم، خاصة وانه كان من اعضاء الهيئة التاسيسية للجامعة، وكان له نشاط مشترك مع الدكتور الشهرستاني، سواء كان في مهرجان الغدير الدولي في لندن عام ١٩٩٠ او ما تلاه من نشاطات ثقافية وسياسية ابان الانتفاضة الشعبانية وتدمير طاغية العراق وقواته المهزومة في الكويت للمدن العراقية الثائرة، وبخاصة العتبات المقدسة في النجف وكربلاء، وارتكابه لمجازر جماعية وجرائم ابادة هي التي عجلت بسقوطه المدوي بعد سنوات.

والحديث عن استاذنا سماحة الدكتور السيد محمد بحر العلوم متعدد الجوانب ومتشعب الفروع والمسارات. فهو الفقيه المجدد الذي دعم مشروع العلامة المجتهد الشيخ محمد رضا المظفر (طاب ثراه)، والذي اسس جمعية منتدى النشر ثم كلية الفقه وكان يهدف الى تطوير مناهج الدراسة الحوزوية لتكون مماثلة لمناهج الدراسة الجامعية مع المحافظة على المتون الفقهية والأصولية التي كانت تدرس في الحوزة العلمية، لأن المناهج هي وسائل تتغير بتغير الظروف والأزمنة، وليست غايات في ذاتها. وقد ساند في هذا المشروع عدد من كبار الفقهاء والعلماء المخلصين الذين استشعروا الخطر المحدق

بالأجيال الجديدة التي بهرتها الطرق الحديثة التي تدرس بها العلوم المختلفة في الجامعات، وما يرافقها من مخاطر فكرية وعقدية بدات تلوح في الافق بل تظهر في الواقع، ولكن عارضه عدد لا يستهان به من العلماء الذين يميلون الى ابقاء القديم على قدمه ويخشون من التغيير والتجديد والتطوير، وحدث صراع انقسمت فيه الحوزة والراي العام. وكان الجيل الشاب من الحوزويين كالسيد محمد بحر العلوم والشيخ احمد الوائلي والسيد مصطفى جمال الدين والشيخ عبد الهادي الفضلي والشيخ محمد مهدي الآصفي وغيرهم في صف استاذهم الشيخ المظفر، الذي اثبت صحة ما كان ينادي به من تطوير منهجي صار اليوم في عداد المسلمات. وقد حدثني سماحة السيد ان اكثر المشكلات التي واجهها الشيخ المظفر والمؤمنين بدعوته الاصلاحية حصلت بعد تاسيسه كلية الخطابة، حيث تخوف عدد من الخطباء ذوي التعليم البسيط من فكرة ان تكون للخطيب مناهج دراسية يجب ان يتعلمها ويؤدي فيها امتحانات قد لا يجتازها بنجاح، فشنوا حملة شعواء على الشيخ ومشروعه بشكل عام، وشحنوا عليه العامة باقاويل ما انزل الله بها من سلطان، مما اضطر الشيخ الى اغلاق كلية الخطابة، لكن بقيت كلية الفقه وجمعية منتدى النشر تزاولان عملهما الى ان اغلقهما النظام المقبور. وقد خسر المنبر الحسيني مشروعا نبيلا لوقيض له البقاء لساهم مساهمة جوهرية في تطويره.

والسيد ايضا اديب وشاعر كما اسلفنا، وينحو منحى التجديد. وحينما بدا كل من نازك الملائكة وبدر شاكر السياب موجة ما سمي بالشعر الحر(او)شعر التفعيلة عارضهم جل الشعراء الكلاسيكيين الذين يلتزمون بالشعر العمودي وبحور الخليل، وكانت مدرسة النجف الأدبية محافظة على هذه الثوابت. ولذا كان من الجراة بمكان ان يكتب شاعر ورجل دين من قلب الحوزة العلمية قصائد من الشعر الحر وكان ذلك هو السيد محمد بحر العلوم، لكنه ترك هذه الطريقة فيما بعد، فأكثر قصائده التي استمعت اليها في العقود الأخيرة كانت من الشعر العمودي.

اما في السياسة فقد كان السيد من مدرسة الوسطية والاعتدال، وقد استطاع خلال وجوده في لندن ان يجمع كافة اطياف المعارضة العراقية على الثوابت المشتركة فيما بينها، بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية والايديولوجية.

واخيرا لابد لي ان اشير الى ان السيد قد ساهم في الجهود الاكاديمية للجامعة العالمية للعلوم الاسلامية، فاشرف على بعض طلبة الدراسات العليا، وناقش بعضهم الاخر. كما ساهم في الندوات والمؤتمرات البحثية التي اقامها قسم الدراسات والبحوث في الجامعة الذي كنت اشرف عليه، ومنها (ندوة الحضارة الانسانية بين التصور الديني والنظريات الوضعية) والتي عقدناها بالتعاون مع جامعة SOAS، وكانت مشاركته ببحث مهم عن (الاسلام والتغيير الاجتماعي). واخر مشاركة علمية لي مع سماحة السيد كانت في المؤتمر الذي عقد بالتعاون مع جامعة الكوفة عام ٢٠١٠م عن المصلح المجدد العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني (رضوان الله عليه)، حيث اذ ادرنا احدى جلساته سوية. وفي اواخر العام الماضي مررت عليه في ديوانه في النجف الاشرف لاعزيه بوفاة ابن اخيه العالم الجليل والصديق العزيز السيد حسن السيد عز الدين بحر العلوم (طاب ثراه)، ولم اك اعلم ان هذا سيكون اللقاء الاخير، اذ سيرحل عنا استاذنا الواسع الصدر والطيب القلب والمتفتح الفكر العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم بعده بشهور!

رحمك الله ياسيدي ابا ابراهيم، وانزلك منازل الشهداء والصديقين، في مقعد صدق عند مليك مقتدر. واذا كنت قد رحلت ببدنك فان ذكراك باقية في حبات قلوبنا، نستاف من معينها حلاوة العلم وكنوز المعرفة والخُلُق الرفيع، لتلهمنا الصبر في زمننا المجدب!!

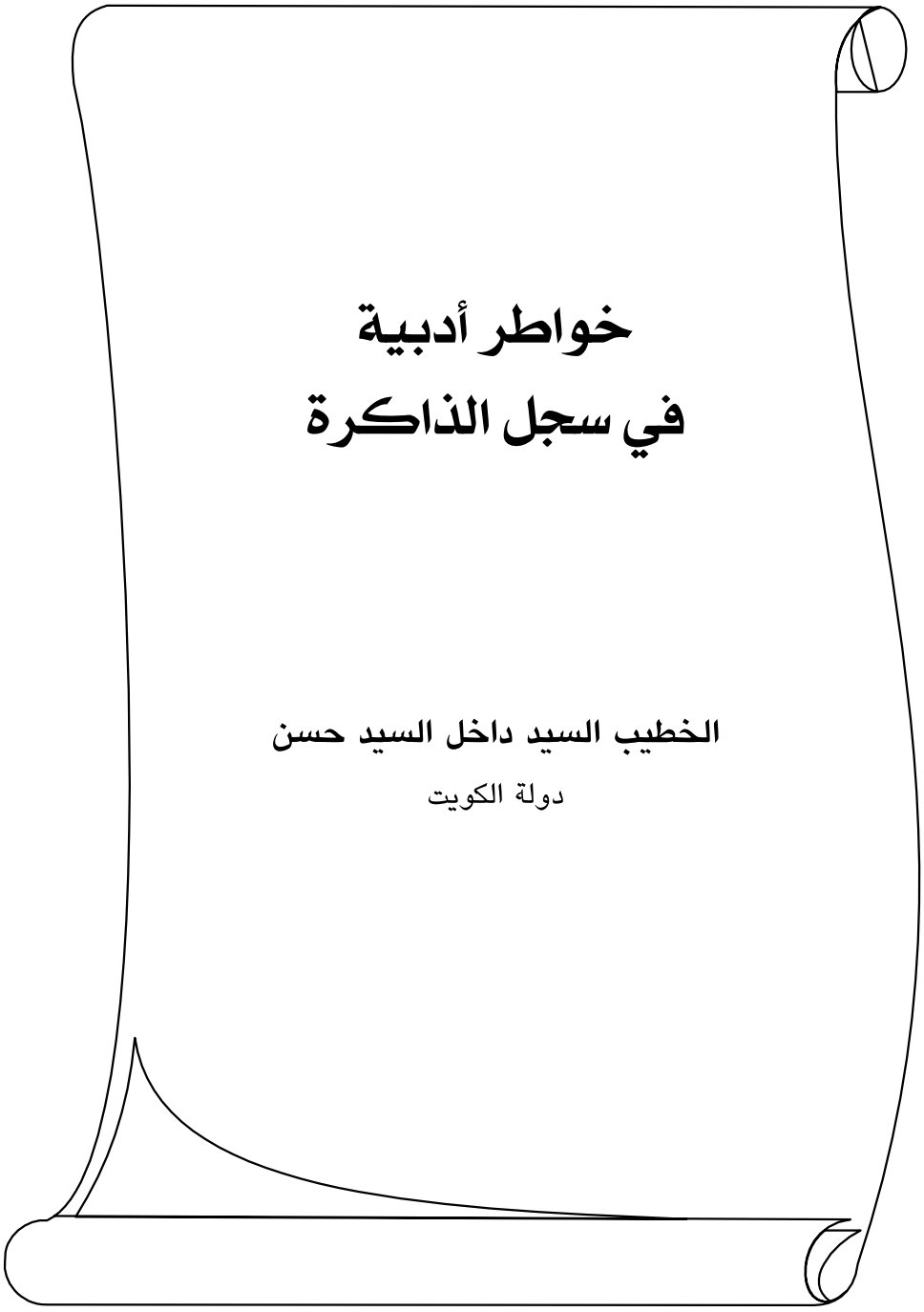

خواطر أدبية
في سجل الذاكرة

الخطيب السيد داخل السيد حسن

دولة الكويت

حـوزةَ الـعـلمِ نـكـسّـي الأعـلامـا والـبـسـي الـحـزنَ وارفـعـيـه وسـامـا
غـابَ بـحـرُ الـعـلومِ عـنـكِ فـقـومـي وانـصـبـي مـأتـمـاً وعَـزّي الإمـامـا
طـبـتَ نـفـسـاً وطـبـتَ مـجـداً اثـيـلًا ونـجـاراً كـمـا سـمـوت مـقـامـا
انـتَ بـحـر الـعـلم عِـزاً وفـخـراً لـكَ ذكـرٌ يـعـطّـرُ الأيـامـا
ايـهّـا الـراحـلُ الـكـبـيـرُ وداعـاً وعـليـكَ الـدمـوُع تـجـري انـسـجـامـا
قـد شـقـقـنـا وسـط الـقـلوب ضـريـحـاً نـمّ عـزيـزا بـيـنَ الـضـلوعِ اقـامـا
وعـلـيـكَ الـعـراق يـبـكـي حِـداداً بـدمـوعٍ شـبّـت عـلـيـكَ ضـِرامـا

تلقيت بيد العرفان والتقدير رسالة عزيزة من سيادة اخي الدكتور السيد ابراهيم بحر العلوم تحمل نبا الاستعداد للذكرى السنوية الاولى لسيد المروءة والاصالة الفقيد الراحل السيد محمد بحر العلوم طاب ثراه. وتدعوني لشرف المشاركة في اصدار كتاب مزمع سيكتمل انجازه في هذه المناسبة الحزينة.

وفي تصفح سجل الذاكرة وفي جولة خاطفة في ارشيف الاوليات والذكريات وما علق ببالي من ومضات اسطرها عفو الخاطر ونحن على اعتاب محرم الحرام والاعداد لمجالسه والتزاماته.

ولعل من اوائل الخواطر التي تتبلور امام ذكرياتي ما يمثله السيد الفقيد من رقم طليعي في شخصيات النجف الفاعلة في كيان التشيع سواء في الكادر المتقدم الاول للمرجعية العليا للامام السيد الحكيم قدس سره، او الرقم المتوهج في الرابطة الادبية او العماد الرفيع في محافل النجف الاشرف وخصوصا الاحتفال المركزي في جامع الهندي مقر الحوزة العلمية بالذكرى

السنوية لميلاد سيد الشهداء ابي عبد الله الحسين(ع) وتحت رعاية الامام السيد محسن الحكيم قدس سره ومن اوائل الخواطر واللقاءات الشخصية مع سيدنا الراحل الكبير كانت في مكتبة العلمين بجامع الشيخ الطوسي في النجف الاشرف في اواخر الستينيات وهو ملء السمع والبصر.

ثمّ انتقل الى الكويت في العهد الاسود لزمرة البغي والارهاب البعثي وتسنم منصب القضاء وكان موضع الاجلال والتكريم والمحبة والاحترام عند مختلف الطبقات والاوساط الاجتماعية والدينية والرسمية لِما يتحلّى به من دماثة خلق وتواضع جم، وكان لي بتلك الظروف شرف زيارته في بيته في المجمع السكني بمنطقة حولي شارع بيروت مقابل سينما الاندلس سابقا وكانت الزيارة بداعي التهنئة بزيارة شقيقه الحجة المظلوم السيد عز الدين بحر العلوم للكويت، وكذلك التقيته في مقر عمله بالمحكمة الجعفرية لبعض الامور المتعلقة بالاحوال الشخصية، بعد ذلك كنت التقيه في حسينيات الكويت بين الاونة والاخرى ولا انسى الاشارة الى المجلس الخاص الذي كان يقيمه صهره الاستاذ ابو حيدر السيد محمد صادق بحر العلوم في داره بمنطقة السالمية صباح العاشر من المحرم وتحضره نخبة من علية القوم من بينهم الشيخ محمد جواد السهلاني والسيد مصطفى جمال الدين والسيد عبد الصاحب الموسوي وغيرهم من الاعلام والشخصيات.

وكذلك يتوهج في سجل الذاكرة الاحتفال البهيج الذي اقيم بمناسبة زفاف نجله الاكبر ابي عمار السيد ابراهيم بحر العلوم وقد اقيمت حفلتان عامة وخاصة، فالعامة الكبرى لاستضافة المهنئين في صالة الجمعية الثقافية بميدان حولي. والحفلة الثانية الخاصة اقيمت في فندق مسيلة بيتش حضرها خواص الاصحاب اتذكر من بينهم المرحوم الحاج محمد قبازرد والسيد محمد الموسوي وغيرهما من صفوة الاصدقاء المقربين.

وقد القيت على خشبة المسرح في ذلك المحفل بعض ابيات الشعر مهنئا ومداعبا منها:

بحران في ارض الكويت تلاقيا أنبئك بالايجازِ لا الاطنابِ
فاهتفْ بتاريخ الزفاف مهنّئاً قاضي الكويت وعالم المشخابِ

اشارة الى السيدة الفاضلة ام عمار البحر الثاني فهي ابنة السيد جعفر بحر العلوم عالم المشخاب بعد البحر الاول وهو قاضي الكويت.

ومن خلال تجربتي وتواصلي مع الراحل الكبير خرجت بنتيجة ان كان للشرف والاصالة والاريحية والمروءة والمكارم والنبل عناوين ومصاديق فهو علمها الخفاق وبحرها الدفاق وبعد ان دارت عجلة الزمن على طاغية العراق المتفرعن المقبور وتغيرت الموازين واصبح السيد من رجالات الدولة الاوائل ويستقبل في الكويت استقبال الملوك والرؤساء ويكون مقره في ضيافة امير دولة الكويت المحروسة في قصر بيان لا يتغير السيد بحر العلوم في اخلاقه وتواضعه ونبله فهو في مختلف المواقع والمناصب يتفقد ويسال ويزور ويتواصل، يدعونا الى تناول السحور معه في قصر بيان بعبارته الظريفة (نان وبنير) وتعني الجبن والخبز، وربما يصحبنا معه الى بعض الزيارات لشخصيات البلد واتذكر من بينهم زيارة رمضانية خاصة جدا في دار الحاج عبد العزيز البابطين وكانت معه امتع السهرات الرمضانية ادبا وشعرا وضيافة.

ومن شدة تواضعه واصالة طبعه حملت له مرّة العدد الخاص من مجلة الموسم للاخ الاستاذ الطريحي وعلى غلافها صورتي والعدد كله يتحدث عن مذكراتي وانطباعاتي وقدمته هدية لهُ فما كان منه الا ان يفاجئني بتقبيل الكتاب ووضعه على راسه كما يفعل بالقران الكريم وما ذلك الا امعانا في الخلق والنبل العفوي غير المصطنع وغير المتكلف.

رحبت بحضوره في احتفال كبير اقيم في مسجد الصحاف بالعاصمة الكويتية بعد اعادة ترميمه واكساءه بحلة جديدة وقد حضر الحفل وزير الاوقاف الكويتي وشخصيات مرموقة من وجهاء البلد فكان السيد الشخصية الاولى في الحفل فخاطبته على المنصة:

طلعتَ فهلّت في الكويتِ لنا البشرى فإنّك بحر العلم والآية الكبرى

وهـذي قـلوب الـمـؤمـنـيـن شـواهـدٌ بـحـبـكـمُ يـا آل طـه غـدت سـكـرى
كـسـاكَ آلـه الـعـرش مـنـه مـهـابـةً ومـسـجِـدنـا يـزهـو بـطـلعـتِـكَ الـغـرّا
سـتـبـقـى لـنـا يـحـمـيـكَ رُبـكَ مـوئـلًا وحـصـنـا مـنـيـعـاً بـالـوصـيّ وبـالـزهـرا

وفي الحقيقة من المتعذر ان احصي واسجل كل اللقطات والذكريات وانا اكتب عفو الخاطر مرتجلا ومستذكرا ما علق ببالي وقد يغيب عني الكثير لطول المدة وشدة المحنة.

فاذا تخطينا صفحة الكويت الى دمشق الشام التي احتضنت الجالية العراقية الكبيرة ابان عهد المشنوق الهالك كان السيد يتواصل ويكرر زياراته ولا ينقطع فيكون موضع الحفاوة والاعتزاز رسميا وجماهيريا فضلا عن خواص اخوانه واصدقاءه وكانت تقام على شرفه المحافل والموائد الخاصة والعامة ومن اشهرها موائد الشيخ محمد جواد السهلاني رحمه الله الذي يفتح ابواب المكارم على مصارعيها لاستقبال ضيوفه الاعتياديين فكيف اذا كان الضيف رفيق روحه السيد بحر العلوم فطالما نجتمع على تلك المائدة السخية بين الاونة والاخرى ويدعوا خواص اهل العلم والشخصيات الدينية امثال السيد عبد الزهراء الحسيني والسيد مصطفى جمال الدين والشيخ احمد الوائلي والسيد محمد حسين فضل الله والشيخ محمد مهدي شمس الدين والسيد حسين الصدر وغيرهم من الاعلام. فتجود القرائح وتستطاب الموائد ونستمتع بهذه اللقاءات والمناسبات التي نحتفي بها بعزيز قادم وزائر مكرم.

حتى اذا قذفتنا سفينة الغربة في العاصمة البريطانية لندن كان لي شرف الخدمة الحسينية في المجالس والمؤسسات المعروفة هناك كمؤسسة السيد الخوئي ومؤسسة الامام علي والمركز الإسلامي والمجلس الحسيني لال البلاغي ومجلس المعهد الاسلامي للسيد حسين الصدر ومجلس الرابطة للسيد محمد الموسوي ومن بين هذه المراكز والمؤسسات في بلد المهجر مركز اهل البيت الإسلامي التي يديرها السيد بحر العلوم وكان مجرد حضور السيد رضوان الله عليه في هذه المجالس يضفي عليها مهابةً وجلالا فكيف اذا

تولى بنفسهِ قراءة المقتل كما كان يفعل يوم العاشر من المحرم من كل عام وكنت بخدمته نتعاقب على قراءة المقتل وما يناسب احداثه من اشعار فصيحة ودارجه.

ونتناوب انا والسيد والمرحوم السيد حسن بحر العلوم، وكان العاشر من المحرم يوم حزنه ومصيبته ينعى جده الحسين بقلب مشتعل ودمع منهمر بحضور جمهرة كبيرة من الجالية العراقية المقيمة في لندن، تنصهر بينهم في المجلس الالقاب والمواقع والمكانة فمنهم الاطباء والمهندسين والعلماء والشخصيات، واتذكر المرحوم الدكتور السيد محمد علي الشهرستاني ينحب نحيبا عاليا ويشهق في عبراته لحد الانهيار حزنا على الحسين(ع). وفي ليلة العاشر من المحرم يصطف بخدمة سيدنا الراحل في موكب المشق من محل ال البلاغي وبحضوره ومشاركته ليكون النجف حاضرا وتتمثل اجواء وشعائر المواكب النجفية تنطلق وتستعاد في لندن فيكون اباؤنا وشبابُنا من جيل المهجر على صلة وثيقة بعقيدتهم وشعائرهم الدينية.

رافقته الى الولايات المتحدة، تلبية لدعوة من الجمعية العراقية التي يديرها الاستاذ السيد صادق بحر العلوم، لحضور مؤتمر الامام الباقر على قاعة المركز الإسلامي، وشاركنا في ذلك المؤتمر وكان معنا المنشد المعروف الحاج باسم الكربلائي الذي كان يعطر الاحتفال بانشاده بين الاونة والاخرى وكان المؤتمر حاشدا بمختلف الطبقات الاجتماعية والعلمانية، وقد عقدت على هامش المؤتمرات المقيمة في مدينة ديترويت بولاية ميشغن الامريكية.

حتى اذا هوى الصنم، وعدنا الى العراق، كنت دائم التواصل والزيارات لسماحته في عدّة لقاءات، واقيمت دعوات كريمة وزيارات ودية مع الجاليتين العراقية واللبنانية مختلف المناسبات في بيته وفي مقر استقباله، وفي احدى الزيارات كان على فراش المرض ملفعا ببردة خضراء ودخلت عيه عائدا فوجدت امامه اكليل ورد قال لي ان هذه الباقة من العتبة العباسية ووجدت عنده وفدا صحفيا من لبنان شبابا وصبايا وهم يمطرونه بوابل اسئلتهم

منسجمين مع كلماته وتعابيره وما كانوا يرغبون فراقه وهو راقد بينهم يُلاطفهم ويمزح معهم مع علته ومعاناته حتى اذا اوشك اللقاء على نهايته، قالت احدى الصحفيات اريد منكَ ذكرى وبركة وهي الصحفية رنا الساحلي، فاعطاها مسبحة من الكهرب كان يحملها بيده فامتنعت خجلا ان تتقبل مسبحة السيد وتنتزعها من يده قائِلة اريد شيئا بسيطا غير مسبحتِك فاصر عليها الا ان تتقبل تلك المسبحة الثمينة فداعبتُه بابيات من الشعر منها:

بعينيكٍ سحرٌ صاعقٌ فتكهربا ... فأهداكِ بحر العلم سبحَة كهربا
فيا ساحل البحر الجميل تحيةً ... تصاغ بها غرّ القوافي، فتكتبا
اذا كان بحر العلم اهداكِ سبحةً ... فأهديكِ قلبي نابضاً ومرحّبا
عيون الرنا والثغرُ شهدٌ ولؤلؤٌ ... ووجهُكَ في الإبداع يشرقُ كوكبا

فصاح السيد بأعلى صوته على نجله السيد محمد علي عليّ بدواة وكتف عليّ بورقه وقلم وسجلوا هذه الابيات، وما ذلك الا لظرف مزاجه وخفة طبعه الذي لا يعرف التزمت والانغلاق.

وفي ايام علاجه في بيروت تواصل معي الاخ السيد ابو زيد قائِلا السيد يسال عن ابيات منها او فيها هذه العبارة (ان المصيبة بلوانا ومحنتنا)، وطلب ان اسألك ان كانت لديك، والا فاكتب ابياتا ادخل بها هذه العبارة، وفعلا كتبت ابياتا ليست بين يدي الان ولكن الحقتها بهذه المقطوعة:

للشعر والشعراء فيكَ سباقُ ... حيثُ المناقبُ في يديك تُساقُ
ان القوافيَ في عُلاك توهّجتْ ... بحرَ العلوم حِضارةٌ وعراقُ
لكَ في القلوب قصائدٌ ومشاعرٌ ... ولها بقلبي نكهةٌ ومذاقُ
طعمُ الاصالةِ في دماكِ تأصّلتْ ... نبلًا وفضلًا إنّكَ الذوّاقُ
فانهضْ معافى والرياحُ تقشّعت ... وبوجهك الأنوارُ والاشراقُ

وقد جارى هذه الابيات وكتب على نسقها كل من الشعراء الكرام الاخ الشيخ عبد الله الخاقاني والسيد مهند جمال الدين والشيخ ابراهيم النصيراوي في مقطوعات ادبية جميلة.

ثمّ هجمت عليه العلة وتمادى به المرض وتدهورت حالته الصحية فاسلم الروح الى بارئها وعرج الى الفردوس الاعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر فهزّ نعيه الاقطار والامصار وعقدت عليه الماتم والمحافل وشيع بالدموع والحسرات.ولم يمت مَن خلّف الاشبال الميامين في عرين الاسد. ولم يمت مَن قضى حياته في العلم والمعرفة فالناس موتى واهل العلم احياء. الا بوركت هذه الحياة الزاخرة بالعطاء والعلم الا بوركت حياتك يا ابا ابراهيم حياة تفيض نُبلا وكرما وعزّة ومروءة.

فالى روح وريحان والخلود لك في اعالي الجنان وستبقى حيا خالدا في ضمائرنا وقلوبنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

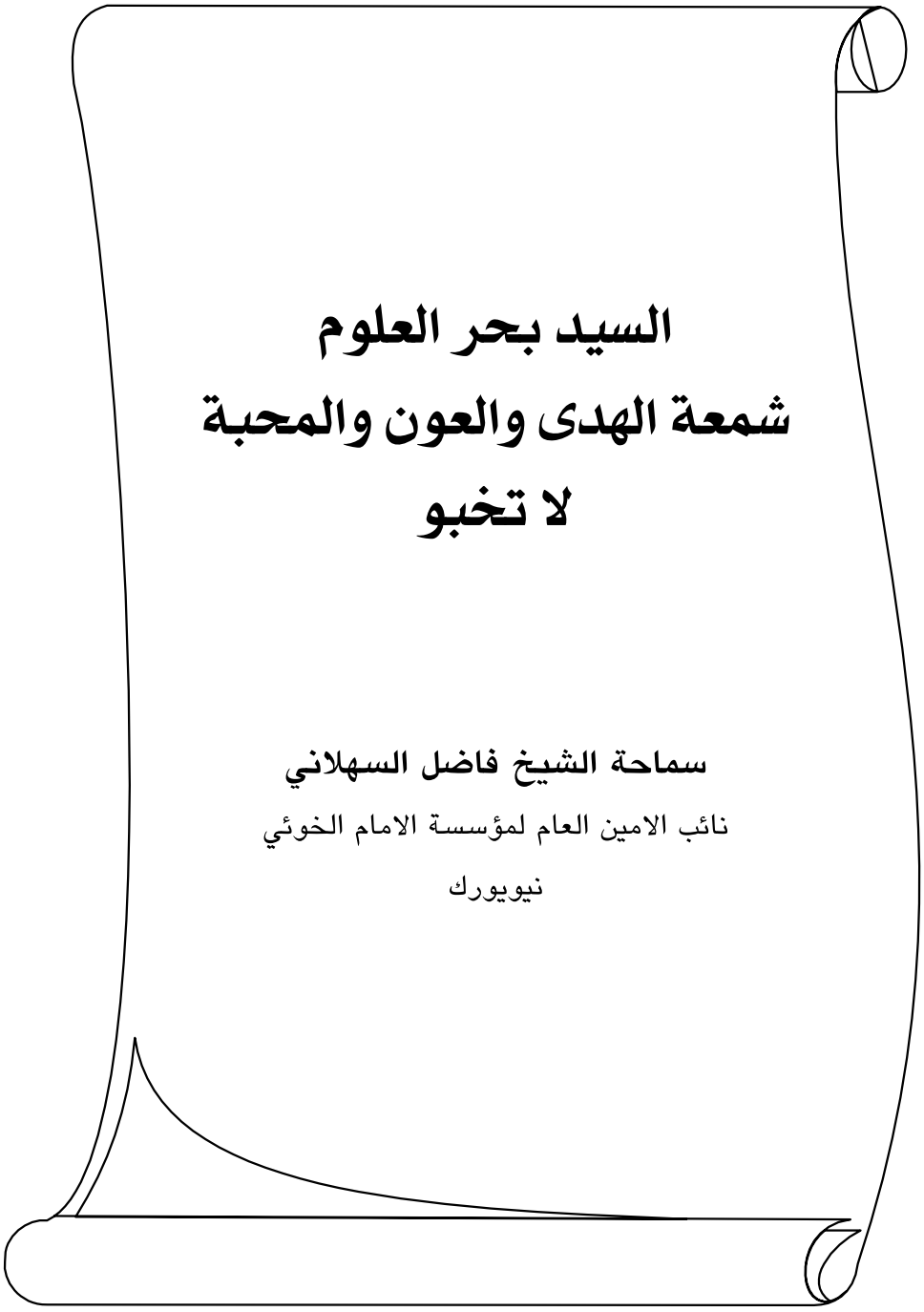

السيد بحر العلوم
شمعة الهدى والعون والمحبة
لا تخبو

سماحة الشيخ فاضل السهلاني

نائب الامين العام لمؤسسة الامام الخوئي

نيويورك

(يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي)

تورق الامال من حديثه.. وتعشب الرمال.

وتشرق الاضواء من افكاره.. في غمرة الظلام.

وتنحني امام ارادته الصلبة معوقات الحياة.

ليبحر عبر المحيطات حاملا راية العدل، مبشرا بالنصر، مقربا المسافات المتباعدة بين المحرومين.

ناشرا علوم الاسلام وخلقه الرفيع بين اهله وبين الجاهلية به.

لا يعوقوه فقر او حاجة، ولا يوقفه ظلم او خديعة.

حازما حقائبه، مستعدا للرحيل الى اخر الارض من اجل شعبه وقضيته ونصرة المظلومين.

لا تحده الحدود، ولا يعرف الياس طريقا لروح التفاؤل التي تملا اعطافه.

تلك بضعة جوانب عرفتها ولمستها ورايت ثمارها في بعض ما اعرفه من سيرة السيد المقدس المغفور له معلمنا الحجة العلم السيد محمد بحر العلوم.

تواصلت هاتفيا مع اخي وعزيزي ورفيق العمر الدكتور السيد ابراهيم بحر العلوم، واخبرني انهم بصدد اصدار كتاب بمناسبة مرور عام على رحيل سماحة العلامة الحجة العلم السيد محمد بحر العلوم تغمده الله بواسع رحمته. فرايت ان احرر ما اقوى على تحريره. وادلو بدلوي علي اخرج بعضا من كنز العطاء الذي خلفه الفقيد الغالي. ومنذ ان فكرت بكتابة هذه الاسطر وذاكرتي تحوم

على ماض ضاعت بعض تفاصيله، وخفتت بعض اضوائه، اذ لم يخطر ببالي من قبل اني ساعود الى ذاك الماضي لالتقط منه بعض جواهر خلفها في نفسي السيد الفقيد بحر العلوم تغمده الله بواسع رحمته. ثم تزاحمت على ذاكرتي صور شتى جعلتني احار من اين ابدا، وماذا انتقي، واخيرا قرت نفسي على ذكربعض ما رسخ في الذاكرة بتسلسل زمني، عله يسلط الضوء على بعض جوانب هذه الشخصية الفذة ذات الابعاد المتعددة.

اول ما طرق سمعي اسم ((بحر العلوم)) كان من والدي سماحة اية الله الشيخ محمد جواد السهلاني تغمده الله بواسع رحمته، اذ كان يتغنى وينتشي حين يذكر صداقته الحميمة بافراد هذه الاسرة العريقة، وتنشرح اساريره وينسى همومه حين يذكر ويقص علينا مغامراته في سفره الى بغداد مع المقدس المرحوم اية الله السيد موسى بحر العلوم تغمده الله بواسع رحمته، في الثلاثينيات او الاربعينيات من القرن الماضي، ثم يعود ويذكر فصولا عن تحصيلهم العلمي والادبي ومبارياتهم الشعرية، ويبقى اسم (بحر العلوم) يضئ كالبدر ويتضوع عطرا في حكاياته وذكرياته.

واول ما كحلت عيناي برؤية واحد من اسرة بحر العلوم كان في البصرة الفيحاء، حين شارك مجموعة من العلماء والشعراء القادمين من النجف الاشرف في الحفل الذي كان يقيمه الشيخ الوالد بمناسبة استشهاد امير المؤمنين عليه السلام، في الستينيات من القرن الماضي. وقد لاحظت ـ على قلة وعيي انذاك ـ ان المحرك والمخطط والمنسق للمجموعة من العلماء والشعراء هو ذاك الشاب المعتمر العمامة السوداء ذي النظارات الداكنة، وما كان غير السيد محمد بحر العلوم.

حين قررت والوالد رحمه الله، ان التحق بالحوزة العلمية في النجف الاشرف، حملني الشيخ الوالد رسالة لسماحة السيد محمد بحر العلوم، لا ادري فحواها، وبعد لاي وسؤال وصلت ظهرا الى ديوان (براني) اسرة بحر العلوم، وكنت معتقدا انه سكن السيد، وبعد طرق الباب فتح لي شيخ طاعن في

السن، ذو هندام وملابس غاية في البساطة، سالته عن السيد محمد بحر العلوم، واجابني انه في بيته. سالته اين بيته، فلم يجبني وكانه عرف اني قادم جديد الى مدينة النجف الاشرف، ذات الازقة الملتوية المعقدة التي لا يمكن معرفتها الا لاهلها، وامرني باتباعه، ومن زقاق الى زقاق الى شارع الى(دربونة) الى (عكد) ـ تعني ازقة ـ اشار لي على بيت وقال هذا بيته وانصرف، طرقت الباب وسلمت الرسالة ورحب بي غاية الترحيب، وسالني كيف اهتديت الى الدار، فاخبرته ان شيخا اصطحبني من البراني الى هنا وبعد ان اعطيت اوصافه قال اتعرف ذاك الشيخ قلت لا، قال هو عمنا الشيخ حسين الحلي، ولم اهتم لذلك كثيرا، لاني لا اعرف مقام الشيخ الحلي، بعدها باشهر ادركت مقام الشيخ الحلي، واذا به من عظماء اساتذة الحوزة العلمية فقد تتلمذ عليه كبار العلماء والمراجع، والسعيد السعيد من يحظى منه بدرس او فكرة او لقاء، رسخ ذلك الموقف في ذهني ليذكرني بعظمة علمائنا الاعلام وتواضعهم وحرصهم على اعانة المحتاج وهداية الضال.

وتمضي السنون وتتوطد علاقاتي بالاسرة العريقة، وصرت احسب نفسي واحدا منهم وهم يحسبوني كذلك، وما زلت ارشف العلم والادب والاعراف والاجتماع والسياسة من (براني) ديوان بحر العلوم، وكان على راس المعلمين فيه الفقيد الراحل المقدس السيد محمد بحر العلوم واخواه العالمان الجليلان الشهيدان السيد علاء الدين والسيد عز الدين تغمدهما الله بواسع رحمته، اللذان تشرفت بالتتلمذ تحت منبريهما. وكان السيد الفقيد لا يفتؤ عن تفقدي ورعايتي وكاني واحد من مسؤلياته التي لا تعد ولا تحصى، فهو الاستاذ في الحوزة وفي الجامعة، وطالب الماجستير، واحد اركان منتدى النشر، واحد مؤسسي الرابطة الادبية، والمصلح الاجتماعي وحلال الخصومات العشائرية، ومنسق العلاقات العامة والخارجية في ادارة المرجع السيد الحكيم قدس سره، ومحور الحركة والتنظيم للاعداد للاحتفال المهيب بمناسبة مولد الامام علي عليه السلام اذ تصير داره خلية نحل للاعداد للاحتفال، وكان هو شخصيا

يتابع كل التفاصيل من اجل انجاح تلك الاحتفالات التي تتوشح برعاية السيد المرجع المعظم السيد محسن الحكيم (قدس سره)، وكان يتخذ منها منبرا للتعبير عن راي المرجعية في ما يمر به العراق من احداث وظلم وتهميش للغالبية من الشعب.

وتدور الدوائر ويشتد التضييق من قبل زمرة حزب البعث على سماحة اية الله العظمى السيد محسن الحكيم (قدس سره)، وعلى مجموعته الخاصة، وكان في مقدمتهم السيد محمد بحر العلوم، فتضيق بهم الارض على بما رحبت، ويضطر للاختفاء عن عيون الزمرة الحاقدة، ومن حسن الحظ اني كنت مستاجرا دارا اصغر من الصغيرة خلف دار(براني) السيد المرجع الحكيم وبجوار دار السيد بحر العلوم، فوقع الاختيار عليها، ليتوارى فيها سماحة السيد حتى يجد طريقا للخروج من العراق، وبالفعل تشرفت تلك الدار بمكث سماحة السيد لفترة غير قصيرة من الزمن متخفيا عن الانظار، لا يعرف مكانه الا خاصة الخاصة، حتى سنحت له الفرصة بالسفر الى دولة الكويت عن طريق البصرة مارا بالوالد المقدس الشيخ محمد جواد السهلاني رحمه الله.

وتدور الايام وتنطوي السنون، ويشتد الوطيس على من لا يناصر حكومة البكر وصدام، وتتشتت العوائل وتتمزق الوشائج، وكل يحاول الخلاص بنفسه وبمن معه من البقاء في عراق الجراح والحروب والفتن والظلم، ويكتب لي ان اغادر الى الكويت بخدمة الشيخ الوالد رحمه الله، وهناك عادت الصلة المباشرة بالسيد بحر العلوم، اذ عين قاضيا للاحوال الشخصية، ورايت المجد يضع اكليله حول السيد بحر العلوم، من خلال نشاطاته العلمية والاجتماعية والثقافية والوطنية، ولا انسى حضوره المتميز في ديوانيات الكويت، واخذه زمام المبادرة في ما يدور فيها من موضوعات مختلفة تتناول التاريخ بتفاصيله، وحاضر الامة، خاصة وضع العراق المتدهور، ومستقبل العمل لرفع اغلال الظلم التي وضعها حكام حزب البعث في اعناق اغلب العراقيين. وما هي الا بضع سنين حتى ضاق السيد بحر العلوم ذرعا بطريقة التعامل الوظيفي في

القضاء، وهو ابن الحوزة العلمية الحرة الطليقة التي لا تقبل القيود ولا تتحمل التصنع، ويقع جدال حاد بينه وبين وزير العدل، ينتهي بتقديم استقالته من القضاء، وتفرغه للتحصيل العلمي لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة. ويغادر الكويت التي يتمنى كثير من الناس العيش فيها.

حط المهاجر حقائبه في القاهرة، ليحضر لشهادة الدكتوراه في العلوم الاسلامية، التي لا يحتاجها علميا فهو الاستاذ في هذا الموضوع، غير ان الدنيا ضاقت به، ولا بد له من متنفس، وخير متنفس الازدياد من العلم. وهناك عانى ما عانى من تمييز طائفي مقيت، تسرب في بعض اقسام كلية دار العلوم في جامعة القاهرة، وتشاء المقادير ان اكون ملتحقا من قبل بنفس الكلية، محضرا لشهادة الماجستير في العلوم الاسلامية، وفي القاهرة تعود رعايته وحنوه وابوته ليس لي فقط بل لكل العراقيين المهاجرين، المتخذين الدراسة في القاهرة وسيلة للابتعاد عن اضطهاد وظلم وتعسف الحكم العراقي انذاك. وتمضي سنون عجاف وسماحته يتلظى بين هجرة مليئة بالمرارة، وغربة مضاعفة، فعين له على العراق عموما وعلى عاصمة العلم (النجف الاشرف) خصوصا، وعين له على اهله الذين تركهم في الكويت، وعين له على الثورة الاسلامية في ايران، وهكذا تراه موزع الاهتمام مضاعف الهموم. وبعد نجاح الثورة الاسلامية في ايران اعتقلتني وزميلي المرحوم السيد محمد زكي السويج السلطات المصرية، لا لسبب وجيه، بل لا لسبب اصلا، واصرت السلطات المصرية على تسفيرنا الى العراق، ومعنى ذاك الموت الحتمي الزؤام، غير ان السيد بحر العلوم تدخل بكل ما لديه من تاثير من اجل تسفيرنا لاي بلد باستثناء العراق، وبعد محاولات مكررة مريرة نجح في اقناع السلطات بتسفيرنا الى الكويت، وبهذا انقذ حياتنا، كما انقذ حياة الكثيرين ممن عانوا ما عانيت، نسال الله تعالى ان يجعل ثوابا تلك المواقف النبيلة في ميزان حسناته، وان يضاعف له الاجر والثواب.

وتمر السنون محملة بالغرائب، وتمضي سنة الحياة التي لا تستقر على

حال، ويحصل السيد بحر العلوم على درجة الدكتوراه، التي ما زادته علما ولا مكانة ولا منصبا، وتضيق عليه الارض بما رحبت، ولا يرى له من ملجئ في بلاد العرب ولا بلاد المسلمين، فيقرقراره على الهجرة الى المملكة المتحدة، ليستقر في بلد الضباب لندن، وليسكن في شقة المرحوم الحاج محمد قبازرد وهو من وجهاء الكويت وممن توثقت المحبة والصداقة بينه وبين السيد الفقيد. وبعد استقراره هناك ببضع سنين عصفت بي عواصف الحياة لتلقيني مكرها في احد سجون لندن لمخالفات تتعلق بالسفر، وبعدها لا ارى لي من ملجا الا البقاء في لندن، لتعود العلاقة المباشرة بالسيد الفقيد مرة اخرى، وكان القدر لا يريد ان يبعدني عنه، وفي لندن لم استغرب ما كان يقوم به السيد بحر العلوم، فهو محاضر في اغلب تجمعات العراقيين، مذكرا بتعاليم الاسلام الحنيف، مؤلفا في شتى المواضيع التاريخية والدينية والاخلاقية والسياسية، شاعرا وخطيبا مفوها، جامعا لشتات المهاجرين، عاملا جنبا الى جنب مع رفيقه في المعاناة والجهاد والغربة المغفور له الشهيد السيد مهدي الحكيم نجل السيد محسن الحكيم تغمدهم الله جميعا برحمته، وينتج عملهما المشترك تاسيس (مركز اهل البيت) في جنوب لندن، بمساعدة ودعم ال الجلبي وغيرهم من المحسنين. ويتحول المركز الى بوتقة تنصهر فيها خلافات العراقيين، وتتوحد جهودهم تحت مظلة الحكيم وبحر العلوم، ويزدهر المركز بكل الخير والعطاء، وتنطلق منه فعاليات لا تعد ولا تحصى، منها على سبيل المثال انشاء افضل مكتبة بحثية اسلامية شيعية، ومنها تاسيس منظمة حقوق الانسان في العراق، التي لعبت دورا هاما في كشف بعض انتهاكات حكم صدام حسين ووثقت الكثير من جرائمه. ومنها تاسيس مجلس العلماء العراقيين الذي تشرفت بحضور جلساته الاولى، ومنها التنسيق والتخطيط وتنفيذ التظاهرات التي كانت تؤذي نظام الطواغيت في العراق غاية الايذاء. ومنها النشاطات الثقافية والدينية والسياسية، فما من مناسبة فيها اريج الثقافة وعطر الدين ونظرية السياسة الا وللمركز وبحر العلوم القدح المعلى والكلمة الفصل والفكرة

النيرة. وفي لندن ونتيجة لجهود المعارضة وفي مقدمتها جهود وجهاد السيد بحر العلوم، وضعت البذور الاولى للاطاحة بنظام المقابر الجماعية في العراق. واخيرا تحقق الحلم وامكن المستحيل، واسقط نظام الجرائم، نظام صدام وزمره المتعفنة بكل ما هو قبيح ومخز، وزال الكابوس عن العراق، وعاد السيد بحر العلوم والوفد المرافق له الى العراق عن طريق الكويت رافعا راية النصر، مبشرا بالخير، ناشرا صور المحبة والتعايش والسلام بين العراقين، قادرا على جمع شتاتهم، منسقا بين اراء المرجعية الدينية في النجف الاشرف وبين الفرقاء السياسيين، وكان واسطة العقد في اول مجلس لحكم العراق، واستمر حاملا مشعل الامل الى اخر لحظة من حياته.

فهو رحمه الله، بكل ذاك التاريخ من العطاء والتضحية في سبيل الله، وبكل ذاك الاطمئنان بانتصار الحق وابطال الباطل، وبكل ذاك الصبر والتحمل، يمكن ان يكون مصداقا لقوله تعالى (ياايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي).

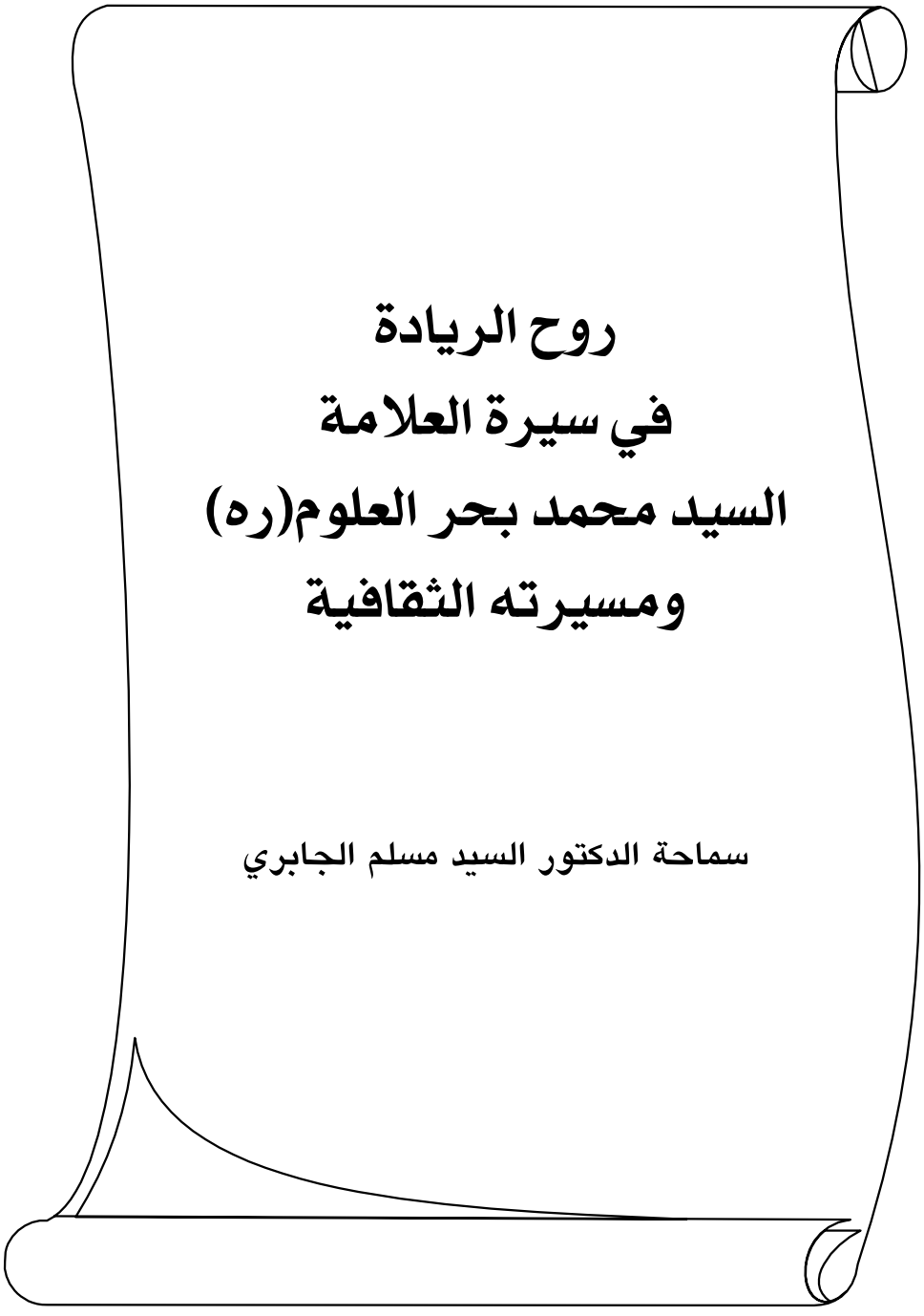

روح الريادة
في سيرة العلامة
السيد محمد بحر العلوم(ره)
ومسيرته الثقافية

سماحة الدكتور السيد مسلم الجابري

من مقدمة كتاب: الكندي الرائد الاول للفلسفة الاسلامية:

((وكان الفضل الاول في ايصالي بتأريخه ومحاولة التعرف عليه كاملا يعود في واقعه الى العلامة الاخ السيد محمد بحر العلوم الذي تفضل فطلب الي ان اتحدث في صدر رسالته هذه بشئ عن الكندي تمهيداً للدخول في بحوثها القيمة ويبدو انه اراد لي ان أمثل للقراء دور الريادة لايمانه بان الرائد لايكذب أهله)).

((وارجو ان اكون حسن الظن بي)).

(١)

عندما يتطلع الانسان الى التغيير يشعر بضرورة الريادة، ومن شروط الريادة الأخلاص والصدق، ومن هنا قالت العرب الذين كانت تتحكم في حياتهم الحركة والتغيير " إن الرائد لا يكذب أهله"، ولكن هذا المثل الذي ينظر إلى حق المجموع على رائدهم لم يكن يهمل في دلالته الضمنية حق الرائد على المجموع، وهو أن لا يكذبوه، وأن يولوه الثقة والتصديق، فإذا اهتزت هذه العلاقة الضمنية التضامنية خسر الجميع مرتين؛ الأولى خسارة مواقع الاستقرار، والثانية خسارة الحلم بالتغيير، بل قد يفقد حق السؤال عن الطريق إلى تحقيق أمانيه وأحلامه المشروعة، وهذا ما عبر عنه شاعر نجفي وهو يعيش واقعاً يقطر مرارة بقوله:

"لا تـقـلّ أيـنَ فـالـطـريـقُ بـعـيـدُ والـسـرى مـوحـشٌ وانـتَ فـقـيـدُ!

وإن فينا اليوم من عاش أو أدرك للمرحلة التي عبر عنها هذا القول بقوة سنة ١٩٦٠.

بعد تحية روادنا الكبار في تاريخنا الحديث، وتحية صاحب الذكرى الذي كانت سيرته ونتاجها الفكري والأدبي تعبيرا عن الريادة في مختلف الساحات التي تحرك عليها، والمعارك التي خاضها والتجربة التي عاشها، بإخلاص وصدق وتضحيات خطيرة: اقول

إن على الاجيال التي لها الحق المقدس في استشراف المستقبل والتطلع إلى أحلامها، وأمانيها في الحياة، أن تتلفت بقلبها إلى الماضي القريب والبعيد وأن يحيى ذكراه وتتزود من تجاربه، وتستفيد من اخفاقاته ونجاحاته، فهو الجزء الشاخص من حياتها الاجتماعية وهو ذاكرتها التي تقف على تخومها للتطلع الى مستقبلها، وقد قال امير المؤمنين عليه السلام: العقل حفظ التجارب".

فإن الباحث عن معنى الريادة والتطلع للتغيير في حياة فقيدنا الراحل وحياة الرموز التي عاش معها وعاشت معه في المرحلة نفسها لابد له من العودة إلى ما سبق تلك المرحلة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي والنصف الاول من القرن الرابع عشر الهجري، أي قبيل الحرب العالمية الاولى وبعدها، وهي الفترة التي ولد فيها صاحب الذكرى سنة ١٩٢٧ م، حسب الوثائق المدونة ١٣٤٩هـ.

في القرن التاسع عشرة الميلادي، ومطلع القرن الرابع عشر الهجري، اشتد التطلع للتغيير في المنطقة التي تحكمها دولتان كبيرتان هما الدولة العثمانية والقاجارية في ايران، وكانت رموز الدعوة للتغيير والإصلاح تهز أركان هاتين الدولتين، لا في طهران والاستانة فحسب بل كانت افغانستان والهند ومصر والعراق ساحة لتلك الدعوة، وعندما تعرض قادة الإصلاح للمطاردة والمضايقة من القوى التي أحست بخطورة التغيير نقلوا منابرهم إلى اوروبا، فكانت باريس ولندن وجهة السيد جمال الدين الافغاني وصاحبه الشيخ محمد عبده، حيث اجتمعا في العاصمة الفرنسية وانتظم نشاطهما السياسي والثقافي الاصلاحي في إصدار مجلة العروة الوثقى عام ١٨٨٤م ـ ١٣٠١هـ، وكانت أهداف المجلة

المعلنة هي "صون استقلال الدول الاسلامية من النفوذ الغربي، والأخذ بأسباب الاصلاح والنهضة والدعوة للإتحاد"، لم تكن مجلة العروة الوثقى إلا الجزء الظاهر من الحراك الواسع والمؤثر الذي قاده السيد جمال الدين الافغاني (ت ١٨٩٧م) خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

كانت مجلة العروة الوثقى ـ التي ضاقت عليها أرض الشرق الواسعة، وقدرها أن تولد على أرض غريبة تتضمن الخطاب الفكري والنهضوي الذي وجهه السيد إلى الشرق، ولم يدم هذه التواصل مع جماهيره في الشرق فقد سارعوا إلى إغلاق المجلة في نفس العام الذي صدرت أعدادها القليلة فيه، ويرى بعض الباحثين أن المجلة والقائمين عليها كانت على قمة جبل الجليد الذي تختفي بنيته الداعمة في الماء، ولم يظهر للناظرين منها إلا أبهة القمة التي تتطلع إليها العيون، وانسجاما مع ضرورة حذف الكثير من التفاصيل من تفسير البنية الداعمة التي تحدثت عنها نظرية "Ice berg The orx"، كان لابد لنا من طي الحديث عن موضوعات عديدة وخلفيات وعوامل مؤثرة كانت وراء الحراك الذي شهدته لمنطقة في نهاية القرن التاسع عشر، وكان العراق من جنوبه الى شماله عبر مركزه في النجف الأشرف منخرطا في الحراك المذكور، فالحكومة القاجارية التي رأت أن تبعد السيد عن ارضها الى اراضي الدولة العثمانية بصورة مزرية، حيث حل السيد في البصرة، فاتيح له أن يتصل بالحوزة العلمية في سامراء التي كان يرعاها الميرزا حسن الشيرازي ويمثل المرجعية العليا للشيعة في العالم، ويرى أكثر مؤرخي هذه الفترة أن الاتصال المذكور كان وراء فتوى تحريم التبغ، بفتوى موجزة صدرت في سطر ونصف عن قلم مرجع الأمة، لتخرج الوطن من فم الاستعمار الذي كان يريد ابتلاعه.

لم يكن وصول السيد إلى البصرة منفيا هو الاتصال الأول بالعراق، فقد أكد عدد من الباحثين أن السيد كان في حوزة النجف الأشرف في فترة دراسية زامل فيها عددا من العلماء كان ابرزهم السيد محمد سعيد الحبوبي (١٨٤٩ ـ ١٩١٥م) فقد كتب باحث حول حياة السيد الحبوبي يقول: صحب المجدد جمال

الدين الافغاني أربع سنوات في دراساته، وكانا زميلين لدرس واحد، وكان بينهما تأثر وتأثير ولقاء في المبادئ العامة الاصلاحية، وقد ظهرت في حياة المرجع النجفي الكبير السيد محمد سعيد الحبوبي نقاط التقاء في مواقف السيدين عندما نهض السيد الحبوبي مجاهدا صلبا في ساحات القتال إبان الحرب العالمية الأولى مدافعا عن حريم الوطن الإسلامي، فذكرنا بموقف السيد القتالي عند تحرير هرات خلال حياته في أفغانستان.

وأرى ان السيد خلال مروره بالبصرة كان على اتصال بحوزة النجف الاشرف كما كان على اتصال بالمرجعية العليا في سامراء، وكان يجدد باتصالاته بالنجف علاقات عمل اصلاحي مساحته النجف الأشرف بل العراق الذي بدأت رياح التغيير تهب عليه من جنوبه إلى شماله، والعمل الاصلاحي كان يتطلع إليه علماء النجف الذين كانوا يحسون معاناة الناس في سياسة التتريك، وكانت النجف الأشرف معقل الحركة الفكرية والدراسات العلمية وثورة الأدب المتجددة التي كانت تخفي وراءها بعض اساليب المقاومة، وكان قائد ثورة الشعر العربي يومئذ السيد محمد سعيد الحبوبي، ولم يكن السيد الحبوبي عليه الرحمة يكتفي بنظم الشعر وابداع الروائع من قصائده التي يزف فيه في كل مناسبة اجتماعية رائعة منها الى الساحة الأدبية، ولكنه كان يترسم خطى استاذه الشاعر الثائر السيد حيدر الحلي عليه الرحمة (ت ١٨٨٧م) والذي كان يمثل شعره في القرن التاسع عشر قلعة من قلاع اللغة العربية في تلك الفترة، كما كان يحظى بإجلال المرجعية الدينية العليا في سامراء، ومحبة الناس في النجف والحلة وبغداد، بل كان لسانا للأمة كما سماه تلميذه وخليفته في زعامة الشعر والأدب من بعده السيد محمد سعيد الحبوبي: بقوله:

أبـنْ لـيَ نـجـوى لـو تـطـيـقُ بـيـانـا ألـسـتَ لـعـدنـانٍ فـمـاً ولـسـانـا

واسمحوا لي أن أدع السيد جمال الدين الافغاني يواصل جهاده واتصالاته بساحات الحراك التغييري في نهاية القرن التاسع عشر بين البصرة وسامراء والنجف والاستانة وباريس ولندن ومدن الشرق التي بدأت تتطلع لثمرات

النهضة الاصلاحية التي يقودها السيد والتي تحظى حتى اليوم بالعناية والدرس من الباحثين العرب وغيرهم، لأقف وقفة قصيرة والتفت التفاتة عاجلة ـ كما قال سيدنا الحلي ـ قدس سره ـ:

قفْ بي ولو لوت الإزارَ فإنما هي مهجةٌ لعبَ الأسى بفؤادِها

أقف على ساحة المقاومة في النجف الاشرف حيث رياح التغيير في العالم الاسلامي تهب من حوله ـ لا لأكشف سرا من أسرار التغيير الذي حدث في النجف الاشرف قد عرفه الراحلون من أسلافنا رحمهم الله، ومضوا به بعيدا عن الأجيال الذين جاءوا من بعدهم ـ بل لأسجل انطباعا فكريا وأدبيا عن عوامل التغيير في النجف في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجري والتي أدت إلى احداث تاريخية كان لها الاثر العظيم على مسيرة التغيير الاجتماعية والفكرية والبحث العلمي والابداع الأدبي، والخطاب الديني والوعي السياسي، وبما أني لست مؤرخا للفترة المذكورة، فالتوثيق التاريخي له ساحة اختصاص أخرى، ولكني استنطق جوهر التاريخ وأترسم وقائعه وأحداثه الحاسمة "إن في ذلك لآيات للمتوسمين" الحجر: ٧٥، وآية التواصل بين الحراك الشامل الذي كان يقوده السيد جمال الدين على الساحة الإسلامية من افغانستان إلى الهند ومن الهند إلى مصر وايران والاستانة، ومن النجف الأشرف هو مشروع الاصلاح الذي اسس له السيد جمال الدين مع رفيقه السيد محمد سعيد الحبوبي، خلال إقامته في النجف الأشرف والذي بدأ يعبر عن نفسه بعد غياب المرجعية في سامراء ونهوض حركة علمية جديدة في النجف، تعبر عن تغيير في المنهج الدراسي والفتوى والأدب والخطاب الديني، ومن ثم التغيير في الرؤية السياسية للحراك الاصلاحي الذي كان يموج به العالم الاسلامي وكانت أمواجه تلامس أسوار النجف الأشرف، وكانت جماهير الأمة تنتظر القول الفصل عما تعلنه النجف من مواقف، ولقد اتضح أن موقف النجف من أحداث تاريخية جرت في ايران والعراق والحجاز ومصر فغيرت وجه المنطقة وشكلت تاريخها الحديث وهذا تكفل بتوثيقه المؤرخون، واحتفظت بوقائعه ذاكرة الأجيال.

فما هي طبيعة العمل او المشروع القومي الذي كان يجمع بين العاملين في النجف ومن ابرزهم السيد محمد سعيد الحبوبي عليه الرحمة وبين حركة السيد جمال الدين الافغاني الذي كان عمله يرتبط بمواقع عديدة في العالم الاسلامي، واين انتهى به المطاف لاسيما بعد غياب المرجعية العليا في سامراء بوفاة الميرزا محمد حسن الشيرازي(ره) وعودتها إلى الساحة النجفية من جديد.

كان أسلوب السيد جمال الدين وطريقته في العمل في مختلف الساحات التي تحرك عليها في البلدان الاسلامية واروبا، وخاصة في مصر حيث كان اسلوبه أو ملامح مشروعه الاصلاحي أكثر وضوحا منه في الساحات الاخرى التي تحرك عليها، ففي مصر استطاع أن يحتل له موقعا في الأزهر حيث بدأ حلقة دراسية شارك فيها مجموعة ممن عرفوا مواقفه، وسبقت اليهم شهرته قبل أن يحل ضيفا كريما في مصر، وكان إلى جانبه الشيخ محمد عبده الذي ظل ملازما له في المراحل التالية من مسيرته حتى التحق به في باريس بعد اخراجه من مصر ليصدر مجلة العروة الوثقى في المنفى، وكان الشيخ محمد عبده قد ترجم بعض بحوث السيد جمال الدين الفكرية إلى اللغة العربية في مصر، وكانت مجموعة من أدباء مصر وشعرائها والعاملين في الصحافة قد تأثروا بفكر السيد واسلوبه في العمل واستجابوا لافكاره الاضحاحية ودعوته التغيرية ومقاومته للاستعمار الغربي الذي كا يلقى بظله الثقيل على أرض مصر.

وكان السيد يستهدف في حركته التغيرية، حيثما حل في رحلته المثيرة والمواقع المذكورة أو الحقول التي يرى من الضروري تغييرها مقدمة لإصلاح الفساد الذي تعاني منه جماهير العالم الاسلامي، وهي العقول التي كان الاستعمار يقيم قواعده فيها على حد قول الجواهري

ما كانَ أهونَ شأنه مستعمراً لو لم يقمْ وسطَ العقولِ قواعدا

والثاني الأدب والشعر خاصة الذي هو أداة الإثارة الوجدانية والحماس

للدعوة للتغيير الإصلاحي وهو أحد قنوات التواصل مع الجماهير إلى جانب الخطاب الجديد الذي ينبغي أن يقود الأمة إلى أهدافها الإصلاحية، تلك هي بعض ملامح عمل السيد في الفترة القصيرة التي أقام فيها في مصر ولكنه مع قصرها كان لها التأثير العميق على مسيرة التغيير فيها، وعند تأمل التغيير الذي حدث في النجف بعد وفاة الميرزا الشيرازي في سامراء في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين نلاحظ ملامح عمل السيد وثمرات اسلوبه في تغيير التفكير، وحشد وسائل التعبير واصلاح الخطاب الذي هو أداة التواصل بين القيادة الدينية وجمهورها.

فلمَ لا يكون السيد محمد سعيد الحبوبي رضوان الله عليه ركنا وسندا لثورة الاصلاح التي قادها السيد جمال الدين في العالم الإسلامي، وعضدا آخر للسيد في النجف كما كان الشيخ محمد عبده له في الأزهر الشريف ليستمر العمل في المشروع الذي أشرت اليه آنفا في حوزة النجف الأشرف بعد وفاة السيد في الاستانة ووفاة الميرزا قدس سره في سامراء. والسيد محمد سعيد الحبوبي له ثقله في حوزة النجف الاشرف وفي الأوساط العراقية، كما كان على اتصال مع اسرته الشريفة في الحجاز، الذي كان يومئذ يهتز للثورة ويطمح للتغيير، وقد حج السيد جمال الدين وحظى باحترام وتكريم أمير الحرمين، كما كانت لزيارة الميرزا الشيرازي للحرمين أثرها العميق في النفوس المتطلعة للثورة.

والسيد الحبوبي من كبار علماء الشيعة في النجف الأشرف وكان محبوه وعارفوا فضله وموقفه الاجتماعي والثقافي وثورته التجديدية على صعيد الشعر والأدب العربي يتطلعون إلى زعامته الدينية والاجتماعية، بل ارتفعت حظوظه من المرجعية ولازمه تلامذته ملازمة التلامذة الاستاذ الكبير حتى كانت لهم المرجعية العليا من بعده، وكانوا يعتزون بتلك الصلة التاريخية والتلمذة عليه رضوان الله عليه.

وكانت المرحلة التاريخية التي برز فيها السيد الحبوبي متصديا لأعباء

المرجعية من أهم المراحل التاريخية وأخطرها على صعيد التحولات في حوزة النجف ـ بعد وفاة الميرزا الشيرازي ـ وعودة تلامذته الكبار إلى حوزة النجف الاشرف وكان لهم أثرهم المنهجي على الدراسة والبحث العلمي، وكانت تحولات عصرهم والتغيير الذي تمخضت عنه حركة السيد جمال الدين في العالم الاسلامي أعظم الادوار وأعمق الاثر.

وأرى ان مرجعية السيد الحبوبي كان لها مع ظهورها في خضم التحولات الخطيرة في العالم الاسلامي، كان لها طابعها الخاص بين المرجعيات الجديدة بعد وفاة الميرزا الشيرازي قدس سره. فمن طبيعة عمله في النجف الاشرف إبان مرجعية الميرزا في سامراء، تواصله مع حركة السيد جمال الدين التي كانت على مستوى العالم الاسلامي، وهذا التواصل قد أكده باحثون في تاريخ حركة السيد، ومؤرخو تلك الفترة، وليس في أمكاننا الآن ان نقيس مستوى التواصل المذكور أو ان نخوض في تفاصيله.

كان السيد الحبوبي عليه الرحمة يقاوم سياسة التتريك وابادة الكتاب والادباء العرب التي كان يقوم بها الولاة العثمانيون والتي كان من ابشع صورها مجزرة جمال باشا السفاح في سورية ولبنان والتي كان لها صداها الحزين في جميع البلاد العربية، وقد ذكرها شعراء النهضة وخلدوها بشعرهم وفي العراق، قال المرحوم الشرقي:

لبنانُ عشرونَ صليباً لنا ... إذا النصارى افتخرتْ بالصليبْ
لعظمهمْ قد رفعوا فوقنا ... أهكذا يرفعُ قدرُ الأديبْ
أعوادُهم منابرٌ للثنا ... تناولوهنّ خطيباً خطيبْ..

والسيد الحبوبي الذي لم يكن يصرح بادانة تلك المجازر والسياسة القمعية، قاوم باصرار وتشجيع الادباء والشعراء في النجف، فقد روى لنا بعض مشايخنا النجفيين رضوان الله عليهم ممن عاصر السيد الحبوبي أنه كان يجلس بعد ان يصلي العشاء في الصحن الشريف ليستمع الى شعر الشباب ويثير فيهم الحماس لقراءة الشعر ونظمه، وكان عليه الرحمة يكثر من نظم

الشعر في المناسبات النجفية، ويوقد مدرسة تجديدية في الشعر، وقد تاثر الكثير من شعراء النهضة في العراق بشعره، وظل طابع هذا التأثير إلى منتصف القرن العشرين، وأرى أنه أكمل الدور الذي كان يقوم به شاعر عصره واستاذه الكبير السيد حيدر الحلي، الذي كان صوته يجلجل في الأوساط الأدبية العراقية والتجمعات الحسينية، وحفلات التأبين في النجف، وبغداد والحلة، وارى أن السيد الحبوبي الذي خلا ديوانه المطبوع من شعر الرثاء لأجداده من شهداء أهل البيت عليهم السلام، لأن شعراء عصره وعلى رأسهم السيد حيدر الحلي رحمه الله كانوا استنفذوا صور الابداع في هذا الجانب، بينما السيد الحبوبي على رأس مدرسة ابداعية أخرى تقاوم وتبني وتخوض ميادين الجهاد، وكانت مدرسته تلك تتضمن صور ابداعها الرائعة اسرارا اخرى تستحق منا التتبع والمدارسة النقدية العميقة التي ربما أفصحت للباحثين عن مفاتيح واسرار تلك المقاومة الرائعة التي قادها السيد الحبوبي قدس سره، إلى جانب جهاده على ساحات أخرى، فهو عندما يقول وفي قوله رنة عتب عميقة:

لاتَخلُ ويكَ ومَنْ يَسْمعْ يَخلْ أنني بالراحِ مشغوفُ الفؤاد

علينا بحق أن نتساءل عن مصدر هذا الشغف او الشوق والأماني التي يتطلع إليها فؤاده، وتطمح إليها نفسه الكبيرة، وهل هذه الشمس المتجلية في يده سامية والتي شع سناها في الآفاق من حوله والتي كان يكتمها فتوجج شعلة أخرى في أعماقه هي نفسها نار الحبيب المقدسة. التي راها عيانا اليها ودعا صاحبه بعد ان خانه الجلد وكر عليه الكتمان مخدر صاحبه ان يصغى الى قول الحاطبين في الظلماء او الذي اكتفوا هذه دخانها او شدة لمعانتها إن قصيدة السيد الحبوبي التي رثى بها استاذه السيد حيدر الحلي الذي كانت وفاته في نهاية القرن التاسع عشر، وفي خضم الحراك التغييري الذي كان يرج المنطقة وتشارك به رموز عديدة في مصر والعراق وايران وتركيا، وكانت تستحق دراسة عميقة لا للخصائص الادبية التي ظهرت فيها من مطلعها إلى الأغراض الأخرى

ضمنها، بل للمحتوى الرمزي الجديد الذي يصدر عن ينابيع أصيلة في الأدب العربي، ويبشر بولادة مدرسة شعرية جديدة، فإن تفاعل السيد الحبوبي مع فاجعة فقدان السيد حيدر الحلي، في الوقت الذي كان مشروعه الذي مرت الإشارة إليه في أمس الحاجة إلى أمثاله ـ جعل السيد الحبوبي يهتك أستار الكتمان برمزية شفافة وفنية رفيعة. حتى رق الزجاج ورقت الخمر" وكادت الرموز المكانية والزمانية تشف عن التجربة الخطيرة والمهمة الجهادية المكتومة التي يعيشها القائد العظيم.

إن في القصيدة الى جانب اغراضها الأخرى مقطعا يضم أكثر من عشرة أبيات تتضمن الرموز الانسانية والمكانية والزمانية وكلها تعبر عن الحركة باتجاه الهدف، الذي يبدو له بعيدا: ((نبانا ولسنا بالغين منانا)) وأن الحركة نحوه في غاية الصعوبة، اما اصحابه الثلاثة وهم الذين يوجه اليهم خطابه، وهم الذين يدعوهم إلى العمل الجماعي المنتظم والتؤدة والانتظار حيث المسير ليلا في "في في أخوى المدلجين والموعد الجرعاء وعلى الثالث العربي يلوي معرقا أي المتراجع نحو العراق عليه أن ينتظر السيد المفجوع ليشاركه في مهمة حمل الخبر الفاجع إلى أبرق الحمى، الذي يتطلع إلى ينبوع الري، فإن لم ينل الري لعله يبلغ الرشحان.

فيا أخويَّ المدلجينِ كليهما ... إذا جزْتُما الجرعاءَ فانتظرانا
ويا صاحبي لا تَلْوِ عنها معرّقاً ... هلمّ لننعى من نحب كلانا

وفي هذا المقطع الرمزي الرائع نلمس خصيصة أخرى في شخصية الحبوبي العلمية اخالها من ثمرات الدرس الخاص الذي كان يزامل فيه السيد جمال الدين الافغاني عند الميرزا حسين الذي مرت الاشارة اليه وهو عارف شهير يعتبره أهل العرفان رأس سلسلة العارفين في القرن الرابع عشر الهجري، التقى هنا برموز المعرفة التي ظهرت في نص المقطع المذكور، وهي التي الى رمزت الطريق إلى نار الحبيب، فالنهج المعرفي الذي أشار اليه لا الدخان، ولا اللمعان، بل قصد مشرق الضوء نفسه:

فـلا لاتـحـيـل الـوهـم دون عـطـائـهـا فـتـمّ وإلا لا تـحـلّ مـكـانـا

وإننا إذ نقف عند قصيدة السيد الحبوبي لمعرفة رموزها ـ وهي رموز السيد الاخرى تستحق وقفة أطول، ودراسة أدق، لا لنأتي بشيئ جديد أو نكشف سرا كشفته الاداث التي تلت غياب السيد ورموز العمل الأخرى عن الساحة، وملامح الريادة للمشروع الشامل الذي كان السيد أ؛د رواده المبكرين، والذي جعلته الاحداث في مطلع القرن العشرين في مركز القيادة منه، بل في نقطة المواجهة مع قوى الاحتلال وتعويق ذلك المشروع الكبير.

ولكن لا ننسى أن السيد الحبوبي الذي هو رائد تاريخي للإصلاح والتغيير كان رحمه الله يعتمد مدرسة شعرية تجديدية لها خصائصها، وعطاؤها الابداعي، وقد تأثر بها شعراء النهضة العراقيون نلمس ذلك في نتاجهم أو بنص أقوالهم قوة ذلك التأثير، ولنتأمل الصورة التي يرسمها الشاعر علي الشرقي ـ الذي يمثل النموذج الأقرب للسيد الحبوبي ـ في بائيته الرائعة التي يقول فيها:

خـلـيـلـيّ مـثـل جـنـاحـي حـمـام أقـيـمـا وهـبّـا إذا الـشـوقُ هـب
يـداً بـيـدٍ لا مـعـيـن الـزلال مـشـوبـاً ولا الـمـلـح فـوق الـركُـبّ..
سـلا مـن يـديـن لـه واحـدا ومـن قـد يـديـن لـه ابـنـاً وأبّ
مـتـى كـتُـب الـيـأس لـلـبـائـسـيـن وفـي أيِّ وقـتٍ ومَـن ذا كـتـبّ؟!

رائعة الشرقي المشحونة بصور الإبداع وروح الثورة والريادة كانت من مطلعها إلى نهايتها تنبض بالتجديد والتأثر بمدرسة الحبوبي الشعرية، وهو الذي نال حظا كبيرا من الدراسة في حوزة النجف العلمية والمشاركة في الحراك الثوري في مراحله التالية، وزمالة مع رائد مدرسة التجديد الأدبي السيد الحبوبي رحمه الله، ونص قصيدته البائية وأغراضها مثال حي على ذلك، ولكني أشرت إلى الابيات الأربع التي نلتقي في مضمونها التحريضي مع النص الذي تضمن بث السيد وبوحه الشعري مع رفاق طريقه الثلاث الذين استعان بهم على الطريق الطويل، وطرد بهم وحشة الأرواح في سراة، وكان نص

قصيدة السيد ينبض بالأمل ـ يوم كان مشروعه يتراءى له في ((شمس الحميا)) أو في مطلع "نار الحبيب"، بينما نلمح دبيب اليأس في أبيات الشرقي الذي امتد به العمر وتجرع مرارة الاخفاق لمدة أطول من معاناة سيدنا الحبوبي الذي حرمته المنية وهو على ساحة المواجهة الدامية، في مطلع القرن العشرين، فكان الشرقي في ختام قصيدته:

"فيالكِ من أمّة أوجفتْ ولمْ أتّهمْ صدَرها بالريبْ
اذا حفظ اللهُ أحلامهَا فما ضائر، أن تضيعَ الرُتبْ

وإن مضمون بائية الشرقي في الرضوخ لأحكام القناعة والاخلاق التورية، والحسرة الضمنية على ضياع " الرتب " واخفاق المشروع الذي شارك فيه الشرقي مشاركة التورية عملية قبل ثورة العشرين وبعدها، لم تكن موضوعا للبحث بالقدر الذي أردنا منه اعطاء نموذج لتأثير مدرسة السيد الحبوبي الأدبية، فإن المتأثرين بتلك المدرسة من جيل الشرقي، ومن جاء بعده من شعراء العراق عدد كبير، وهذا التجديد الأدبي في مطلع القرن العشرين، ينبغي أن يشار إليه في إطار التغيير الذي تفاعلت معه الاوساط الفكرية والسياسية في العراق، ونهضت لغة أدبية جديدة في الصحافة والابداع الادبي، والشعر خاصة.

ولم تكن الحوزة العلمية في النجف في معزل عن التغيير المذكور، نقد شهدت بحوث الأصول والفقه تجديدا ملحوظا تمخض عن نتائج منهجية هامة فإن مدرسة الشيخ الأنصاري رضوان الله عليه الذي توفي سنة ١٢٨١هـ، وظلت آراؤه الأصولية والفقهية محاور البحث في الحوزة، ولم تشهد خلال مرجعية أبرز تلامذته الميرزا الشيرازي ت ١٣١٢هـ تغييرا او تطورا يذكر. ولكن التطور والنمو في البحوث الأصولية عظيما في جهود تلامذة الميرزا الشيرازي الذين عادوا إلى النجف فشيدوا أركان مدرسة النجف الأصولية الجديدة والرموز التي قادت هذه المدرسة معروفة ومواقفها من أحداث المرحلة، مثل نتائج الحرب العالمية الأولى، وحركة المشروطة في ايران، وثورة العراق واستقلاله في مطلع

القرن العشرين، مما أفاضت مصادر تاريخ تلك المرحلة في تفاصيله، ومن أعلام تلك المرحلة الحاسمة في تاريخ البحث العلمي في حوزة النجف الشيخ محمد حسين الاصفهاني قدس سره، الذي كان لتلامذته ونشاطهم على صعيد البحث الاصولي والفلسفي الاثر الملموس، ومن أبرز تلامذته الشيخ محمد رضا المظفر الذي كان من قادة التطوير والتجديد ـ كما سنشير اليه في السطور التالية ـ، وقبل أن أنهي هذه النقطة من البحث، لابد من الاشارة ألى حقل من حقول التغيير والتطوير ـ في تلك المرحلة ـ وهو الخطاب الديني الذي شهد تغييرا مهما في أسلوبه ومضمونه ونموا ملحوظا في محتواه الثقافي العام، والخطاب الديني المذكور كان يتم عن طريق المنبر الحسيني ـ وقد شهدت المرحلة نبوغ مجموعة كبيرة من الخطباء الذين برزوا في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وكانت خطاباتهم الجماهيرية في تغطية أحداث القرن ووقائع المرحلة المصيرية هي الوسيلة بين جماهير الامة ورموز القيادة الدينية في حوزة النجف الأشرف، من هنا كانت الحوزة العلمية حريصة على دعمها وصيانتها من الانحراف، وقادة التجديد ـ في النجف ـ حريصين على تطويرها واغناء مضمونها الاجتماعي والثقافي.

لقد سبقنا الجيل الذي منه العلامة السيد محمد بحر العلوم من حيث الزمن بعقدين من السنين، وبأشواط بعيدة من العمل الاجتماعي والثقافي، وتحرك على ساحة شاسعة من الأرض ترك عليها نشاطا جادا مثمرا بناءً وعملا انسانيا نفذ به إلى قلوب عدد كبير من الناس، وترك أثرا عميقا، سوف يبقى طويلا في نفوس محبيه وعارفي فضله، ومدهشا راسخا في عقول الباحثين في عطائه الثقافي وتراثه الشامل المتكامل الذي سيبقى موضوعا للبحث وأسوة للعاملين الدارسين من بعده، لمن أراد ان يذكر أو أراد شكورا.

ونحن الجيل المتصل والتالي للحقبة التي عاشها السيد محمد بحر العلوم، والتي شهدت عطاءه الثر ونشاطه الغامر من حقنا ان نسميه رائدا لجيلنا، وأن

زخر عصره بالرواد العظام الذين كانوا روادا له ولجيله، ومن واجبنا أيضا أن نتحرى روح الريادة وخصائصها النيرة في شخصيته الكريمة وفي تراثه الرائع، باحثين عن الأسوة والعبرة والدروس ومعطيات التجارب التي هي زاد الاجيال وقناديل مسيرتها ورموز بقاء الأمم.

اما الريادة التي هي موضوع بحثنا ومعناها او روحها التي هي دليلنا في الحديث عن دور" رائدنا " الاجتماعي والثقافي، فلا يخفى معناها العام على الأفكار وهي في حياة السيد تشكل بعدا عمليا في نشاطه وهو يكافح ويسعى من أجل ايجاد شروط الحياة وبقائها. وهي هنا على صعيد التعاون أو توزيع أدوار العمل الإنساني تكاد تكن تفويضا للرائد أو عقدا اجتماعيا بين الرائد وأهله، ومن هذه الحقيقة في الريادة قالت العرب " إن الرائد لا يكذب أهله " وهي تشير بذلك إلى مجموعة من الشروط والخصائص التي يجب توفر الرائد عليها في مهمته المصيرية، وهي قدرات ذاتية وخصائص اخلاقية، أهم الخصائص الذاتية البصيرة، وأهم الشرو ط الاخلاقية الصدق الذي أشار إليه المثل المذكور آنفا.

والريادة في ظرفها الموضوعي محكومة بالزمان والمكان، وعلى ضوء البحث عن الظرف الموضوعي هذا تتجلى خصائص الرائد الذي اختير للمهمة المنوطة به، وتقاس نجاحاته واخفاقاته، قال تعالى: " بسم الله الرحمن الرحيم والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر"

لم يكن عصر رائدنا يبدأ من سنة ١٩٢٧ مطلع القرن العشرين الميلادي، ومنتصف القرن الرابع عشر الهجري، فلقد عاش مع مجموعة من الرواد الذين شهدوا أحداث القرن التاسع عشر، الذين اشرت اليهم آنفا، وسيأتي بعض الاشارات إلى أحداث وتحولات خطيرة في نهاية القرن التاسع عشر شهدها اؤلئك الرواد وشاركوا فيها، وصنعوا فصولا من تاريخ الأسلام إبان تلك الحقبة المصيرية، وأرى أن تاريخ تلك الأحداث القريبة والآثار التي تركتها على الحياة

الاجتماعية والسياسية، والتواصل مع الشخصيات التي امتد بها العمر ممن شاركوا في أحداث الحرب العالمية الأولى، وأحداث انتفاضة تحريم التنباك، ووقائع الصراع بين جماعة المشروطة والمستبدة، والتحولات التي شهدتها الاستانة، وأخيرا حركة الجهاد في العراق، ومقارعة المحتلين على أرض العراق وفي النجف خاصة، من هذه الأحداث كانت الحقبة التاريخية القريبة التي كانت نصب أعين الجيل الذي ولد في الربع الأول من القرن العشرين الذي شهد روح الريادة واتضاح معناها في حياتهم التالية ونشاطهم الجديد الذي كان ينضج على نار هادئة، بعد نهاية الثورة وتأسيس الدولة.

لقد عاش السيد محمد بحر العلوم منذ نشأته الأولى في ظل أسرة رائدة ومؤسسة تاريخيا للحركة العلمية والاجتماعية، والحديث عن هذا التأسيس والريادة الأولى منذ القرن الثالث عشر الهجري يتطلب حديثا وبحثا آخر، استوعبته بحثا في رسالتي المعدة لنيل الدرجة الدكتوراة سنة ١٩٨٦ م في جامعة السوربون حول مدرسة النجف الجديدة في أصول الفقه.

السيد في ريعان شبابه كان شاهدا في أوساط مدينته المقدسة بل في ديوان بيته التاريخي رموز الجهاد والعلم والنهضة الإسلامية والتحرير وأبطال ثورة العشرين، وابطال الاستقلال، ومؤسسي الدولة العراقية الجديدة، كما شهد وهو في ذروة وعيه الأدبي والثقافي تلك الحفلات التي تقام عندما تفقد المدينة أحد هذه الرموز العظيمة التي كان النجف بأوساطها العلمية والادبية والشعبية تعبر عن احترامها وتبجيلها واجلالها لتلك الرموز، ولقد شهدت وأنا في سن الصبا بعض هذه الحفلات، وانطبعت في مخيلتي ذكرياتها، وبنت ذاكرتي ايحاءتها ومعاني النصوص الشعرية والنثرية الأدبية التي كانت تلقى فيها.

وفي اكتمال وعيه السياسي ونضجه الاجتماعي فقد أباه الذي كان واجدا من تلك الرموز التي مرت الاشارة اليهم، وكان لفقده رنة أسى في النجف سنة ١٩٦٠م، وجئنا إلى النجف والأوساط الأدبية تترنم بالشعر الرائع الذي رثي به

أبوه المرحوم السيد علي بحر العلوم، وكنا ونحن في سن الصبا نحفظ ما ألقي في حفل الأربعين من شعر ونتغنى به في خلواتنا الأدبية، ومن أروع ذلك الشعر قصيدة استاذنا مصطفى جمال الدين والتي سجل فيها ملامح تلك الحقبة الخطيرة في العراق والنجف خاصة، مخلدا ذكرى ذلك الأب العظيم الذي نشأ في ظله رائدنا الكبير، ولم ينس الأستاذ جمال الدين أن يذكره في قصيدة الرثاء ويرى فيه أملا ومعنى جديدا للريادة.

لقد هبت على العراق في تلك الفترة والتي غطت عقدا من السنين ١٩٦٠-١٩٧٠، رياح عاصفة وجرت على أرض العراق تيارات تمخضت عن نتائج كان لها اثارها الى يومنا هذا، وفي هذه الفترة بلغت مرجعية السيد الحكيم ذروتها وكان السيد بحر العلوم ببيته االشامخ وعلاقته وتجربته وقدرته الذاتية قوة شابة تعتمد عليها المرجعية يومئذ، ولكن رغم ارتباطه بالمرجعية ومؤسستها التاريخية واسلوبها في العمل وقيودها الصارمة، كان ينطوي على روح ريادية تتطلع إلى اساليب جديدة للعمل، تتناغم مع روح العصر وتواجه بقوة الرياح العاتية التي هبت على النجف وتركت اثارها الفاجعة، وأرى أن هذه الفترة هي التي أغنت تجربة هذا الرائد الجديد، وفي تفاصيل وقائعها التاريخية ودوره في تلك الأحداث ما يلقي الضوء على تجربته وملامح شخصيته في فترة السبعينيات المليئة بالأحداث.

وفي هذه الفترة التي كان له فيها نشاط معلن منذ ١٩٥٩ حتى ١٩٧٠ هذه كان قد تخرج من كلية الفقه، ونشر بعض بحوثه المهمة، شارك مشاركة فاعلة في المهرجانات الادبية التي كانت تقيمها النجف في مولد الإمام الحسين عليه السلام، وكانت تشكل مظاهرات أدبية وسياسية واجتماعية، وكانت مدن العراق ترسل من الجنوب إلى الشمال وفودا شعبية تشارك في تلك الحفلات والي يقرأ تراث تلك لحفلات الأدبي ويدرس مضمونه الاجتماعي والسياسي يلاحظ أهميتها في تاريخ العراق.

في تلك الفترة كانت سيرة رواد عصره نصب عينيه وكانت خطواته الأولى

تترسم خطاهم، كان على طريقة شخصيات رائدة من أسرته القريبة في تاريخها البعيد، وفي الفترة المتصلة بتربيته مثل والده المرحوم السيد علي بحر العلوم وأعمامه وأبناء عمومته الذين هم أكبر منه سنا فهذه الدائرة القريبة من أسرته الذين تأثر بتربيتهم ومعارفهم وأدبهم، اما اسرته العلمية وأعني بها الحوزة وأقطابها من المجتهدين والقادة السياسيين والاجتماعيين، فأن ديوان آل بحر العلوم مدرسة قائمة بذاتها أو رافدا هاما من روافد الحوزة الكبرى في النجف الأشرف، وكان الديوان المذكور له تقاليد ومراتب تبدو بسيطة في مظهرها المتواضع ولكنها صارمة ومهيبة.

كنت ارتاد ذلك الديوان وانا في بداية العقد الثالث من عمري، وكان مكاني في الموقع الثالث من الديوان الذي يتصدره من تقدم علي من أدباء النجف وشعراء فترة الستينيات، ولم أذكر أني غيرت مكاني في يوم من الأيام لاقترب من السدة التي هي مكان بعض الشخصيات ـ وهي الطارمة. وهي المرتبة الثانية، اما المكان الأول وهو صدر الديوان وهي الحجرة المعترضة هذا المربع الذي لايتجاوز مساحته المئتي متر وهي مكان المجتهدين الكبار الذي أدركنا منهم الشيخ حسين الحلي قدس سره، والسيد سعيد الحكيم، والسيد محمد تقي بحر العلوم، والسيد محمد حسين الحكيم، وغيرهم من هذه الطبقة، والذين يجلس إليهم ويسمع منهم ويناقشهم في الغرفة المذكورة تلامذتهم، وهم أساتذتنا من الجيل المتصل بهم، مثل السيد محمد تقي الحكيم، والشهيد السيد محمد باقر الصدر، والسيد مصطفى جمال الدين، والسيد حسين بحر العلوم، السيد علاء الدين بحر العلوم والسيد عز الدين بحر العلوم، وغيرهم من هذه الطبقة.

وربما كان من نافلة القول ـ أن اذكر ـ أن في هذه الشخصيات المذكورة من هو تلميذ رواد الحوزة الكبرى للنجف الأشرف كالنائيني والاخوند، إلى جانب المرجع المجاهد السيد محمد سعيد الحبوبي، والسيد الحيدري ومنهم ممن ادرك مرجعية الميرزا الشيرازي الكبير، وكان من تلامذته، وهي طبقة رائدة في

عصرها الذي كان يموج بالاحداث والتحولات الخطيرة على صعيد العالم الاسلامي، والتي طبعت تاريخ المنطقة بطابعها وشكلت اهم فصوله.

بقي أن نذكر مركزين من مراكز الريادة في النجف هما المحور الأدبي الذي عاشه السيد محمد بحر العلوم منذ فترة صباه هو ومجموعة زملائه الذين كانت لهم علاقة بديوان أسرته المذكور آنفا، وكانت مجموعته تتطلع إلى رواد الأدب والشعر الكبار مثل الشيخ محمدعلي اليعقوبي، والسيد محمود الحبوبي، وبعض الرموز الذين كان لهم فضل الريادة في تأسيس مؤسسة ثقافية في النجف اسموها الرابطة الأدبية، وكان لتلك الشخصيات مواقعهم المرموقة وسابقتهم التاريخية والأدبية في النجف، يقول السيد في بعض مذكراته الموجزة " ثم بدأنا نحضر المجالس الأدبية يوم ذاك وكان يدير نشاط الرابطة في الاربعينيات المرحوم محمود الحبوبي، وتسمى المجالس هذه بمجالس التقفية الشعرية، وخصوصا في مجالس شهر رمضان، وكنا نزج أنفسنا في هذه المجالس بين كبار الشعراء المعروفين، ولم نمنع من حضورها لأن كبار الرابطة الادبية كانوا يريدون أن ينشأ جيل لهم..".

وقد تمخضت هذه التطلعات الأدبية عند السيد وزملائه، وهم جيل يختلف في السن والتطلعات والآمال والإبداع الادبي عن جيل الرواد، وقد ارتأوا أن تكون لهم مؤسستهم الأدبية الخاصة، ومارسوا من خلالها دورهم الادبي، وقد أعطت هذه المجموعة عطاءا ملحوظا، وأبدعت إبداعا متميزا ونبغ فيها شخصيات أدبية مهمة كانت لهم الريادة الادبية لمن جاء بعدهم، وبعد أن رحل الرواد من أعضاء الرابطة الأدبية عادت الرابطة الادبية نفسها إلى المجموعة المذكورة التي كانت تسمي نفسها " أسرة الأدب اليقظ" فرأسها السيد بحر العلوم نفسه في فترة الستينيات، وعندما غادر إلى مهجره في الكويت انتخب الدكتور السيد مصطفى جمال الدين رئيسا للرابطة من قبل الهيئة العامة، وكنت أنا ومجموعة من زملائي من أعضائها، وكانت لنا مشاركة فعالة في نشاطها بعد تخرجنا من كلية الفقه في فترة السبعينيات، كما كانت لي شخصيا مشاركة في الرابطة خلال رئاسة السيد بحر العلوم لها.

اما مركز الريادة الثاني فهو مؤسسة منتدى النشر فقد كان مؤسسها المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر ره يحرص على أن يكون المجموعة التي اختارها لمدارس منتدى النشر وكلية الفقه مثل السيد محمد بحر العلوم وزملائه جنودا لحركته الاصلاحية، وأدوات للتغيير في المستقبل، وقد ذكر لي ذات مرة عن هذه الفترة كيف أن الشيخ المظفر ـ ره ـ كان يقول له أريد في البدء أن أصنع منكم طلابا نموذجيين واجعل منكم بداية جيدة للعمل.

ومن ذكريات السيد عن تلك الفترة المبكرة ما ذكر لي في بعض مذكراته " ولا أنس أن أول وقوفي لإلقاء كلمة في حفل يعتبر من الحفلات الكبيرة في النجف أقيم من قبل مدرسة منتدى النشر وكانت مناسبة نهاية السنة الدراسية حين حاول المرحوم الشيخ المظفر أن يعرض على النجفيين على اختلاف طبقاتهم أنه يتمكن من تهيئة جيل وكان ذلك في حياة المرجع الديني السيد أبو الحسن الاصفهاني بالاربعينيات، ولا أنس أن المرحوم المظفر هو الذي كتب لي الكلمة، والقيتها مبتهجا وحصلت على جائزة من الجوائز التي أعدت للطلاب الناجحين، وكانت حصتي الصحيفة السجادية، والتي اهديت لي من قبل السيد محسن الحكيم...".

هذه من الوقائع البسيطة في فترة الصبا والشباب لهذا الفتى الأصيل المتطلع من قبل الرواد الكبار، في عصره لها دلالاتها ورمزيتها وأثرها في نفسه، فالمؤسس الكبير المظفر يكتب له الكلمة، ويدفعه لالقائها على حشد من علماء النجف ووجهائها، ومؤسسي منتدى النشر، والسيد الحكيم هو الذي يقدم له الجائزة على نجاحه، وادائه تلك المهمة التي تناسب عمره، والتي انيطت به من قبل رائده المظفر، وهناك أمر آخر له دلالته ورمزيته وهو أن يكتب استاذه السيد محمد تقي الحكيم مقدمة ضافية لكتاب السيد محمد بحر العلوم عن فيلسوف العرب الكندي سنة ١٩٦٢م، تحت عنوان "يعقوب بن اسحق الكندي، الرائد الأول للفلسفة الإسلامية ومفخرة الفكر العربي".

لقد كانت فترة الدراسة في كلية الفقه والندوات الاسبوعية التي كانت تدار بإشراف الاساتذة ومشاركة الطلاب النابهين في الكلية الأثر البارز على

شخصية السيد محمد بحر العلوم الأدبية والعلمية وفي ما خلفه من تراث علمي وأدبي، ونشاط ريادي على صعيد السياسة والمجتمع.

وفي نهاية هذا المدخل عن النشاط الريادي في فترة الستينيات لابد من القول أن الحفل الكبير الذي كان يقام في النجف بمناسبة مولد الإمام الحسين عليه السلام كان يشكل نشاطا رياديا يشارك فيه أدباء النجف من الرابطة الأدبية وجمعية التحرير الثقافي ومؤسسة منتدى النشر، وأساتذة كلية الفقه، وكان خلية للإبداع محقا للمواهب الشابه وطليعة لحركة نقدية اجتماعية وسياسية وكان العلامة بحر العلوم وعدد من زملائه في طليعة المؤسسين له وتنظيمه على صعيد عادته الادبية وادارته، وكان لهذا الحفل المبارك الاثر الكبير في حياة المدنية او احيانا الادبية واخيار مواهبنا حياتنا الادبية واختبار مواهبنا تظهر عند مشاركتنا فيه.

* لقد تزامن صدور كتاب السيد بحر العلوم عن الكندي مع الاحتفالات بالفية مدينة بغداد، والكندي إبان حكم الزعيم عبد الكريم قاسم، وقد سمي وفد من النجف للمشاركة في الاحتفالات في بغداد، وفي تلك الفترة نظم السيد مصطفى جمال الدين قصيدته المعروفة عن بغداد " ونظم الشيخ محمد الهجري قصيدة عن الكندي مطلعها:

بشراكَ وَنّحْ كؤوسَ الفكرِ يا عيُد فقد أطلّ منَ الصحراءِ عنقودُ

ولم يشترك الشاعران يومئذ لاسباب لم نعرفها الا ان مجلة النجف اصدرت عدداً خاصاً تشدت فيه القصديتين. وبذلك احتفلت النجف بالمناسبة المذكورة.

أما بعد هذه الاشارات إلى العصر الذي عاش السيد ره أحداثه وتحولاته والذي يبدأ من الربع الأول من القرن العشرين، حتى الثلث الأخيرمنه، حيث بدأت الهجرة في المكان تحكم نشاطاته إلى جانب الزمن الذي مرت الإشارة إلى طبيعته لقد كانت حركته على الأرض التي عاش عليها أجداده وأهله واحتضنت اجادهم الطاهرة وهي التي يصدق فيها قول القائل:

"بـلادٌ بـهـا نـيـطـتْ عـلـيّ تـمـائـمـي وأولُ أرضٍ مـسّ جـسـمـي تـرابـهُـا"

النجف المحببة لأهلها، بل لكل من عرفها وعاش أياما من عمره فيها، فهي مهد الحنين والمدى البعيد للشوق الغامض الذي لا يعرفه إلا من يكابده، ويذوق الصبابة إليه إلا من يعانيه، اما النجفي فهو مولع بالنجف وموله بترابه، "ما فجر ونجمته وما قيس وليلاه".

ومن الشعر ديوان، وضخم لو قدر له أن يجمع وفيه أدب فريد وابداع رائع لو قدر ان يدرس إنه الحنين إلى النجف وأشواق عشاقه الاوفياء له، الذين يتسائلون منذ القديم، "أي سرفي ثراك الطهر عالق " كان رائدنا من سنين الصبا يترك النجف لفترات قصيرة يرتاد فيها أرض الجنوب يبحر على أمواج الأهوار ويتطلع إلى ما وراء الصحراء، ثم يعود إلى مدينته مشتاقا مولها ليعيش حبها من جديد.وقد حدثنا طويلا ذات ليلة عن هذه السفرات القصيرة إلى جنوب العراق وشرقه وهو يحل ضيفا عزيزا مكرما على أصدقاء والده ومحبي أسرته كان يستجيب لدعوة الحضور خصوصا في العمارة.

وفي فترة العمل في الستينيات ومطلع السبعينيات، كان يستجيب لدعوة الشيخ محمد جواد السهلاني الذي يقيم احتفالا ضخما في البصرة، وكنت اشارك فيه مع الوفود التي تدعى من المدن الأخر، وكان ذلك الحفل المهيب الذي يقام بمناسبة استشهاد امير المؤمنين "شهيد المحراب" عليه السلام، ينافس الحفلين العظيمين في كربلاء بمناسبة مولده، وفي النجف بمناسبة مولد الحسين عليه السلام، وكان السهلاني يبذل جهودا مضنية في تنظيم ذلك الحفل ادارته، اما شمال الوطن فقد شهد حراكا آخر للسيد بحر العلوم يكاد يذهب بذكريات الجنوب المحفورة في ذاكرته ولكنها اطلالة مختلفة على الحق تخالطها جدية العمل الدائب ومرارة الجراح، على سفوح الوسط ومنتجعات الجنوب، تمهيدا لاحتواء صورة الوطن الواحد، وصيانة لعهده وحفظ ميثاقه، وسعيا لكشف الغماء عنه، وترقبا لانجلاء غيوم الحزن عن آفاقه وهموم الراحلين المسافرين عنه معبراً عن هذه الهموم بقوله:

تـصـوّرْتُ ايـامـي ظـلامـاً بـغـيـره فـهـلّ تـنـجـلي عـنـي هـمـومُ الـمـسـافـرِ

كان السفر قطعة من سق ر، والمسافر مجنون بشوق الوصول، وذلك رحيل ضمن حدود الوطن، وخطى على ثرى الأجداد والآباء وارض الحب الذي لا يغادر الذاكرة. ما الارض الواسعة التي ذكرها سبحانه في كتابه العزيز بقوله "إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض اللّه واسعة فتهاجروا فيها..." النساء: ٩١"، هذه الهجرة في أرض اللّه الواسعة هي التي استغرقت عقودا من عمر الرائد وأعمار اسرته بكامل افرادها، وهي التي سماها غربة، وحدثنا في كتاباته الشعرية عن حصادها، هي التي تساءل عن هموم المسافر فيها، ومتى تنجلي؟.

وهي التي ذكرت في ما مضى من هذه السطور أنها الى جانب الزمن تتحكم بريادة الرواد، ورائدنا عمل في عصر له تحولاته ومنعطفاته ومشكلاته وكوارثه وفوادحه، وتحرك وهو في غمرة تلك الفوادح على أرض شاسعة واسعة شرقا وغربا، وكان طبيعيا أن يكون لأشواط تلك الحركة الدائبة والمعاناة العميقة، معطياتها حصيلتها وحصادها الذي عبر عنه بديوان شعر كامل اسماه "حصاد الغربة".

وأن تلك هي إشارات إلى بعض الظروف التي رافقت عمل السيد بحر العلوم والتي كان عمله الريادي محكوما بها وخاضعا لها، والتي كان سلاحه فيها إرادته وصدقه وإخلاصه لأهداف أمته وقدراته الذاتية قد تجلت في سيرته معطيات المدرسة التي ربى في ظلها، صنعت شخصيته في ظل رواد عظام كان من بعض أهدافهم أن يصنعوا طبقة من الرجال مثل السيد محمد بحر العلوم لاستدامة المسيرة ومواصلة البناء وحمل هموم المصير.

وقد مرت الاشارة إلى أن هؤلاء الرواد الذي عاصرهم السيد محمد بحر العلوم بل عاش في ظلهم صنع في مدرستهم، كانوا يمثلون حلقة رائعة من حلقات تاريخنا الذي نعتز بأمجاده ونحيا بذكر صناعة من علماء وشهداء وقادة، الذين لن ننساهم أبدا، فإن نسيانهم يعني نسيان أنفسنا وتدمير هويتنا

التاريخية، ويرحم الله شاعر هذه المسيرة السيد حيدر الحلي(ره) الذي عبر عن هذا الاحساس أبلغ تعبير اذ يقول في بعض قصائده الملحمية:

نَسِيتُ نفسيَ جسمي أو فلا ذكرتُ إلّا عن الدنيا ارتحالا
حينَ تنسى اوجَها من هاشمٍ ضمّها التربُ هلالًا فهلالا

في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين بدأت رياح التغيير تهب على العالم الاسلامي، وكانت ردود الفعل إزاء التدخل بل النفوذ الغربي تأخذ أشكالا مختلفة حتى انتهت بالاصطدام المسلح والجهاد الدامي في مطلع القرن العشرين، وكان العراق أحدى بؤر التغيير، ومن أهم ساحات النزاع والتدخل الغربي بمختلف اشكاله حتى وطئت أقدام الجنود البريطانيين أرض العراق في بداية الحرب العالمية الثانية ١٩١٤م، لقد كان التحرك لمواجهة الاجتياح الغربي بأشكاله المختلفة وعلى جميع مستوياته، قد اخذ شكلين رئيسين الأول على المستوى الرسمي وكان منطلقه من الاستانة "استانبول" ويقوده السلطان عبد الحميد، وبعض علماء الدين الذين كانوا يعملو في صفه، وكان هنا التحرك يعبر عن نفسه " الجامعة الاسلامية"، التي كانت تدعو إلى وحدة الإسلام بجميع مذاهبه لمواجهة الخطر القادم من الغرب والذي يهدد العالم الاسلامية، وقد نجحت هذه الدعوة في كسب بعض الانصار في العراق، وايران وكان السلطان عبد الحميد يرى فيها انقاذا لعرشه وخروجا من الأزمات التي كانت تهدد كيانه ومواجهة الأزمات التي كان الغرب يفتعلها في البلاد الإسلامية لزعزعة ملكه ومنها العراق، وكان للدعوة إلى الجامعة الإسلامية رموزها وأنصارها وتراثها الجدير بالبحث في هذا العصر الذي نعيش فيه مشكلات معقدة لاسيما مشكلة الطائفية والتكفير، وتدخل الغرب المرير في جميع شئون الاسلام والمسلمين، ومن تراث هذه الدعوة ما ذكره المرحوم الشبيبي في بعض مذكراته ـ وهو من أهم رموز التغيير في مطلع القرن العشرين ـ " في يوم ٢١ ذي القعدة ١٣٣٣هـ قدم النجف من القسطنطينية مارا بالعجم شيخ يدعى الشيخ الرئيس، وهو من ذراري فتح علي

شاه القاجاري ومن مشاهير أنصار الجامعة الاسلامية.." ثم ذكر لنا بعض التفاصيل عن زيارة هذا الشيخ الرئيس استغرقت اكثر من نصف صفحة من مذكراته، ومن هذه التفاصيل خطبته في المشهد العلوي التي أعلن عنها من قبل، واحتشد لها "طلاب العلوم الدينية ومستخدموا الحكومة العثمانية وجملة من المترأسين، وكان هذا الشيخ ممن يدافع عن الجامعة الاسلامية، والاسلام في مؤلفاته وخطاباته" مطرسا في ذلك أثر الافغاني ومحمد عبده، ومن مؤلفاته "رد القادياني" الذي رد عليه الأفغاني من قبل، ثم ذكر ان الشيخ سبق له التحصيل في العراق فسمع في النجف حدود ١٣٠٩هـ من الميرزا حبيب الله الجيلاني ومن الايرواني في كربلاء ومن الاردكاني وفي سامراء ثلاث سنين من الميرزا الشيرازي وهو يجيد الخطابة والتأليف بالعربية والفارسية. ولم يكن هذا الشيخ الرئيس الذي عرَفنا عليه الشبيبي بالحجم الذي يبدو في مذكراته ولكنه في المصادر أي الانكليزية يظهر داعية ونشط للجامعة الاسلامية ومنظرا لهذه القضية، وكان يعتبر في ايران من المصلحين، وقد ألف كتابا باللغة الفارسية سماه " اتحاد الاسلام " كان يسير افضل معالجة في القرن التاسع عشر للمشاكل الاسلامية، ومنها اتحاد المسلمين جميعا تحت راية السلطان عبد الحميد، وقد جاء في تقرير بعث به هاردنج إلى الخارجية البريطانية في سبتمبر ١٩٠١م، أن الدعوة الى الجامعة الاسلامية تزداد قوة كل يوم وكان يدعمها بعض المجتهدين وبعض طلاب المدارس الدينية العلمانية، الاولى بسبب العامل الديني والثانية بسبب الجانب الديمقراطي، اما الذين تحفظوا عليها من كبار المجتهدين فيسهل تفسيره بحكم اطلاع هؤلاء عن عمق على التراث المذهبي وأسسه وادراكهم للصعوبات التي تضع المشروع موضع التنفيذ"، وكان طبيعيا ان تستمر الدعوة للمشروع المذكور إلى مابعد وفاة السيد جمال الدين الافغاني في استامبول في ٩ آذار ١٨٩٧م.

كانت كثير من الدلائل في المصادر التاريخية الكثيرة التي ألفت بلغات شتى عن حياة السيد جمال الدين الحسيني تشير إلى أن السيد لم يقطع صلته

بالنجف خلال نشاطه العريض الذي غطى الكثير من مراكز القرار الشرقية والغربية، ولكن الدكتور علي الوردي يستعرض لقاءاته التي تمت في النجف والكاظمية وكربلاء والبصرة عندما أبعد عن طريق قم وكرمانشاه إلى الحدود العراقية، وقد لقي عناء شديدا واعتل بدنه إذ كانت الدواب وسيلة السفر وقد تسلمته الشرطة العراقية عند الحدود، فجائت به إلى بغداد، كان ذلك في أوائل عام ١٨٩١ م، في أعقاب نشاطه ضد ناصر الدين شاه في البلدة التي تقع جنوب طهران وتسمى بلدة الشاه عبد العظيم.

ويروي الوردي عن الدكتور مهدي البصير " أن السيد بعد حلوله في بغداد زار الكاظمية متنكرا ومكث فيها أياما ـ بعد أن سمح له الوالي الذي تلقى تعليمات من الاستانة بمراقبته ـ واشترط عليه ان يتنكر خلال زياراته للعتبات المقدسة، وقد ذكر الدكتور حسين علي محفوظ أنه التقى جماعة سرا، وقد شاع أن الشاعر عبد المحسن الكاظمي كان من الذين اتصلوا بالافغاني، وتاثروا بأفكاره، وسار على منهجه في الكفاح والاسفار والتنقل في البلدان الاسلامية، وكان إقامة السيد في الكاظمية. ويعود الدكتور الوردي ليقول " وحدثني ثقة من أهل النجف أن الافغاني حين زار النجف متنكرا، اجتمع بالسيد محمد سعيد الحبوبي الذي كان زميله في الدراسة سابقا وكان اجتماعهما في الصحن الشريف في الغرفة التي تقع فوق باب القبلة، وقد طال اجتماعهما منذ صلاة العشاء حتى مطلع الفجر.

ولهذا الخبر أهمية خاصة في تاريخ علاقته بالنجف الأشرف وكبار العلماء الذين يديرون الحوزة العلمية، والعلاقة الخاصة التي تربط بين الحجة الحبوبي وبين السيد، والتذكير بالزمالة القديمة يوم كان السيدان رحمهما الله في سن الشباب وسعى تطلعهما إلى المستقبل وحمل هموم انقاذ الأمة لامن نفوذ الاجنبي وجواسيسه في تلك الفترة في بلاد الإسلام، بل انقاذ المسلمين من السلاطين المستبدين الذين كانت عروشهم تتزلزل بسبب عوامل كثيرة.

وأرى من خلال وثائق وأدبيات تلك الفترة أن العلاقة بين الحجة الحبوبي

والسيد لم تكن مبنية على مجرد هموم وأحاسيس الشباب والتطلعات في تلك السن، ولكنها تعبر عن مشروع عمل جدي من هذين القطبين اللذين جمعهما الدرس في حضرة استاذ ذي خط اخلاقي معروف وتربية روحانية استفاد منها عديد من مصلحي تلك الفترة وما بعدها.

وقد عبر الحجة الحبوبي ـ ره ـ في قصيدته الرائعة التي رثى بها استاذه السيد حيدر الحلي الذي كان من رموز الحركة في تلك الفترة برموز عميقة وذات دلالة هامة على خلفية ذلك العمل المشترك الذي كان يجري بكتمان شديد وبعيدا عن عيون سلاطين ذلك العصر، ومن يعيد قراءة تلك القصيدة يجدها معبرة عن روح الريادة في ذلك العصر الخطير.

ومن المعلومات المهمة عن حركة السيد خلال اقامته في العراق، ماذكره الوردي في كتابه بعد ذكر لقاء السيدين الكبيرين " وقيل ان الافغاني زار سامراء وقابل الميرزا محمد حسن الشيرازي ـ ره ـ وكان يومئذ المرجع الأعلى للأمة، واختلى به برهة من الوقت ولا ندري مبلغ هذا القول من الصحة. وأرى أن ذلك غير بعيد عن الواقع، فقد كان من الطبيعي أن يكون برنامج السيد يضم زيارة عتبة سامراء، ولقاء مرجعها الأعلى لاطلاعه على ما يجري في ايران وما عاناه بتجربته الشخصية مع سلطات الشاه، رغم أن للسيد مشروعه الخاص به بالتنسيق مع زملائه الآخرين.

إن النظر في الشروط العامة وظروف المكان والزمان التي تحكم حياة شخصية بارزة رياديه واثر وقع الأحداث عليها في مداراتها البعيدة، يلقي من بعيد الضوء على أبعاد تلك الشخصية ولكن هذه النظرة البعيدة إلى مشهد حياتها العام تختلف أحكامه ونتائجه عن النتائج التي يتوصل اليها نتيجة النظر عن كثب ويتناولها عن قرب ولا يتأتى ذلك إلا بعد ان يضع الباحث يده على الوثيقة المكتوبة أو الدلالة المادية أو الصلة المباشرة بعالم وتجربة تلك الشخصية، وهذا الوصول نادر الحدوث في كتابة السيرة ـ وهو بالاضافة إلى وعورة الطريق اليه هناك عوامل أخرى تمنع من إدراك حقائقه ـ وهذا الفن

الحديث في تحليل السيرة وتفسير وقائعها تجنبه الكثير من الكتاب في الحديث عن شخصيات معاصرة لها دورها في تاريخنا الحديث، وتزداد الطريق وعورة إذا كانت تلك الشخصية لها صلات بحياتنا، وقد عايشنا فصولا من تاريخها، وعندئذ يصطبغ الحديث عنها بصبغة الشهادة، والشهادة ينبغي أن تكون على مثل ضوء الشمس، كما يقول البعض ـ وهذا معوق آخريقف في طريق الكتابة، وعلى مستوى التحليل والدراسة، ومحاولة ادراك الحقائق التي تتصل بالتاريخ والأدوار والريادة الاجتماعية والسياسية والعلمية، فالكاتب يكاد يتقمص دور القاضي ليقول كلمته، ويعلن عن رأيه، وهنا تكمن المهمة الصحيحة وعقدة العقد في البحث.

إن في الكتابة عن رائدنا الكبير أبى ابراهيم السيد محمد بحر العلوم قد يسهل علينا أن نؤرخ لمراحل حياته التي عايشت انا شخصيا اكثر من أربعة عقود منها، واطلعت على المراحل التي مرت من فترات صباه وشبابه من بعض وثائقه، وقوانين الشجاعة الأدبية أن أتصدى بعض أعماله العلمية أو الأدبية فأتناولها بالبحث والدراسة، فالنتاج الغزير العلمي والأدبي اليوم في متناول أيدي الباحثين والدارسين، وهو رضوان اللّه عليه تهيئت له فرصة لنشر كافة أعماله اكثر من زملائه الآخرين، وديوان شعره بين ايدينا يعبر عن غربته وريادته الأدبية.

ولكن أفى للباحث الفذ أن يصل ألى الكنوز الخفية التي صنعت شخصية السيد محمد بحر العلوم، ان لم يجد مفاتيحها في صفحات تاريخه الخاص ووثائقه التي سمح بالاطلاع عليها ومذكراته التي افصح عنها كتابة، أومشافهة تصريحا او تلويحا في النكتة الأدبية او الكتابة البلاغية أو الالمعية النجفية، وغير ذلك من وسائل التعبير.

عندما نحلل شخصية السيد محمد بحر العلوم في إطارها العام الذي شكله المكان الذي نشأ ونشط على أرضه أو العصر الذي عاش وقائعه واحداثه، والانسان الذي تعامل معه على مستوى الدراسة والعلمية والزمالة

الأدبية والعمل الاجتماعي ـ كل ذلك كان تناوله ورصده وتحليله وتفسيره الجزء الأسهل في مهمة الكتابة والبحث ـ إلا أنني عندما انتهي إلى النقطة التي كان لابد لي من لحديث عنها، وهي خصائص الشخصية التي تنميها البيئة الخاصة والتربية والعلاقة التي تتفتح في ظلها المواهب والإمكانات والتطلعات الأولى التي هي بمثابة البذور االتي تتأصل في الأرض وتثبت وتتفرع اغصانها وتتزن في نموها وتعد بالعطاء كما رسم لها القرآن الكريم الصورة الرائعة التي نتلوها في كتاب الله "الشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي اكلها كل حين بإذن ربها.." ابراهيم، فقد ينظر الى الجذور التي سميتها آنفا مفاتيح التعرف على كنوز النفس الإنسانية الكبيرة التي ريما خفي الكثير من أبعادها على إنسانها الذي يقضي عمره في التعرف على ذاته التي هي من أهم آيات الوجود "من عرف نفسه فقد عرف ربه" ولكن الاقتراب من هذه الينابيع الاصول هو الذي سيساعدنا على ادراك الظواهر، وفهم أسرار العطاء الذي اتسمت به كبار النفوس.

إننا عندما نتعرف على تاريخ ميلاده الذي هو في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وعلى التحديد سنة ١٣٤٧هـ نستطيع أن نكون في الذهن صورة للحياة السياسية والاجتماعية والتحولات الخطيرة التي كان قد عاشها العالم الإسلامي في مطلع هذا القرن بمنتصفه وقد مر في القسم الأول من هذه السطور ذكر بعض الأحداث التي طبعت الحياة بطابعها منذ مطلع القرن كما سبق.

وإذا عدنا إلى تاريخ ولادته الميلادي الذي هو تحديدا يوافق العام ١٩٢٧ فإن هذا التاريخ يثير في نفوسنا بداية القرن العشرين، فنعرف أن رائدنا الكبير قد عاش عامة أعوام القرن العشرين من ربعه الأول إلى مطلع القرن الواحد والعشرين، وهذه البداية التاريخية، وما تلاها بما احتوت من وقائع وتحولات ومتغيرات على مختلف الصعد التي يغطيها الإطار الزمني العام وأحكامه التي مرت الإشارة اليها.

وعندما نقرأ في وثائق السيد قوله " في الخامسة من عمري أخذ والدي

السيد علي بحر العلوم بتعليمي بعض السور القرآنية التي لم تزل عالقة في ذهني حتى الآن.."، فإننا نعثر على أحد المفاتيح التربوية عند الوالد عالم الدين والزعيم الاجتماعي الذي يصر على وضع ابن الخامسة على بداية الطريق الذي سلكه آباء وأجداد الأسرة العريقة التي يحفظ لنا تاريخ النجف، بل تاريخ الإسلام منذ قرون خدماتها الكبرى وعطاءها العلمي، وزعامتها الاجتماعية وذلك تاريخ عام لا يحتاج إلى تفسير أو استنباط، ولكن في طيات هذه المفردة التربوية والعناية الأبوية معنى آخر ـ كما وسنرى فيها، وفي غيرها من مفردات التربية الاخرى ـ فهي تكشف عن إنشداد الطفل إلى القرآن الذي علقت آياته الكريمة في ذهنه، وهو يخدم جميع مراحل عمره المبارك وما يراد من تلاوته حتى انطبعت شخصيته بطابع القرآن، وما أروعه من طابع كريم.

وكان عطاء هذه الخصيصة مجموعة من الاعمال القرآنية المتميزة التي قام بها السيد في مختلف مراحل حياته، فقد نشر تفسير الجوهر الثمين للعالم الكبير السيد عبد الله شبر من علماء القرن الثالث عشر الهجري، وهو من أهم التفاسيرعند الشيعة وأكثرها فائدة مع ايجاز في العبارة ودقة في الإشارة. ومن أعماله القرآنية نشر كتاب آخر في التفسير الخاص المتميز المسمى بسواطع الإلهام وهو تفسير كامل كتب بحروف غير منقوطة، وقد نشر من قبل بعض المؤسسات الخيرية في الكويت.

وله بحث قرآني عن التفسير والمفسرون عند الشيعة الإمامية، نشره مقدمة للتفسير المذكور، وله مقدمة ضافية وموسعة كتبها لتفسير "الجوهر الثمين" عن التفسير وحياة المؤلف، وقد نشر هذا التفسير بأجزائه الستة في الكويت.

وفي بغداد كان يلقي محاضرات في التفسير في كلية أصول الدين بدعوة من عميدها واستمر قرابة عامين ١٩٦٧ـ ١٩٦٩م، وقد طبعت محاضراته في كتاب تحت عنوان "من تفسير سورة النساء".

وللسيد العلامة تراث غزير في تحقيق بعض الكتب التراثية وتاريخ

الشخصيات والبحوث الأصولية والفقهية والأطاريح السياسية، وهذا التراث العلمي والادبي يحتاج لحديث عنه إلى أكثر من دراسة، وقد اخترنا بحوثه القرآنية كثمرة من ثمرات التربية والنشأة في بيئته الخاصة، وقد نعثر عند دراسة تراثه على جذور أخرى، لاهتماماته على صعيد الكتابة والبحث، وقد جاء في الكراس الذي نشرعنه إشارة أخرى على هذه العوامل والينابيع " إن المحقق الكبير السيد محمد صادق بحر العلوم كان له الدور الكبير في تشجيعه باقتحام حقل تحقيق بعض المخطوطات التراثية، وهناك قائمة بالمخطوطات التي قام بتحقيقها مثل ايمان أبي طالب لفخار بن معد الموسوي الذي تعددت طبعاته، وكتاب النزاع والتخاصم للمقريزي، ونشوة السلافة ومحل الإضافة لابن بشارة الخاقاني، ومن أعلام القرن الثاني عشر الهجري. وكان وراء هذه الرحلة التراثية أساتذة ومحققون كبار وشيوخ كان على صلة بهم، مثل الشيخ المحقق أغا بزرك الطهراني، والسيد محمد صادق بحر العلوم والشيخ محمد السماوي الذي عرف بجمع وتحقيق لمخطوطات التراث. وهناك مخطوطات لم تنشر هذا بالإضافة الى ما قام به من خدمة على صعيد تحقيق كتب التفسير.

ومن الاشارات الهامة إلى مرحلة الصبا للسيد التي تعهدها والده وبعض رجال أسرته من العلماء يأتي دور الديوان، أو البراني، وهومدرسة تتصل تربيتها بتربية الأسرة فهو يعلمنا مجلسنا إلقاء التحية وموقع الجلوس وطريقة الاصغاء والتعرف على وجوه الشخصيات العلمية الهامة في المجلس، وفي هذا الديوان يقام ذكر سيد الشهداء عليه السلام، وأما مستوى المجلس الذي احتضن صباه فهو تاريخه وارث مجلسهم التاريخي الشهير الذي تلقى فيه حوليات السيد حيدر الحلي شاعر العراق الكبير بل شاعر لغة الضاد التي كانت يومئذ تعاني من محنة التتريك وكان علماء النجف قد جعلوا الدفاع عنها فصلا خطيرا من جهادهم الدائب".

قد أنزلوها على اندى ضمائرهم كأنها عطر ماصلوا وما عبدوا

وهذا المجلس هو الذي يخطب فيه رجال المنبر الحسيني المشهود لهم

بالأدب الجم واستيعاب تاريخ كربلاء وجذور الفاجعة وحفظ النصوص الأدبية من الشعر والنثر وطريقة عرض شواهد فاجعة الطف التي تشكل تفاصيلها التاريخية وتراثها الأدبي ـ مدرسة لأصول العقيدة والدفاع عنها، والسيرة الرفيعة للرجال الذين دافعوا عن شريعة الحق والأدب الواسع العميق وأسلوب الأداء الذي لم نشهد مثله في التاريخ الإسلامي.

والسيد رضوان الله عليه عندما يحدثنا عن هذه المدرسة التي ظل يتلقى الدروس فيها طيلة عمره الشريف يصر على أن يعرفنا الشخصيات التي كانت تقوم بمهمة القاء الدروس الخاصة من على منبر مجلسهم فيذكرهم باسمائهم ـ وتلك بعض خصائصه في الوفاء للذين تلقى عنهم دروس حياته فيذكر الشيخ محمدعلي اليعقوبي، والشيخ محمد جواد قسام والشيخ محمدعلي قسام والشيخ مهدي البديري، والخطيب السيد جواد شبر، والمرحوم الشيخ محمد الكاشي، والسيد عبد الحسين الحجار، والشيخ شاكر القرشي، والسيد حبيب الأعرجي ". وكان المجلس الحسيني يقام في الديوان في صباح كل جمعة من أيام الأسبوع فضلا عن المجلس التاريخي الكبير الذي يقام في شهر المحرم من كل سنة.

في ظل هذه المدرسة الحرة المبكرة نستطيع أن نجد مفاتيح شخصيتنا وشخصيات الكبار من رجالنا واساتذتنا وقادتنا رضوان الله عليهم، ولكن الأسرة لا تكتفي بهذه التربية الحرة التي تتسم بالعفوية العمومية، دون أن تجعل الطفل ـ كبير أبويه ـ ينتظم في الكتاب الذي يتعلم فيه الطفل الخط والقرآن، وهو رحمه الله يحدثنا عن هذه المرحلة التي يدركها تماما وتظل تطبع فصول حياته، فيذكر معلميه بالاسماء فيقول " كنت في خضم هذه الاجواء انتقل مع أبي وانا اسمع كلمات ممزوجة من الفقه والادب والتاريخ تبقى مرسومة في ذهني حتى بدأت أتعلم القراءة والكتابة عند الكتاتيب، او ما يسمى في ذلك العصر "الشيخ".

بعد أن ذكر لنا شطرا من دراسته في إطار الحوزة العام وعلى يد كبار

الأساتذة الذين يذكرهم باسمائهم الشريفة حرصا على وفائه لهم، وهم من أهم أساتذة الحوزة وكان تلقيه دروسه عنهم في وقت مبكر في حياته العلمية ـ يحدثنا عن انتقاله إلى الدراسة المنتظمة في مدارس منتدى النشر التي أسسها المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر.

والمدرسة هي معلم من معالم الريادة العلمية في النجف ومؤسسها قائد نهضة الاصلاح على صعيد الدراسات العلمية، وكان له الدور الاساس في قيادة السيد بحر العلوم والمجموعة الرائدة التي تمثل الثمرات الناضجة والمتميزة من ثمرات مشروعه، وقد حدثني السيد رحمه الله أن الشيخ المظفر كان يقول له في مرحلة لاحقة من دراسته في كلية الفقه، وقد تخرج في دورتها الأولى، " إني اريد أن أصنع منكم طلابا نموذجيين.." ويذكر بعض ذكرياته التي كان لها دلالاتها التربوية في علاقته مع استاذه الكبير الشيخ المظفر ـ ره ـ "ولا أنسى أن أول وقوفي لالقاء كلمة في حفل يعتبر في حينه من الحفلات الكبيرة في النجف أقيم من قبل مدرسة منتدى النشر، وكانت المناسبة نهاية السنة الدراسية حين حاول المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر أن يعرض على النجفيين على اختلافهم أنه يتمكن من تهيئة جيل وكان ذلك في حياة المرجع الديني السيد ابو الحسن الاصفهاني، ولا أنسى أن المرحوم الشيخ المظفر هو الذي كتب لي الكلمة والقيتها مبتهجا وحصلت على الجائزة من الجوائز التي أعدت للطلاب الناجحين وكانت حصتي "الصحيفة السجادية" أهديت لي من قبل السيد محسن الحكيم قبل ان يكون مرجعا دينيا".

وهذه عناية من الشيخ مؤسس المشروع الإصلاحي بالسيد في مرحلة الصبا لها دلالتها على ما توسم ما تعد به شخصية السيد منذ صباه، وقد ذكرت هذا النص الذي ورد في مذكرات السيد بكامله لمقارنته بواقعة تربوية وعناية من أساتذة السيد به، وهو في سن الشباب عام ١٩٦٢م وعند تخرجه من كلية الفقه مع مجموعة من طلاب دورته، كانت كلية الفقه تلزم طلابها بتقديم تقرير عن موضوع يختاره الطلاب ويقدمه لاستاذه المختص قبيل

تخرجه، إضافة الى التقارير التي يلزمه بها الاساتذة خلال السنوات الأربع التي يقضيها في الدراسة، وكان من النادر أن تطبع هذه التقارير او تنشر في مجلة كلية الفقه "مجلة النجف"، ولم تنشر بصور مستقلة إما لعدم الاهتمام بها أو لعدم قدرة الطالب على نشرها لأسباب عدة. اما تقرير السيد محمد بحر العلوم فقد صدر في كتاب تحت عنوان الكندي، وهو موضوع فلسفي خاص في أجواء كانت الموضوعات الفلسفية فيها لا تزال تعاني من الغربة، فقد ظهر أن الموضوع قد اختير بعناية في تلك الفترة التي كانت الفلسفة تدرس في كلية الفقه على يد عدة اساتذة على رأسهم شيخنا المجدد الشيخ محمد رضا المظفر، فكان يدرس الفلسفة الإسلامية فيما كانت الفلسفة الحديثة يدرسها اساتذة مختصون يدعون من جامعة بغداد للغرض نفسه، وقد استفدنا الى جانب دراسة الفلسفة القديمة والحديثة الفلسفات التربوية في حصة تدريس التربية فقد اطلعنا على انواع فلسفات التربية القديمة والحديثة في الشرق والغرب وكان من اهمها فلسفة التربية الصينية القديمة التي لايكاد تغيب عن الأذهان ما درسناه عنها في سنة ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩م، ومما يشير إلى العناية بموضوع السيد الفلسفي أنه صدر في كتاب مع مقدمة لاستاذنا الكبير السيد محمد تقي الحكيم رضوان الله تعالى عليه، وأرى ان المسألة تشير إلى تطور في أوساط الدراسة وشجاعة أدبية وتربوية لها دلالتها، لما كان لتوقيت نشر ذلك البحث دلالته أيضا فقد نشرفي الوقت الذي كانت فيه بغداد تقيم الاحتفال بعيدها الالفي إلى جانب الاحتفال بألفية الفيلسوف العربي الكوفي يعقوب بن اسحاق الكندي.

وليس في علمي أن إدارة تنظيم الاحتفالات يومئذ قد دعت النجف عاصمة العلم والأدب للمشاركة في تلك الاحتفالات أم لا؟ فقد كانت بين النجف وبغداد قطيعة مؤسفة بسبب صدور قانون الأحوال الشخصية إبان حكومة عبد الكريم قاسم، وكانت معركة حامية نشبت يومئذ بين مراجع الدين في حوزة النجف وبين حكومة بغداد خاض فقيدنا الراحل وبعض الشخصيات طرفا من جولاتها، وعلى الصعيد الأدبي كتب استاذنا الدكتور السيد مصطفى جمال الدين

قصيدته عن بغداد، ولم يستطع قراءتها إلا بعد سنوات عند انعقاد مؤتمر الادباء العرب في بغداد، وقد كتب الشاعر العربي محمد الهجري رائعته عن الكندي، وظهرت هي وقصيدة جمال الدين في العدد الخاص الذي اصدرته مجلة النجف واحتفلت في النجف بألفية بغداد والكندي على طريقتها الخاصة ولم تستطع حكومة بغداد ان تمنع النجف من ذلك.

أما عن النشأة الأدبية الأولى للسيد بحر العلوم، والبدايات التي تكمن فيها مفاتيح شخصيته الأدبية، فهو رغم اهتماماته واشتغاله الدؤوب بعلوم الدين منذ صباه كالفقه والأصول، والفلسفة الإسلامية، وحضوره الدائم في ندوات العلم، ومجالس العلماء لاسيما ديوانهم الذي كا يضم كبار علماء النجف ومجتهديه منذ عصر جده المجدد الكبير السيد مهدي بحر العلوم ـ ره ـ الذي كان أديبا وكاتبا وشاعرا ومهتما بالتاريخ، وله في جميع هذه الحقول الأدبية وغيرها مشاركة خالدة.

الأدب في حوزة النجف لم يكن ترفا فكريا ـ كما تريد أن تصوره بعض المصادر التي كتبت عن هذا الجانب من تاريخ الفكر في النجف، ولا متنفسا يلجأ إليه في وقت الفراغ بعض طلبة العلم الذين كانت ترهقهم جدية الدراسة، ومعالجة البحوث العلمية التي عرفت بالتعقيد في الحوزة كالمنطلق الأرسطي وعلم اصول الفقه، والفقه الذي هو بحر لا يدرك غوره، ولا يحاط بمادته التي كانت دراستها شرط وجود الحوزة ومبرر تحمل صعوبة الحياة وشظف العيش فيها.

ويبدو للباحث المتتبع لتاريخ الأدب والشعر في مدينة النجف أن الشعر خاصة كان أشبه بمادة مقررة في الحياة العلمية في الحوزة تشبه المقررات الاختيارية في مناهجنا المعاصرة، فقد عالج شعراؤنا الكبار في الشعر الموضوع العقائدي والفلسفي بقصائد فذة ومطولة، قد نقرأها نصا شعريا ويغيب عنا الهدف العميق من الغرض فيها، وقد ظهر هذا النوع من الشعر في النجف قديما وحديثا، وفي متناول ايدينا نصوص رائعة من هذا الشعر عالجها الشيخ محمد جواد الجزائري والشيخ محمد السماوي، والاستاذ الكبير الشيخ

محمد حسين الاصفهاني، والميرزا عبد الهادي الشيرازي قدس سرهم، وقد نجد بعض هذه النماذج في شعر العلم المؤسس السيد مهدي بحر العلوم الذي له قصائد تروى وديوان شعر لم يطبع، والسيد المذكور جعل من الشعر وسيلة طيعة لكتابة الفقه، ودرته النجفية من تلك الأدلة التي تعد من الشعر في هذا الحقل العلمي وهو ما عرف بالشعر التعليمي الذي كنا نحفظ منه في فترة الصبا ألفية ابن مالك في النظرية النحوية، وأخال أن السيد مهدي بحر العلوم المتوفى ١٢١٢هـ لم يكن رائدا في تأسيس الحوزة العلمية في النجف في مرحلتها الجديد في القرن الثالث عشر، ولكنه كان رائدا بمشاركاته الأدبية برعايته للأدب والشعر في عصره، وقد احصى المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي في عصر السيد بحر العلوم وحده ما لايقل عن مائتي شاعر في مدينة النجف وبلغ ما كتبه المرحوم علي الخاقاني في شعراء الغري اثنى عشر مجلدا وجلهم من طلبة العلوم الدينية.

هذه الحركة الشعرية التي كانت إبان تأسيس حوزة النجف الجديدة على يد تلامذة الوحيد البهبهاني في مطلع القرن الثالث عشر الهجري بعد هجرتهم من مدينة كربلاء، والتي تضاعفت بمرور السنين والقرون تشكل كلية أدبية بمصطلح عصرنا ترفد الحوزة العلمية، فما هو السر العظيم وراء ازدهارهذه الحركة العظيمة الأدبية الواسعة والغزيرة العطاء والابداع هل هي الرعاية أو الحاجة النفسية، كما فسرها بعض الباحثين المعاصرين أو النزعة للتعبير عن أسرار الحياة الانسانية التي تعني الحوزة العلمية بالكثير من جوانبها الايمانية والتشريعية والتي كان أفضل تعبير عنها هو هذا اللون من التعبير الفني العميق الذي اعتمد عليه لا الشعراء وحدهم بل فقهاء الإسلام ومفكروه وفلاسفته، فإذا انتزعنا انفسنا من سيطرة الحديث عن تاريخ الشعر في النجف في القرون الأولى، وقمنا باطلالة سريعة على تاريخنا الحديث في هذه البقعة المطهرة والغنية من وادي الرافدين، رأينا الأدب والشعر في النجف رافدا وطنيا مقاتلا في عصر النهضة وأداة للنضال بل قوة لا يستهان بها لمواجهة العديد من

القوى العالمية التي تداعت على هذه الأمة كتداعي الأكلة على قصعتها، وبدا الأدب في النجف في نهاية القرن التاسع عشر عند ابرز شعراء النجف مثل الشيخ علي الشرقي وطبقته لا رافدا يرفد الحركة العلمية والحوزة العتيدة الرابضة على ربى النجف ـ والتي تحسب لها تلك القوى ألف حساب ـ بل أصبح الأدب دينا يدان به ـ كما قال أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه لكميل بن زياد عن العلم، وكان علينا أن نصغي من خلال التاريخ على صوت من أصوات تلك المرحلة الشعرية:

وما افترق الدينُ والاجتماع لو اعتنق الناسُ دينَ الأدبْ
أحبّ الجميلَ وأهل اَلجميل ليبقى الهوى أولتحيا العرب

واستطيع أن أقول واذكر هنا نما ذج شعرية من هذه المدرسة، وقولي هذا دعوة لمزيد من معرفة جذور الحركة الشعرية في النجف أو بذرة لمشروع بحث وكتابة عن حركة الشعر قديما وحديثا في مدرسة النجف بتراثها الغزير الذي مرت الاشارة العابرة اليه في هذه السطور، وبتاريخ ندواتها وجمعياتها الأدبية وحفلات الاربعين التي تقام لتكريم رموزها أو كبار علمائها وما يكتب ويلقى في حفلات مناسباتها الدينية، وما يكتب عن الحوار الشعري والنقائض والخواطر والتجارب والازمات كل ذلك قد استوعب موضوعات البحث العلمي في حوزة النجف والمنهج الضمني المتكامل الذي " أرى أن تركزالدراسة فيه، وفي اربعة حقول لابد من تطويرها والتركيز عليها ـ في عصرنا الذي كثرت فيه المعرفة وتعددت مصادرها ووسائله والحقول المذكورة هي العقيدة والشريعة والاخلاق والادب.."

وقد مرت الاشارة إلى أن الحركة الشعرية منذ القديم قد عالجت بصورة عفوية ـ هذه الموضوعات الاربعة، فقد مر أن فلاسفة الحوزة قد عالجوا بنصوص شعرية ـ مسألة العقيدة ـ وعلى الصعيد التعليمي نظموا أبوابا هامة من الفقه شعرا، واما المواعظ الأخلاقية المبثوثة في قصائدهم التي نظمت

في مدح العلماء ومراجع الدين ورموز النهضة، ومراثيهم في ما يسمى بحفلات الأربعين فقد تكفلت هذه النصوص بالاشادة بالقيم الاخلاقية والمستويات الانسانية التي اتصفت به تلك الرموز الدينية أو الوطنية والأدبية وهناك مئات الشواهد التي تضمنت هذا المعنى وكان الإبداع الأدبي والخيال الشعري وسحر البيان هو السمة الغالبة على النصوص المذكورة، واكتفي بنموذج أخلاقي لشاعر نجفي عريق هو استاذنا الشيخ عبد المهدي مطر رحمه الله وهو يؤبن رمزا عراقيا من رموز النهضة الوطنية وهو الشيخ محمد جواد الجزائري رحمه الله حيث يقول في احتفال النجف بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاته:

سبعونَ عاماً قد شننتَ مغارَها ... حرباً على نظمِ الطغاة أكولا
تبني الذي هدم الغواة من الهدى ... رشدا وتهدم ما بنوا تضليلا..
ومشت خطاك فما انزلقتَ بفتنةٍ ... عمياء أغوت أنفساً وعقولا
تزن الأمور فلم تكن متبجحاً ... كالخا لقينَ من البعوضةِ مفعلا
وخسأتَ زبرجَها فما اختارتْ ... هوىً نفسٌ ولا اختارت يدٌ تقبيلا

الذي يعرف الشيخ الجزائري وسيرته يدرك المعاني التي رمى اليها الشاعر الذي عرفه وشاركه شعوره وعاش في حارته التي كان الشيخ وأسرته يعيش فيها.

قصيدة " التأبين " هي سيرة مركزة بليغة فنية قد يشير الشاعر فيها إلى المواقف التاريخية والعلمية للمؤبن، وقد يذهب بعيدا وهو يتغلغل إلى بعض صفاته وجزئيات خصائصه وما يطبع شخصيته، ولما كانت كتابة السيرة مع القصيدة فنا حديثا نشأ في القرن الثامن عشر وهويختلف عن الترجمة أو علم ارجال في رصده لوقائع حياة صاحب السيرة، ودقائق صفاته نحو شخصيته وقد تتعرض لفقده وبيان بعض نقاط الضعف في شخصيته، لذلك عزف كتاب النجف عن كتابة " فن السيرة" رغم أن ذبعض أدباء النجف كان لهم تجارب ناحجة في هذا الفن، ولكني أريأن قصيدة الرثاء هي التي عبرت عن هذا الغرض أفضل تعبير فني، وقد تعرفنا في فترة الستينيات على سيرة العديد من

شخصيات النجف من خلال القصائد التي القيت في تأبينهم في الحفلات المذكورة.

قد توفي المرحوم السيد علي بحر العلوم والد السيد محمد فرثاه الدكتور السيد مصطفى جمال الدين بقصيدة كانت حديث المحافل الأدبية في النجف، وكنت وانا شاب يومئذ أسمع في النجف من يتثمل بمطلع تلك القصيدة:

لا تقل أين فالطريق بعيد السرى موحش وأنتَ فقيدُ

وقد نشرت القصيدة المذكورة فبحثت عنها وقرأتها عدة مرات، وتعرفت من خلال معانيها وصيغتها الفنية البديعة لا على شخصية الفقيد فحسب بل على العلامة الوثيقة التي تربط بين الاستاذ جمال الدين وبين السيد محمد بحر العلوم في تلك الفترة، وقد جاء فيها وهو يخاطب صديقه أكبر انجال الفقيد:

وعزاء تربُ الصبا والهوى البكرِ فدونَ المصابِ هذا القصيدُ
لم يمتْ من نماكَ للمجدِ ترعاه فترضي طموحَه وتشيدُ

ورغم علمي بالأشواط التي قطعتها العلاقة بين الاثنين، ولكني أطلعت وانا أعد لكتابة هذه السطور أن السيد مصطفى جمال الدين والسيد بحر العلوم كانت ولادتهما معا سنة ١٩٢٧، وكانا زميلين كريمين في العديد من مراحل الدراسة والنشاط الأدبي والذي تناول دراسة الجانب الادبي والثقافي من حياة السيد بحر العلوم لابد له من الوقوف على المرحلة التاريخية في العلاقة بينهما، واستمرا حتى فرق بينهما رحيل الاستاذ السيد مصطفى جمال الدين.

إن الباحث وهو يتابع مشهد بحر الحركة الأدبية في النجف الذي هدرت أمواجه على هذه الأرض منذ قرون، ربما نسي المفردات والتفاصيل وحتى التيارات الأدبية التي جرت وتباينت وتقاطعت وتضادت، والتقت وتفرقت، في أحيان كثيرة، ولكن فقيد أندية الأدب في النجف هو وأسرته وتاريخها كان في صميم هذا البحر وقد جرت فيه سفينتهم منذ الينابيع الأولى لعصر التأسيس، وقد مر أن أحد أركان الحوزة في مرحلتها الجديدة في مطلع القرن الثالث

عشر هو الرجل العظيم السيد مهدي بحر العلوم ـ ره ـ وكان الجانب الادبي من خصائص شخصيته التاريخية البارزة وكان الشعر عنده اداة طيعة، ضمنها معالجات عقائدية وفقهية وهذا درجة من الاعجاز الأدبي، وقد برزت في الاسرة الشريفة خلال القرنين الاخيرين مواهب وشخصيات أدبية وشعرية إلى جانب الشخصيات والمواهب العلمية الأخرى.

وما الحياة الأدبية والموهبة الشعرية للعلامة السيد محمد بحر العلوم التي لامناص عن الحديث عنها في هذه السطور التي تضيق عن كثير من التفاصيل، ولذلك سوف نشير إلى خاصية الريادة وروحها في حياته الأدبية خلال الفترة التي عاشها في النجف، وعقود من السنين انقضت من عمره في المهاجر...

ولقد كتب عن بدايات حياته الثقافية وعن نزعته الادبية المبكرة يقول "وكانت رغبتي ـ وان اتدرج في العمر ـ متجهة إلى الأدب فاتصلت بأخوة لي في نفس السن والعمر، وهم السيد مصطفى جمال الدين والسيد حسين بحر العلوم والشيخ صالح الظالمي، وبدأنا في هذه المجموعة مع بعض الاخوان أيضا نقطع شوطا في قراءة المجلات المصرية كالثقافة والرسالة، وكتب طه حسين والعقاد، وشجعنا على القاء الكلمات وحفظ الشعر حتى بلغ انهما كنا فيها ان قرأنا اكثر دواوين العرب الشعرية القديمة منها والحديثة، واختصصت بحكم هوايتي في جمع الكتب التي شجعتني أن أقرأ عن التاريخ الفاطمي فانغمرت بدراسة التاريخ وبدأت الكتابة في هذه المضمار".

هذه الرغبة الادبية في مطلع حياته الثقافية التي صرح بذكرها والزملاء الاخوة الذي ذكرهم باسمائهم التي لمعت ـ بعد حين في الأفق الأدبي للنجف ـ والعراق والبلاد العربية، كانت تتحرك وتنشط في دارة أوسع هي دائرة الدراسة والرعاية الأبوية التي حظى السيد بحر العلوم بالنصيب الأوفر من بين زملائه، ومجموعتهم التي ما لبثت أن تحولت إلى أسرة أدبية عاشت تنازع غيرها دائرة الوجود في فترة مبكرة من تاريخ الجمعيات والمؤسسات الثقافية والتيارات الأدبية والسيد يذكرنا هذا التحول في بعض ما كتب عن الساحة الأدبية

والثقافية في النجف ومظاهر الصراع في تلك المرحلة" عشنا هذا الصراع وملنا إلى الجانب الأدبي الثقافي ثم تطور الأمر بان أطرنا أنفسنا باسم "اسرة الأدب اليقظ" في النجف الأشرف، ودخلنا معترك الصراع الفكري والأدبي والتصدي كحركة شابة طامحة لغرض تجديد الأدب الكلاسيكي وفي إطار مدرسة النجف الأشرف، ثم ذكر أعضاء اخرى لهذا التطور الجديد، فذكر منها " صادق القاموسي وجميل حيدر والسيد محمد حسين فضل الله، واحيانا الشيخ محمد مهدي شمس الدين، اما السيد فضل الله فقد انتقل في فترة لاحقة إلى لبنان مهيئا نفسه إلى اجواء أخرى..".

ويلاحظ أن هذه المرحلة التي سماها المرحوم في بعض مذكراته تطورا ضمت شخصيات من جبل عامل كانت أقرب ما تكون إلى مجموعتهم الأدبية، وكان للشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله أدوار اجتماعية وتعليمية في النجف، وقد تطورت علاقته بالسيد بحر العلوم إلى تعاون وتنسيق وبناء على صعيد العمل الإسلامي في العراق وانتهى في لبنان. ..

وأما الفراغ الذي ذكره السيد رحمه في نص مذكراته فكان فقد صرح عنه بقوله "انه بمرور الزمان عرفنا من مجموعة الرابطة الأدبية كان التنافس بين المؤسستين الثقافتين في النجف على أشده بين مجموعة الرابطة التي يتزعمها المرحوم الشيخ محمد علي اليعقوبي المؤيدة من قبل الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، وبين جمعية منتدى النشر التي كان يراسها المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر، ويؤيدها المرجع السيد أبو الحسن الاصفهاني..".

ورغم كون السيد بحر العلوم قد نشأ في مدارس منتدى النشر وتخرج من كلية الفقه التي أنشأها المظفر ره ـ ولكن يبدو من كلامه أن هواه كان مع الرغبة الادبية التي حدثنا عنها، فقد كان في صف الرابطة الأدبية المتخصصة بالأدب ولم تكن لها طموحات إصلاحية أخرى على صعيد الدراسات العلمية في الحوزة، أو الاصلاح الاجتماعي الذي كانت أفكاره تعتمل في عقول أعضاء منتدى النشر، وقائدهم الشيخ المظفر الذي ظهرت افكاره الإصلاحية على

الصعيدين ـ مع شدة إخلاصه وتضحياته في سبيل الأهداف المذكورة في فترة طويلة بعد وفاته ـ رحمه الله ـ

وقد جاء العلامة الدكتور بحر العلوم من صميم حركة المنتدى ليقود الرابطة الأدبية ويكون على رأس حركتها الأدبية بعد رحيل مؤسسها السيد محمود الحبوبي، والشيخ محمد علي اليعقوبي، واندماج من بقي من أعضائها بقيادة الرابطة الجديدة التي جاءت من مدرسة منتدى النشر، والتي تمثلت في شخص بحر العلوم ثم رئاسة استاذنا السيد جمال الدين بعد هجرة السيد إلى خارج العراق.

كنت أنا ومجموعة من زملاء الدراسة من رواد الرابطة الأدبية خلال رئاسة العلامة بحر العلوم لها، وقبلها كانت نزهتي الروحية في "براني" آل بحر العلوم في محلة العمارة وكنا نجتمع عصرا مع بعض الأدباء المعروفين في النجف، ولكن بعيدا عن الحجرة الطويلة التي تقع في قبلة "الديوان" والتي لا يجلس فيها إلا العلماء الكبار ومنهم العالم الكبير الشيخ حسين الحلي الذي لا نطمح برؤيته إلا حين يخرج من الحجرة المذكورة ليتوضأ في صحن البراني، ويستعد لصلاة المغرب في الطارمة، التي تظلل إيوان الغرفة المذكورة فهي مفروشة بالسجاد ويجلس فيه بعض شخصيات النجف الذين يرتادون الديون عصرا.

أما نحن الشباب ومن يكبرنا بالسن بقليل فكان مجلسنا عند الباب من الدخل على يسار الداخلين الذين يتوجهون إلى الحجرة الكبيرة فلا ينتبهون إلى وجودنا، وفي هذا الركن الهادئ نسبيا حيث لا نستقبل أحدا ولا نودع آخر تعرفت على الشيخ الدكتور المرحوم صالح الظالمي الشاعر الأنيق المتواضع ولكنه لا يكلمنا كما نكلمه "ولا يصغي لنا إل اذا عرضنا عليه قصائدنا واستشرناه في بعض الأمور".

وفي المساء كنا نلتقي بوجوه أدبية أكثر في مبنى جمعية الرابطة الأدبية في محلة الجديدة، كل ليلة تقريبا خاصة إذاكان لها نشاط عام، او شرعت بجلسات موسمها السنوي الذي كان جمهور النجف الأدبي ينتظره بشوق ولم

يعترف منظمو الموسم المذكور بي أو بطبقتي من الشعراء ـ يومئذ لأشارك في نشاط ذلك الموسم، وقد ترددوا في دعوتي عندما ذكر لهم اسمي وقالوا " اذا دعونا فلان، فقد تصل النوبة إلى الشيخ محمد رضا آل صادق، وكان المرحوم الشاعر والأديب الشيخ آل صادق من شعراء الشباب المعروفين ولكنه كان من رواد" جمعية التحرير الثقافي" وعندما نقلت لي الكلمة تاثرت للشيخ المذكور أكثر مما تأثرت لنفسي، وهذه بعض جزئيات الصراع بين الجمعيات الذي أشار اليه السيد رحمه الله في ما نقلته في هذه السطور آنفا، إلا ان عناية السيد بي وبشعري قد سبقت تاريخ نشاط الرابطة الادبية المذكور، وقد لفت انتباهه حين قيل له أني أكتب الشعر الحر، فأبدى تشجيعه لي لكتابة الشعر الحر وأذكر أني قرأت بعض قصائدي من الشعر الحر على مجموعة فيها استاذنا السيد جمال الدين وصالح الظالمي وجميل حيدر وغيرهم. في ديوان شيخنا الخاقاني رضوان الله عليه، فأصغوا إلي بإمعان وكأني أحسست أنهم لم يشجعوني على كتابة الشعر الحر بل بدت من بعضهم علامات الاستخفاف فاعترضت قائلا ولكن السيد بحر العلوم شجعني على كتابة الشعر الحر فاظهروا الاستغراب فتماديت أكثر وقلت: نعم ووعدني بأن يعطيني جائزة، فضحكوا، وقال استاذنا جمال الدين "يعطيك سلة شعر" وكل سلة شعر اسم لديوان شعر جديد، صدر في لبنان، اذكر اني بحثت عنه فوجدته من قراءته الذي لا أطيق قراءته ولم اتذكر حتى الآن الشاعر الذي اصدر ذلك الديوان.

ثم انشغلنا في تلك الفترة بالدراسة في كلية الفقه، ويبدو لي أنها كانت سنة ١٩٦٥م، ولم اتردد في متابعتي لما ينشر في مجلة الآداب البيروتية من شعر التفعيلة وكانت المجلة في تلك الفترة لم تنشر ما يكتب من الشعر العمودي، فكنت أقرأ باستمرار لنزار قباني وفدوى طوقان ونازك الملائكة، وقرأت دواوين السياب كلها، وكان الأقرب إلى نفسي، وكان قد توفي في تلك الفترة، واخيرا أصررت على كتابة الشعر الحر ونشره في العراق وفي مجلة الآداب المذكورة.

وظلت دعوة السيد بحر العلوم رحمه الله وعنايته بالشعر الحرعالقة في ذهني وكنت اتساءل لم لا ينشر السيد قصائده من الشعر الحر فيساهم بخطوة عملية في تشجيع الشعراء الشباب على كتابة الشعر الحر، حتى قرأت له ذات يوم قصيدة منشورة في مجلة النجف، وكنت أتذكر بعض كلماته وصورها، ورأيته قد أعاد نشرها في الديوان الذي طبعه قبيل وفاته ولقد بحثت عنها في الديوان فوجدته قد نشرها تحت عنوان الصدى الثائر " وقد كتبت إثر الاحداث التي جرت في العراق إبان حكم الزعيم عبد الكريم قاسم سنة ١٩٥٩.

في ديوان الغربة قصائد أخرى كتبت حسب نظام التفعيلة، فقد ظل السيد الشاعر يكتب القصيدة الحرة حتى نهاية التسعينيات، وقد ضم الديوان أكثر من عشرين قصيدة، ولا ادري شيئا عن الديوان الي هو ماثل للطبع كم يضم من قصائد الشعر الحر وتاريخ كتابتها، وآمل أن يتكامل نشر تراث السيد الأدبي والشعري، لتكون الكتابة عن ريادة السيد الأدبية مبنية على أسس نقدية موثقة، اما المؤكد على الصعيد نفسه فإن جهود السيد الثقافية وتراثه الأدبي كان يمثل جانبا من الحلقة الأدبية التجديدية التي وصلت بين جيلنا الأدبي والشعري والجيل الذي كان يدور في محاور الشعر ونشاط الجمعيات الأدبية في النجف مثل التحرير الثقافي والرابطة الأدبية، وما كانت تقوم به جمعية منتدى النشر في مواسمه الثقافية، ونشاطها الأدبي العام.

وإني في هذه السطور الأخيرة عن ريادة السيد على الصعيد الأدبي حاولت تجنب التفصيل في انطباعاتي عن تلك الفترة ومعايشتي للتجربة الشعرية والأدبية التي سكت تلك مرحلة الخمسينيات وعلاقتي الأدبية مع جميع أعضاء اسرة الأدب اليقظ وغيرهم من ادباء وشعراء تلك المرحلة ـ لئلا يشط القلم عن أسس توازن البحث المبني على الأيجاز في الحديث عن معنى الريادة التي عاشها فقيدنا الكبير وكانت تطبع فصول سيرته الكريمة ونتاج مسيرته الأدبية الثقافية والعلمية عموما.

وأخرى عزفت عن الحديث عنها وهو عزيزة على نفسي ـ هي ما يمضي ولا

يخفى ـ على حد تعبير زميلنا فقيد النثر الأدبي ـ هاني فحص رحمه الله ـ من ذكريات الفترة التي عشتها في النجف مع السيد الفقيد وأسرته الكريمة ومجموع زملائه ورفاق طريقه رحمهم الله جميعا، وقد استمرت هذه العلاقة في ظل الغربة ومحنة الشتات العراقي، وقد كان في هذه المرحلة بقية السيف من أهلي واساتذتي وأصدقائي وزملائي النجفيين، وقد أكد هذه العلاقة التاريخية لقاءاتي المتكررة معه ومشاركتي في نشاطه الثقافي المكثف في لندن واتفاقي معه في وجهات نظره في العمل الاجتماعي والثقافي، ومما يحز في نفسي أني لم أحقق رغبته في العودة إلى النجف رغم دعوته المتكررة، والتي اشرت إليها في بيت من قصيدة رثائه رضوان الله عليه بقولي:

أصغي حصى الوادي فاعتبُ عاشقاً عن حقه في وصلِكم مدفوعا.
واجبَّ دعوةَ ماجدٍ فأ عارني حبلًا بأنيابِ الرحيلِ قطيعا

عند القاء أول نظرة على بعض القوائم التي أحصاها بعض الباحثين الأوفياء للثقافة ولتراث العلامة الدكتور السد محمد بحر العلوم الثقافي، والتي جمعتها من مصادر شتى هالني هذا الكم من النتاج العلمي والابداع الثقافي الذي خلفه، وخطر في ذهني أن السيد ـ رحمه الله ـ لو تخلى عن جميع همومه السياسية والاجتماعية ـ التي سماها هموم المسافر ـ وعاش في بحبوحة من العيش لم يذق مرارة المصائب وآلام الجراح وفقد الأحبة والأهل والاصحاب.

ولا ينبيك عن خلق الليالي كمن فقد الاحبة والصحابا

لو تيسرت للسيد كل تلك الشروط وأمثالها من حياة المرفهين المتجردين للبحث والتأليف، ثم صدرت عن قمة هذه القائمة الطويلة من الكتب والبحوث في مختلف حقول المعرفة، لكان من أعظم الباحثين والمحققين من رموز ثقافتنا الإسلامية والعربية ولا ستحق تكريمنا واكبارنا وتكريم الاجيال من بعدنا، وهذا الكم الهائل من الجهد العلمي والثقافي والابداعي الادبي كفيل بأن نضع السيد الفقيد في الصفوف الأولى من رعيل اساتذتنا في القرن العشرين

وان نوصي ـ حسب مقتضيات الوفاء والانصاف الأجيال بتجديد تراثه ودراسته إلى جنب التأمل في سيرته الشخصية وموقعه ودوره الاجتماعي الخاص.

لقد أحصيت ـ استنادا الى قوائم نتاجه المنشور ـ والمعلن عنه أكثر من سبعين عنوانا، وإني على يقين ان هناك بعض البحوث والأعمال الأدبية التي لم أطلع عليها، ومنها القسم الثاني من ديوانه الذي يضم قصائده التي لم يطلع القارئ عليها، وكن آخر الكتب التي نشرت في فترة الأربعين يوما بعد وفاته بحوثه ومحاضراته عن النجف الأشرف والمرجعية الدينية وهو كتاب يقع في ٣٤٣ صفحة وقد صدر عن مركز النجف للثقافة والبحوث بتاريخ ٧ نيسان ٢٠١٥ وكان السيد رحمه الله قد حمل هموم المرجعية في النجف الأشرف طيلة نصف قرن وهو العريق في بيت المرجعية وسليل رموزها في النجف منذ التأسيس، ولا شك في أن كلمته في هذه المؤسسة العريقة والتي يتحكم دورها في مصير الأمة من الكلمات التي ينبغي أن نصغي اليها وندرسها ونعتبر بها، ونوصي الأجيال من بعدنا بدراستها والاستنارة بأفكارها ومفردات حكمتها، ولاأريد ان اشير الى قائمة مؤلفات سيدنا وعطاءه العلمي، أن أضع نفسي في الموضع الحرج من الدراسة والتقويم من خلال هذه السطور فإن لهذه المهمة من يقوم بها.

ولقد انتهى بنا المطاف ـ في تحرير هذه السطور ـ إلى ضرورة التعرف على شخصية ـ هذا الرائد ـ الثقافية والروح الشاخصة في هذا الكم الكبير من العطاء الذي هوحصيلة عقود طويلة من عمره الشريف، تكاملت فيها شخصيته وبرزت خصائصها، ودوره في المجتمع الذي عاش فيه ونذر نفسه من أجله، ولم يكن لنا طريق لمعرفة بدايات حياته ومفاتيح شخصيته الا من خلال بعض الذكريات التي صرح بها في مناسبات مختلفة في أحاديث خاصة مع أقرب الناس إليه أو ما دوّنه من بعض الذكريات، وقد ذكرنا بعضها في الحديث عن شخصيته الاجتماعية، اما وقد طالعتنا شجرة عطائه الباسقة ورياضه الفيحاء وثمار غرسه ومعطيات جهده، الذي ما كف عن العطاء اجتماعيا وثقافيا حتى

في الأيام الاخيرة من حياته، فلا مناص إذن من العودة إلى مطالعة جذور وينابيع ثقافته والايدي الكريمة التي تكتفت برعاية شخصيته الثقافية، وقادت مسيرته الفكرية وهويبدأ هذه المسيرة الطويلة التي أدت دورها وسيبقى تراثها يشغل الكثير من الدارسين.

وقد ذكر السيد ـ رحمه الله ـ في بعض ما كتب عن استاذته في مطلع مراحله الدراسية ـ بعد الحديث عن انطباعه عن مدرسة الأب والمكتب ـ اسماء مجموعة من الشخصيات العلمية التي تلقى عنها مقدمات دروس الحوزة، بالباء، وليس بالالف، فيقول بطريقته المحببة " وكانت البداية بالباء حرف جر " وانا لا أعرف ماهو الجر وما هوحرف الجر، وكان لابد من شيئ من الفقه إلى جانب العربية، فكانت تبصرة العلامة الحلي، وتبدو هذه البدايات الكبيرة لعقول الصغار بداية غير معقولة، كما يبدو وجود شخصية مثل شخصية العالم الكبير الشيخ حسين الحلي ـ ره ـ وحضوره في هذه البدايات من خصوصيات ومميزات البدايات التي عاشها السيد محمد بحر العلوم في مدرسته الأولى فكتب يقول" بعد ذكر اسماء كبيرة من اساتذته "تلقى عنهم دروسا في الفقه والفلسفة واصول الفقه والعربية والبلاغة والبيان.." وكان الموجه الأكبر لي المرحوم اية الله الشيخ حسين الحلي الذي أجهد نفسه في تربيتي وتربية اخوي السيد علاء الدين والسيد عزالدين.. وكان لنا بمثابة الأب..".

وفي مرحلة تالية من مراحل الدراسة هي التي يسميها "الدراسة المنتظمة" ويشير إلى المواد الدراسية الجديدة التي تعرف عليها وهي مدرسة منتدى النشر، والتي مرت الإشارة اليها في بما مضى من هذه السطور، كتب السيد عنها يقول: كان المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر قد أسس مدرسة منتدى النشر، وقد جمعت بين الدراسة الحديثة: التاريخ والأدب والرياضيات والجغرافيا، إلى جانب الفقه والاصول، وهنا يشير إلى مصدر تأثره في هذه المرحلة إلى اثنين من أساتذته هما: الشيخ محمد أمين زين الدين، والسيد محمد تقي الحكيم، وقد مرت الاشارة إلى أن الشيخ المؤسس محمد رضا

المظفر ره ـ كان يتوسم في السيد شخصية مستقبلية يريد أن يصنع منه ومن بعض زملائه في الدرس نموذجا للجيل الذي اهتم بصنعه لا سيما في كلية الفقه، ولكن الشيخ كانت رعايته للجميع، وقد رأيت استاذنا الحكيم قد صرح في مقدمة بعض أعماله التي ستأتي الاشارة اليها ـ بالامل الذي كان يراه فيه.

تلك هي بعض الاشارات التي تدينا على مفاتيح شخصيته الثقافية في مرحلة الدراسة المنظمة، واجوائها، ولا نستطيع أن نهمل ذلك التأثير على شخصيته الثقافية أثر لقائه بمجموعةمن زملائه في نفس السن، الذي كتب عن نشاطهم الثقافي المنظم قائلا "بدأنا نقطع شوطا في قراءة المجلات المصرية كالثقافة والرسالة وكتب طه حسين والعقاد وشجعنا ذلك على إلقاء الكلمات وحفظ الشعر حتى بلغ انهما كنا فيه أن قرأنا أكثر دواوين العرب الشعرية القديمة والحديثة واختصصت بحكم هوايتي في جمع الكتب بمكتبة شجعتني أن أقرأ عن التاريخ الفاطمي فانغمرت في دراسة التاريخ، وبدأت الكتابة في هذا المضمار".

وهذه بعض الاشارات التي تقودنا إلى مصادر ثقافته والاجواء العامة والخاصة وبدايات الدراسة في الحوزة، ومدارس منتدى النشر حتى التخرج من كلية الفقه، وقيادة بعض المؤسسات الثقافية.

(٢)

إن من الظلم أن نحصر جهود السيد محمد بحر العلوم وعطاءه ومشاركته في الحركة الثقافية طيلة أكثر من ستة عقود من القرن الماضي وحتى رحلته عن عالمنا سنة٢٠١٥، في حدود ما كتب وما ألف وأبدع على صعيد الثقافة والمساهمات العلمية دون ان نشير الى جهوده العلمية شاركته في دفع حركة الثقافة، والعلم.

فقد كان وريث الماضين من أسرته وهم رعاة العلم والأدب وكان ديوانهم في عهده مجمع العلماء والأدباء وهو المدرسة الأولى للشخصيات العلمية من

أسرته هو وأخوته وأبناء عمومته، وهو كبيرهم بعد رحيل والده سنة ١٩٦٠م، كانوا حصيلة هذه المدرسة العتيدة التي يرقى تاريخها الى مطلع القرن الثالث عشرة الهجري، وهو تاريخ عودة أكبر تلامذة المدرسة الأصولية في كربلاء لتأسيس حوزة النجف في تاريخها الجديد، وأرى أن "أسرة الأدب اليقظ" التي حدثنا عنها باسهاب استاذنا السيد مصطفى جمال الدين في مقدمة ديوانه وأعاد الحديث عنها السيد في العديد من ذكرياته الأدبية، قد انطلقت من زوايا هذا الديوان وكان أعضاؤها من الأسرة وممن يرتاد ديوانهم من شباب تلك الفترة، واذكر انني شخصيا كنت ممن عاش أجواء ذلك الديوان الذي لا تطمس آثاره مرور الأيام في ذاكرتي، مع فارق السن الذي يفصلني عن أعضاء تلك الأسرة والذي يمتد إلى أكثر من عقدين من الزمن.

كان السيد رحمه الله عليه يكبر أكثر أعضاء الأسرة الأدبية سنا، وكان له حق النقد والتوجيه ومراعاة تقاليد المجتمع النجفي الصارمة لا سيما في مراقبة مجموعة من الشباب من أبناء الأسر العلمية المعروفة والذين يتصفون بالذكاء والوسامة والشاعرية مما يجعل الوسط العلمي يضع تصرفاتهم تحت الرقابة الشديدة في الديوان والمدرسة وبعض الاسفار القصيرة إلى المدن القريبة من النجف، وقد علق في ذاكرتي بعض النصوص الشعرية لواحد من الشعراء كان قريبا من مجموعتهم وهو يصور في بعض أبيات القصيدة تلك الرقابة الذاتية التي كان لابد منها في مدينة النجف وبعيدا عنها، والنص يصور اجواء الرقابة المركزية التي ذاق مرارتها من انتمى الى مدرسة النجف الأشرف، والتي كانت تتناول شخصية الفرد بسادية معهودة أضرت بكثير من الشخصيات، والشاعر يتذكر صورا من الرقابة المذكورة وهو بعيد عن النجف وذكرياتها قريبة منه، وثاوية في أعماق اللاشعور منه، وهو يخاطب هذه الذكريات قائلا:

صوّري لي أني اسير ببغدادَ ورأسي خلوٌ منَ الأصفادِ!
وأمامي منارة اشعر يذكي خطواتي بنقده الجلاد

صـــوري لـــي وكـــيـــف عـــدنـــا فـلاح الـبـحـر غـضـبـان فـارع الإزبـاد
طـفـحـت فـوقـه الـذراريُّ يـحـيـلهـا ضـــبـــاب خـــلـو فـــصـــل هـــادي!

نتأمل هذه الرقابة المشددة من خلال هذه المنارة التي "تحصى الخطوات، وتجلد وتنقد وتعزر" هذا في بغداد، اما في النجف فإن غضب البحر في الانتظار، و"وإزباده" و"ودرارية" التي نعتز بها كإضاءات تربوية وتوجيهية بعد محاولة يائسة "للتحلل من الأصفاد" ورموز النص واضحة في اشارتها الى "الرعاية" التي كان يوليها "جمال الدين" و"بحر العلوم" لمن هم أعضاء في شلتهم الأدبية.

وللسيد مشاركات عملية من خلال عضويته في المؤسسات الثقافية والاجتماعية والمدارس العلمية في النجف، لا نستطيع هنا إلا مجرد الإشارة إليها على أنها مشاركات عملية في دفع وتطوير الحركة الثقافية والادبية " فإن روح الريادة التي طبعت نتاجه الثقافي وابداعه الأدبي كانت بصماتها واضحة في جميع ميادين عمله العام وحركة التغيير الذي بذل جهودا وتضحيات هائلة في قيادتها.

اما تراثه الضخم وعطاؤه العلمي الجم الذي اتحف به معاهدنا العلمية واوساطنا الادبية ومراكزنا الثقافية فهو في سعته وشموله وتنوعه وخصائصه الابداعية يتطلب من الباحثين والناقدين والأوفياء من عارفي فضله والمطلعين من قريب على سيرته وجهاده ومسيرته العلمية والثقافية وقفة تأملية طويلة وتذكرا شاملا جديا في جهده وجهاده وعطائه الذي هو آية من آيات النجف الاشرف ومدرسته الخالدة.

وأناهنا ـ بعد الإشارة إلى بدايات التعليم والتربية العلمية التي تلقاها منذ سن الخامسة ومصادر ثقافته وتوجيهه الذي تلقاه على يد كبار العلماء الذين ذكرهم في بعض ماكتب من ذكرياته والذين توسموا وتفرسوا في مخائل صباه المستقبل الزاهر والعطاء النيّر الذي تعد به السمات الاولى لشخصيته ـ اصغي من خلال نصف قرن من السنين إلى صوت أستاذنا الكبير العلامة السيد

محمد تقي الحكيم وهو يقدم للاوساط الفكرية بعض بواكير عطائه بقوله "وإني في الجلد والصبر على البحث الذي لمسته في هذه الرسالة ما يبعثني على انتظار الكثير من المؤلف في مستقبل حياته إن شاء الله..".

وقد شاء الله سبحانه أن يهب سيدنا الجليل مزيدا من الصبر والجلد لا على البحث العلمي والعطاء الثقافي فحسب، بل على الفجائع التاريخية التي ألمت به وبالأسرة المتصلة به من الأسر الكريمة والنبيلة التي اختار الله لهم بلاء الأنبياء والأولياء من أهل بيت نبيه محمد(ص) والصبر على العمل الدائب في ديار الغربة والبعد عن الأهل والأحبة والأوساط العلمية والأدبية التي فتح عينيه عليها وترعرع فيها، وأمضى شطرا من كهولته فيها، ولم تنته فصول محنته حتى بعد أن عاد إلى وطنه منتصرا بعد سقوط الأصنام من خصومه، فقد عاش عقدا من السنين في ختام مسيرته وهو يتصدى للمسئوليات الكبرى في قيادة الوطن إلى ساحل الآمان وكان أمله سفينة أن يرسى بسفينة الوطن على ساحل الآمان وينتهي صبر الشعب وكفاحه إلى واحة من الرفاه، وأن يجنب شعبه العظيم خسارات أخرى في إنتصاراته التي تمت بسيل طاهر من دماء الشهداء الأبرار وعناء الملايين من الشرفاء الصامدين في ربوع الوطن الحزين.

إن "الصبر والجلد" ومعاناة تلك الفوادح لم تعق إرادته العظيمة عن حركة البناء ولا فكره وقلمه عن العطاء.

ولا أظن أن استاذه واستاذ جيله الذي توسم فيه وهو يقدم باكورة عطائه أن تلميذه الامين سيهبه الله سبحانه المزيد من "الصبر الجميل" و"الجلد" امام ألوان البلاء، إذن لمنحه المزيد من الدعاء واوصاه بمزيد من الصبر والصمود.

(٣)

إن أول ما يواجهنا في دراسة العطاء الفكري للعلامة السيد محمد بحر العلوم هو وفرة هذه العطاء في القائمة الطويلة التي تضم عشرات العناوين لبحوثه ودراساته وكتاباته، فقد أحصت هذه القوائم أكثر من سبعين عنوانا،

وأرى ان هناك بعض العناوين لم تضمها هذه القائمة، ارجوا ان تظهر في المستقبل بجهود القائمين على تراثه وجمعه وتصنيفه.

الامر الثاني هومحاولة تصنيف الكتابات المذكورة، فقد ضمت دراسات ضخمة في اصول الفقه والتشريع والتاريخ وسيرة أهل البيت عليهم السلام، كما ضمت بعض الدراسات والبحوث، وهناك حقل مستقل من هذا العطاء وهو حقل التحقيق وكانت الكتب التي حققتها كتبنا هي كتب علمية وبحوث تاريخية موسعة، ومخطوطات أتحف بها المكتبة الإسلامية.

أما تصنيف الكتابات المذكورة حسب أهمية الموضوعات فكل ما صدر عن قلم السيد في الموضوعات المختلفة كان مهما وضروريا للمراحل والأشواط التي قطعها على صعيد البحث والدراسة والتحقيق والمعالجات السياسية والاجتماعية.

ومن هنا كان التنوع في الموضوعات التي كتب فيها والتي ضمت بحوثا هامة وغنية في الفكر العقائدي وأصول التشريع والفقه المقارن والقانون والتاريخ والأدب، وأرى ان تصنيف هذه الكتابات ينبغي على اساس الموضوعات التي عالجها في جميع مراحل حياته الثقافية ومن ثم تنظيم مادة للدراسة من تراثه الفكري في المنهج والاسلوب ومختلف مواد التدريس التي يحتاجها جيلنا المعاصر، فإن تراثه يعكس الماضي من التجربة ويتطلع للمستقبل، وهو يتضمن برنامجا غنيا جديرا بأن يكون مادة للتدريس المنهجي في حوزاتنا ومعاهدنا العلمية واوساطنا الأدبية ومراكزنا الثقافية.

وكنت قد اقترحت أخيرا برنامجا تكامليا يضم المواد الأساسية للتدريس في حوزاتنا العلمية أطلقت عليه مصطلح "الفقه الأكبر" يكون التركيز فيه على الفكر الذي يدورحول محور العقيدة والشريعة والاخلاق والآداب، وهذه المادة الرباعية يتوفر عليها تراث العلامة بحر العلوم عند سبر مجموع كتاباته وتنظيم هذه المواد.

وهنا لابد من الاشارة الى ما كتبه العلامة بحر العلوم حول السياسة في

جميع مراحل نشاطه الفكري والاجتماعي والسياسي، وأرى أن هذا الحقل من نشاطه يستحق دراسة مستقلة تاريخا وعطاء، فقد ولد العلامة بحر العلوم في قرن يعج بالتحولات السياسية، والتغيير المتواصل في المنطقة، وقد أشرت إلى ذلك في مقدمات تحرير هذه السطور، وقد اشتدت وتيرة التغيير السياسي والسيد العلامة في عز نشاطه، وقد كانت له صلات مبكرة ومشاركة عملية في النشاط الاجتماعي والسياسي من خلال العلاقة بالتنظيمات السياسية الإسلامية ومرجعية العلماء والحفلات التي مرت الاشارة اليها منذ عام ١٩٦١م في النجف الاشرف، فقد كانت المعالجات السياسية واضحة في الحفلات المذكورة، وكان المراجع وعلى رأسهم المرجع الكبيرالسيد محسن الحكيم يرعى تلك الحفلات، وفي الحفلة الأولى التي انطلقت في النجف من مركز الحوزة العلمية وهو مسجد الهندي، كانت المواد التي القيت فيها نثرا وشعرا تعالج قضايا سياسية ساخنة يومئذ، وقد شارك فيها وجوه علماء النجف الأشرف، مثل الشيخ محمد رضا المظفر، والاستاذ السيد محمد تقي الحكيم، والشيخ باقر القرشي، ومن شعراء تلك المرحلة الشيخ عبد المهدي مطر، ومن الرابطة الشيخ محمدعلي اليعقوبي والسيد محمد جمال الهاشمي والشيخ أحمد الوائلي وعبد الغني الخضري، ومن شعراء الشباب استاذنا السيد مصطفى جمال الدين والشيخ محمد الهجري والدكتور صالح الظالمي، وكان تراث هذه الحفلات فكرا رائعاوابداعا أدبيا أحدث هزة في الأوساط الأدبية والاجتماعية، وبعد اختطاف هذه الحفلات واختفاء مؤسسيها لم ينقطع العلامة بحر العلوم عن الكتابة السياسية في مهجره، وكان يواصل كتاباته السياسية في مشاركاته في المؤتمرات السياسية ووسائل الإعلام، وربما لجأ إلى أسماء مستعارة في بعض الصحف، من هنا كان تراثه من الكتابات السياسية له ذلك الحجم الخاص والخصوصية التي تستحق الدرس بعد حصرها وتصنيفها تصنيفا خاصا للدراسة، وإن كانت تندرج في مجمل عطائه الفكري والثقافي الغزير.

وبعد هذه التنويه بغزارة العطاء والتنوع في مواضيع البحث والاشارة إى ذلك أكثر من مرة في ثنايا هذه السطور ـ لا أظن القارئ يطالبني بذكر اسباب هذا العطاء الجم وعوامل هذا الفكر الغزير والارادة الصلبة والاصرار على تجاوز مختلف المعوقات التي اعترضت طريقه الطويل الذي بعض معوقاته تدمي الخطى وتحبط أقوى الارادات.

لقد أشرت في ما مضى من فقرات هذا البحث ألى مفاتيح شخصيته الاجتماعية ومصادر ثقافته، وبناء شخصيته العلمية والتي التمسناها في الأسرة ورعاية الوالد، والوسط والبيئة الثقافية التي ينشأ فيها فتيان الأسر العلمية في النجف، ومن ثم الدراسة المتميزة التي اجتمعت فيها مبادئ الدراسة في الحوزة العلمية والدراسة النظامية في مدارس منتدى النشر والاساتذة الكبار الذين رعوا نشأته وتربيته العلمية وتوسموا فيه مستقبلا للفكر الأصيل والعطاء الجزيل، وقد كانت هذه الرحلة المرعية بالعناية الفائقة والأصالة العريقة كفيلة بغزارة العطاء المذكور وفرادته، وفوائده التي التي أغنت مسيرتنا الفكرية، ونرجو ان تستفيد منها اجيالنا في المستقبل ـ ونحن بأمس الحاجة إلى ذلك في محنتنا الفكرية المعاصرة ومعوقات النمو الثقافي والعلمي ولقد أشار العلامة ـ رحمه الله ـ إلى أن دوافع أعماله الفكرية وابداعه الأدبي والثقافي كانت ذاتية وبفعل الإحساس بحاجة الساحة الإسلامية في مختلف فترات عظائه في بعض ما كتب بقوله "وبحكم كوني من أسرة علمية واجتماعية لها زعامتها في النجف الأشرف وأن والدي المرحوم السيد علي بحر العلوم له مكانته الإجتماعية والدينية، تطلعت إلى الجانب السياسي من أوسع أبوابه، وبحكم القربى والصداقة مع السيد مهدي الحكيم ـ رحمه الله ـ وبعض الأخوة أمثال المرحوم عبد الصاحب دخيل أن نتوجه إلى الجانب الإسلامي ونعيش المعرفة الإسلامية".

وهذه الكلمة الموجزة التي قدم بها لمسيرة عمله السياسي والاجتماعي والثقافي تفسر لنا عامل مسيرة جهاده لاسيما قوله المشحون بالتعبير "أن نعيش المعرفة الاسلامية".

وبعد هذا الاعتذار الضمني ـ لا أظن القارئ الكريم يطالبني بالحديث عن خصائص مسيرة العطاء الطويلة للعلامة الراحل بعد أن ذكرت أنها تضم عشرات الموضوعات التي تتطلب التصنيف والدراسة من جديد ـ بأن من أعماله رحمه الله ما هوموسوعي يضم عدة مجلدات ومنها مايتخطى مئات الصفحات، ولا شك أن دراستها التي تستغرق زمنا وجهدا طويلين، ستضع أيدي القراء وأجيال البحث العلمي والدراسة على مصادر هذا العطاء والأساتذة الكبار الذين تلقى عنهم العلامة أصول دراسته وتعرفنا على ينابيع الابداع في جانبها الفلسفي والأدبي.

ولكن لا يفوتني هنا وأنا أختم كلمتي هذه التي تبدو ـ كما يرى القارئ الكريم ـ جد متواضعته إزاء عطاء السيد وابداعه، أن اشير الى خاصتين في هذا العطاء بايجاز وأرى أن فيهما دلالة مميزة على اصالة هذا العطاء والغيرة على صرح المعرفة الإسلامية التي قرر السيد أن يعيشها كما ذكر آنفا.

الأولى: الاهتمام بالفلسفة في وقت مبكر من مسيرة عطائه، فقد ترك أثرين هما نظرية حدوث العالم، وهو موضوع له الأهمية في البحث الفلسفي والعقيدة الإسلامية، وقد دارت حوله أهم بحوث علماء الكلام والفلسفة للعلماء المسلمين، والثاني: تاريخ الحياة الفكرية للفيلسوف العربي يعقوب بن اسحاق الكندي، والذي عرفنا سيدنا الأستاذ الحكيم على الأفكار المنهجية في نظرية المعرفة عنده وأهميتها في تقديمه لكتاب العلامة بحر العلوم عنه، وقد صدر القسم التاريخي من هذا البحث في ظرف خاص وفترة اعتملت فيها الافكار الفلسفية في الأذهان، وروج لفلسفات خطيرة مضادة للعقيدة الاسلامية، وفي الفترة المذكورة ظهر كتاب فلسفي لاستاذنا الشهيد السيد محمد باقر الصدر ـ ره ـ وكان العلامة بحر العلوم ينشط في خط الشهيد الصدر في حركته الثقافية وفكره التغييري، كما ينبغي أن يشار إلى أن مؤسسة منتدى النشر الذي كان يقودها شيخنا المظفر ـ ره ـ وهو من فلاسفة عصره وقد تلقى أصول الفلسفة عن أستاذه الشيخ محمد حسين الأصفهاني هو مع نخبة مختارة من

زملائه تخرجوا من مدرسة الشيخ المذكور، وفي منهج كلية الفقه التابعة لمؤسسة منتدى النشر كان الشيخ المظفر قد اهتم بالبحث الفلسفي فقام بتدريس الفلسفة بنفسه ونشرت بعض دروسه في الفلسفة في مجلة النجف التي كانت تصدرها كلية الفقه.

واستمرت دروس الفلسفة في منهج الكلية بعد وفاة الشيخ المظفر فكانت يدرس الفلسفة الإسلامية استاذنا المرحوم الشيخ محمد كاظم شمشاد، ويحضر اساتذة من بغداد لإلقاء دروس في الفلسفة الحديثة، وفلسفة المناهج التربوية في الحضارات القديمة "الشرقية والغربية"، وكن هذا الدرس من أهم وأمتع الدروس التي كنا نحضرها في الكلية، وأكثرها فائدة وما زالت راسخة في الأذهان.

إن كتابات العلامة بحر العلوم الفلسفية كانت ضمن هذه الأجواء الفلسفية المستجدة في حوزة النجف والتي كان موقفها صارما ومتوجسا من دراسة الفلسفة، ومعالجة المواضيع الفلسفية والتي كان لها ضحايا في تاريخ الدراسة في حوزة النجف الأشرف تذكرنا بضحايا الفكر في التاريخ، لامجال لذكر أمثلة لها في هذه السطور، والتي كان الغرض منها التذكير بآثار السيد الفلسفية ما نشر منها وما لم ينشر لأن ـ ذلك البحث ـ في فترته الزمنية بظرفه الخاص يؤرخ للبحث الفلسفي في مدرسة النجف الأشرف وهذه خاصة في تراث السيد ينبغي الاهتمام بها.

أما الخاصة الأخرى فهي تتجلى في مجموعة الأعمال الموسوعية التي أنجزها العلامة بحر العلوم عن النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم، كما كتب عن عدد من أصحابهم الأبرار وكادت هذه الموسوعة تستغرق أكثر كتاباته، و:انه أراد أن يعر ف حقيقة الإسلام وواقعية تعاليم شريعته متجسدة في هذه الرموز التي عايشها زمنا طويلا وهو ينظر ويكتب ويحقق في مسيرته وتاريخها، وبنظرة إلى قائمة مؤلفاته نستطيع أن نلمس مدى الاهتمام الذي كان يوليه لهذا النوع من الكتابة الذي تعدى إلى شخصيات كانت على النقيض وقادة الإسلام من

أهل البيت واصحابهم مثل الحجاج بن يوسف الثقفي سيف الامويين في العراق، وعلى صعيد التحقيق نشر كتاب النزاع والتخاصم للمقريزي (ت ٨٤٥هـ) وكتب مقدمة موسعة حول حياة المؤلف تكاد تستغرق اكثر الكتاب.

لم تكن كتابة العلامة بحر العلوم للسيرة النبوية وتراجم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام كتابة تقليدية سردية على طريقة القدماء من علمائنا رضوان الله عليهم، فقد كتب عدد كبير من علمائنا في مدوناتهم الحديثة او كتبهم المستقلة عن "سيرة النبي وأهل بيته " وترجمت بعض كتب الرجال لأصحابهم تراجم خاصة ذكرت حياتهم ومواقفهم، وفي سيرة أصحاب الأئمة من أهل البيت دروس وعبر تستحق الدرس والتخليد، كيف لا، وكان الأئمة يشيدون بصفاتهم ويذكرونهم ويدعون لهم، وكان أمير المؤمنين(ع) يبكي عند ذكر أصحابه، ويقول "اؤلئك أخواني الذاهبون فحق لنا أن نظمأ اليهم ونعض الأيدي على فراقهم..".

وللإمام كلمات ومواقف أخرى تعبر عن تعظيم أصحابه والحنين اليهم، وكان هؤلاء الاصحاب الكرام يذكر بعضهم بعضا ويعيشون ذكراهم، وقد غصت كتب علماءنا رضوان الله عليهم بتراجمهم سيرهم وتفاصيل سيرهم منذ القديم، إلاأن الكتابة المعاصرة للسيرة تختلف في الأسلوب والتصوير والتحقيق وتتبع الوقائع والاستنتاج، وهذا المستوى من كتابة السيرة في عصرنا لم يعرف عند الكتاب العرب إلا في وقت متأخر، وكانت هذه الكتابة في النجف نادرة وغير معهودة، لو لم يسد ثغرها استاذنا العلامة السيد محمد تقي الحكيم فقد كانت له تجارب وأعمال جادة على هذا الصعيد، يقول شيخنا المظفر ـ ره ـ في تقديم بعض هذه الأعمال " أقدم لكم مالك الأشتر حقا أقدم بطل الاسلام مالك، ولكن في كتاب، فإن هذا التصوير الذي استعمله الكتاب ـ ولا أقول الكاتب ـ فأخشى أن يجرفني ذكره الى الاستمرار في حديثه ـ هذا البطل المنزه كأنك عشت في عصره أو كأنه عاش في عصرك..." وما عسى شيخنا يقول، لوامتد به العمر حتى يرى السفر العظيم الذي نشره سيدنا الاستاذ عن سيرة عبد الله بن عباس شخصيته وآثاره سنة ٢٠٠١ م، والذي تميز على

صعيد كتابة السيرة الحديثة بالتفصيل والتحليل، فكان نموذجا حيا ورائعا لكتابة السيرة المعاصرة في أدبنا العربي والإسلامي المعاصر.

كان العلامة بحر العلوم قد أحس بالحاجة الشديدة إلى كتابة سيرة الرسول وأهل بيته وعشرات الرجال والنساء في تاريخنا الذين تستحق حياتهم ومواقفهم منا الإجلال لمضامينها التربوية وأبعادها الاخلاقية والعقائدية، ولقد أبلي العلامة بحر العلوم بلاء حسنا عندما قدم للأجيال سيرة مجموعة من هؤلاء الابطال، ولكن بحلة متجددة وأسلوب معاصر.

وقد واصل اهتمامه على هذا الصعيد فكتب عن شخصيات عاصرها بنفسه وشاركها العمل مع فارق السن بينهم، وقد أبى إلا أن يكون وفيا لهذه الصلة الرائعة، فقد كتب عن حياة الشيخ محمدعلي اليعقوبي (ت ١٩٦٥م) والشيخ محمد الخليلي، وهذه ريادة وسبق في الكتابة الأدبية في النجف، وكان الشيخان من كبار أدباء العصر ولهما خدمات تاريخية واجتماعية خلدها تاريخ الأدب في العراق.

إن التأكيد على هاتين الخاصتين أعني الكتابة الفلسفية وكتابة السيرة المعاصرة في تراث سيدنا العلامة بحر العلوم لا يعفينا من الاهتمام بروح الريادة في أعماله الفكرية والثقافية الأخرى فإن مجمل تراثه الغزير كان ينبض بروح التجديد والابداع، ونأمل أن نعود إلى هذا التراث الوافر من أجل الاقتراب من أبعاده الأخرى، ودراسة خصائصه المميزة له بين نتاج عصره، والصادر عن الروح الكبيرة والارادة الصلبة والخلق النبيل والصبر على الشدائد والوفاء للجذور والينابيع الأولى.

رحمه الله رحمة واسعة، بما جاهد وصبر وصابر وأعطى وحشره مع أجداده الطاهرين في مقعد صدق عند مليك مقتدر ونعم عقبى الدار.

وقد انتهيت من تحرير هذه السطور في يوم الثلاثاء ١٧ من شهر ربيع الأول لسنة ١٤٣٧ هـ عشية عيد المولد النبوي الشريف ومولود جعفر بن محمد الصادق علية السلام وصلى الله على محمد وآله الاطهار.

الفصل الثاني

بحر العلوم
ومدرسة النجف العلمية

١ ـ **مع استاذه التقي الحكيم في منهجية البحث العلمي**.... د. السيد عبدالهادي الحكيم

٢ ـ **الدور المبكر لدعم الباحثين الاكاديمين**... أ. د. جهاد الحسني

٣ ـ **رحلة السياسة والعلم**... د. نجوى الجواد

٤ ـ **مشروع معهد العلمين**... أ. د. عباس عبود عباس

٥ ـ **السيد بحر العلوم وكلية الفقه**... د. علي خضير الحجي

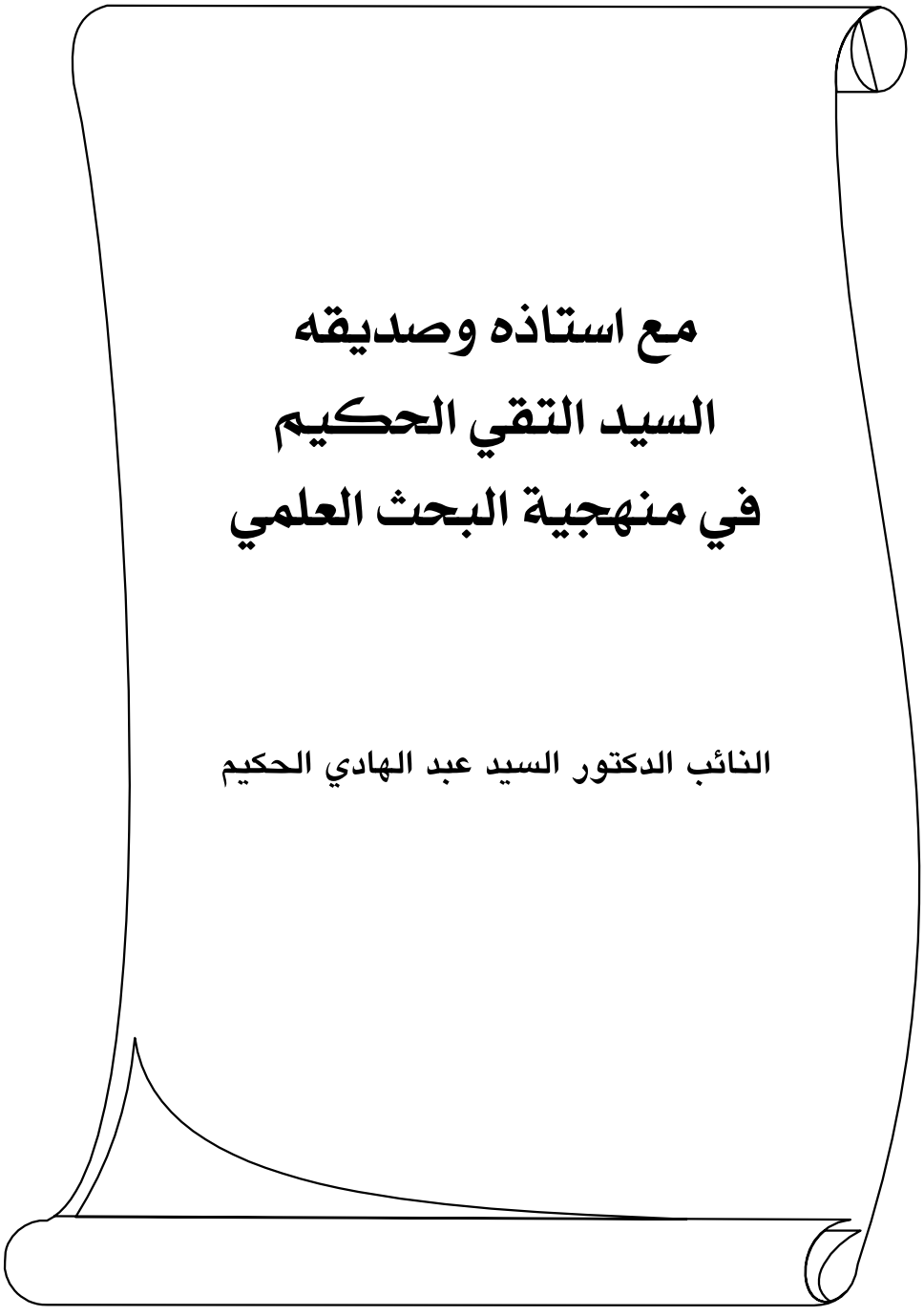

مع استاذه وصديقه
السيد التقي الحكيم
في منهجية البحث العلمي

النائب الدكتور السيد عبد الهادي الحكيم

منذ ان تخطيت سن الطفولة المبكرة وبدا سماحة سيدي الوالد (قدس سره) يصطحبني في بعض زياراته العلمية الاجتماعية المعتادة، وياخذ بيدي لحضور مجالسه ومنتدياته الثقافية والادبية، بدات الحظ كثرة تردده ـ مع سماحة سيدي العم الكبير اية اللّٰه السيد محمد حسين الحكيم (قدس) ـ من بعد صلاتي المغرب والعشاء، في اغلب ايام الاسبوع، على مجلس علمي اجتماعي ثقافي ادبي سياسي يتصدره سيد وقور، عالم جليل، عظيم القدر، بهي الطلعة، جميل المعشر، محب ودود، تحيط به ثلة من ابنائه العلماء واحفاده الكرام ومريديه ومحبيه. ذلك هو مجلس او (براني) سماحة اية اللّٰه المغفور له السيد علي بحر العلوم (قدس).

ولم تكن العلاقة بين اسرتينا (ال الحكيم) و(ال بحر العلوم) علاقة اجتماعية عابرة، ولا علاقة علمية بحتة، ولا علاقة مجاملة وتعارف، بل هي علاقة عمود نسب واحد، ومصاهرات متعددة، واخوة صادقة، ومحبة وود. بحيث لا تكاد تجد في مجلس عام واحدا من كبار رجال اسرة ال بحر العلوم الا وتجد في المجلس ذاته واحدا او اكثر الى جنبه من كبار رجال اسرة ال الحكيم.

فكلتا الاسرتين من شجرة نسب واحدة يرتقي عمود نسبها الى الامام الحسن المجتبى(ع) من جهة الاب، والى سيد الشهداء الامام الحسين(ع) من جهة الام، ثم تفرعت منذ زمن ليس بالبعيد الى اكثر من اسرتين علميتين نجفيتين معروفتين من بينها هما اسرة (ال الحكيم) واسرة (ال بحر العلوم).

كما ان كلتا الاسرتين العلميتين المعروفتين نشطتا في معارضة الانظمة

الظالمة المستبدة دفاعا عن الاسلام الاصيل واحكامه وقيمه الخالدة، ولاسيما النظام الدكتاتوري الطائفي البائد. مقدمتين من اجل ذلك الدماء الغالية اثر الدماء، ناهيك عن معاناة ظلمات وعذابات السجون والمعتقلات والزنازين والطوامير، فضلا عن وحشة المنافي والمغتربات في بلاد الله الواسعة كما سياتي.

لقد ربطت رجال الاسرتين ونسائهما، وشيبا وشبانا، اخوة حميمية ومحبة وود، فعلاقة صاحبي السماحة المغفور لهما اية الله السيد علي بحر العلوم واية الله السيد موسى بحر العلوم بسماحة اية الله العظمى الامام السيد محسن الحكيم (قدس) وثيقة وقديمة، بل انهما ارتبطا بمرجعية الامام الحكيم (قدس) دون غيرهما من افراد اسرتيهما التي ارتبطت وقتها بمرجعية سماحة اية الله العظمى السيد البروجردي (قدس)، قناعة علمية منهما بسبقه العلمي الرفيع، وتميزه وعمق ومتانة ودقة مباني موسوعته الفقهية (مستمسك العروة الوثقى) الرائدة في عصره والعصور اللاحقة لعصره.

وقد نقل لي سماحة المرجع الكبير السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله)[1] عن سماحة المغفور له اية الله السيد موسى بحر العلوم بانه كان يخطّئ علميا ارحامه فيما ذهبوا اليه.

واما علاقة سماحة المغفور له اية الله السيد علي بحر العلوم بجدي الكبير سماحة المغفور له اية الله السيد سعيد الحكيم (قدس الله سريهما) فهي علاقة صداقة واخوة ووفاء، نعم، ولكنها من النوع الخاص المتميز، فقد عاشا اخوين عزيزين وفيّين لبعضهما، بحيث لا يكاد يمر يوم واحد دون ان يجتمعا في مجلس السيد بحر العلوم عصر كل يوم، ولا تكاد تمر جمعة دون ان يجتمعا او انجالهما في مجلس او براني سيدي الجد الصباحي هذه المرة. بل اكثر من ذلك فقد حدثني سماحة المرجع الكبير السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله)[2] انه حين اوشك المغفور له سماحة اية الله السيد علي بحر العلوم على تلبية نداء ربه الكريم في مستشفى المجيدية ببغداد حضر ساعة احتضاره

سيدي الجد ومن معه من انجاله بمن فيهم سماحة سيدي الوالد، فاوصى السيد بحر العلوم من على سرير احتضاره سماحة سيدي الجد برعاية انجاله الكرام من بعده، فوعده سيدي الجد بذلك.

واذ قدر لسماحة السيد علي بحر العلوم ان يلبي نداء ربه الكريم لم ينقطع سماحة سيدي الجد (قدس) عن عادته اليومية بارتياد براني السادة الكرام من انجال السيد بحر العلوم (قدس) في مجلسهم العامر بعد وفاته، وفاء لابيهم الكبير ولهم، وانجازا لوعده اياه، وودا لاسرته الكريمة، ومحبة لانجاله العلماء، حتى وفاته (قدس).

واذا كانت علاقة الجدين الكبيرين ببعضهما ما قدمت، فعلاقة انجالهما لا تقل ارتباطا ومواصلة، ومتانة وقوة، والفة ومحبة، عنها. فعلاقة سماحة العم العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم بسيدي العم الكبير اية الله السيد محمد حسين الحكيم وسيدي الوالد (قدس سرهم) وثيقة جدا كما سياتي، وعلاقة السيدين الاخوين الشهيدين اية الله السيد علاء الدين واية الله السيد عز الدين بحر العلوم بسيدي العم الكبير وسيدي الوالد وسيدي العم الشهيد السيد علي الحكيم هي الاخرى علاقة وثيقة جدا، ونظرا لتشعب العلاقة بين الاسرتين، وتعدد اركانها لذا ساكتفي ببيان العلاقة العلمية بين سيدي الوالد والسيدين الشهيدين الاخوين اية الله السيد علاء الدين واية الله السيد عز الدين بحر العلوم اولا، ثم علاقة العلامة الدكتور العم السيد محمد بحر العلوم به بتفصيل بعد ذلك.

لقد اكبّ اية الله الشهيد السيد علاء الدين بحر العلوم (قدس) على تاليف كتابه (مصابيح الاصول) تقريرا لابحاث استاذه اية الله العظمى المرجع الاعلى في وقته سماحة السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي (قدس) في علم اصول الفقه، وراجعه قبل الاذن بطبعه، ودقق مباحثه، وطريقة عرضه، واسلوب طرحه سماحة سيدي الوالد (قدس) بطلب من استاذهما معا سماحة المرجع الاعلى السيد الخوئي (قدس).

وحين كتب اية الله الشهيد السيد عز الدين بحر العلوم (قدس) كتابه (بحوث فقهية) وخصصه للمسائل الفقهية المستحدثة تقريرا لابحاث استاذه سماحة اية الله العظمى الشيخ حسين الحلي (قدس) راجعه قبل الاذن بطبعه ودقق مباحثه وطريقة عرضه واسلوب طرحه سماحة سيدي الوالد (قدس) بطلب من استاذهما معا سماحة استاذ العلماء سماحة اية الله العظمى الشيخ الحلي (قدس) ايضا.

هذا فضلا عن علاقة الود والمحبة والصداقة الاكيدة التي ربطت سماحة الشهيد اية الله السيد عز الدين بحر العلوم (قدس) والوجيه الشهيد عمي السيد علي السيد سعيد الحكيم منذ طفولتهما المبكرة حتى استشهادهما والعديد من شهداء اسرتيهما على يد ازلام النظام الدكتاتوري الطائفي البائد، فقد اعتقل كلا السيدين الشهيدين الصديقين بعد الانتفاضة الشعبانية المباركة عام ١٩٩١م، وخلال استباحة مدينة النجف الاشرف بعد اقتحامها بالقوة من قبل جيش الزمرة الدكتاتورية المستبدة، ثم اعدم كلاهما ومعهما الالاف من الشهداء المظلومين من دون قضاء ولا محاكمة ولا ابسط مقومات العدالة حتى الشكلية منها فضلا عن الحقيقية، وها نحن بعد اكثر من عقدين ونيف على استشهادهما والعشرات من ارحامهما والكثير من كبار علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف، ومئات الالاف من المواطنين العراقيين الابرياء، لم نقف حتى تاريخ كتابتي هذه على مواضع دفنهم، ولم نستدل على مضاجعهم، رغم المتابعة الحثيثة، بل ورغم اكتشاف المئات من المقابر الجماعية حتى الان، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

اما علاقة سماحة المغفور له العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم بسماحة سيدي الوالد (قدس) فقد امتدت على مدى اكثر من نصف قرن، وفي اكثر من بلد، والى اكثر من مساحة، فاضافة الى الاخوة الحميمة والصحبة والصداقة والرحم والاجتماع في كل يوم وكل جمعة تقريبا في بيت السادة ال بحر العلوم مرة، وفي براني سيدي الجد مرة، فقد استوعبت التلمذة

والاستاذية، والكتابة والتاليف، والترجمة والتدوين، والادب والفن شعرا ونثرا، وعرضا ونقدا، وتوثقت بولع الغوص في عمق البحث التاريخي، واستجلاء مكنوناته، دراسة وتحليلا، وتبيانا وتوضيحا، ونقدا وتمحيصا، لا حملا ونقلا، ولا رواية وقولا.

لقد امتدت العلاقة العلمية وعلاقة البحث والتأليف بين سماحة العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم وسيدي الوالد الى ابعد من ذلك بكثير، بل قبل ذلك بكثير، فما ان تأسست كلية منتدى النشر الدينية في النجف الاشرف حتى تلقى سماحة السيد محمد بحر العلوم دراسة بعض علومها المقررة على يد سيدي الوالد.

يقول العم المغفور له العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم[٣] مؤرخا لهذه العلاقة الخاصة ما يلي: "عرفت السيد الاستاذ من البعيد اولا في الخمسينات من القرن الماضي، ولازمته تلميذا وصديقا في الستينات منه ثانيا، وبين العهدين ما يوسع القلب والذهن في ان واحد، راي واعد، وقول لا تشوبه شائبة".

في العهد الأول: عرفته أستاذا في كلية "منتدى النشر" في النجف الاشرف غير الرسمية، والتي تبنى لبنتها ومسيرتها المصلح الكبير اية الله الشيخ محمد رضا المظفر، وكان السيد التقي اليد اليمنى له في مشروعه التطويري الفكري النهضوي الذي يجمع بين الدراسة التقليدية الدينية، وبعض المواد للعلوم الحديثة مما يحتاجها طلاب الحوزات العلمية في مسيرتهم التبليغية

اما العهد الثاني، فقد عرفناه رائدا واستاذا في المجال العلمي والادبي، سواء في اطار كلية الفقه او مشاركته في المجامع العربية العلمية والادبية واللغوية، او في المحافل والمؤتمرات العالمية التي شارك بها، فكان خلالها مفكرا ومنظرا يجلب الانتباه من المشاركين فيها بفكره واراءه فيما يقوله ويكتبه.

كما تبنى كوكبة من طلاب المعرفة فأولاهم العناية في توجيههم توجيها

تربويا لا مبالغة اذا قلنا ان عددا كبيرا من شخوص هذا القرن في مختلف علوم الدين والآداب يشيرون باعتزاز الى مدرسة السيد محمد تقي الحكيم"[٤].

وتأتي في مقدمة مصاديق هذه العلاقة العلمية والتربوية في العهد الثاني من علاقة السيدين الوثيقة تقديمه (قدس) لكتاب (الكندي) وما ورد فيها عن الكاتب القدير، فما ان اتمّ سماحة السيد محمد بحر العلوم تاليف كتابه: (الكندي الرائد الاول للفلسفة الاسلامية ومعجزة الفكر العربي) (ط١ مطبعة النجف. النجف الاشرف ـ العراق. ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م)، متناولا في جزئه الاول جانبه التاريخي حتى طلب من سيدي الوالد ان يكتب مقدمة له يطلع فيها القارئ الكريم على غنى وثراء ودقة وعمق وريادة هذا الفيلسوف العربي الكبير "تمهيدا للدخول في بحوثها القيمة" فاستجاب سيدي الوالد لطلب تلميذه وصديقه، فاشار في مقدمته الى جهد كاتبها فيما كتب مشيرا الى ما بذله في تاليفها بقوله لقد: "وفر لي ـ السيد بحر العلوم ـ بجهده القيم ان اقرا خلاصة وافية لعشرات من المصادر قديمة وحديثة تتصل اتصالا مباشرا او غير مباشر بالجانب التاريخي لهذا الفيلسوف، وهو الذي تكفلت هذه الرسالة تجلية واقعه"[٥].

ويضيف سيدي الوالد قائلا: "ومنها تعرفت على اراء تتصل بعصره وبيئته وولادته ونشاته ووفاته وثقافته وعقيدته، وقد جولتني هذه الرسالة في افاق معرفته فوقفت على سعتها وعمقها، سواء ما يتصل منها بالفلسفة ام العلم، كما جلّته لي اديبا له جولات في الشعر والنقد وصناعة النثر"[٦].

ثم ينتقل في تقديمه الى تقييم الجهد العلمي الذي بذله السيد بحر العلوم في رسالته فيقول "وقيمة هذه الرسالة انها بحثت جذور ما عرضته من جوانب حياته واوصلتها بمنابعها الاصيلة على اختلاف ما ترتبط به من عوامل بيئية او وراثية"[٧]. ليختتم مقدمته شاكرا لسماحة السيد بحر العلوم ما اتاحه له من فرصة في هذا الكتاب من استجلاء بعض ما كان غير جلي من تفاصيل حياة الفيلسوف الكندي، واستيضاح ما كان غمض من تاريخه بقوله "ولا يفوتني

اخيرا ان اشكر للمؤلف ما وفرّه عليّ من متعة وانا اتجول في حنايا بحوثه فاستجلي منها ما غمض عليّ من جوانب تاريخه بما اجراه من التحقيقات التي صححت ـ فيما اتخيل ـ للكثير نظرتهم في هذا الفيلسوف الجليل وبخاصة فيما يتصل ببعض عناصر شخصيته. وان في الجلد والصبر على البحث الذي لمسته في هذه الرسالة ما يبعثني على انتظار الكثير من المؤلف في مستقبل حياته ان، شاء اللّه".

لقد واصل المغفور له سماحة العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم تلمذته على يدي استاذه وصديقه في كلية الفقه في النجف الاشرف، ثم لاحقا في معهد الدراسات الاسلامية العليا بجامعة بغداد، فبعد تخرج السيد بحر العلوم من كلية الفقه بنجاح، اثر ـ وهو الحريص على التزود بالمعرفة العلمية العالية ـ مواصلة دراسته لنيل درجة الماجستير من معهد الدراسات الاسلامية العليا بجامعة بغداد حيث كان سيدي الوالد يلقي محاضراته في اصول الفقه المقارن على طلابه بعد ان سعى جادا هو والاستاذ الدكتور احمد صالح العلي عميد المعهد لاحقا وغيرهما لتأسيسه، فكان لهم ما ارادوا.

لقد نشط المغفور له سماحة العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم في سنته التمهيدية الاولى لدراسة الماجستير نشاطا علميا ملحوظا، حتى اذا اجتازها بنجاح بات همه ان يشرف على رسالته استاذه وصديقه، بل ان لا يحدد موضوع رسالته العلمية الا باستشارته والاخذ برايه.

ولعل سبب ذلك يعود الى ان سماحة السيد بحر العلوم كان يرى مثله مثل غيره ان سيدي الوالد يمتلك قدرة فريدة نظم المنهجية العلمية، وموهبة على تخطيط البحث وكتابته قلّما توافر عليها غيره في النجف الاشرف يومها، وقد دوّن ذلك في اكثر من موضع من مذكراته الخطية، كما أثبته في نعيه لأستاذه بعد وفاته حيث قال في بيانه من جملة ما قال عنه معتبرا خصوصيته تلك في هذا الجانب المهم من جوانب ميزات شخصيته بكونه صاحب (مدرسة) في هذا الباب مصرحا بذلك في قوله: "ويعتبر صاحب مدرسة في منهجية البحث العلمي".

وليس سماحة العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم وحده من تلامذة سيدي الوالد من كتب ذلك عنه، بل دون ذلك العديد منهم، فهذا استاذنا المغفور له سماحة العلامة الدكتور الشيخ عبد الهادي الفضلي يبين ـ وهو يتحدث عن منهجية كتاب (الاصول العامة للفقه المقارن) لسيدي الوالد ـ فيقول: "... والمنهجية عند استاذنا المؤلف ميزة تفرّد بها ـ في حدود اطلاعي ـ من بين اقرانه من علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف، ويرجع هذا ـ فيما اقدّر ـ الى عاملين هما:

١ ـ موهبة التنظيم التي منحها اللّه اياه.

٢ ـ قراءاته الكثيرة والمتنوعة التي نمّت عنده هذه الموهبة وصقلتها صقلا مميزا اتى ثماره فيما كتب من بحوث رسائل وكتب"[٨].

لقد تم الاتفاق بين الاستاذ وتلميذه وصديقه السيد بحر العلوم على ان يكون (الاجتهاد) موضوعا لاطروحة بحثه باشراف استاذه، وتم الاتفاق بينهما ايضا على خطة البحث، يقول سماحة السيد بحر العلوم في مقدمته لبحثه "وتقوم هذه الخطة على توزيع البحث تبعا لتحديده في عنوان الرسالة (الاجتهاد: اصوله، احكامه) الى مدخل وقسمين وخاتمة، وقد وزعت كل واحد منها الى ابواب وفصول تبعا لحدود ما ينتظم فيها من بحوث.

وقد حاولت ان اتبع في بحثي النهج الموضوعي المقارن، فاقتضاني ذلك ان اطلع على مختلف الاراء لمختلف اعلام المذاهب الاسلامية المشهورة، وهي: الامامية، والحنفية، والشافعية، والظاهرية، والزيدية، والمالكية، والحنابلة، وان ارجع الى مصادرها الاصيلة جهد الامكان"[٩].

عندها بدأ سيدي الوالد بتدريس العلامتين الدكتورين السيد محمد بحر العلوم (مبحث الاجتهاد) والسيد مصطفى جمال الدين (مبحث القياس) دروسا خاصة كل في موضوع اطروحة بحثه.

حتى اذا انتهى سماحة الدكتور السيد محمد بحر العلوم من انجاز بحثه

المتقدم وحدد قسم الدراسات العليا في جامعة بغداد موعدا لمناقشته سارت الامور على غير ما كان يرجو الطالب ويأمل، ويرجو له أستاذه ويأمل، فقد قدر للسيد بحر العلوم وهو الناشط في التعبير عن مصالح وهموم وقضايا بلده، والمتصدي لتحقيقها في ظل مرجعية المرجع الاعلى الامام الحكيم (قدس)، وخاصة حقوق ومصالح اولئك المظلومين المضطهدين المهمشين في نظام لا يسمح لمواطنيه حتى ان ينبسوا ببنت شفة.

يقول نجل الفقيد الكبير الاخ الدكتور السيد ابراهيم بحر العلوم: لقد قدر للسيد الوالد ان تضيق عليه الاجهزة القمعية للنظام البائد خناقها (فخرج منها خائفا يترقب) بعد ان وصله خبر من المرحوم الاستاذ الدكتور صالح احمد العلي عميد المعهد حينئذ بان من الافضل له لا يحضر لمناقشة رسالته لان القوم يبيتون لهم شرّا ـ وهذا ما يحسب للمرحوم الاستاذ الدكتور العلي ـ ما اضطر السيد المغفور له المرحوم والدي مكرها ان يشد رحاله بعيدا عن اسرته العلمية، ومجلسه العامر، ووطنه ومسقط راسه، ومدرج طفولته وشبابه. وشبيه بما حصل للمغفور له سماحة الدكتور السيد بحر العلوم سنة ١٩٦٩م حصل لاحقا للمغفور له سماحة اية الله الشيخ محمد مهدي الاصفي سنة ١٩٧٤م[١٠].

لقد قرر المغفور له سماحة العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم الخروج من العراق نحو الكويت سرا سنة ١٩٦٩م، دون ان يناقش اطروحته العلمية حتى اذا حطّ رحاله في الكويت عاوده ولع البحث والتحقيق والح عليه شغف الكتابة والتاليف فكان ان عزم على السعي لاتمام ما بداه من دراسته العليا فكتب من هناك الى سيدي الوالد رسالة يستشيره فيها بما قرر وصمم عليه، فاجابه في رسالة جوابية مليئة بمشاعر المودة والود والشوق بما يلي:

"اخي العلامة الجليل السيد ابا ابراهيم سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله

تلقيت بالأمس رسالتكم الكريمة فكانت ابلغ معبّر عن عواطفك، وكأنها

كانت في نفس الوقت تعبر عن مشاعر اخيك تجاهك وما يكنّه لك من ودّ واخلاص (...).

تسالني عن رايي فيما يتعلق بالرسالة، ورايي انك اذا استطعت اجتياز السنة الدراسية ان تقدّم عنوان الرسالة (الاجتهاد) موضوعا لأطروحتك وتعمل على تعيين مشرف عليها، ثم تعرض عليه طبيعة انجازاتك في الرسالة فلعلها تمضى من قبله". ثم ينعطف سيدي الوالد في رسالته فيخبر السيد بحر العلوم بما تم لصديقه واخيه المغفور له العلامة الدكتور السيد مصطفى جمال الدين من نجاح كبير في مناقشته لرسالته (القياس حقيقته وحجيته) ليقول: "لقد تمت مناقشة رسالة الاخ السيد مصطفى وأحرز لأول مرة درجة جيد جدا، وكان موفقا في المناقشة الى حدّ كبير والحمد لله" ليختتمها بعواطف جياشة عبّر عنها بقوله: "أعود فاكرر الشوق لك (...) سلمت لأخيك.

محمد تقي الحكيم"

واذ وفق سماحة العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم ـ بعد جهد جهيد ـ بالحصول على موافقة جامعة طهران على اعتماد ما كان كتبه من رسالته في (الاجتهاد) بإشراف سيدي الوالد، فناقشها هناك بنجاح سنة ١٩٧٠م، بدا يعدّ العدة بشوق الباحث المتمرس لما هو ابعد من ذلك، فقد الحّ به الحنين الى البحث والتأليف مجددا، خاصة بعد ان اجتاز مرحلة الماجستير، فعزم هذه المرة على نيل شهادة الدكتوراه من دار العلوم. جامعة القاهرة هذه المرة، ولم لا؟ وهو الذي لم يألف الابتعاد عن الكتابة منذ ان شب وكبر، فعكف من مستقره الجديد في الكويت على اختيار موضوع بحثه ليكتب من خلاله اطروحته لنيل شهادة الدكتوراه، انما من جامعة القاهرة، فارسل من موطن غربته الى استاذه وصديقه يستشيره فيما كتب ويكتب.

وحين تمّ له ما خطط له بنجاح بعد قبوله في الجامعة كتب لسيدي الوالد من القاهرة يستشيره في اختيار موضوع رسالته الجديدة عارضا عليه ما

اختاره لها من عناوين، ووضعه لها من خطط، راجيا منه اختيار الاصلح منها للبحث فيه.

فكتب له سيدي الوالد مجيبا في ٢٢ / ٨/ ١٩٧٠ م بما يلي:

"اخي الحجة ابا ابراهيم سلمك الله ورعاك

سلام الله عليك ورحمته وبركاته

سررت جدا لتسلم رسالتك وشكرت الله عز وجل على ما منحك من قوة الارادة للاستمرار في الاصرار على اداء رسالتك العلمية ورجوته تعالى ان ييسر لك السبيل للبلوغ الى ما ترجوه لنفسك ونرجوه من مستوى علمي".

واضاف مناقشا مواضيع الرسالة المقترحة وخطط بحثها قائلا: "قد اطلعت على الخطط التي وضعتها للرسالة التي تود تقديمها لجامعة القاهرة، وفي رايي ان موضوعات هذه الخطط كلها جيدة اذا لم يكن قد كتب بها من قبل، وتسلسلها حسب الاهمية:

١ ـ عوارض الاهلية في الشريعة الاسلامية

٢ ـ الاثبات في الشريعة الاسلامية

٣ ـ عيوب الارادة في الشريعة الاسلامية.

والرابع في عقيدتي اكثرها تعقيدا وكلها صالحة لرسالة الدكتوراه".

ولم يكتف سيدي الوالد بذلك بل اضاف مكررا ما سبق ان تعهد به لصديقه سواء في رسالته السابقة ام في مشروع رسالته الحالية بقوله: " اؤكد ما سبق ان اكدته من حضوري لبذل اقصى ما املكه من جهد ومعاونة في سبيل اعدادها، وادعو الله لك مجددا باستمرار التوفيق.

اخوك

محمد تقي الحكيم"

وفعلا فقد تم لسماحة العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم الشروع بكتابة بحثه للدكتوراه تحت عنوان (عيوب الارادة في الشريعة الاسلامية) حتى اذا انهى ما تيسر له انهاؤه منها بعث بها، فصلا فصلا، وبابا بابا من مغتربه بواسطة اخيه الشهيد اية اللّٰه السيد عز الدين بحر العلوم الى سيدي الوالد ليراجعه ويوافيه بملاحظاته عنه، ولا زلت اتذكر دفاتر خطه المنمنم بحروفه الحادة الاطراف امام سيدي الوالد وهو يجري عليها ملاحظاته وتعديلاته، حتى اذا تمت الرسالة كتابة وطباعة نال بها درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم. جامعة القاهرة. سنة ١٩٨٠م بتفوق ملحوظ.

لقد اشتملت خطة البحث لاطروحة الدكتوراه الموسومة (عيوب الارادة في الشريعة الاسلامية) على باب تمهيدي، وبابين، وخاتمة.وساتناول كلا منها باختصار شديد.

الباب التمهيدي (الارادة ومظاهر التعبير عنها وحقيقة العيب فيها) فقد ضم اربعة فصول:

"الاول: خصص لبحث حقيقة الارادة.

والثاني: اختص بمظاهر التعبير عن الارادة.

اما الفصل الثالث: فقد اختص ببيان بحوث تتعلق بعيوب الارادة.

والفصل الرابع: وهو الفصل الاخير من فصول الباب التمهيدي، وقد خصص لعرض مظاهر بحثها بعض الفقهاء ضمن عيوب الارادة وهي ليس منها.

اما صلب الموضوع وهو الحديث عن (عيوب الارادة) فقد شمل:

الباب الاول: (مظاهر الارادة غير الحرة) وقد احتوى على فصلين، خصص الاول منهما لبحث (الاكراه)، وخصص الفصل الثاني: للبحث عن (العيب الناشيء عما يلابس الإرادة).

الباب الثاني: (مظاهر الارادة غير المنورة) وقد ضم فصلين:

الفصل الاول: وتناول البحث فيه: التغرير والتدليس، والغبن، والاستغلال.

اما الفصل الثاني: فقد بحث مؤلفه فيه عن الغلط ضمن عدة بحوث فرعية.

فالخاتمة وتناولت:

١ ـ خلاصة ما توصل اليه البحث من نتائج.

٢ ـ عقد مقارنة بين الجزاء المترتب على عيوب الارادة في راي جمهور فقهاء الشريعة وهو (العقد الموقوف)، والجزاء المترتب على عيوب الارادة في القانون وهو (العقد القابل للإبطال).

٣ ـ كلمة رجاء الى الدول الاسلامية ان تعتمد في تشريعاتها ونظمها الفقه الاسلامي"[١١].

ثم دار الزمان دورته، فكان ان هاجر سماحة المغفور له العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم إلى مغتربه الجديد في (لندن) لينشط من هناك بصحبة الشهيد لاحقا على ايدي مخابرات النظام البائد سماحة العلامة الجليل السيد مهدي نجل الامام الحكيم (قدس) ويتابع العمل الجاد في اسقاط النظام الدكتاتوري البائد حيث الحرية في العمل المعارض اوسع، والمجال للحرية في القول والفعل اكبر، وليكونا معا عضوين فاعلين في المعارضة المؤثرة التي هزت اركان النظام الطائفي البغيض حتى اهتزت اركان عرشه وتداعت قوائم صولجانه، بل وكذلك ليغتنما من منفاهما كل فرصة سانحة ليساعدا على جمع اقطاب المعارضة العراقية في مؤتمر، او ندوة، او لقاء، او اجتماع، او حوار، ما استطاعا الى ذلك الجمع سبيلا.

واذ بلغ نشاطهما المعارض للنظام الدكتاتوري حدّا بات معه بقاء المغفور له سماحة الشهيد السيد مهدي الحكيم احد ابرز رموز المعارضة العراقية في خارج العراق حيا بنشاطه الفعال وعلاقاته الواسعة امرا لا يطاق، قرر النظام البوليسي في العراق تنفيذ خطة اغتياله في الخرطوم عاصمة السودان حيث سافر اجابة لدعوة تلقاها لحضور مؤتمر اسلامي كبير هناك مطلع سنة ١٩٨٨م

فاستغلت السفارة العراقية ذلك لتدبر عملية اغتياله في الفندق الذي كان يقيم فيه.

لقد كان سيدي الوالد منذ انقلاب عام ١٩٦٨م يرزح ويرزح معه المراجع العظام وكبار علماء حوزة النجف الاشرف ومنهم السادة الحكيميون والسادة من آل بحر العلوم والعراقيون جميعا تحت طائلة عذاب مقيم في عراق الظلم والجور والاستبداد، حيث كانوا يستقبلون ـ وخاصة منذ ١٩٨٠ م ـ في كل يوم، وفي كل ان، قوافل ضحايا سياسات وعدوان النظام الدكتاتوري الطائفي البائد، ضحاياه جنازة اثر جنازة، ورزاياه رزية بعد رزية، ومصائبه مصيبة بعد مصيبة، حتى بلغت النكبات والمواجع والفجائع غايتها باعتقاله (قدس) واعتقال اخوته وابنه والعشرات من رجال ونساء اسرة ال الحكيم العلمية الدينية بمن فيهم من بلغ الثمانين من العمر، نزولا الى من لم يتجاوز الثالثة عشرة ممن لم يبلغ الحلم بعد، وذلك يوم ٢٥ من شهر رجب يوم وفاة سجين الحبوس والمعتقلات الامام موسى الكاظم(ع) المصادف ليلة ٩ ـ ١٠ /٥/ ١٩٨٣ م، لا لذنب اقترفناه، ولا لفعل مخل بالامن مناوئ للنظام البائد فعلناه، سوى معارضتنا السلمية للنظام الدكتاتوري الطائفي البائد، وسوى عدم استجابة كبار علمائنا لطلباته وضغوطاته، مع ثقل الاسرة العلمية الجماهيري الفاعل المتمثل بحب المواطنين لها ولعلمائها، والتفافهم حولها وحولهم، وتعلقهم بها وبهم، اذا ما قالوا او فعلوا.

ولك ان تتصور ما عانته الأسرة الحكيمية برجالها وشبابها ونسائها واطفالها وهي ترزح في قبو وزنازين وانفراديات تلك السجون والمعتقلات المغلقة، فتدهورت صحة كبار السن منهم ما اضطر جلاوزة النظام الاشرار الى اطلاق سراح خمسة من كبارهم ـ بينهم سيدي الوالد ـ خوفا من وفاة احدهم في السجن فيقال عن سجانيهم وسجنهم ما يقال، ثم ليضعهم سجانوهم ومحتجزوهم تحت الاقامة الجبرية في بيوتهم، منعا لهم من مزاولة التواصل مع جماهيرهم المحبة الموالية.

ولم يكتف النظام البائد بذلك، بل اقدم على اقتراف جريمة اعدام ستة

منهم سنة ١٩٨٣م ثم عشرة اخرين بعد سنتين، وزاد في الايذاء والعسف والاضطهاد فاقدم على تسليم جثث هؤلاء الشهداء مضمخة بدمائهم النازفة ورقابهم المتدلية الى سيدي الوالد صحبة الشهيد اية الله السيد محمد رضا نجل الامام الحكيم (قدس الله سريهما) بعد ان اجبرهم مدير امن محافظة النجف يومها على تناول قدح من اقداح قهوته المشهورة، اعده لهما، فشرب منه سيدي الوالد مكرها تحت ضغط التهديد والترهيب والتخويف، بما في ذلك الحاق من بقي من معتقلي الاسرة المحتجزة لدى الامن العامة بهؤلاء الشهداء الذين يرى جثثهم امامه.

وشبيه بما عانته اسرة السادة ال الحكيم من جور وعسف النظام البائد عانته اسرة السادة ال بحر العلوم لاحقا، فمنذ ان اشتعلت الانتفاضة الشعبانية ضد النظام الدكتاتوري البائد سنة ١٩٩١م وتحررت اربع عشرة محافظة من محافظات العراق حتى اصدر المرجع الديني الاعلى تلك الاونة سماحة اية الله العظمى السيد الخوئي (قدس) بيانه الشهير المشتمل على اسماء نخبة من تسعة من كبار العلماء واصحاب الفضيلة في النجف الاشرف هم اللجنة العليا التي اوكل اليها سماحة المرجع الديني الاعلى السيد الخوئي (قدس) لتتولى الاشراف على ادارة شؤون الانتفاضة الشعبانية كلها، وحسبك ان تجد ممن اختارهم المرجع الاعلى اثنين من السادة من اسرة ال بحر العلوم بحيث يمثل راي هذه النخبة المختارة راي سماحة المرجع الديني الاعلى، وما يصدر عنها يصدر عنه (قدس) وفيما يلي نص البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم

"الحمد لله ربِّ العالمين وبه نستعين وصلى الله على محمد واله الطاهرين وبعد، فان البلاد تمر هذه الايام بمرحلة عصيبة تحتاج فيها الى حفظ النظام واستتباب الامن والاستقرار والاشراف على الامور العامة والشؤون الدينية والاجتماعية تحاشيا من خروج المصالح العام عن الادارة الصحيحة الى التسيّب والضياع. من اجل ذلك نجد ان المصلحة العامة للمجتمع تقتضي منّا

تعيين لجنة عليا تقوم بالاشراف على ادارة شؤونه كلّها بحيث يمثل رايها راينا وما يصدر منها يصدر منّا.

وقد اخترنا لذلك نخبة من اصحاب الفضيلة العلماء المذكورة اسماؤهم ادناه ممن نعتمد على كفاءتهم وحسن تدبيرهم فعلى ابنائنا المؤمنين اتباعهم واطاعتهم والانصياع الى اوامرهم وارشادهم ومساعدتهم في انجاز هذه المهمة.

نسال اللّه عزّ وجل ان يوفقهم لاداء الخدمة العامة التي ترضيه سبحانه وتعالى ورسوله (صلى اللّه عليه واله وسلم) انه ولي التوفيق وهو حسبنا ونعمة الوكيل.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

١ ـ السيد محيي الدين الغريفي.

٢ ـ السيد محمد رضا الموسوي الخلخالي.

٣ ـ السيد جعفر بحر العلوم.

٤ ـ السيد عز الدين بحر العلوم.

٥ ـ السيد محمد رضا الخرسان.

٦ ـ السيد محمد السبزواري.

٧ ـ الشيخ محمد رضا شبيب الساعدي.

٨ ـ السيد محمد تقي الخوئي.

النجف الاشرف في العشرين من شعبان المعظم سنة ١٤١١هـ.

ملحوظة: تقرر اضافة السيد محمد صالح السيد عبد الرسول الخرسان الى اللجنة المذكورة اعلاه في ٢١ شعبان ١٤١١هـ.

توقيع: ابو القاسم الخوئي

النجف الاشرف

٢١ شعبان ١٤١١هـ"

لقد شارك من كبار رجال اسرة السادة ال بحر العلوم وشبابهم بكل امكاناتهم في هذه الانتفاضة، فكان لطليعة هذه الاسرة اصحاب السماحة ايات الله: السيد علاء الدين، والسيد عز الدين، والسيد جعفر، وغيرهم من كبار زعمائها الدور الكبير في دعم الانتفاضة، وتوجيه حركتها وترشيد مسلكها، وسياقات عملها، وفق ما رسمته لها المرجعية الدينية العليا، كما كان لشبابها الشهداء لاحقا الدور الداعم، والمساند، والمشارك، والمدافع، والرافد، والمعين.

غير ان ما يؤسف له ـ وقد لاحت بشائر نصر المنتفضين من شيعة العراق تحت ظل المرجعية العليا ـ ان عزمت قيادة قوات الدول الكبرى المتحالفة التي كانت طائراتها والياتها وضباطها ومراتبها وجنودها لاسباب من بينها ضغط كبير من بعض قادة الدول العربية المشاركة في التحالف على السماح لطائرات النظام البائد السمتية المقاتلة بالمشاركة في اخماد شعلة الانتفاضة الشعبانية، بحيث بتنا نرى ويرى العراقيون معنا بام اعينهم طائرات النظام البائد السمتية القاتلة وهي تقصف المدن المنتفضة والسكان المدنيين وفوقها طائرات التحالف الدولي تشاهد وتراقب وتتابع وربما اكثر.

ولم تكتف قيادة قوات الدول الكبرى المتحالفة بما منحته من فرصة لدك حصون الانتفاضة الشعبانية الشعبية، وابادة المواطنين، بل فكت الحصار عن عمدة قوات النظام البائد الضاربة (قوات الحرس الجمهوري) فتوجهت صوب المدن المنتفضة، وفي مقدمتها مدينتي النجف الاشرف وكربلاء المقدسة لتدكها بصواريخ ارض ارض بعيدة المدى، وبالمدفعية الثقيلة، والراجمات وغيرها من انواع الاسلحة الفتاكة الاخرى، فضلا عن الطائرات السمتية، قبل ان تزحف عليها بالدبابات، والمصفحات، والاليات الثقيلة، والراجمات، وناقلات الجنود، فتستبيح المدن الاهلة بالسكان المدنيين: شيوخا، واطفالا، ونساء، وفي مقدمتها مدينتي النجف الاشرف، وكربلاء المقدسة، رافعة شعار (لا شيعة بعد

اليوم) بحيث لم يسلم من بطشها الاهوج: الانسان، والحجر، والمدر، بما في ذلك العتبات المقدسة في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة.

ولك ان تتصور ما عاناه مراجع الدين العظام وكبار زعماء الحوزة العلمية، والاسر العلمية والاجتماعية وطبقات الناس المختلفة عامة، ومنها الاسرتان العلميتان اسرة السادة (ال بحر العلوم) والسادة (ال الحكيم) يوم داهمت تلك القوات ببريتها، ودمويتها، وحقد شعارها السابق، بيوتها الامنة المطمئنة لتعتقل من تعتقل من كبار اساتذتها، وخيرة علمائها، وعماد حوزاتها العلمية، بمن فيهم مرجعها الاعلى وزعيم حوزتها العلمية السيد الخوئي (قدس)، وانجاله، والعشرات من كبار تلامذته ومريديه، يتقدمهم المرجع الاعلى الحالي سماحة اية الله العظمى السيد السيستاني (دام ظله الشريف)، ثم لتقتاد تلك الثلة المؤمنة ومن لاذ بها وتبنى مواقفها بمن فيهم جمع من سادة الاسرتين العلميتين (ال الحكيم) و(ال بحر العلوم) ليدفع بالعشرات منهم الى سوح الشهادة والفداء.

لقد بلغ عدد شهداء اسرة السادة (ال بحر العلوم) سبعة عشر شهيدا، يتقدمهم ثلة من كبار علمائها الاعلام وشبابها المؤمن كما تقدم، ولم تكتف الطغمة الحاكمة بذلك، بل زادت فصوبت رصاص غدرها الى شابة مؤمنة من شابات الاسرة الشريفة كريمة سماحة المغفور له العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم لترديها صريعة محتسبة من على سطح منزلها العامر، صاعدة بروحها الطاهرة الى رحمة ربها الرؤوف الرحيم.

ولئن قدر لي ان اكون شاهدا شهادة حسية على عذابات اسرتي اسرة السادة (ال الحكيم) في سجون الطاغية كوني احد معتقليها، فاكتب عن معاناتها ما كتبت فيما تقدم، فاني اخال ان ما لاقته الثلة المؤمنة من اسرة السادة (ال بحر العلوم) وانسباءهم من خلص علمائنا الاعلام ومئات الالاف من الشهداء والسجناء المؤمنين من عذابات ومحن، وارزاء ومصائب، وفواجع

ومواجع، شبيهة بما لاقيناه، ومثيل لما عشناه وربما اشد منه في العديد من الحالات.

واذ قدر لي ان اخرج ومن بقي حيا من رجال اسرة ال الحكيم من السجن يتقدمنا المرجع الكبير سماحة السيد محمد سعيد الحكيم (دام ظله الشريف) سنة ١٩٩١م بعد ثمان سنوات من الاحتجاز السياسي التعسفي، دون تهمة او محاكمة او قضاء، تفاجات وتفاجانا بتدهور صحة سيدي الوالد تدهورا كبيرا، فقد اعياه المرض عن النطق الا ببنت شفة يتلفظ بها بصعوبة، والّم به الداء فارتعشت يداه فلم يعد يستطيع الامساك بالقلم، ناهيك عن ضعف بصره حتى بات لم يكد يقرا حرفا الا من وراء غشاء سميك، وهي ثلاثتها لسانه ويده وبصره عماد اسلحته التي كان يصول بها ويجول.

ولئن عجز كبار اطباء العراق يومها عن وقف تدهور صحة لسانه ويده، فقد امّلت ان لا يخيب ظني وظنه في وقف تدهور بصره ـ ولو جزئيا ـ ليعاود القراءة والمطالعة ما امكنه الى ذلك سبيلا، واذا بالطبيب المتخصص الدكتور ضياء القزويني ـ وهو لا زال بعد حيا يرزق ـ يهمس في اذني بعد فحص دقيق لعينيه مرة وثانية وثالثة قائلا: ان السيد والدك قد سقي السم، وها انذا أرى أثاره واضحة جلية في عينية، ثم اردف بقلق واضح قوله: ولكن اللّه.. اللّه في دمي اذا تناهى الى سمع احد من الناس ما قلت. فوعدته بذلك. حتى اذا زال كابوس النظام الدكتاتوري الطائفي البائد اذن لي طبيبه د. السيد ضياء القزويني بان اخبر بما قال، وانقل ما نقل، بل زاد على ذلك فوعدني بكتابة تقرير طبي عما انتهى إليه فحصه انذاك، فشكرته على ذلك.

ثم دار الزمان دورته ثانية فاذا بك تجدني مرة اخرى بعد غربة وفراق اتشرف ـ وانا في بلد الضباب ادرّس في احدى كلياته ـ بان يحل سيدي الوالد (قدس) في بيتي بعد ان يئس الاطباء العراقيون من علاجه، بل من تشخيص مرضه كما تقدم.

ولك ان تخمن بعد ذلك كيف كان استقبالي لسيدي الوالد بعد سنوات من الفراق الممضّ اثر سنوات من السجن الاسود، ولك ان تتصور ايضا كيف كان زهوي وفرحي واستبشاري وتهليلي بقدومه ولقدومه. كما لك ان تتصور كذلك كيف كانت فرحة تلامذته ومحبيه وعارفي فضله وقارئيه كبيرة، بل لك ان تتصور مع ذلك كيف كانت غبطة معارضي النظام البائد عارمة يوم بداوا يتوافدون عليه لزيارته سرا والتشرف بلقائه زرافات ووحدانا، مهنئين بسلامته بعد سجن مرير فاقامة جبرية طويلة ومعزين باستشهاد عشرات الالاف من المؤمنين العراقيين بمن فيهم الثلة المؤمنة من ارحامه واصدقائه واهل العلم والفضل والاجتهاد.

لقد كان في مقدمة من طار به طائر الشوق والفرح تلميذه وصديقه العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم، وهو يسمع خبر وصول أستاذه وصديقه إلى مغتربه في لندن. ولك ان تتصور كيف تم اللقاء الاول بين الصديق وصديقه بعد عشرات من السنين المرّة الكالحة ايام النظام البائد، وبعد كل ما تقدم من العذاب والعناء، والشدة والبلاء، لكليهما ولأسرتيهما العلميتين.

ومن الطبيعي ان لا يغفل لقاء كهذا من ذكر كل شاردة وواردة عن الماضي وذكرياته، والحاضر وشجونه، بما في ذلك عادة ما اعتاد ان يسمعه التلميذ الصديق من استاذه الصديق قبل هجرته القسرية الى الكويت الشقيق في ستينيات القرن الماضي. ثم كيف كانت فرحة المعارضين السياسيين ومن بينهم تلامذته وخلص محبيه الذين قدموا من بلدان مختلفة للقائه.

لقد قرر سماحة العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم حينها ـ وهو المبادر لتصيد مثل هذه المناسبات سواء في النجف الاشرف حيث نشا، ام في لندن حيث تغرب ـ ان يستثمر فرصة حلول مناسبة كهذه ليغتنمها ثراء واثراء، فكيف اذا كانت فرصة وجود سيدي الوالد في لندن، فيقرر استكتاب العديد من تلامذته، ومحبيه، وعارفي فضله، وقارئيه من الباحثين والمؤلفين،

كي يكتبوا دراسات وبحوثا عنه، وعن نشاطاته، وكتاباته، ومشاريعه التجديدية، ومبادراته العلمية، احتفاء بقدومه، وتثمينا لجهوده الاصلاحية في المجالات كافة، حتى اذا اكتمل وصول تلك البحوث والدراسات بمحاورها المتعددة عكف عليها فجمعها، ونسقها، وصححها، واشرف عليها، ثم بادر الى طباعتها، واصدارها، وتوزيعها بعد ذلك في كتاب كبير ضم ٣٨٤ صفحة من القطع الوزيري عنونه بعنوان (السيد محمد تقي الحكيم وحركته الاصلاحية في النجف) تصدره بحث لسماحة العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم تحت عنوان (السيد محمد تقي الحكيم نافذة النجف ذات الابعاد الفكرية على العالم الاسلامي). ونظرا لأهمية هذا السفر فقد عدّه بعض الباحثين لثقله العلمي من اهم مصادر التعرف على نظريات واراء وطروحات وافكار ومباني سيدي الوالد (قدس).

غير ان الظروف الصحية القاسية لم تسمح لسيدي الوالد ان يرى هذا الجهد المبذول بأم عينيه إذ قدر له ان يلبي نداء ربه الكريم فنعاه تلميذه وصديقه سماحة السيد بحر العلوم نعيا مؤثرا.

ولم يكتف السيد بحر العلوم بما قدم وبذل، ولم يقتنع وفاءه به ـ وهو المعروف بوفائه لأساتذته وأصدقائه وإخوانه ومحبيه ـ بل زاد على ذلك فتولى ـ بعد ان قدر لسيدي الوالد ان يرحل الى لقاء ربه الكريم ـ ان إقامة حفل تأبيني كبير بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاته في (مركز اهل البيت الاسلامي) بلندن في ١٥/ حزيران / ٢٠٠٢م، دعا اليه الكثير من الشخصيات العلمية والادبية والثقافية من بلدان مختلفة، ورعاه شخصيا، بجهد دؤوب، ومتابعة حثيثة، وهمّة عالية، منطلقة من وفاء قلّ نظيره، عرف به سماحته على مدى عقود وعقود.

يقول سماحة المغفور له العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم في ختام كلمته في هذا الاحتفال المهيب ما يلي: "رحمك الله يا ابا عبد الهادي، ومن

الوفاء ان نتذكر نصائحك يوم كانت الزوابع السياسية تمخر في اجواء العراق، وترسم لنا بفكرك المعتدل مناهج حل الازمات التي عشناها معك في حالك الاوقات، وخاصة في النصف الثاني من القرن المنصرم وهي تزخر بالإحداث التي مهدت لعهد الدكتاتورية والانحراف"[١٢].

ويضيف السيد بحر العلوم رئيس مجلس الحكم لاحقا (اعلى سلطة عراقية حكمت العراق بعد سقوط الطاغية سنة ٢٠٠٣م) الى ذلك قوله: "ولو كان السيد الحكيم في الوجود ما كان يتخلف من إعطاء المشورة والنصيحة للمتصدين لتجمل المسؤولية في ادارة دفة الحكم"[١٣].

لقد كتب الاخ الحبيب العلامة الباحث المرحوم السيد هاني فحص تقريرا عن الاحتفال التابيني ـ اضافة لكلمته الادبية التاريخية الرائعة الحفل المذكور ـ واصفا اجواء تلك الذكرى الاربعينية المهيبة بما يلي: لقد "غصت القاعة اللندنية بالاحباب من اهل الذوق والفكر والتطلع الى حياة معاصرة اسلامية على قواعدها الاصيلة، وهو ما كان الفقيد الكبير رائدا في سبيل تحقيقه...اتوا من مشارب وحساسيات مختلفة، والعراق في عيونهم، والنجف بين ضلوعهم، والحكمة ضالتهم، والحكيم دليلهم عليها ورائدهم اليها.

كان الصمت على الفقيد سيد المشهد. وما ان بدا الكلام حتى هطلت الدموع سخية لاذعة موزعة بين ماض لا يمضي، ومستقبل لم يات بعد، فهل ياتي؟"[١٤].

ثم ينعطف السيد فحص متحدثا عن وفاء العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم لاستاذه وصديقه، وهو يقيم هذا الحفل التابيني الكبير ليقول: " كلنا نكنّ حبا للسيد محمد بحر العلوم، ولكننا لم نحبّه كما احببناه هذه المرّة، لانه تفرّغ اسبوعا كاملا للنجف وللحكيم ولنا، حتى بدا في اعيننا شاهدا شامخا على عصرنا"[١٥].

رحم الله فقيدنا الكبير سماحة العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم، والهمنا وانجاله الكرام، ومحبيه وتلامذته، وقارئيه والباحثين، ومرتادي مجلسه العامر، واساتذة وطلاب وموظفي معهده العالي (معهد العلمين للدراسات العليا في النجف الاشرف) الصبر والسلوان، وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

المصادر والهوامش:

١ ـ لقاء خاص مع سماحته (دام ظله) في مجلسه العامر في ليلة الخميس الاخيرة من العشرة الثانية من شهر صفر سنة ١٣٣٧هـ.

٢ ـ المصدر السابق.

٣ ـ مع الذكريات الرفيعة يبقى السيد محمد تقي الحكيم خالدا: بقلم سماحة الدكتور السيد محمد بحر العلوم القاها في الحفل الاربعيني الكبير الذي اقامه بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاة استاذه السيد محمد تقي الحكيم: ص١.

٤ ـ المصدر السابق: ص ٢.

٥ ـ الكندي الرائد الاول للفلسفة الاسلامية ومعجزة الفكر العربي. ط١. مطبعة النجف. النجف الاشرف. العراق. ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م: ص ٣ ـ ٤.

٦ ـ المصدر السابق: ص ٤.

٧ ـ المصدر نفسه: ص٤.

٨ ـ منهج دراسة النص عند الاصوليين ودور السيد محمد تقي الحكيم في تطويره: ١١٦.

٩ ـ ينظر: الاجتهاد اصوله واحكامه. محمد بحر العلوم. المقدمة. ط١. دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان: ص ١٣.

١٠ ـ لقد دقت ساعة جلسة مناقشة رسالة سماحة الشيخ الاصفي (قدس)، فحضر واعتلى الاساتذة المناقشون المنصة، بحضور عدد لا باس به من المستمعين ـ وكنت من بينهم ـ غير ان الملفت للنظر ان سماحة الشيخ الاصفي لم يحضر، ومضى بعض الوقت الاضافي، ومع ذلك بقي مقعد سماحته على غير المالوف شاغرا، ما اضطر الاساتذة المناقشين الى الاختلاء فيما بينهم لاتخاذ قرار بحق الطالب الغائب عن موعد حضور مناقشته لا يعدو ان يكون ـ وفق القوانين المتبعة في حالة غياب الطالب دون عذر مشروع عن موعد مناقشته ـ مخفقا.

بيد ان الذي حصل كان غير ذلك تماما، فقد عاد الاساتذة المناقشون لمنصتهم ثانية لتضج القاعة بالصمت فيقطع حبل الصمت رئيس لجنة المناقشة ـ وكان يومها سيدي الوالد ـ ليعلن تاجيل موعد المناقشة ليوم لاحق. وفي طريق عودتي معه من قاعة المناقشة الى النجف الاشرف حدثني (قدس) كيف انه استطاع بضغط منه ان يفرض قراره بتحديد موعد جديد لمناقشة رسالة تلميذه الغائب بدل اعتباره مخفقا كما جرت العادة المتبعة جامعيا في حالات مشابهة، وفق ما كان يراه السادة المناقشون الاخرون.

لقد اقدم المغفور له سماحة اية الله الشيخ الاصفي على ما اقدم عليه سماحة العلامة

الدكتور السيد محمد بحر العلوم بمغادرة العراق نحو الكويت بجواز سفر مزور تجنبا للاعتقال كان بانتظاره يوم مناقشته بعد صدور الامر باعتقاله.

١١ ـ عيوب الارادة في الشريعة الاسلامية. محمد بحر العلوم. ط٣. زيد للنشر ودار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع. المقدمة: ٢٠٠٩م. ص ١٢ ـ ١٤ (باختصار).

١٢ ـ مع الذكريات الرفيعة يبقى السيد محمد تقي الحكيم خالدا: ص ١.

١٣ ـ المصدر السابق: ص ٢.

١٤ ـ كتب التقرير في ٢٠٠٢/٦/١٥م.

١٥ ـ المصدر السابق.

إطلالة على الدور المبكّر للعلامة بحر العلوم في دعم الباحثين الأكاديميين تجربتي الشخصية

ا.د جهاد الحسني

أستاذ الفكر السياسي في جامعة بغداد

لابد لي، ابتدءا، من التأكيد على ان المؤهلات العلمية والصفات الخُلقية التي تميّز بها السيد العلامة محمد بحر العلوم منذ ستينيات القرن الماضي قد اظهرتُه مصدرا اساسيا وينبوعا ثرّا للباحثين الأكاديميين الشباب انئذٍ في مجال الدراسات الاسلامية التخصصية العليا لينهلوا منه الإجابة على استفساراتهم، وليملؤوا الفراغات الحاصلة في مشاريع ابحاثهم، وليتجنّبوا الهفوات والمطبّات التي تعترض مساراتهم البحثية. وقد برز ذلك كله جليا في تجربتي الشخصية في مطلع السبعينيات من القرن الماضي. فإثناء إعدادي لأطروحة الدكتوراه في جامعة مانشستر عن السلطة السياسية والدينية في الفكر الامامي، ولا سيّما ابان كتابة الجزء الاخير منها المتعلّق بالاجتهاد الامامي ومسالة الحكم زمن الغيبة، التجات إلى عدد من علماء ومفكري الأمامية المعاصرين للإفادة مما يقدّمونه من اجوبة واراء حول اسئلة مثارة لغرض ترصين مضامين الاطروحة. وكان السيد العلامة بحر العلوم من اعلامهم.

وعلى الرغم من اعتمادي الاولى على كثيرٍ مما كتبه السيد العلامة من دراسات موسّعة لاسيما عن الدراسة الحوزوية وتطويرها ومضامينها الفقهية والاجتهادية في النجف الاشرف الا ان مسائل مهمة كثيرة ظهرت اثناء البحث استلزمت اجوبة وافية ممن هم اهل لها. فكانت، بناءً على ذلك، مراسلاتي العلمية مع السيد العلامة عام ١٩٧٣ ومطلع عام ١٩٧٤، حينما كان لاجئا في دولة الكويت. وقاضيا في احدى محاكمها.

وسأعرض فيما يأتي لعدد من المسائل الفقهية والاجتهادية ومتعلقاتها،

التي أخذت طريقها، بشكل مباشر او غير مباشر، الى سياق الأطروحة، والتي كان لأجوبة السيد العلامة وكتاباته المبكرة خاصة، القدح المعلّى في طرحها ومناقشتها وايفائها حقّها واضفاء الاصالة عليها، مما عزز الاطروحة التي نالت الدكتوراه أواخر عام ١٩٧٤.

- ١ -

حول تعريف الاجتهاد:

وردت تعريفات عدّة للاجتهاد في كتابات علماء الامامية. لاسيما المحدثين منهم، منها: انه "استفراغ الوسع لتحصيل الظن بالحكم الشرعي" او انه "ملكة يُقتدَر بها على استنباط الاحكام الشرعية" او انه "ملكة تحصيل الحجج على الاحكام الشرعية او الوظائف العملية شرعية او عقلية" او انّه "تحصيل الحجّة على الحكم الشرعي".

وبعد مناقشة دقيقة للسيد العلامة لمضامين التعريفات، يبين انه توصّل الى تعريف يجمع بين الاصول الشرعية والوظائف العملية، مع التنصيص على الملكة، وبذلك فان الاجتهاد عنده هو "ملكة استنباط الاحكام الشرعية الفرعية الكلية، او الوظائف العملية، من مصادرها".

ومع موضوعية النقد الموجّه لبعض التعريفات، فان الاجتهاد باعتباره استنباطا للحجّة على الحكم الشرعي، هو المعنى الاصطلاحي المتبنّى من قِبل معظم علماء الاصول في النجف الاشرف في عصرنا الراهن. مع التاكيد بان اعمال الملكة الاجتهادية عندهم لا يعني بالضرورة احداث راي جديد، ولا يعني انه ينبغي ان يكون في الامور المستحدثة فقط، بل ان المجتهد يمارس وظيفة اعمال ملكته الاجتهادية في مقابل الفقهاء الاخرين حتى يصل الى الراي الذي تسنده الحجّة سواء كان رايه موافقا لاراء غيره ام مخالفا لهم.

- ٢ -

التفريق بين الاجتهاد والقياس

ان المعنى الاصطلاحي للاجتهاد المقبول لدى علماء الامامية في الوقت الراهن يختلف عن معناه في المرحلة المبكرة لتطور الفقه الامامي. ففي خلال المدة التي اعقبت غيبة الامام المهدي"عجّل الله فرجه" كان المعتقد ان مصطلح الاجتهاد مرادفٌ لمصطلح القياس. وقد عُرّف القياس عند غير الامامية بانه "عملية التسوية بين الاصل والفرع في الحكم بناءً على مساواتهما في العلّة"، وانّه "دليل مستقل كالكتاب والسنّة". وبذلك يكون القياس لدى كثير من مخالفي الامامية مصدرا للاحكام الشرعية بعد القران الكريم والسنّة النبوية.

وكما اوضح السيد العلامة، فان المرادفة بين الاجتهاد والقياس انما كانت ناجمة عن تاثير الافكار الفقهية لمحمد بن ادريس الشافعي "المتوفى ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م" لاسيما في مطابقتهِ بين القياس والاجتهاد. وكمثال لِعالم امامي في تلك الحقبة المبكّرة اعتقد باستعمال القياس في الفقه، وطابقهُ ـ تبعا لذلك ـ مع الاجتهاد هو: محمد بن احمد بن الجنيد الكاتب الاسكافي "المتوفى ٣٨١هـ/ ٩٩١ ـ ٩٩٢م" الذي كتب كتابين عن القياس والاجتهاد هما "كتاب كشف التمويه والالباس على اغمار الشيعة في امر القياس" و"كتاب اظهار ما سترهُ اهل العِناد من الرواية عن ائمة العترة في امر الاجتهاد".

ولما كانت اغلبية علماء الامامية تعارض استعمال القياس كمصدر مستقل من مصادر الشرع، وبسبب مطابقته مع مصطلح الاجتهاد في تلك الحقبة، فان تلك الاغلبية وجّهت النقد لمصطلح الاحتهاد ورفضته. ومن امثلة اولئك العلماء الشيخ المفيد "المتوفي٤١٣هـ/١٠٢٢م" الذي كتب كتابه الموسوم بـ "النقض على ابن الجنيد (الاسكافي) في اجتهاد الراي". وكذلك ما تضمنتهُ رسالة الشريف المرتضى "المتوفي ٤٣٦هـ/١٠٤م" الموسومة ب"مقالة في طريق الاستدلال".

واستنادا الى السيد العلامة فان الموقف الامامي ازاء استعمال الاجتهاد بمعنى القياس استمرّ حتى زمن المحقق الحلي (م ٦٧٦هـ ـ ١٢٧٧م) الذي كتب كتاب "المعارج في اصول الفقه " الذي فصل فيه بين المصطلحين حين قدم مفهومه للاجتهاد. فقد اعتقد ان الاجتهاد هو استنباط الاحكام من مصادرها الشرعية. وهكذا اصبح الاجتهاد "عملية استنباط" في مقابل اعتبار القياس مصدرا او دليلا مستقلا للاحكام الشرعية" مما يرفضه الامامية". وبالنتيجة، كما يرى المحقق الحلّي، اذا ما استبعد القياس فان الامامية سيعرفون بانهم انصار الاجتهاد.

ومنذ زمن المحقق الحلّي، لم يتردد علماء الامامية في استخدام مفردة الاجتهاد في كتاباتهم الفقهية، واندرجت تعريفاتهم المقدّمة للاجتهاد ضمن اطار مفهوم الاجتهاد الذي اختطّهُ المحقق الحلي. بل انهم لم يتردّدوا في اضفاء تسمية الاجتهاد "بالمعنى المتاخر"على اسلوب الاستنباط الشرعي الذي استخدمه علماء الامامية الاوائل ما دام ذلك الاسلوب مشابها من الناحية العملية الواقعية للمعنى اللاحق للاجتهاد.

- ٣ -

الاخبارية وتحريم الاجتهاد

المشهور عن الاخباريّين من الامامية قولهم بحرمة الاجتهاد. وقد وصف "العالم الاخباري" بانه "الفقيه المستنبط للاحكام الشرعية عن الكتاب والسنّة فقط..." وبهذا تكون "نسبتُهُ الى الاخبار باعتبار ان اكثر الاحكام مستنبطة". وفي مقابل ذلك عُرّف "العالم الاصولي" بانه "الفقيه المستنبط للاحكام الشرعية الفرعية من الكتاب والسنة، والاجماع، ودليل العقل، ومن منطلق تقسيم المدرسة الامامية الى مدرستين اصولية واخبارية ظهرت المرادفة بين مفردتي"الاصولي والمجتهد"، وكذلك المرادفة بين مفردتي "الاخباري والمحدّث".

وقد تعرّض السيد العلامة بتفصيل مركز لتحديد "الاخبارية"، وادوارها وتطورها، والفروق بينها وبين"الاصولية" وبعد مناقشة مستفيضة، توصّل السيد العلامة الى ان نسبة القول بحرمة الاجتهاد الى المدرسة الاخبارية انما هي "نسبة غير صحيحة" وانّ ما اشتهر عن الخلاف بين المدرستين الاصولية والاخبارية بصدد الاجتهاد ومضمونه الاصطلاحي عموما انما هو"نزاع لفظي بينهما". ويدلّل السيد العلامة على ذلك بما ياتي:

١ ـ "ان النزاع الاساسي منحصر بين الطرفين في خصوص ادلة التشريع. فعند الاخباريين لا يتعدى الكتاب والسنة، اما عند المجتهدين فهي اربعة، اي باضافة الاجماع والعقل". وفي ضوء ذلك فان "اطلاق كلمة الاجتهاد (بالمفهوم الامامي المعروف) جارٍ حتى على من اقتصر، في استنباط الاحكام على الدليلين الاولين، لان استفادة الحكم منهما تحتاج الى ملكة، وهذه الملكة هي الاجتهاد".

٢ ـ ان الفقيه الاخباري مجتهد دون ان يصرّح بذلك، لانه عندما يحاول الرجوع الى المصدرين الاساسيين لابد وان يتمتع بملكة يستطيع بها ان يفهم الحكم الشرعي وينقله الى مقلده، والا لما كانت له ميزة عن غيره، وهذه القابلية عندما يُعملها في استنباط الاحكام، فهو في الواقع قد اعمل ملكته في حدود مصادره، وبهذا يكون مجتهدا.

ويخلص السيد العلامة الى "ان نسبة تحريم الاجتهاد "للاخبارية" نسبة غير صحيحة وعملهم يخالف هذا الادعاء" دون ان يعني ذلك انكار الخلاف بين الاصولية والاخبارية حول طبيعة التعامل مع الاخبار المروية في كتب الحديث الامامية المعروفة، وكذلك عدم تجاوز الاعتقاد الاخباري بعدم الحاجة لتعلّم اصول الفقه.

- ٤ -

التجزّي في الاجتهاد

يتركّز اهتمام الامامية غالبا على تصنيف الاجتهاد الى نوعين:"الاجتهاد

المطلق" و"الاجتهاد المتجزّيء". والاجتهاد المطلق يتضمن عدم تخصيص ملكة الاجتهاد ببابٍ دون اخر من الاحكام، وانما شمولها لجميع المسائل الفقهية، وان الشخص المؤهل بهذا النوع من الاجتهاد يُعرف بـ"المجتهد المطلق". ان "المجتهد المطلق" لا يجوز له الرجوع الى فتوى غيره من المجتهدين، ويصحّ ان يرجع الناس اليه لمعرفة الاحكام الشرعية، ويحقّ له التصدّي للقضاء والامور الحسبية وغيرها.

اما "الاجتهاد المتجزيء" ـ كما يوضح السيد العلامة ـ فيتضمّن "القدرة على استنباط بعض الاحكام دون بعض، وانّه يمكن لشخص واحد ان تحصل له ملكة الاجتهاد في قسم من المسائل ولم تحصل له في القسم الاخر "بمعنى ان يتوفر على قسم المعدّات دون قسم". ويُعرف الشخص المؤهل بهذا النوع من الاجتهاد بـ"المتجزّيء في الاجتهاد".

وحيث انّ الخلاف بين علماء الاصول قد حصل بين القول بلزوم التجزيء لمن اراد الوصول الى الاجتهاد المطلق، والقول بامتناع التجزّي، والقول بامكانية التجزّي، فانّ السيد العلامة، وبعد مناقشة موضوعية لمختلف الاراء، توصّل الى انّ ما يعرف بـ"الاجتهاد المتجزّي" لا ينطبق عليه عنوان الاجتهاد كون الاجتهاد ملكة لا تحصل الا مِنْ توفّر تمام معدّاته" لوضوح انّ "التجزي في الاجتهاد" يفتقر الى قسم من معدّات الاجتهاد وهو مما يفترق به عن "الاجتهاد المطلق".

وبالنتيجة، فانّ الراي الغالب لدى علماء الامامية هو عدم جواز رجوع "المتجزّي في الاجتهاد" الى غيره من المجتهدين، وعدم صحة رجوع الناس اليه "الا في حالات محدّدة في مظانّها"، وعدم جواز تصدّيه للقضاء والامور الحسبية. وبذلك، يكون "المتجزّي في الاجتهاد"، في الواقع، في مرحلة تسبق التاهل بـ"الاجتهاد المطلق".

- ٥ -

الافتاء وطبيعة الحكم الشرعي

الافتاء من الوظائف الاساسية للمجتهد الجامع للشرائط في المدرسة

الامامية، وهو: الاخبار لحكم الله تعالى في الواقعة. والافتاء، ابتداءا، هو"اخبار" بالحكم. وبموجب السيد العلامة فان الفقيه هو "الذي يبيّن حكم الله تعالى في الواقعة"، وان منصب الافتاء مختصّ "بمن عنده ملكة الاجتهاد"، وانّ المجتهد المفتي "انما يعبّر بفتواه عن حكم الله تعالى في الواقعة، وليس يملك حقّ ذلك التعبير غير المجتهدين بداهة".

اما الحكم الشرعي ـ بِناءً على التعريف الذي اختاره السيد العلامة ـ فهو:"الاعتبار الشرعي المتعلّق بافعال العباد تعلّقا مباشرا او غير مباشر". ويتضمن الحكم الشرعي، في جانبه التكليفي: الوجوب، والحرمة، والندب، والكراهة، والاباحة. وبِناءً على ذلك، فان المجتهد المفتي الجامع للشرائط هو العالِم بالاعتبار الشرعي المتعلّق بافعال العباد من خلال تحصيلِهِ للحجج على الاحكام الشرعية التي يستنبطها من مصادرها، وهو الذي يتولى مهمة الاخبار بالاحكام الشرعية المستفتى بشانها من خلال وظيفته الافتائية.

- ٦ -

أعلمية المجتهد المتصدّي للافتاء

يؤمن غالبية علماء الامامية بوجوب تقليد عامة الناس "الذين لم يبلغوا رتبة الاجتهاد او من غير المحتاطين فقهيا" للاعلم من المجتهدين المتصدين للافتاء مع الامكان. ويراد بـ"اعلمية المجتهد" ان يكون "اقوى ملكة من غيره في مجالات الاستنباط". ويعرض السيد العلامة ادلة القائلين باعتبار الاعلمية، وكذلك ادلة بعض العلماء القائلين بجواز الرجوع في مجال الافتاء الى غير الاعلم، وبعد مناقشة دقيقة ووافية لادلة الطرفين، يبيّن السيد العلامة عدم اطمئنانه "لتلك الاقوال لورود المناقشة في اكثرها". ولذلك يتّجه الى ما يعرف فقهيا بـ"الاصل العملي" الذي يكون الرجوع اليه مع فقد الدليل الاحترازي" لاسناد اعتقاده بوجوب الرجوع الى المجتهد الاعلم. فهو يرى انّ "مقتضى الاصل تعيّن الرجوع الى فتوى الاعلم، لانّ الاحكام الواقعية منجزة على

المكلفين بالعلم الاجمالي بوجودها". ولما كان العمل بفتوى المجتهد مُعذِرا للمكلفين عن مخالفة الواقع، فان "العمل بفتوى الاعلم مُعذِرٌ "للمكلفين" قطعا، بينما يكون "العمل بفتوى غير الاعلم مشكوك بعذرية العمل به". وحين يكون الامر بين التعيين والتخيير فان "الاصل يقتضي التعيين، وهو وجوب الاخذ بما تُعلم حُجّيته" و"ان الخروج عن عهدة التكاليف المعلومة "بمعنى سلامة الموقف الشرعي للمكلّفين" لا يحصل الا بالاخذ بما يُعلَم حجّيته". وهكذا فان "الرجوع الى الاعلم هو الذي يقتضيه الاصل العملي".

- ٧ -

أعلمية المجتهد وظاهرة تعدّد المراجع

إن التأكيد الأمامي على ضرورة تقليد المجتهد الاعلم العادل الحي له بدون شك ما يؤيده لاسيما من الناحية العقلية بضرورة متابعة من تتوفر فيه الاعلمية دون الاقلّ علما، والعادل دون غير العادل، والحي دون الميت لتطلب المسائل الجديدة او المسائل التي افتي فيها من قبل، اجتهادا جديدا في بعض الاحيان.

مع ذلك، فان ملاحظة مهمة ترد على كيفية المعرفة الدقيقة لمن يتوفر فيه شروط الاعلمية خاصة، فطرق معرفة الاعلمية المقررة في الكتب الفقهية، التي هي نفس طرق معرفة اجتهاد المجتهد، لا تقدم معيارا دقيقا قاطعا لانتقاء الاعلم ومتابعته، فمهما تعددت هذه الطرق ومقارنتها للغاية المرجوة، فانه يصعب تصور ان يُعرف المجتهد الاعلم من مجتهدين عالمين متعددين من قبل الناس الاعتياديين الذين لا يعلمون، او الذين هم اقل علما في القضايا الاجتهادية، لذلك كثر في المجتمع الامامي توزع المقلدين في مجموعات عديدة تتابع كل فيها مجتهدا معينا، رغم ان عددا من المجتهدين لم يشتهروا باعلميتهم، ان ذلك ولّد غالبا، تفرقا واحيانا تصدعا في كيان المجتمع الامامي.

وقد حاول بعض علماء الامامية المعاصرين في النجف الاشرف تجاوز مشكلة تعدد المراجع، في حقبة زمنية واحدة باختراعهم امكانية "التساند" فيما

بين المجتهدين المتصدين من خلال مساندة بعضهم بعضا لتفادي سلبيات لاتعارض، ويبدو ان السيد العلامة قد ادرك بكل وعي وواقعية هذه المشكلة حين تحدث عما سماه "طفرة نوعية في تاريخ المرجعية" زمن السيد محمد مهدي الطباطبائي الملقب بـ"بحر العلوم" (المتوفى ١٢١٢هـ ـ ١٧٩٧م) فقد تم تنظيم ادارة المرجعية بتوزيع المهام الرئيسية بين مجتهدين كبار، حيث تولى السيد محمد مهدي بحر العلوم بنفسه اعباء التدريس وادارة شئون الناس، وتولى الشيخ جعفر كاشف الغطاء (المتوفى ١٢٢٨هـ ـ ١٨١٣م) امور الفتوى والتقليد، واضطلع الشيخ حسين نجف (المتوفى ١٢٥١هـ ـ ١٨٣٥-١٨٣٦م) مهمة امامة الناس في الصلاة. وتولى الشيخ شريف محي الدين مهام القضاء والفصل في الخصومات. كما كُلّف السيد محمد جواد العاملي الحسيني "المتوفى ١٢٢٦هـ/١٨١١م" بوضع موسوعة فقهية استدلالية تم انجازها بعنوان "مفتاح الكرامة" في ثماني مجلدات.

ويؤكد السيد العلامة انّ مبادرة السيد بحر العلوم لتنظيم المرجعية وشؤون قيادتها دلّلت على "وعي كبير في الذهنية القيادية الدينية" التي طبعت تلك الحقبة "بطابع تنظيمي يختلف عن العصور السابقة من حيث النضج والوعي". وهكذا، نستشفّ مما اوضحه السيد العلامة، ان ذلك التنظيم الاداري الواعي في الاطار المرجعي يمكن ان يكون حلا مناسبا لحالات التعدد او التشتّت الاجتهادي اللاحقة في الحوزة العلمية النجفية.

وعلى اية حال، فان مشكلة تعدّد المجتهدين المتصدّين قد لا تكون ظاهرة مميزة في واقع المجتمع الامامي اذا ما توفّر فقيه جامع للشرائط له من المؤهلات العلمية والمواقف الاجتماعية والسياسية ما يمكّنه من تسنّم المرجعية العامة المستندة الى قاعدة شعبية واسعة من المقلّدين. الا ان مشكلة التعدّد تبرز غالبا بما لها من اثار سلبية مُضعفة للكيان الامامي حين يكثر المجتهدون المتصّدون للفتوى دون اطار تنظيمي مرجعي موحّد.

- ٨ -

الوظيفة المالية للمجتهد واستقلالية الحوزة العلمية

تتضمن الوظيفة المالية للمجتهد الجامع للشرائط استلام الاموال الشرعية من المقلدين وتنظيم التصرف بها وتوزيعا على وفق مصاريفها الشرعية. وابرز الاموال الشرعية: الزكاة والخمس.

ان هذه الوظيفة المالية للمجتهد المتصدّي، مع عوامل اخرى، تجعل الحوزة العلمية الدينية بعيدة عن التاثيرات الحكومية، والتحكم السلطوي للدولة. وقد بقيت الحوزة العلمية، كما يؤكد السيد العلامة، "بمراجعها الفقهاء، واساتِذتها العلماء، وطلابها على جميع المستويات وحتى المناهج الدراسية، والموارد المالية مستقلة حتى هذا اليوم، ليس للسلطة فيها اي تدخّل". وقد جعلتها هذه الاستقلالية عن السلطة الحكومية "حرّة في حركتها، متحرّرة من اية وصاية، او اي ارتباط مشبوه، قد يؤدي الى مسلكية معينة تحرف الحكم الشرعي عن طريقه، وتحوّله الى مسلك ليس فيه روح".

- ٩ -

السيد العلامة وتفعيل مركز المرجعية

نظرا لكون السيد العلامة قد واكَبَ الحركة الدينية العلمية النجفية منذ نعومة إظفاره، ولأنه احد إعلام خريجيها المؤهلين في الدراسات الحوزية والاكاديمية، ولانه احد ابرز الباحثين الكبار في تاريخ الدراسات الاسلامية الحوزية وواقعها الراهن في النجف الاشرف فقد لاحظ بوضوح حالة التشتّت المرجعي التي تحدث في الحركة الاجتهادية الامامية بين حقبة واخرى بسبب واقع ارتباط عمر "المرجعية" بعمر المجتهد المتصدّي في المنطقة الجغرافية التي تنتشر فيها سمعته العلمية ومكانته القيادية، فوفاة المرجع الديني قد

تحدث فراغا كبيرا ما لم يشغل مكانه من يملا ذلك الفراغ، وفي مواجهة ذلك، واستمرارا لما طرحه السيد العلامة من اهمية تنظيم ادارة الحوزة العلمية، وتوزيع المهام فيها استرشادا بما تحقق في زمن السيد محمد مهدي بحر العلوم، فانه دعا منذ حقبة مبكرة لتفعيل مركز المرجعية "كونها قيادة مركزية للحركة الاجتهادية" من خلال نقاط متعددة اهمها:

١ ـ "تحوّل المرجعية إلى مؤسسة عامة، تنتقل بكل كادرها الى الاعلم الاشهر بعد وفاة المرجع السابق، في اي مكان كان، دون إن تفقد خصائصها الذاتية".

٢ ـ تشكيل "لجان متعدّدة للمرجعية، تتولى اعداد الافكار السياسية، والاقتصادية، والتربوية، والاجتماعية، وما يدخل في مهام المرجعية، وعرضها على المرجع لمواكبة الإحداث وقضايا الساعة".

٣ ـ "اختيار لجان استشارية من ذوي الكفاءات والاختصاص من اجل بلورة اراء المرجع بما ينسجم وتطلعات الأمة إلى أرائه البنّاءة".

٤ ـ "تهيئة معهد ثقافي يُدرّس فيه تاريخ العالم الاسلامي، وبعض اللغات الاجنبية لوكلاء المرجع من اجل اعدادهم عالميا".

* * *

وفي الختام: لابد ان نؤكد، بكل صدق ووفاء، انّ العطاء العلمي والمعرفي للسيد العلامة محمد بحر العلوم الذي غمرنا به كباحثين اكاديميين قبل اكثر من اربعة عقود كان كبيرا ووافرا ووارفا، وقد تواصل وتسامقَ في العقود اللاحقة لتكون مؤلفات السيد العلامة وابحاثه ودراساته ومحاضراته في الفقه والتاريخ والسيرة والتفسير مصادر تنوير ينهل منها الباحثون الاكاديميون وطلبة العلوم الاسلامية وكل محبّي المعرفة الاسلامية. وحين نستذكر السيد العلامة "رضوان الله عليه" في الذكرى السنوية الأولى لرحيله، فإنما نستذكر"قمّة سامقة" من قمم الاعلام الناصعة النقية التي عبّرت، بكل اخلاص ووفاء، عن

مسيرة النجف العلمية، طيلة اكثر من ثماني عقود خلت. ندعو اللّه ان يتغمّد الفقيد السيد العلامة بواسع رحمته، وان يحشرهُ مع اجداده: النبي الاكرم واهل بيته الطيّبين الطاهرين صلوات اللّه وسلامه عليهم اجمعين.

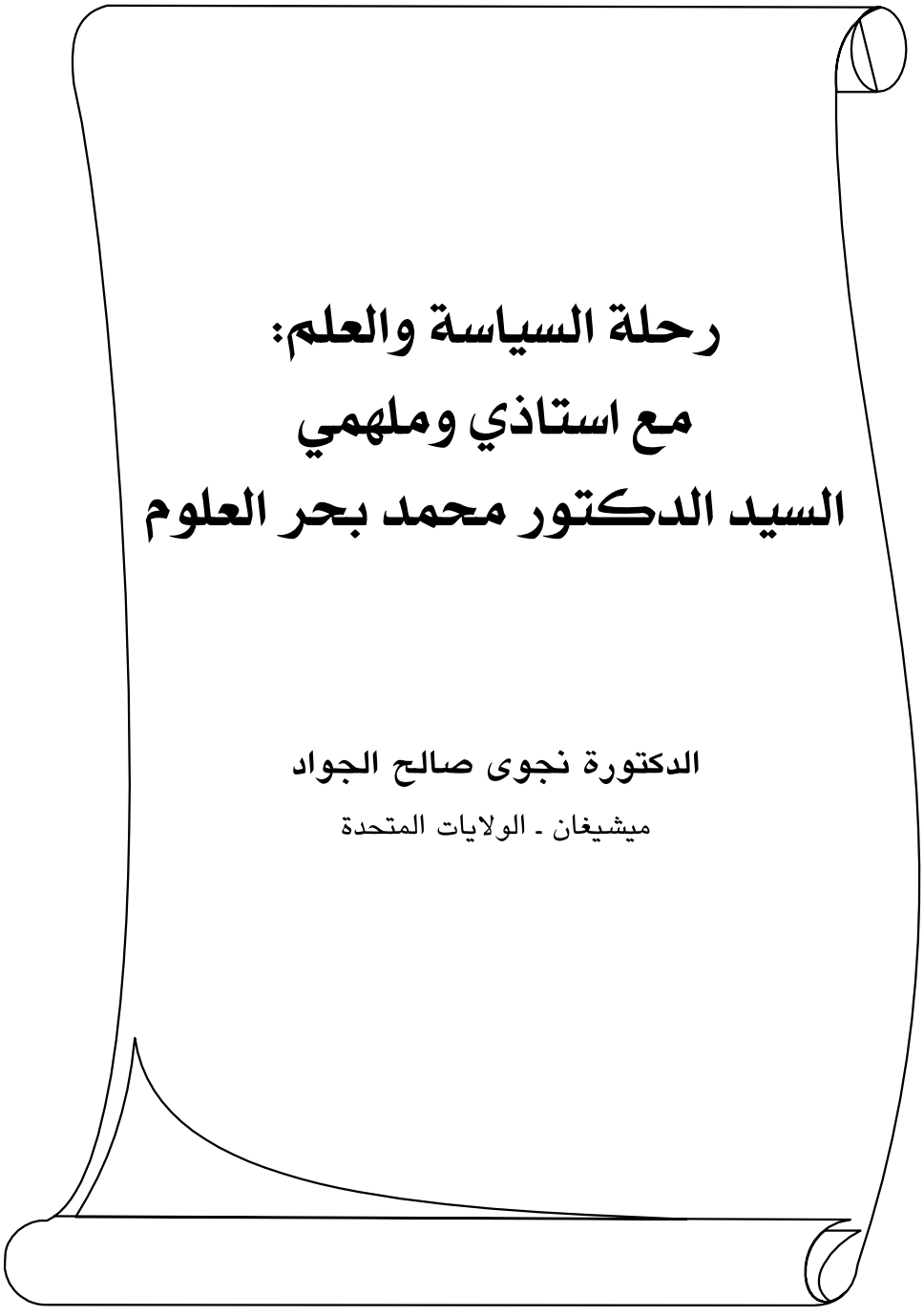

رحلة السياسة والعلم:
مع استاذي وملهمي
السيد الدكتور محمد بحر العلوم

الدكتورة نجوى صالح الجواد

ميشيغان ـ الولايات المتحدة

كثيرون سيكتبون او كتبوا عن تجاربهم الشخصية وذكرياتهم مع السيد الدكتور محمد بحر العلوم ممن عاصره في العراق او التقاه في واحدة او اكثر من محطاته مهجره العديدة. ولكن تجربتي التي ساعرضها لا أظن ان لها مثيلا. فقد لا يكون ما سأقوله امرا جديدا او متفردا بحد ذاته، لكن اهميته تنبثق من كون صاحب هذا الكلام وهذه التجربة هو امرأة، ولا أجانب الصواب ان قلت بان امرأة تدلو بدلوها تزاحم الرجال في تابين الراحل الكبير، هو تفرد يستحق القراءة.

انا تلك المرأة:

انا وزوجي من مدينة بغداد ولسنا من مدينة النجف الاشرف، ولا نمت للسيد بصلة القرابة، ولست طالبة علوم دينية، وليس في دراساتي الاكاديمية ما له علاقة بالدراسات الاسلامية ولا حتى الادبية، فانا احمل شهادة الدكتوراه في علوم التغذية، وهي من العلوم المرتبطة بالصحة. ورغم هذا فان معرفتي بالسيد بحر العلوم وتعامله معي تدلل وكان كل تلك المفردات كانت مجتمعة في شخصيتي لترسم بداية المعرفة وتديم استمراريتها. اذ لا يخفى ان مجتمعنا العراقي يستند في تأسيس العلاقات بين إفراده على هذه المفردات، مجتمعة او منفردة.

السياسة كانت هي البداية:

في بلاد الاغتراب، وبالتحديد في مدينة ديربورن في ولاية مشيكن الامريكية كانت بداية معرفتي بسماحة السيد الدكتور محمد بحر العلوم. ففي

منتصف سنة ١٩٨٥ وبعد ان انهيت دراستي للدكتوراه من جامعة كنساس انتقلت وزوجي وطفلاي الصغيران الى ديربورن، مدينة العرب والمسلمين، للاستقرار فيها موقتا حتى يتحقق حلم العودة الى وطننا الحبيب. وفي نفس تلك السنة انتقل الى ديربورن ايضا السيد صادق بحر العلوم، وهو ابن اخت السيد بحر العلوم وزوج ابنته، فكان بحثه عن مكان يسكن فيه فرصة جمعته بزوجي السيد علاء الدين زلزلة. فسكن في الشقة التي انتقلنا منها، وكانت هذه بداية لعلاقة اخوية وطدتها هموم الوطن وتمادي النظام الصدامي البعثي في جرائمه. ولم تمض سوى اشهر قليلة حتى اتفقنا على تأسيس "الجمعية العراقية الاسلامية في امريكا". وكان باكورة نشاطاتها عقد مؤتمر لكشف جرائم النظام البعثي، بدعوة العراقيين بمختلف توجهاتهم وخلفياتهم لحضوره وللتحدث فيه. ووجهت الدعوة إلى اليسد محمد بحر العلوم الذي كان مقيما في بريطانيا انذاك ليكون الراعي والمتحدث الرئيس في المؤتمر. لم نتمكن من عقد المؤتمر في القاعة المخصصة لذلك فقد داهمتنا مجموعة من البعثيين فحصلت مشادة تدخلت على اثرها الشرطة الامريكية، واضطررنا الى استعمال قاعات المراكز الاسلامية في المدينة لعقد فعاليات المؤتمر على مدى اليومين الباقيين.

بعد انتهاء المؤتمر دعونا السيد بحر العلوم الى بيتنا، وما ان استقر به المجلس حتى التفت الى صورة كبيرة لوالدي معلقة على الجدار ووجه سؤاله: اني اعرف صاحب هذه الصورة، انه السيد صالح، اليس كذلك؟ فاجبته: نعم، فقال وما علاقتكم به، فقلت له انه والدي، فاستغرب وقال: سبحان الله اني اعرف الدكتور ابا زهراء (اي اخي الدكتور احمد في لندن) كل هذه السنين ولم اكن اعرف انه ابن السيد صالح! يالله انه الاغتراب وخوف العراقيين من الكشف عن هويتهم لكثرة انتشار عيون النظام الصدامي في دول المهجر تجعلنا لا نعرف بعضنا بعضا!!! ثم اخبرني ان والدي كان ياتي من بغداد لزيارة عمه في النجف الاشرف، وهكذا كانت معرفته به.

استمرت الجمعية في عقد مؤتمرها السنوي في شهر كانون الاول من كل

سنة، وكان السيد بحر العلوم في كل مؤتمر على رأس المتحدثين بالقاء كلمة وبالمشاركة في الندوة التي يجيب فيها على اسئلة الحضور السياسية والمتمحورة بالطبع حول القضية العراقية ومستجدات ساحتها السياسية. وفي كل مؤتمر كانت هناك قضية جديدة تضاف الى قضايا العراق السابقة، فمن الحرب بين العراق والجمهورية الاسلامية، الى احتلال العراق للكويت وما تلاه من ماس على العراقيين والانتفاضة ضد النظام، وانقضاض النظام على المنتفضين في المحافضات الجنوبية، ومنها المدن المقدسة كربلاء والنجف الاشرف، وحملات الاعتقالات والاعدامات الجماعية التي طالت الاف العراقيين على اثرها. ثم جاء عصر الحصار الذي كان من الفروض انه حصار على الحكومة العراقية، لكنه اصبح وللأسف حصارا على الشعب الفقير المنكوب وليس على النظام البعثي الذي ازداد قوة وشراسة وهمجية في تسعينات لقرن الماضي.

وقد حرص السيد، بالإضافة إلى المؤتمرات السنوية هذه، على حضور اية اجتماعات او مؤتمرات تخص القضية العراقية والنشاطات المعارضة للنظام الصدامي في الدول المختلفة سواء في أوربا او في أمريكا او في سوريا او ايران او شمال العراق. وقد حضرت معه مؤتمرا عقد في الخارجية الأمريكية فالقي كلمة فيه ثم تحدث مساعد وزير الخارجية الامريكية باللغة الانكليزية فاستدعاني السيد وطلب مني إن اجلس بجانبه لأترجم له تلك الكلمة.

لم تقتصر لقاءاتي بالسيد على قاعات المؤتمر والاجتماعات، بل كنت احرص على زيارته في بيت ابنته واستمع الى احاديثه لفترات طويلة، وادعوه لزيارتنا في البيت ايضا لاستمع اليه، تبعا لظروف اقامته في امريكا، والتي غالبا ما كانت قصيرة جدا لكثرة مشاغله في لندن وارتباطاته الاخرى.

بعد سقوط النظام الصدامي في سنة ٢٠٠٣ حقق السيد امنية العمر، كما كان يقول، وعاد الى العراق، ولم يزر بعدها امريكا، فقد كنت اساله متى تزورنا في امريكا، فكان يجيبني: ان هدفي من تلك الزيارات كان لتخليص العراق واهلنا، اما وقد تحقق ذلك فليس هناك ما يدعوني للمجيء الى امريكا.

وجمعنا العلم

عقدت الجمعية ثلاث مؤتمرات بعناوين مخصصة للقضية الراقية تحديدا، وبعد ذلك صار القرار بان يكون محور المؤتمر واحدا من ائمة اهل البيت عليهم السلام ويختتم باجتماع عن القضية العراقية. فكان مؤتمر عام ١٩٩٤م باسم امير المؤمنين عليه السلام، وطلب مني السيد صادق بحر العلوم ان الق كلمة فيه تتحدث عن موضوع المرأة في نهج البلاغة. والقيت كلمتي بحضور السيد بحر العلوم، والذي كان مشاركا في المؤتمر كما في كل مؤتمر سبقه، فابدى استحسانه للبحث، وطلب مني توسعته ليكون كتابا ولو بخمسين ورقة، وشجعني على الكتابة مبديا استعداده في توجيهي وإشرافه على ما ساكتبه. وتوكلت على الله في البحث والدراسة. وقد كنت انتهز فرصة زياراته السنوية الى مشيكن لاقدم له ما كتبت، فيقراه بامعان ثم اجلس معه ليبدي ملاحظاته فيما يستحسنه او فيما لا يراه مناسبا ويحتاج الى اعادة صياغة او تغيير او حذف، وكان احيانا يقترح فصلا او موضوعا اضمنه الكتاب فاسير بتوجيهاته، فكانه دوره كاستاذ مشرف على رسالة دكتوراه او ماجستير، وكنت كطالبة في مؤسسته الاكاديمية، لما كان يوليه من اهتمام كبير بكتاباتي. وخرج الكتاب بعنوان: "المراة في نهج البلاغة".

لم يكتف السيد بهذه الرعاية والتوجيه، بل تبنى الكتاب كاملا فكتب له مقدمة وتكفل نفقات طبعه واصداره ضمن منشورات "معهد الدراسات العربية والاسلامية" الذي اسسه سماحته حين استقر في لندن.

وكتب في مقدمته للكتاب:

"كنا في مؤتمر الامام علي عليه السلام المنعقد في ١٩٩٤/١٢/٢٨ بدعوة من الجمعية العراقية الاسلامية في مدينة ديربورن، في ولاية ميشغن الامريكية، وكانت ضمن المتحدثين الدكتورة السيدة نجوى الجواد، ذات الجذور العلوية، والمنبت البغدادي، والوطن العراقي، وكان موضوع بحثها "المراة في نهج

البلاغة". ولاحظت تناولها للموضوع كان بدقة وعناية وبراعة،... الى ان يقول: وقد اعجبت بكلامها، وانشددت اليه طيلة حديثها، حتى اذا ما اتمت وانتهى الحفل التقيتها وهناتها بنجاحها في الدفاع عن المراة، وتوضيح مقاصد الامام في تعرضه لذمها، رغم قصر المدة المحددة لكل متحدث، وشجعتها بان تتوسع في البحث اكمالا للفائدة. وافترقنا كل لشانه انا الى لندن، وهى الى ديربورن، ميشغن، حيث سكننا الموقت حتى نعود الى وطننا العراق الغالي انشاء الله، وتنتهى مشكلة غربتنا القاتلة".

ثم ختم مقدمته بقوله: "واخيرا كان هذا الكتاب بكل افكاره واستنتاجاته، في احد اهم المواضيع التي عالجها الكثير من قبل، ولكنهم، وللاسف، لم يكشفوا الضباب الكثيف عن هذه المشكلة. غير ان السيدة الكاتبة مع الاعتزاز وُفقت في بحثها، في نظري، وسجلت بفخر سبقا لها في ميزان الراي والنقد ما يحدد قابليتها الفكرية، وبما ينسجم وحضارة العصر".

وكان "معهد الدراسات العربية والاسلامية" يصدر ايضا مجلة سنوية باسم "مجلة المعهد" تحوي مقالات مطولة تتناول موضوعا واحدا من اطرافه المتعددة. فطلب السيد مني ان اكتب في موضوع "الوطن والمواطنة في نهج البلاغة". فكتبت مقالة تجاوزت العشرين صفحة، فكانت واحدة بين مقالات عديدة تناولت هذا الموضوع من جوانبه المختلفة.

واستمرت مؤتمرات الجمعية السنوية المعنونة باسم واحد من ائمة اهل البيت، واتيحت لي فرصة اخرى لاتلم في تفصيل عن مبادئ التربية عند الامام الباقر عليه السلام، ومرة اخرى استحسن السيد محاضرتي هذه، وكان يامل ان يراه في كتاب اخر، لكن كتاباتي لم تكتمل وما زال الموضوع متناثرا في طي الاوراق.

لقد ارادني السيد ان استمر في تناول مواضيع اخرى من نهج البلاغة، بعد ان تناولت منه موضوعين وتكونت لدي خبرة فيه، كما كان يقول لي، لذا كان يقترح علي موضوعا بعد اخر كلما التقيته. غير اني لم تسنح لي الظروف في

تحقيق هذا المطلب، ذلك اني انشغلت بكتابة موضوع اخر لا علاقة له بنهج البلاغة. كان الموضع "المرجعية والسياسة في العراق الجديد" هو عنوان لورقة كتبتها باللغة الانكليزية للحصول على شهادة ماجستير ثانية من جامعة وين في مشيكن. وعنوان البحث هذا تكون على خلفية الاحداث السياسية في العراق بعد ٢٠٠٣ ودور اية الله العظمى السيد على السيستاني في التاسيس للدولة الديمقراطية واقرار دستور دائم لها. ترجمت الورقة الى العربية وعرضتها على السيد فاعجب بها، خاصة باسلوبها الاكاديمي وتضمنها مصادر من غير المسلمين. ومرة اخرى شجعني لتوسعة الموضوع وجعله كتابا، وابدى ملاحظاته ومقترحاته. وهكذا خرج الكتاب الثاني ايضا باشرافه ومراجعته، ثم كتب له مقدمة مفصلة. فقد كان دائما يجد في وقته متسعا للاشراف على نتاجاتي الفكرية، فرغم انه كان مشغولا جدا في تلك الفترة بالذات في شؤون السياسة وامور اخرى خاصة تاسيسه لـ "معهد العلمين للدراسات العليا".

لقد التقيت في مسيرة حياتي بالكثير من الشخصيات، الا اني لم التق بشخصية دينية علمية تهتم وتشجع الانتاج الفكري للاخرين، كالسيد بحر العلوم. فكيف بالامر وانا امراة اخوض في مواضيع قد تعتبر من اختصاص الرجال ومن له المام بالعلوم الاسلامية. لابد ان السيد قد راى في كتاباتي ونتاجي الفكري ما يستحق ان يقتطع من وقته المعبا بالكثير من النشاطات والفعاليات ليقرا ويراجع ما كان يحثني ويدفعني لكتابته. لم يكن رايه في كتاباتي وايمانه بقدراتي الفكرية وتشجيعي على الكتابة منطلقا من باب المجاملات، اذ لا مكان للمجاملات في هذا المضمار، خاصة وانه كان يتبنى هذا الانتاج ماديا ومعنويا. لقد كان السيد يؤمن في داخله بان عقل المرأة مثل عقل الرجل قادر على الانتاج والتفكر والتدبر فيما اذا ما تم التركيز والتعمق في امر من الامور. فالمواضيع التي طرحتها في كتاباتي لم تكن مختصة بشؤون النساء، وانما كانت مواضيع عامة في الدين والسياسة والمجتمع. كان يقول ان العلم لا حدود له ولا يختص بجماعة دون اخرى، وفعلا جاءت

تطبيقاته موافقة لأقواله، لذا لم يكن ينظر الى كتاباتي كونها من انتاج امرأة بل من إنتاج انسان.

اني مدينة للسيد بحر العلوم بكل ما انتجته من كتب ومقالات وبما سأنتجه في المستقبل اذا من اللّه تعالى علي بالعمر. اذ لولا الثقة التي اولانيها لما كانت لدي الجراة والشجاعة لانتاج كتب يحق لي ان افخر واعتز بها، فالفضل بعد اللّه سبحانه وتعالى له في كل ذلك.

السيد الدكتور: قمة في التواضع واحترام الاخر

زياراتي للسيد سواء في امريكا او في العراق كانت تطول لأكثر من ساعتين او ثلاثة، ومحور حديثنا لا يكاد يخرج عن إطاره: الأمور السياسية ومشاريعي الكتابية. وكان مما لفت اهتمامي هو مظاهر الاحترام التي يبديها السيد للآخرين وتواضعه لهم. فكان اذا دخل عليه احد وهو جالس، هب واقف محيا ومرحبا بالقادم، مهما كان مقام وسن هذا القادم. ففي زياراته لأمريكا كنت اذهب لزيارته مع أولادي وكانوا أطفالا آنذاك فكان يقف لي ولهم كما يقف للرجال، وكنت اشعر بالخجل واحاول الاعتذار اذ كيف يقف من هو بمقامه لأطفال صغار!!! واحسب ان هذا التواضع هو الذي رفعه، فكلما تواضع المرء امام الناس درجة رفعه اللّه بها درجات في اعينهم. والحق يقال انني لم التق برجل دين معمم يقف احتراما للنساء وللأطفال كما كان يفعل السيد بحر العلوم.

منذ ٢٠٠٣ قمت بزيارة العراق مرات متعددة حرصت فيها على زيارة السيد في بغداد عندما كانت له دار فيها، وفي النجف الاشرف حينما استقر فيها كليا. وقد وجدت السيد في العراق كما عهدته في امريكا، لم تتغير شخصيته رغم تغير الاوضاع والاحوال: فهو الان في قلب المؤسسة السياسية، واحد اعمدتها وشخصياتها الاساسية. ففي مرحلة تأسيس الدولة العراقية أصبح السيد عضوا في مجلس الحكم الذي تأسس في تموز ٢٠٠٣، واصبح اول رئيس

له ثم رئيسا دوريا له في اذار ٢٠٠٤، وبعد ذلك اصبح عضوا في المجلس الوطني العراقي المؤقت في ٢٠٠٤. ورغم انه اعتزل العمل السياسي، اي بمعنى عدم ترشيحه لعضوية البرلمان، الا انه واصل عطاءه السياسي باستمرارية علاقاته الجيدة مع قادة الكتل السياسية ليكون قادرا على التوفيق بينهم وتقريب وجهات النظر بينهم.

في زياراتي له في النجف الاشرف كان هناك دائما من يرافقني من اخواتي فكان يصر على استضافتنا جميعا في بيته. وهنا لابد من الاشارة الى مدى الاحترام والتكريم والحفاوة التي كان يغمرنا بها. فقد كان يقف على باب البيت يستقبلنا ويرحب بنا فردا فردا، بغض النظر عمن هو برفقتي، صغيرا او كبيرا، رجلا او امراة. ويصر على ان نتناول الغداء معه وبقية افراد عائلته من يكون حاضرا في البيت. وعندما نهم بالمغادرة، فانه كان يشيعنا الى باب الدار الخارجي ويبقى منتظرا على الباب حتى تووارى السيارة بعيدا عن البيت.

في اخر زيارة لي للسيد في الشهر العاشر كان هناك عمال يقومون ببعض الترميمات في البيت، فكان مكان جلوسهم في المدخل الداخلي فقط، ومع هذا استقبلني وكنت بمفردي هذه المرة. وكالعادة اصر على ان ابقى لتناول الغداء وكانت هناك احدى بناته وزوجة ابنه. وضعوا الطعام ومن ضمنه سمكة مشوية، وقبل ان نبدا سال ابنته: هل اعطيتم الغداء للعمال؟ فقالت انهم بصدد عمل ذلك. فقال لها: اقسمي السمكة نصفين وقدموه للعمال، لا احب ان ياكلوا ما يتبقى منها بعد ان ناكل، ففعلت.

تناولنا الغداء واعتذر السيد بان لديه محاضرة في معهد العلمين للدراسات العليا الذي اسسه بعد عودته الى العراق في سنة ٢٠٠٧. حدثني عن كيفية تاسيسه وموقعه واقسامه وشروط القبول فيه وتفاصيل اخرى عنه. كنت اود ان اذهب معه لارى هذا الوليد الجديد، لكن كان على ان اعود الى بغداد قبل حلول الظلام، فوعدني ان ياخذني في جولة يريني فيها هذه المؤسسة الاكاديمية والتي هي الاولى من نوعها في العراق في مجال التعليم الاهلي، ان انا زرته في المرة القادمة.

مشينا معا الى خارج الدار ومازال حديثه مستمرا عن مؤسسته. توقفنا عند حديقة البيت التي طالما ابديت اعجابي بتنظيمها وجماليتها كلما مررت بجانبها. فهذا امر اخر مشترك بيننا، الا وهو حبنا للخضرة والزهور. توقفنا عند الباب حيث شجيرة الكاردينيا، كانت هناك ثلاث وردات يعبق عطرها الفضاء، انحنى السيد وتناول واحدة فقطفها واهدانيها. تبسمت ابنته الواقفة بجانبي، وقالت متعجبة: ان السيد لا يقطف وردة من الحديقة لاعتزازه الشديد بها. كان يعاملني وكانني واحدة من بناته يحفني برعاية وتسديد، وكنت اعتبره ابا مرشدا وموجها اكن له جل الاعتزاز والاحترام. ودعته وركبت السيارة والتفت الى الوراء فلوح بيده مسلما.

هذه المرة عندما ساذهب الى العراق واتشرف بزيارة امير المؤمنين عليه السلام في النجف الاشرف، لابد لي ان احقق وعد السيد واذهب الى مؤسسته، معهد العلمين، ليس من اجل الاطلاع عليه فحسب، بل لازور السيد كعادتي في مركزه العلمي، فها هو قد اتخذ منه مقرا ابديا ليبقى بحرا للعلوم ابديا!!!!!

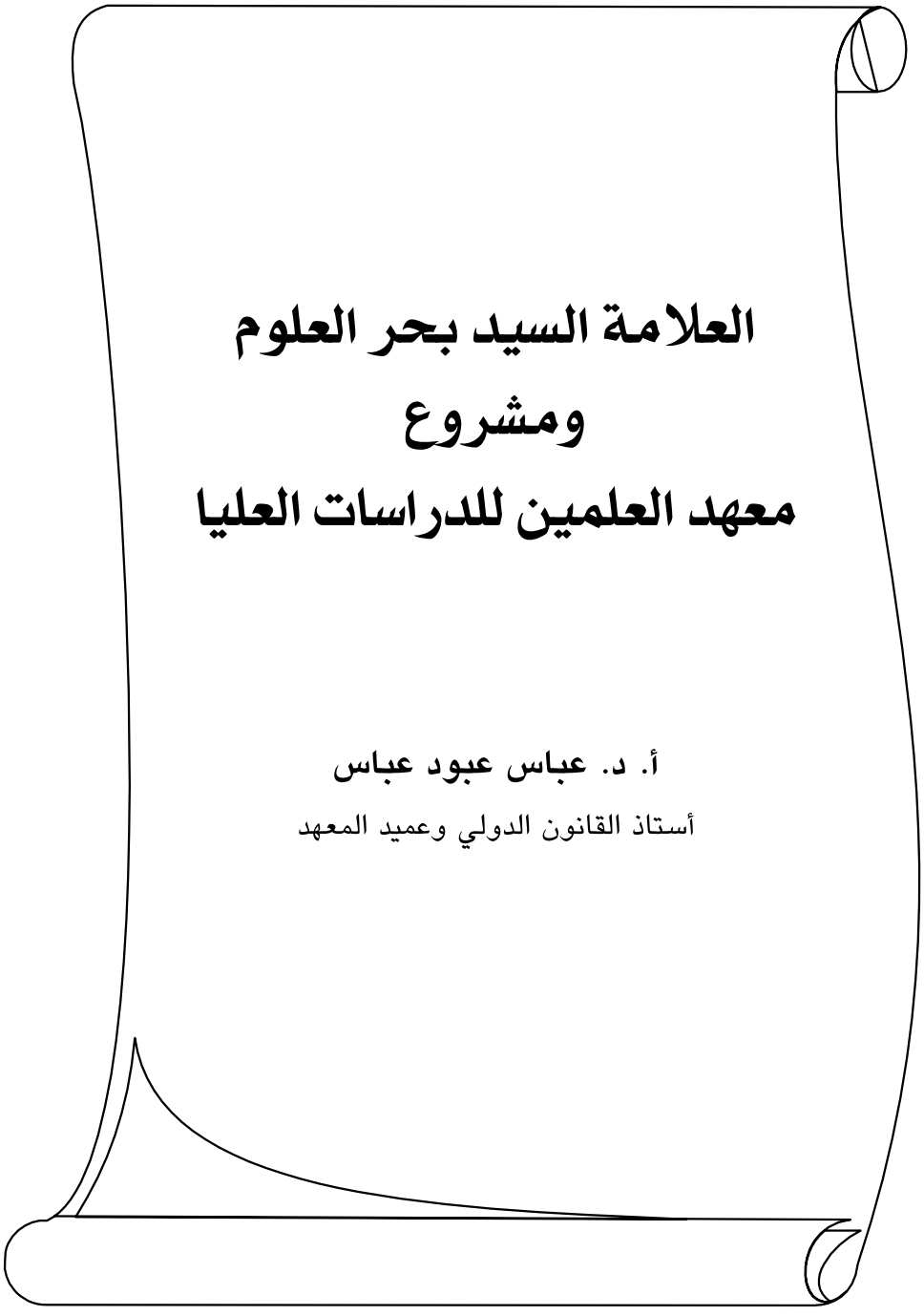

العلامة السيد بحر العلوم
ومشروع
معهد العلمين للدراسات العليا

أ. د. عباس عبود عباس

أستاذ القانون الدولي وعميد المعهد

لم أكن اعرف الكثير عن سماحة السيد المغفور له الدكتور محمد علي هادي بحرالعلوم قبل ان أباشر العمل في معهد العلمين للدراسات العليا عام ٢٠١٢ تدريسيا، ثم معاونا للعميد الفقيد د. عصام العطية (رحمه اللّٰه)، فالذي كنت اعرفه عنه قبل هذا مرتبط بشخصيتهِ السياسية ودوره في المعارضة العراقية، وهي معرفة عن بعد، لا تتجاوز ما تنشره وسائل الاعلام، والتي غادرها الرجل شيئا فشيئا حتى انصرف الى نشاط جديد لا يقل اهمية عن سابقه واعني به اهتماماته العلمية لاسيما بناؤه لمشروع معهد العلمين.

بل انني اذهب الى ابعد من ذلك فاقول، وعسى ان اكون مصيبا فيما اقول، ان السيد الفقيد قد ترك الساحة السياسية من حيث النشاط اليومي المباشر، ليخصص وقته وجهده الاكبر لاعمار الساحة العلمية عن طريق مشروع علمي طموح يسهم من خلاله في اعادة بناء العراق في مرحلته التاريخية الراهنة اذ كان من تشخيصاته رحمه اللّٰه، تلك الحاجة الملحّة لتنمية الجوانب التعليمية والبحثية في البلاد بما يعينه ذلك من بناء المؤسسة الكفيلة بذلك وبناء الكوادر التي تحتاجها تلك المؤسسات من جهة وتحتاجها مؤسسات الدولة من جهة اخرى في مختلف جوانب نشاطها.

وهكذا غادر السيد الفقيد الساحة السياسية الرسمية، وانّ لم يتركها في الجانب غير الرسمي فقد مثل حمامة السلام التي تنعش الآمال في امكانية تعاون الجميع على بناء العراق العزيز ولهذا لم نشهد تسلّمه لمركز سياسي معين منذ ان تراس جمهورية العراق من خلال ترؤسه مجلس الحكم في اولى دوراته (تموز ـ اب ٢٠٠٣) وقد كان قد تراس قبل ذلك قلوب العاملين معه من اقران السياسة والادب والعلوم الدينية والمحافل الاجتماعية.

لقد بقي الفقيد وفيا لأهدافه التي كانت واضحة امامه طيلة مسيرته حياته الشريفة والتي جمعها في النهاية في انشطة مؤسسة بحر العلوم الخيرية ومنها مشروع معهد العلمين الذي اراده صرحا للعلم، يُعنى بتكوين الكوادر العاملة في حقلي القانون والسياسة وحقول اخرى لم يسعفه القدر في ولوجها في الطب والهندسة وسواهما.

ولقد كنت اسمع منذ باشرت العمل في معهد العلمين من سماحة السيد الفقيد ما يجدد الامل في عراق جديد يجد فيه العلماء والمتخصصون دورهم الحقيقي في البناء والتجديد، وقد عاشت معه هذه الفكرة وعاش معها وهو يتأمل في الصورة التي يتمناها المخلصون للعراق وما تفترضه من وضع الخطط والاستراتيجيات الضرورية لتحقيقها، وقد لامس السيد الفقيد كبد الحقيقة حين رأى إن البلد إنما يمكن ان يُبنى وينطلق في مسيرته الحضارية من جديد من خلال اصلاح عملية التعليم وتنمية الكوادر التي تتحمل مسؤولية البناء في مختلف ساحاته ذلك ان العلم هو المنطلق الصحيح وهو الوسيلة السليمة للوصول الى الهدف، وكان السيد الفقيد كثيرا ما يذكرنا بذلك مؤكدا على ان دور معهد العلمين هو ان يساهم في الجزء الذي يستطيع المساهمة فيه من هذا المشروع الكبير الذي يعتمد العلم ويحترم التخصص، وهكذا كان يؤكد في توجيهاته للعاملين في المعهد بتقديم معيار العلمية، والمستوى العلمي على كل معيار في النظر الى كل مسالة من مسائل العمل، ولاسيما في وضع المناهج والاختبارات المتنوعة لطلبة المعهد واختيار الاساتذة وما الى ذلك، مع الحفاظ على التقاليد الجامعية في العمل.

وليس من شك في ان الخلفية الاكاديمية للفقيد قد اتت اكلها في حضور هذه التصورات لديه، فحرصه على التقاليد الجامعية وترجيح المعايير العلمية في مراحل العمل كلها في المعهد والاستجابة لمتطلبات الانشطة الاكاديمية، كل ذلك يعطي اشارة واضحة الى ان الرجل قد جمع مزايا الدراسات الاكاديمية التي مرّ بها وخبرها الى جانب مزايا الدراسات الحوزوية، وهو ابنها المتميز

قبل حصوله على شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة في ١٩٨٠ عن اطروحته "عيوب الارادة في الشريعة الاسلامية ـ دراسة فقهية مقارنة بالقوانين الوضعية".

وشاء القدران يحقق طموحه في ان تتنوع خبرته الجامعية خلال مسيرته الدراسية، فحصل على البكالوريوس من جامعة بغداد وعلى الماجستير من جامعة طهران ١٩٧٠ قبل ان يواصل دراسته للدكتوراه في جامعة القاهرة. ولوسحنا في مؤلفات الفقيد لوجدنا التنوع نفسه، ففي العشرات من انتاجاته (تاليفا وتحقيقا...) نلتقي بالأبحاث الدينية الفقهية والدراسات الادبية والاجتماعية والسياسية، مما يكشف بوضوح عن سعة تجربته الحياتية الغنية التي جعلت منه شخصية قريبة الى القلوب على اختلاف المشارب والافكار والتطلعات.

وقد كان من اهتمامات السيد الفقيد متابعته ـ في ضوء ما تقدم بيانه ـ لطبيعة واتجاهات الابحاث التي يعدها الطلبة سواء تلك التي تتطلبها الدراسة الفصلية، ام التي تكون على شكل رسالة ماجستير او اطروحة دكتوراه ومن هنا فقد جرى التاكيد على ان تلك الابحاث يجب ان تتعامل مع الواقع العراقي بما في ذلك ما يفترضه امتداده العربي والاسلامي والاقليمي والعالمي، وذلك من اجل المساهمة في حل المعضلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والقانونية، مما تواجهه عملية البناء وضرورات الانتقال نحو النظام المنشود. ان ملامسة المعضلات العملية تثير حوارات متشعبة كان السيد الفقيد حريصا على اعطائها الاجواء المناسبة لتكون مصدر عطاء لا مصدر تشتت وتدابر. وبهذا يمكن ان نستثمر ايجابيا واقع التنوع في الساحة العراقية باشكاله المختلفة من خلال المرونة العلمية والاعتدال.

وفي هذا السياق ايضا كان الفقيد يشجع على تنويع نشاطات المعهد ومساهماته العلمية بحيث لا تقتصر على التدريس وحسب بل تمتد الى مساحات البحث العلمي خارج اطار بحوث التخرج التي يقدمها الطلبة كجزء من

متطلبات الشهادة التي يمنحها المعهد. وبذلك فقد تكررت اقامة الندوات والحلقات النقاشية التي يحضرها الاساتذة والطلبة فضلا عن محاضرين متخصصين من خارج المعهد ومدعوين من ذوي العلاقة ليشكل الجميع دائرة بحثية يمارسون خلالها الحوار العلمي الهادئ الهادف ويعودون الى مقارّ عملهم محمّلين بإضافات علمية وعملية تساعدهم على تكوين رؤية اوسع واوضح لما يمارسونه من اعمال وما يعرض امامهم من افكار.

ان هذه النشاطات ربما لا تكون مختلفة كثيرا من حيث الشكل عن نشاطات تقام هنا وهناك ضمن برامج التشكيلات السياسية والاجتماعية في البلاد ولكنها تبقى محتفظة بميزة الابتعاد عن محدودية توجهات الاحزاب والحركات لتنطلق الى افق اوسع يتعايش مع الجميع ولا ينصاع لتوجه محدد، وذلك بحثا عن الحقيقة العلمية والمنهج المطلوب لمعالجة المعضلات النظرية والعلمية التي يواجهها مجتمعنا بكليّته وبمكوناته وبإفراده.

ولست راغبا في القول بان المعهد قد بلغ مستوى مثاليا في العمل غير اني واثق من ان السيد الفقيد كان يعمل من اجل المزيد من تحقيق هذه الافكار دون كلل او ملل ودون الانكفاء امام المعوقات مهما كانت طبيعتها. وهكذا فقد كان من الطبيعي ان يتعايش مع العاملين في مشروعه العلمي بشكل مستمر، يتفقد الجميع ويتحدث معهم حول الام وامال المواطنة والبلاد، وما يمكن ان نعمله جميعا من اجل مستقبل افضل، وقد كان العاملون معه يلمسون فيه مواصفات خبير البناء الذي يعشق العمل والانتاج والرصانة والجدية مع ابتسامة لم تفارقه في اصعب ظروفه الشخصية ولاسيما في ايام تدهور صحته في ايامه الاخيرة، لقد كان يتفقد المعهد والعاملين فيه بشكل مستمر، فقد كان مكتبه في الطابق الارضي من بناية المعهد يحفل باللقاءات المثمرة لا مع زواره من خارج المعهد وحسب بل ومع الكوادر العاملة فيه ايضا وكان لا ينقطع عن التجوال في اجنحة البناية المذكورة ليلتقي بالطلبة والتدريسيين ويستمع إلى مقترحاتهم وأرائهم ويتحقق بنفسه من توفر شروط العمل المطلوبة، بل انه كان

يتابع بنفسه مدى انجاز الخدمات المطلوبة في بناية واسعة كهذه وكان يعتني حتى بتنظيم الساحة الداخلية التي يستريح فيها الطلبة فيتدخل في اختيار نوع المزروعات الموزعة في ارجائها وكيفية توزيعها، ولا انسى اني كنت في احد الايام ابدي اعجابي بنوع تلك المزروعات وتوزيعها بنسق جميل في الساحة الداخلية وممرات الطابق الدراسي فقيل لي لا تعجب من ذلك فسماحة السيد هو الذي وجد بان يكون الامر كذلك.

واما المكتبة التي تربو كتبها الان على ٥٣ الف مؤلفا قديما وحديثا بما في ذلك المخطوطات النادرة فقد كانت من تحف الفقيد التي رافقته ردحا من عمره الشريف فتنقلت معه لتستقر في الطابق الثاني من بناية المعهد، وقد كان يسعى باستمرار للاعتناء بها وتطويرها لتلبي حاجة المعهد العلمية وحاجة الباحثين من خارجه وهي متنوعة لذلك فيما تعالجه مطبوعاتها ومخطوطاتها من موضوعات.

ان سماحة السيد الفقيد، الاب والمعلم والعالم والاخ الكبير لم يفارقنا ابدا، واحسب انه لن يفعل ذلك، فقد أحب الجميع وعمل لأجلهم وأحبه الجميع الذين يحسون اليوم بعظم المسؤولية في مواصلة الدرب. وما ازال اذكر انه رحمه الله قصدني في مكتبي مرة حينما كنت معاونا للعميد ليقول لي: اوصيك خيرا بالدكتور عصام انه استاذ جليل ويستحق العناية وانا احبه كثيرا لعلمه وأخلاقه فطمأنت سماحته على صحة الدكتور وعلى اننا جميعا نبذل ما في وسعنا للعناية به وعدم اجهاده بالعمل، على ان شريط الذكريات لم يسجل هذا وحسب بل سجّل لسماحة الفقيد انه كان يوصي بي شخصيا كما كان يوصي بالدكتور عصام رحمه الله.

لقد كان سماحة الفقيد ذا قلب كبير وعاطفة جياشة فاستحق من العاملين معه ما يكنونه له بصدق من مودة واحترام. لقد كان يتفقد الجميع ويهتم بشؤونهم فكان يتجول في ساحة المعهد كما يتجول في المكتبة ويزور قاعات الدرس كما يتفقد قاعات الامتحان ليلتقي الطلبة الممتحنين ويستفسر منهم

عن رايهم في الاسئلة ومدى المامهم بالمطلوب فيها، كما كان يتفقد الكافتيريا ويسال العاملين فيها عن احوالهم، ان سماحة السيد الفقيد لم يكن يترك زاوية من زوايا المعهد ولا شخصا عاملا فيها الا ويستفسر عنه ليطمئن على ان كل شيء على ما يرام. وقد كان يحس دائما انه ما يزال الكثير مما يجب عمله لتحسين اداء المعهد وتطويره غير ان روتين الدولة الرسمي كان يسير بشكل لا يسمح دائما بتخطي العقبات وتذليلها الا بعد جهد جهيد، وما يزال مشروع الدراسة الاولية في المعهد في فروع علمية وانسانية اخرى ينتظر الموافقة الرسمية عليه لينطلق في ساحات جديدة للعلم والمعرفة لسد حاجات البلد من جهة ولاستيعاب عدد لا باس به من طلبات الدراسة لدى المواطنين.

لقد تكلمت فيما تقدم عن ميزة التنوع في اهتمامات السيد الفقيد التي انعكست بإشكال شتى على نشاطات المعهد. غير ان هذا التنوع لا يمنع من القول بان السيد الفقيد كان يطمح في الوقت نفسه الى جعل المعهد متميزا بميزات تذكر له وتجعل له مركزا خاصا بين المؤسسات العلمية الاخرى ولم يكن حب التميز هذا للتميز ذاته بل للحاجة التي كان يحسها سماحة السيد الفقيد فاذا كان اهتمام المعهد ينصب على تأهيل الكوادر في حقلي القانون والسياسة فان طابعه الخاص ينبغي ان يظهر من خلال اهتمامه بالفكر الاسلامي والتطبيقات الاسلامية لما يعرف اليوم بالقانون وما يعرف بالسياسة. وهكذا فقد ادخلت مادة الفكر الاسلامي في مناهج الدراسة للسنة التحضيرية سواء في الماجستير او الدكتوراه.

ان من ذكرياتي الجميلة في هذا المجال ان السيد الفقيد كان مهتما بشكل خاص بتدريس وثيقة اسلامية مهمة ضمن موضوع الفكر الاسلامي وهي ذات علاقة وثيقة بمناهج القانون والسياسة مما ندرسه في هذا اليوم. اما الوثيقة التي نعنيها فهي "رسالة الحقوق" للامام زين العابدين(ع). وكان السيد الفقيد يبحث عمن يدرس هذه الوثيقة ضمن مادة لحقوق الانسان في الفكر الاسلامي. ولم يجد السيد الفقيد شيئا مكتوبا في هذا المجال بالشكل الذي يمكن عرضه

كمادة في دراسة اكاديمية. وقد كنت خلال ذلك انتظر ماذا يقرر السيد الفقيد في هذا الشان وانا اخفي عنه اني قد سبق لي الكتابة في "رسالة الحقوق" بما يناسب المقام مع شيء من المقارنة مع ما يُشرع ويُكتب ويُقال اليوم عن حقوق الانسان. حتى اذا ضاق الوقت دون ان يصل سماحته الى قرار معين صرحت له بان لديّ شيئا مكتوبا في ذلك ولكني اثرت ما يمكن ان يجده سماحته لأني لم يسبق لي عرض ما كتبته عن الرسالة الشريفة على متخصص بالفكر الإسلامي لأطمئن على مستواها وصلاحيتها لان تكون مفردة في مادة دراسية معينة. فطلب مني اذ ذاك ان اعرض عليه ما كتبته فارسلته اليه وبقيت اياما انتظر في شوق بالغ ما يمكن ان يكون عليه راي سماحته.

واخيرا فقد ابلغني بان ذلك هو ما كان يتوق اليه، وبالتالي فانه قرّرا يُدرس، وان اكون انا مدرس المادة التي اضفتُ اليها محاضرات كنت اعددتها في القانون الانساني فاصبح عنوان المادة الجديدة: "القانون الانساني بين الوضعية والاسلام"، فخُصص فصل دراسي للوضعية وفصل دراسي ثان للاسلام وفيه "رسالة الحقوق"، ولا اخفي اني كنت سعيدا جدا باطراء السيد الفقيد لما كتبته عن رسالة الحقوق لاني كنت اعتدّ كثيرا برايه العلمي.

لقد كشف لي الحوار مع السيد الفقيد والذي دار اكثر من مرة بمناسبة الكلام عن رسالة الحقوق ومادة الفكر الاسلامي مقدار ما كان يعقده سماحته من امال على النتائج الايجابية المتوخاة من الدراسات المقارنة بين مخرجات الفكر الانساني العالمي والفكر الاسلامي ومتابعة التطور التاريخي للاثنين. وقد كان يعتقد فيما لمسته منه بان هناك ضرورة قصوى للكشف عن الكنوز الاسلامية لاسيما في مجالات القانون والسياسة والادارة والاقتصاد والعلوم الاجتماعية عامة، وعرضها بشكل عصري يمكن ان يجد فيه المتلقي من ابناء عصرنا ضالّته المنشودة التي يبحث عنها في زوايا العلوم التي انتجتها الشعوب الاخرى. ان الثروة الفكرية الانسانية ملك للجميع ولا غنى للجميع عنها، غير اننا ما نزال لم نعرض كل ما لدينا للعالم بالاسلوب المناسب، ولعل معهد

العلمين هو احد الادوات التي يمكن ان نخوض بها هذه التجربة في حدود ما لديه من امكانيات.

لقد كنت ذكرت قبل قليل ان السيد الفقيد كان كثير التفقد لشؤون المعهد والعاملين فيه. وقد كنا نسعد حقا بزياراته وجولاته في اقسام المعهد العلمية والادارية. وقد كنا نستثمر لحظات تواجده بيننا فنثير تساؤلات عديدة في موضوعات متفرقة. وقد كنت شخصيا اتوق الى ان تكون مناقشة التساؤلات المذكورة مناقشة منظمة بحيث يمكن الاحتفاظ بما يعرض خلالها من معلومات يدلي بها سماحة السيد الفقيد وهو يستعرض ذكرياته المتنوعة الا ان هذا لم يتحقق واذكر اني قلت له ذات مرة وهو يروي بعضا من ذكرياته في موضوع معين: "حبذا لو سجلنا ما تتفضل به في جهاز التسجيل ثم نستكمل الحديث في وقت لاحق فننقل ما تجود به ذاكرتك على الورق ونبوّبه في كتاب يمكن ان ينتفع به الاخرون ممن لم يحضروا هذه اللقاءات، ذلك ان ما تتحدثون به يشتمل على فوائد عامة وينقل جانبا من التاريخ مما يستحق الرجوع اليه والاعتبار به". غير ان السيد الفقيد لم ياخذ هذا الكلام ماخذ الجد، وربما كان يشعر ان التسجيل قد يؤثر على انسيابية الحديث في استرجاع ذكريات متنوعة لا يستحضرها غير العفوية وظروف المناسبة التي يتم فيها تحديد الموضوع. ولهذا مرّت بنا فكرة اخرى هي ان نخفي جهاز التسجيل عن انظار سماحته غير انه فارقنا قبل ان نحقق ذلك، ولو كنا استطعنا ان نفعله لحصلنا على سجل حافل بالاحداث والعظات من شاهد ذي صفات فريدة، واني لاسف لاننا لم نستطع تحقيق مثل ذلك المشروع، كما اني اشعر بالاسف لان اسئلة معينة كانت تجول في خاطري شخصيا لم اعاجل السيد الفقيد بها، تتعلق بالجوانب السياسية من نشاطه السابق لاسيما قبيل وبعد انهيار النظام السابق، وبانسحابه من الساحة السياسية في وقت مبكر. نعم. لقد كان السيد الفقيد سجلا تاريخيا حافلا، وطاقة فياضة للعمل الدؤوب استقرت في النهاية في اروقة مؤسسته الخيرية وانشطتها المختلفة ولاسيما معهد العلمين الذي اراد له

كما صرّح بذلك ان "يتحول الى مركز استقطاب للطاقات في تحقيق قنوات حوار يصب في مصلحة الوحدة والاستقرار واشاعة السلم الاهلي الذي ينحو منحى العقلنة والوسطية استنادا الى العقل والبرهان في البلد والمنطقة".

فسلام على سماحة السيد الفقيد يوم ولد ويوم ارتحل الى الرفيق الاعلى ويوم يبعث حيا شاهدا، وعسى ان يستطيع المحبون مواصلة الخطى على طريق بناء العراق العزيز، وان يعوض سبحانه وتعالى الجميع بالصبر والسلوان وجميل العزاء، وانا لله وانا اليه راجعون.

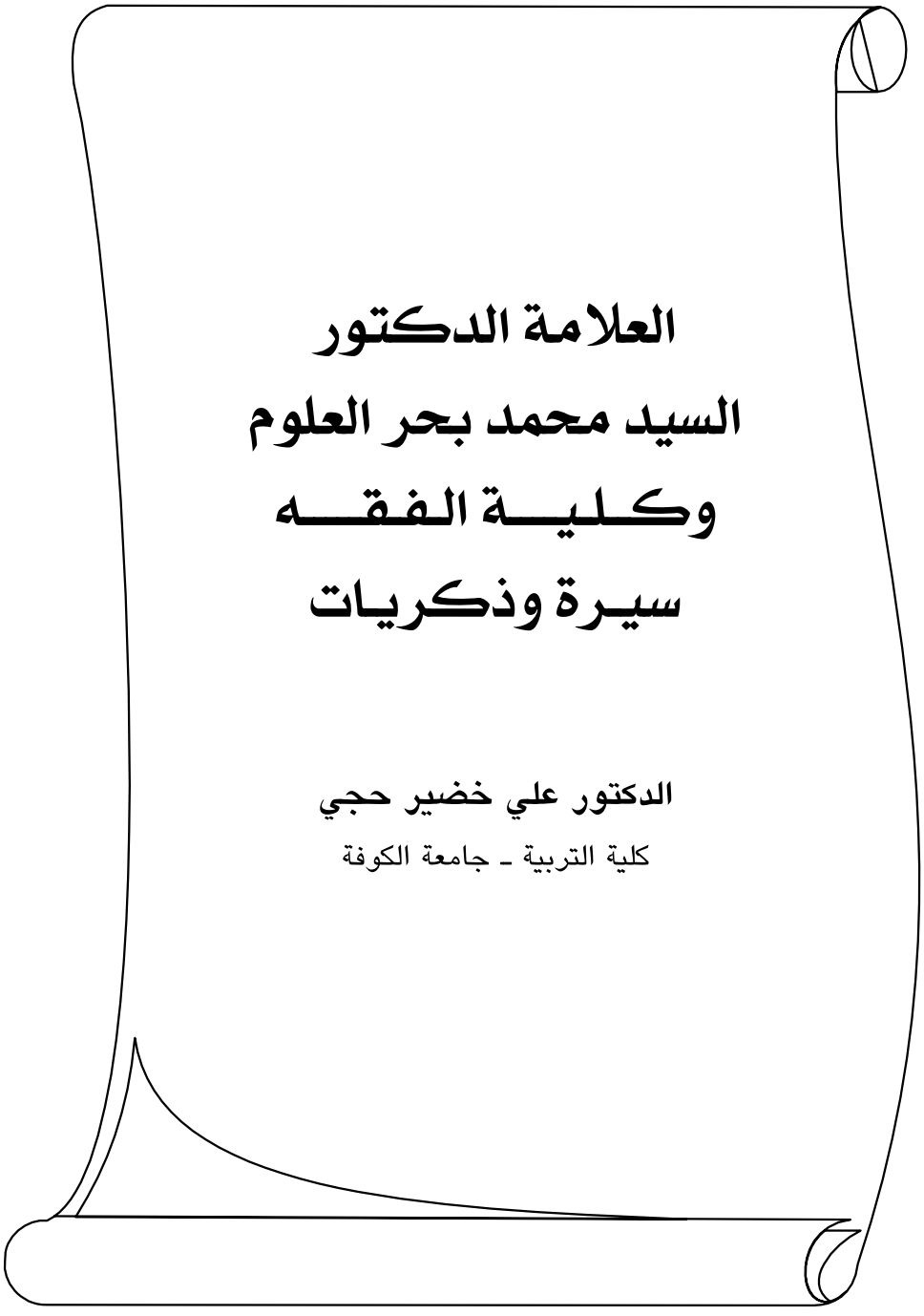

العلامة الدكتور
السيد محمد بحر العلوم
وكلية الفقه
سيرة وذكريات

الدكتور علي خضير حجي
كلية التربية ـ جامعة الكوفة

لقد أثمرت مدرسة الشيخ محمد رضا المظفر(قده) بتخريج ثلة من رجال العلم والفقه والادب بلغت عدتهم مئة او يزيدون، استطاع العدد الاكبر منهم ان يكون بوابه النجف للعالم وذلك بتأسيسه لمؤسستين علميتين هما:جمعية منتدى النشر وكلية الفقه

ولم تكن هاتان المؤسستان محض صدفة، بل جاءتا بعد مخاض طويل انتجته المكونات المعرفية لحوزة النجف الاشرف فكان هناك الدرس الفقهي، وبإمكان الباحث ان يؤرخ وينظّر للحركة الفقهية ابتداء من مؤلفات الطوسي والكركي والاردبيلي وبحر العلوم وكاشف الغطاء والجواهري والانصاري واليزديوالاخوند واغا ضياء العراقي والكمباني والنائيني وابوالحسن الاصفهاني والحكيم والخوئي والصدر.

وبمقدوره ان يلاحظ مستوياتها ومدى تطورها ونظرياتها يسانده في ذلك الدرس الاصولي والذي كان مبدأه الشيخ الطوسي الذي لمس رسمات شيخ بغداد المعتمد الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) وسيد بغداد المسدد علم الهدى (ت٤٣٦هـ) والذي كان كتابه ((العدة))، منبعا ثرّا للفكر الاصولي الامامي وقد اصبح هذه الدرس مدرسة متكاملة برزت بين مدارس العالم الاسلامي متنوعة في ذلك كان ابرزهم الشيخ الانصاري (ت ١٢٨١هـ) الذي ابدع ونظر في بناء المدرسة الاصولية مبتكراً الادلة والحجج الشرعية والعقلية حتى مجيء عصر الشيخ الاخوند (ت ١٣٢٩هـ) وتلامذته اصحاب المدارس الاصولية الرائدة امثال (الشيخ اغا ضياء الدين العراقي (ت ١٣٦١هـ) والشيخ محمد حسين الاصفهاني (ت١٣٦١هـ)، والشيخ النائيني (ت ١٣٦٥هـ) وانتهاءً بالإمام الحكيم والسيد الخوئي ومن اثمر من منبره الفيّاض والدرس الفلسفي والكلامي والتي

تبلورت ما أحدثه من تطور عجيب عن باقي المدارس الفلسفية الاسلامية وغير الاسلامية اذ جمعت المدرسة المشائية الى جانب المدرسة الاشراقية وتجلت في الحكمة المتعالية في المدرسة الصدرائية.

والدرس اللغوي الذي فيه قد تمثلت النجف في طابع دراستها وابحاثها اللغوية عما سوها من مراكز لغوية في العالم الاسلامي حيث تمتعت بشكل واضح بطريقة الدرس المتبعة في مجال العلوم الاسلامية فاتسمت بالاصالة في الراي والعمق في النظرة، والشمولية في التتبع، والاستقلالية في الذات، ومن هنا جاءت اهميتها فانجبت امثال (الرضي الاسترابادي) الذي منحته الاواسط العلمية لقب (نجم الائمة) ووصف ((المحقق)) والدرس الحديثي والرجالي وما افرزته مدرسة النجف من نظريات رجالية فاقت مدارس العالم الاسلامي الى ان تجلت فيما كتبه استاذ الفقهاء والمجتهدين في موسوعته الرجالية، والدرس القرآني ما نتج من موسوعات قرآنية تفسيرية ودراسات معاصرة واستطاعت ان تكون مرجعا لجامعات عربية واسلامية كل ذلك كان سببا في ولادة هذين المشروعين الضخمين (منتدى النشر وكلية الفقه)) والذي انجبا أمة من العلماء وثلة من رجال الفكر والادب كان بينهم الفقيد الراحل ولذا انتظم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث:

المبحث الاول: ـ السيد بحر العلوم وجمعية منتدى النشر

المبحث الثاني: ـ السيد بحر العلوم وكلية الفقه / جمعية منتدى النشر

المبحث الثالث: ـ السيد بحر العلوم وكلية الفقه جامعة الكوفة.

هذا مختصر من سيرة وذكريات للسيد محمد بحر العلوم مع كليته العتيدة كلية الفقه والحمد لله رب العالمين.

المبحث الاول: السيد بحر العلوم وجمعية منتدى النشر:

جمعية منتدى النشر من الجمعيات العلمية التي كانت نتيجة مخاض عسير مرّ بها مؤسسيها بعد ان كان رائدهم الاصلاح للمناهج الدراسية التي مرت بها الدروس الفقهية والاصولية والحديثية والرجالية وغيرها.

كان لاجتماعاتهم المتكررة منذ عام ١٣٤٥ هـ الى عام ١٣٥٤هـ على يد مؤسس واضع بذرة المنتدى الشيخ محمد رضا المظفر(قده) الذي هو من اوائل مثقفي النجف ورجال حوزتها الذين احسوا بالخطر المحدق بأمتهم واستشعروا فداحته فدقوا نواقيسه لإيقاظ الهمم واستنهاضها العزائم وتلمسوا الداء بدا يستشري والخرق الذي اخذ يتسع، تأسست جمعية منتدى النشر وكان لاسرة ال بحر العلوم ركن فيها متمثلة بالسيد موسى بحر العلوم الى جانب الهيأة التأسيسية الاولى المتمثلة:

١ ـ الشيخ محمد رضا المظفر.

٢ ـ السيد يوسف الحكيم.

٣ ـ الشيخ جواد قسام.

٤ ـ السيد هادي الفياض.

٥ ـ الشيخ عبد الهادي حموزي.

٦ ـ السيد محمد علي الحكيم.

وقدموا هؤلاء طلبا الى وزارة الداخلية في ٤ شوال ١٣٥٣ هـ المصادف ١٩٣٥/١/١٠ وقد ارفقوا معه نظام الجمعية الداخلي وبعد اللتيا واللتي وافقت وزارة الداخلية بكتابها المرقم ٩٥٧٧ في ٥ صفر ١٣٥٤ هـ وقد ارّخ هذا التأسيس الشيخ محمد حسين يونس المظفر بقوله:

يا بنفسي عصابةٌ أخذتهُم ... غيرةُ الدين مُذْ رأوه تفرنج

فأقاموا لواءَه لبنيه ... فهو من طيبِ نشرهم يتأرّج

بلوا ديننا الحنيفيّ أرّخ ... (منتدى النشرِ جاءَ للحقِّ مَنهج)

وبعد ذلك قررت الهيأة العامة ان تجتمع لأول مرة في انتخاب مجلس ادارة في عصر يوم الخميس ٢٧/ صفر ١٣٥٤ هـ في دار السيد موسى بحر العلوم والتي استؤجرت بعد ذلك مركزا للمنتدى.

كان هذا المنتدى يمثل نقلة نوعية في حياة النجف المعرفية، فقد قام

القائمون عليه بوضع مبادئ، واهداف، ووسائل، فالمبادئ جمع مبدأ من حيث الصناعة الصرفية اسم مكان البداية وهي المشروع في الشيء وعرفها ابن منظور بقوله:والبدء فعل الشيء اوله اي بدأ به لذا قيل مبادئ العلم او الفن او الخلق او الدستور او القانون هي قواعده الاساسية التي عليها لا يخرج عنها.

والمبادئ التي قررتها جمعية منتدى النشر والتي ترتكز عليها اهداف المنتدى وخطط اعماله هي مبادى الاسلام نفسها او لنقل ان للمنتدى مبدأ واحدا لا يميد عنه هو ((الاسلام)) ما لهذه الكلمة من معنى واسع، فلذلك استهدف في كل اعماله خدمة هذا المبدأ القويم.

اما الاهداف: ـ مفردها هدف وهو النتيجة التي يرغبها الشخص، او المؤسسة، او تصوّر، او تخطيط، وتركيب النظام لتحقيق رغبة شخصية او تنظيمية

وقد وَضَعَ المنتدى نصب عينيه اهدافا معينة للسير عليها من يوم تأسيسها يجمعها نص المادة الثالثة من نظامه الاساسي ((مقاصدُ المنتدى تعميم الثقافة الاسلامية والعلمية بواسطة النشر والتأليف وغيرها من الطرق المشروعة التي بينها مجلس الادارة ويعتني بها عناية خاصة بأحياء اللغة العربية الفصحى على ان يتم ذلك كله وفق احكام القوانين المختصة))

ويمكن تفصيل الاهداف وفق الاتي:

١. تنظيم الدراسة الحديثة لثلاثة اغراض

أ ـ تقريب الطالب الديني الى الغاية الكبرى وهي الاجتهاد

ب ـ اعطاء المتخرج من المعاهد الدينية افقاً اوسع من المعلومات التي تقتضيها هذه العصور

ت ـ تهيئة المتخرج كاتباً وخطيباً ليستطيع ان يبلّغ رسالةَ الدين

٢ ـ تنظيمُ حياة رجال الدين ورفع مستوى حياتهم الاقتصادية لغرض الانصراف الى تحصيل العلم والدعوة الى الدين وبقاء عزهم فيهم

٣ ـ رفع مستوى المركز العلمي والديني بالنجف الاشرف والمحافظة على مالها من مرجعية عالمية في الرجوع الى التقليد

٤ ـ نشر الثقافة الدينية العامة والدعوة الى الاخلاق الاسلامية الصحيحة

٥ ـ رفع المستوى الاخلاقي بين طلاب العلوم الدينية والدعوة الى العدالة الصادقة

٦ ـ خدمة اللغة العربية الفصحى وآدابها وتعميم الكلام بها

٧ ـ نشر وطبع الكتب النافعة طبعا سليما متقنا

هذه الاهداف هي في الواقع صياغة دقيقة لأهداف قد تنسجم اليوم بما يسمى بالجودة والاعتماد الاكاديمي التي تحقق الرؤية والرسالة لأي مؤسسة تسعى في المحافظة على نجاحها

غرست هذه المبادئ ء في شخصية (السيد محمد بحر العلوم) وتربى في هذه الاجواء فسارع الى الالتحاق مع كوكبة من طلبة الحوزة العلمية بـ(كلية منتدى النشر) والتي يقول عنها:

((كلية منتدى النشر التي كان يرمي من خلالها الشيخ المظفر مزج مناهج الحوزة النجفية بدراسات اكاديمية تلبية لحاجات ماسة تقتضيها حاجة طلاب الحوزة العلمية النجفية بغية ان ينسجم طالب العلم مع ظروف العصر المتطور، ومهمة رسالة طالب العلم هذه الكلية تمثلت ببذرتها الاولى ((كلية الاجتهاد)) والتي انشئت بعد ان قرر ادارة مجلس منتدى النشر الثاني المنتخب في ١ ربيع الاول ١٣٥٥ هـ ان تضطلع بهذه المهمة

كانت هذه الكلية عبارة عن مدرسة عالية للعلوم الاسلامية وكانت العلوم التي تدرّس في هذه الكلية هي:

١ ـ علم الفقه الاستدلالي

٢ ـ اصول الفقه

٣ ـ تفسير القرآن الكريم

٤ ـ الفلسفة

وتبرّع العالمان: ـ الشيخ عبد الحسين الحلي بتدريس الصف الاول والثاني، والشيخ عبد الحسين الرشتي بتدريس الصف الثالث والرابع، وكان تبرع هذين العلمين بالتدريس في منتدى النشر بدراسة منظمة من اهم الاحداث في تاريخ منتدى النشر بل النجف الاشرف ويعد تضحية نادرة منها نذكر مدى الدهر بالتقدير والاعجاب بروحها الاصلاحية ولربما كان التخطيط لكلية الاجتهاد او ما بعدها (كلية منتدى النشر) يدخل في خلد المؤسسين ومجلس ادارة الجمعية لعدة امور:

اولًا: ـ مواكبة المناهج الدراسية للعصر اذ لم تعد المناهج الموضوعة كافية لمقاومة التيارات الفكرية المنحرفة القادمة الى المجتمع، اذ لم تعد المناهج القديمة كفيلة في التصدي الى تلك التيارات.

ثانياً: ـ العمل على تنظيم الدراسة تنظيماً يختزل فيه الزمن، ويدرك الطالب فيه مدركه بأسرع وقت واقل جهد.

ثالثا: ـ تبسيط الكتب الدراسية وتحويلها من الطريقة التقليدية البحتة الى الطريقة الاستقرائية قدر المستطاع، وذلك فيما يخص كتب المبتدئين فان الكتب الدراسية على الطريقة الاولى المتعارفة، على ما فيها من الدقة والعمق في المعارف، لا يوجدان في نظائرها من الكتب الدراسية في المعاهد الاولى، اضافة الى انخراط بعض منهم في جامعة القاهرة وهي الجامعة الاشهر في الوطن العربي والاعراق بين الجامعات الرسمية هذا كله جاء مؤثرا لتتبلور في المناهج العلمية الاسلامية وفق الترتيب الاكاديمي في هذه الكلية وكانت هذه المناهج مرتبة وفق ترتيب أكاديمي وممنهجه على مراحل دراسية، ومن المعلوم لدى علماء المناهج ان بناء المناهج من اكثر عناصر العملية التعليمية صعوبة وتعقيدا من حيث التقويم وذلك بسبب عدم ظهور نتائج في كفايتها الا بعد مدة زمنية، وان عملية بناء المناهج تتم على اسس علمية وهي عملية معقدة نوعا ما اذ تضمنت عمليات فرعية دقيقة ومتداخلة احيانا كثيرة تضع في الحسبان المجتمع، وقيمه، ومعتقداته، وتطلعاته، ومشكلاته، والتحديات التي واجهها، من

جهة ثالثة حتى يصير المنهج نسيجا متكاملا محكم الحياكة وليس مجيئه خيوط مهلهلة.

دخل السيد بحر العلوم كلية منتدى النشر دورتها الثالثة رافقه معه جملة من الفضلاء منهم:

١ ـ احمد الوائلي.

٢ ـ محمود المظفر.

٣ ـ حسن شبر.

٤ ـ محمد جواد الصافي.

٥ ـ محمد جواد الغبان.

٦ ـ محمد القاموسي.

٧ ـ عبود الطفيلي.

٨ ـ عبد علي الكرماني.

٩ ـ عبد الحسين موسى التبريزي.

١٠ ـ كريم الازيرجاوي.

١١ ـ عبد المحسن الحكيم.

١٢ ـ عدنان البكاء.

١٣ ـ عبد الحليم البغدادي.

١٤ ـ حسين بحر العلوم.

١٥ ـ محمد حسن ال ياسين.

١٦ ـ محمد مهدي الخرسان.

١٧ ـ صالح الظالمي.

١٨ ـ عبد الصاحب دخيل.

١٩ ـ حسين الخرسان.

٢٠ ـ محمد تقي الصحاف.

٢١ ـ عبود الجابر.

٢٢ ـ محمد هادي المظفر.

٢٣ ـ محمد العاملي.

٢٤ ـ محمد المظفر.

٢٥ ـ علي الحكيم.

٢٦ ـ عبد الرزاق الطريحي.

٢٧ ـ هذه الثلة التي استطاع البعض منهم ان يترك اثرا علميا في الساحة الاسلامية.

المكونات المعرفية للسيد محمد بحر العلوم في منتدى النشر:

تعد المناهج الدراسية اهم مكوّن معرفي لطالبيها ودارسيها فهي القناة لمعرفتهم وتراكم خبراتهم العلمية لان العلمية التعليمية ما هي الا طالب يسعى للتعليم ومعلم يقوم بالتعليم ومنهج يُعلّم.

ومن هنا تدرك اهمية المنهج المدرسي في تحقيق الاهداف التربوية وهذا ما يجعل الدول المتقدمة توليه اهتماماً متزايداً على صناعة الحياة ومن ثم فأنها تولي تصميم المنهج وتنفيذه ومتابعته وتقوميه وتطويره اهمية قصوى تتناسب مع الدور الذي تقوم به في نهضة المجتمع وتقدمه من خلال تزويد الافراد بالمعارف، والمهارات، والاتجاهات، وانماط السلوك التي تجعلهم قادرة على التفكير العلمي والابداع المفضي الى انحاء المجتمع وازدهار الحياة الانسانية في عامة جوانبها، ومن نظرة فاحصة لكل المناهج التي درست في (كلية منتدى النشر) نجد اهميتها بما اثرته في معارف السيد بحر العلوم وزملائه وقد تعطي دلالات معينة فعلى سبيل المثال كانت هناك مادة (المطالعات) في كلية منتدى النشر في الاربعينيات وكانت المادة المقررة لمنهج المطالعات (كتاب كليلة ودمنة) لتقوية الطلبة على هذه العبارة ودقة اللفظ ومن

نظرة فاحصة لكل المناهج التي درست في كلية منتدى النشر وهي على النحو الاتي:

المادة الدراسية	استاذ المادة
علم الفقه	الشيخ محمد تقي الايرواني
علم الاصول	الشيخ محمد رضا المظفر
المنطق	الشيخ محمد صادق القاموسي
المطالعات	محمد تقي الحكيم
العربية	صالح نعمة
الحساب	محمد رضا الرياضي
علوم البلاغة	الشيخ علي ثامر
تجويد القرآن	مسلم الجابري
اصول التفسير	محمد حسين المظفر
التفسير	محمد حسين المظفر
الصرف	احمد المظفر
اصول الحديث	عبد الهادي مطر
الحديث	عبد المهدي مطر
المحفوظات	محمد سعيد مانع
العقائد وعلم الكلام	محمد رضا المظفر
التاريخ الاسلامي	محمد تقي الحكيم
الادب العربي	محمد جمال الهاشمي
علم الفلك	جليل العادلي
الانشاء	الشيخ محمد شيخ الشريعة

والملاحظ الى هذه الدروس موزعة على حسب المراحل الدراسية وهي ثلاث مراحل.

ونهض مجموعة من استاذة حوزة النجف العلمية بالتدريس في الكلية المذكورة وهم كل من:

١ ـ الشيخ ابراهيم حموزي

٢ ـ الشيخ حسين زائر ادهام

٣ ـ الشيخ صالح مهدي

٤ ـ الشيخ عبد الجليل العادلي

٥ ـ الشيخ عبد الهادي اسد الله

٦ ـ الشيخ علي القسام

٧ ـ الشيخ محمد تقي الايرواني

٨ ـ الشيخ محمد سعيد مانع

٩ ـ الشيخ باقر صادق القاموسي

١٠ ـ السيد جواد شبر

١١ ـ الشيخ عبد الله الشرقي

١٢ ـ الشيخ عبد الحسين الحجار

١٣ ـ الشيخ عزيز الحلفي

١٤ ـ السيد محمد جمال الهاشمي

١٥ ـ الشيخ علي ثامر

١٦ ـ الشيخ مسلم الجابري

١٧ ـ السيد محمد تقي الحكيم

١٨ ـ الشيخ محمد شراره

١٩ ـ الشيخ عبد المهدي مطر

٢٠ ـ الشيخ عبد الهادي حموزي

٢١ ـ الشيخ محمد شيخ الشريعة

٢٢ ـ الشيخ محمد رضا المظفر

٢٣ ـ السيد يوسف الحكيم

٢٤ ـ الشيخ محمد حسين المظفر

٢٥ ـ السيد محمد علي الحكيم

الأنشطة المصاحبة لكلية منتدى النشر:

ان من اهم الانشطة التي رافقت هذه الكلية وادركها سيدنا الفقيد هو تشكيل المجمع الثقافي فعندما شعر مجموعة من طلاب كلية منتدى النشر اساتذتها بحاجة ماسة الى تشكيل مجمع ثقافي يكون موئلا فنيا للجيل الجديد تطلع فيه القضايا الثقافية المعاصرة وتعقد فيه الندوات التخصصية وتشكل المجمع من اعضائه الخمسة:

١ ـ السيد عبد الحسين الحجار

٢ ـ السيد محمد رضا الحكيم

٣ ـ الشيخ صادق القاموسي

٤ ـ الشيخ مسلم الجابري

٥ ـ السيد محمد تقي الحكيم

لقد استمر هذا المجمع يعقد ندواته في دار الشيخ مسلم الجابري مدة ثلاث سنوات في ليلي الاحد والاربعاء من كل اسبوع حتى توسع مناهجه وكبرت برامجه فاجمعوا على الحاقه بجمعية منتدى النشر ونظموا اصوله وتشكيله وفق الاصول والضوابط بتاريخ ١٣٦٣/١٢/١٥هـ واصدروا بذلك مطبوع صغير تحت عنوان ((لجنة المجمع الثقافي)) في سبع صفحات طبع في مطبعة الغري سنة ١٣٦٣ هـ وقد اخذت هذه اللجنة على عاتقها رفع المستوى العلمي

والثقافي عن طريق انشر والقاء المحاضرات وقد تولى رئاسته الشيخ محمد حسين المظفر وعضوية كل من:

١ ـ السيد محمد جمال الهاشمي

٢ ـ الشيخ محمد سعيد مانع

٣ ـ الشيخ محمد صادق القاموسي

اضافة الى الاعضاء المؤسسين لقد بحث المجمع الثقافي المواضيع المتخصصة وطرح القضايا المعاصرة وادار الحوار والمناقشة على صعيد من التفهم والادراك الجيدين حاضر فيه ادباء النجف واعضاء المنتدى وقادة الفكر في العراق ويقول السيد محمد بحر العلوم عن هذا المجمع:

فقد اسس في النجف الاشرف المجمع الثقافي لمؤسسة منتدى النشر وفيه ظهرت الامكانات الفكرية، والطاقات الادبية، لعلماء وادباء النجف في الندوات التي كان يعقدها في كل اسبوع وكان يحاضر فيها عدد من الاعلام والادباء والشعراء واستمر هذا المجمع مواكبا لحركة منتدى النشر العلمية ومتبنيا الحركة الثقافية.

لقد هدفت لجنة المجمع الثقافي رفع مستوى الثقافة العلمية والادبية وخدمة المبادئ الاسلامية وذلك عن طريق التأليف والترجمة والنشر والمحاضرات واحداث الروابط الثقافية مع المؤسسات الاخرى.

ولعل ما يلحظ النشاط الثقافي هو:

اولا التأليف والنشر:

اذ اصدر المجمع مجموعة من الكتب الاتية:

أ ـ قام الشيخ محمد حسين المظفر بتأليف الكتب الاتية

١ ـ الشيعة والامامة

٢ ـ الشيعة وسلسلة عصور الاسلام

٣ ـ ميثم التمار

٤ ـ الامام الصادق

٥ ـ النقلات

ب ـ الف السيد محمد تقي الحكيم

١ ـ زارة ابن اعين

٢ ـ ابو فراس الحمداني

٣ ـ مالك الاشتر

٤ ـ شاعر العقيدة

ث ـ الف الشيخ محمد رضا المظفر

١ ـ المنطق

٢ ـ السقيفة

ج ـ الف السيد محمد جمال الهاشمي: الزهراء

د ـ اسس طلاب منتدى النشر مجلة البذرة ١٣٦٧هـ

هـ ـ السيد محمد علي الحكيم / دروس في علم النحو ١٣٥٦هـ

وـ الشيخ علي ثامر دروس في علم البلاغة

ز ـ اسبوع الامام مجموعة محاضرة القيت بمناسبة استشهاد الامام امير المؤمنين سنة ١٣٦١ هـ

ثانياً: إقامة المهرجانات وإحياء المناسبات:

واكب السيد بحر العلوم عدة من المهرجانات والمناسبات اثناء حركة المجمع الثقافي وجمعية منتدى النشر العلمية والثقافية التي كانت من قبل المعنين على شؤون المنتدى آنذاك ولعله تعد الفترة الذهبية لتلك المؤسسة ايام عميدها الشيخ محمد رضا المظفر

١ ـ المهرجان الفكري بعنوان ((اسبوع الامام)) ١٩٤٤ ـ ١٣٦٤

٢ ـ احتفال منتدى النشر بالأمام الحسين(ع) ١٩٤٩ ـ ١٣٦٩

٣ ـ الاحتفال التأبيني للشيخ عبد الحسين الرشتي ١٩٥٣ ـ ١٣٧٣

٤ ـ زيارة رئيس الوزراء العراق نوري السعيد لمنتدى النشر ١٩٥٣ ـ ١٣٧٣

٥ ـ الاحتفال التأبيني للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ١٩٥٤ ـ ١٣٧٣

٦ ـ تابين الشيخ محمد حسن المظفر ١٩٥٥ ـ ١٣٧٥

٧ ـ زيارة فاضل الجمالي ١٩٥٦ ـ ١٣٧٦

٨ ـ افتتاح بناية منتدى النشر احتفاء بالدكتور ضياء جعفر ١٩٥٧ ـ ١٣٧٦

٩ ـ الحفل التأبيني للسيد عبد الحسين شرف الدين ١٩٥٨ ـ ١٣٧٧

١٠ ـ الحفل التأبيني للسيد حسين البروجردي ١٩٦٠ ـ ١٣٨٠

السيد بحر العلوم ووفاءه لجمعية منتدى النشر

امتزج الوفاء بشخصية السيد بحر العلوم وهي قيمة عليا من قيم الانسانية فامتاز بمشاركته في حفلات التابين وكتابة المقالات وفاءً منه لأعضاء منتدى النشر وكانت مقالاته تتصف بصور الذكريات التي عاصرها معطيا صورا دقيقة عن المحتفى به، وتلمس منها صدق العلاقة والمرارة الصادقة والعطف الحقيقي والكلمات النبيلة ومن هذه الكلمات ما كتبه في كل من:

١ ـ الشيخ محمد رضا المظفر رئيس جمعية منتدى النشر وعميد كلية الفقه اذ قال فيه:

((المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر من رجالات الجامعة النجفية حريص كل الحرص ان لا يبقى طالب العلم الذي يتخرج من جامعة النجف العلمية فاقدا لكثير من العلوم التي تقتضيها حاجة الانسان المثقف في مثل هذا اليوم، كالرياضيات، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، والقانون، وامثال ذلك ومنذ ذلك لوقت افتتح الشيخ المظفر كليته منتدى النشر واستوعب لهذه الواسطة عددا من طلاب العلوم الدينية.

٢ ـ الشيخ علي ثامر: استاذ البلاغة العربية في كلية منتدى النشر. قال فيه مصورا خلال معاصرته له:

((نعى الناعي فقيد الفضل والادب (ابا حسن علي) فجلّلت اصدقاءه سحابة حزن، وطافت بمحبيه موجة اس، وروعت عارفيه اشباح الفاجع، واخذ على تلاميذه هول المصاب مفارغ التفكير، وامتداد الزمن.

وكنت احد اولئك الذين غمرهم هذا النبأ المؤلم، ومضّ بهم وضع الحادث الجلل، فقفز الى ذهني اكثر من سؤال، وارتسم امامي اكثر من استفهام، لماذا كل هذا الجزع؟ الان الفقيد تربطني به رابطة الوفاء والاحترام، باعتباره من اصدقاء المرحوم والدي، ام لأنه اب لإخوان لي اصدقاء اعزاء علي ام لأنه استاذي في كلية منتدى النشر الدينية سابقا.

انتهلتُ من بلاغته ما وسعني المقام، وتزاحمت الصورة في ذهني واحدة تلو الاخرى، كلها تحاول ان تكشف لي سر هذا الجزع واخيرا كان لا هذا ولا ذاك

انما هي صورٌ اخرى صورة معالم هذه الشخصية فترفعها هي نفسي وتشعرني بمدى الاسى التي المت بي.

واستعرضت الصورة فكانت الصورة الاولى من جوانب شخصيته صورة الانسان الفاضل الذي تحلّى بالعلم والفضيلة بعد ان قطع شوطا من حياته ينتقل في احضان الحلقات العلمية في جامعة النجف الاشرف يعبّ من نميرها ما يروي به نفسه المتعطشة لحب الفضيلة والعلم، فلمع نجمه في الاوساط العلمية انسانا فاضلا تشدوا به حلقات التدريس البلاغية خاصة واكبرت هذه الصورة ايما اكبار، ثم انتقلت الى الصورة الثانية من جوانب فقيدنا الراحل وهي صورة الانسان الاديب الشاعر في الندوات النجفية

يموّج الحركات الادبية، ويدير جلستها الشعرية، ويبعث فيها المساجلات الطريفة، ويثير وسطها المحاكمات الفنية والتي بمجموعها تدل على طول باع

في الادب، وعلى تمكن كبير في الشعر وسيطرت هذه الصورة على مشاعري اعجابا وتكريما

ثم لمحت صورة اخرى تزاحم اختها في العرض فجلت بنظري فيها بكل تعظيم تلك هي صورة الانسان الصامد من اجل فكرته وامانيه، والثابت المثابر على تحقيق الاهداف التي نادى بها، لا تهزه الهزائز ولا يصده صدى التهريج،

ويتجلى ذلك بموقفه المشرّف مع فكرة منتدى النشر فلقد واكب فقيدنا حركة المنتدى منذ بداية تأسيسه على وجه التقريب، عندما لمس اعضاؤه ضرورة ايجاد حركة علمية للشباب المتطلع للحياة من اهل العلم، يمزج بها القديم بالحديث، والماضي بالحاضر، بعد ان اصبحت متطلبات الحياة تقضي بهذا التلاقح العلمي بغية اعداد جيل ناضج يقبل على الانتهال من جامعة النجف الاشرف الدينية، ليؤدوا، رسالتهم على اكمل وجه فعمدوا عاملين بقيادة فقيد العلم والاسلام المرحوم الشيخ المظفر على تحقيق هذا المشروع الهادف فأسسوا كلية دينية، انتظم فيها الشباب من خيرة فضلاء جامعة النجف.

وكانت حصة فقيدنا في هذا المضمار تدريس العلوم البلاغية والتي اشتهر بها وتخصص فيها، ولم يقف طموح الصفوة من مؤسسي المنتدى على هذا القدر من العمل انما تسرب الى غير واحد من مجالات الاصلاح الاجتماعي والادبي، وكان فقيدنا في هذه المؤسسة لم يحده زمان حتى بعد ان غادر النجف الاشرف الى بغداد ليكون الى جنب اولاده كان يترصد اخبارها هذا المشروع الديني الهادف فكانه كان يعيش وسط المنتدى، وهو على بعد وهذا ان دل على شيء، فإنما يدل على عمق الفكرة التي يحملها وعلى مدى البطولة والسمو فيالتفكير والمثابرة في العمل نحو هذه المؤسسة، وركزت عيني في هذه الصورة الفذة ونفسي لا تريد مغادرتها، ولكن صورة رابعه قفزت امام ناظري لا تقل اهمية عن اخواتها ولا شانا عن مثيلاتها، تلك هي صورة المربي القدير لا ولاده وقد قيل سابقا ((الاولاد مرآةالرجل)) ورحم الله من صان الغيبة عن نفسه في حياته وبعد مماته.

وليس غرضي من هذا ان اكيل الحسنات من المدح والثناء لأنجاله الكرام، فلست من الهاوين لهذا السلوك ولا من الراغبين لهذا الطراز، ولكن الذي اعجبني منهم جانب شاخص وان كانت سجل جوانبهم محببه ذلك انهم ما ان تسلقوا السلم في الرفعة ونالوا الدرجات العالية في الحياة، الا انهم لا زالوا يشعرون انهم ابناء هذا البلد وانهم مدينون لهذا الوسط الديني ولهذه الحوزة العلمية بكل فضل ومنّه وهذا ما يكفيهم فخرا وشرفا

وما ذلك إلا غارسهم الأول فقيدنا الراحل قد اختار لهم هذا السلوك وعمل على تكريمهم بهذه الروح

ثم استعرضت الصور الباقية صورة الانسان المترفع عن النزول الى حضيض المادة والابتذال وصورة الإنسان الخير المتحلي بالخلق الكامل، والحب للخير، وغير هذا وذاك صور كثيرة، تزاحمت في مخيلتي كلها ترسم حياة هذا الفقيد الغالي باجلى مظاهر العز والاحترام، فعندها ادركت سر جزعي على هذه الشخصية وانها من اللمع النادرة، التي تستحق اللوعة والحسرة، فتعازينا لإخوانه الافاضل، وانجاله الاعزاء، وذويه المحترمين، ثم لمنتدى النشر رحم الله الماضين من قادته، واعوانه، ومؤيديه، وحفظ الباقين الباذلين مهجهم في تسيير هذا المشروع الديني الجديد، وشد ازرهم في عملهم وعوضنا ما يسد به الفراغ الذي احدثه فينا موت ابي الحسن وانا لله وانا اليه راجعون.

ح ـ السيد محمد تقي الحكيم

ومن وفائه لأستاذه السيد محمد تقي الحكيم ان اقام له تكريما خاصا اثناء رحلته العلاجية الى لندن واصدر كتابا هاما حول حركته الاصلاحية في النجف كتب فيه تلامذته، ومما قاله في حق استاذه السيد الحكيم:

((وسيدنا الراحل التقى منذ تحمله مسؤولية تغيير البرامج الدراسية لطلاب الحوزة العلمية في الجامعة النجفية وضع منهجا في عمله لكتابة موضوعات تناسب والتطور الزمني، ورغم مرهقات الايام وعواصف الاحداث التي اجتاحت الوطن الغالي ومدينة النجف خاصة فقد تمكن وهو رهن

الاعراض الصحية من اصدار بعض الكتب سواء في بحوث جديدة كاصدار الجزء الثاني ((المدخل لدراسة الفقه المقارن)) او اعادة النظر في بعض نتاجه السابق ولا شك ان هذا الموقف الانتاجي كان له اكبر الاثر في تدعيم الحركة الفكرية لمدرسة اهل البيت(ع)لتحقيق اماله العلمية ووفاء لأستاذنا فقد قرر الدراسات العربية والاسلامية اصدار دراسة شاملة عن شخصيته المعظم بقلم كبار تلامذة وعارفي فضله وتكريما واعترافا بهوده في هذا المضمار.

د ـ الشيخ محمد صادق القاموسي: ـ كان على صلة متميزة به لصفات حملها المترجم له علاقة واخوة صادقة اذ قال فيه ((تمتع الاخ القاموسي بقابلية جيدة انعكست على صلته بنا فاذا اردنا تدقيق هذه القاموسية لكل منا على انفراد نجد انه يشعر كل واحد منا انه صديقه لأكثر من الاخرين وهي صفة مهمة تمتع بها اخونا القاموسي معتمدا سلوكه وسعة صدره واخلاقه الفاضلة هذه الصفة المحببة تركت بيننا شعورا جيدا بالمحبة والاخوة له وهي خصيصة رائعة قل ان نجد لدى كثير من الناس ممن عرفناهم وعاشرناهم رغم الاحداث المرهقة والمشاكل العصيبة التي المت بنا ووجدناه اقرب الى نفوسنا من كثير من الاخوان الذين تعرفنا عليهم.

وفاء منتدى النشر للسيد بحر العلوم

اشارت مجلة النجف الصادرة عن جمعية منتدى النشر في عددها الرابع الصادرة في ١٩٦٠/١٠/١٥ عن نشر وقائع تابين والد الفقيد والمغفور له السيد علي بحر العلوم وقد حوى هذا العدد على مجموعة من كلمات المراجع واساطين حوزة النجف العلمية وشعراء ووزراء وسأقتصر على كلمات اساتذة منتدى النشر ممن جادوا بقرائحهم اتجاه الفقيد ووالده ووفاء وعرفانا فهذه قصيدة السيد محمد جمال الهاشمي ((ابا محمد))

بك الغري احتفى حباً وايمانا ... وفجَّرَ الالمَ المكبوتَ بركانا
وشاد باسمك تقديرا وتكرمةً ... وبثّ همَّك تقديساً وشكرانا
وهزّ سيفك وهو الحق ترعف من ... حدّيه شكواه احقاداً واضغانا

ابـا مـحـمـد والالامَ تـجـعـلـنـا رغـمَ الـتـبـاعـد سـمّـاراً ونـدمـانـا
نَـمْ هـادئـاً فـسـيـوفُ الـحـقّ أيـقـظـهـا ضـغـطٌ بـه انـتـفـض الـتـاريـخ اسـوانـا
وان مـيـدانـك الـمـحـزون تـغـمـره عـواصـفُ الـثـأر أولاداً وأخـوانـا
ومـن جـهـادك عـنـوانٌ يـقـدّسـه نَـشْءٌ لـه اتـخـذ الايـمـان عـنـوانـا

اما رئيس جمعية منتدى النشر وعميد كلية الفقه الشيخ المظفر كان وفاءه واضحا في كلمته اذ قال:

معبرا بكلمة صادقة وصف بها الفقيد ((وهكذا كان ابو محمد ـ واسفا عليه ـ قريبا خيره بعيدا مناله، ملتقى خطوط مختلف الطبقات، وهمزة وصل بين العامة والخاصة ومجمع ـ فضل للقريب والبعيد وموضع احترام للعدو والصديق، ومستشار رأي للصغير والكبير ومجلبة ثقه للقاصي والداني)).

وجاء بعده استاذ الادب العربي وقدم كلمة ذات طراز جميل واسلوب عالي في حياته تاريخ النجف اعاد الذكرى فيه الى عهد بديع الزمان الهمداني ومن هم على شاكلته من سراة الادب الرفيع

ولما جاء في الكلمة:

ها نحن يا ابا محمد نلتقي على ذكراك في يوم اربعينك لنجدد بك عهدا كنت وثاقه وقسمه وها نحن حضرنا نستحث الخطى لنتسم نسيما كنت روحه وريحانه فهل بك ان تطل وتشرق فقد ـ والله ـ طال تشوقنا اليك؟؟.

لقد كنت اول مجيب يوم ستصرفك داع، واول طالع يوم نتسابق الأعنة، فهل بك رد على نداء اخوانك الوالهين، وهل منك اطلالة تقر بها عيون المتشوقين؟؟

لقد انطفأ المصباح ولما يزل في السراج زيت، وتأطر الغصن ولما يزل في عوده رواء، وفل العضب ولما يزل في مضاربه مضاء، واطبق الكتاب ولما يتم بعد فصولا وابوابا، الخ ما قال.

بعد ما كانت قصيدة رائعة للسيد مصطفى جمال الدين برائعة من روائعه لتعبر مدى العلاقة الصادقة بينه وبين وين الفقيد

شـــرفـــاً يـــا ابـــا مـــحـــمّـــدَ، مـــن ... يـشـمـتُ قـالٍ فـغـيـرُك الـمـفـقـودُ
وخـــلـــوداً فـــلـــن يـــصـــرّحَ روضٌ ... عـبـقـتْ فـيـه مـنـكٍ هـذي الـوروُدُ
وعـزاءً تـربَ الـصـبـا والـهـوى الـبـكـرِ ... فـدونَ الـمـصـابِ هـذا الـقـصـيـدُ
لـم يـمـتْ مَـن نـمـاك لـلـمـجـدِ ... تـرعـاه فـتـرضـي طـمـوَحـه وتـشـيـدُ
والـربـيـعُ الـمـعـطّـرُ الـسـمـحُ لا يـبـلى ... وفـــي الـــبـــذر ســـرّه والـــخـــلـــودُ
قـد بـلـغـتُ الـمـصـابَ فـي الـثـكـل ... لـكـنّ بـيـانـي عـن الـوفـاء قـعـيـدُ
لـنْ يـوفـيّـك فـالـحـقـوقُ الـتـي ... أسـديـتَ يـعـيـا بـحـمـلـهـا ويـؤودُ
وعـــذيـــري ان الـــصـــداقـــةَ شـــيءٌ ... فـوق مـا تـدعـيـه هـذي الـقـيـودُ

وكان من رثاه ايضا استاذنا الدكتور الصغير بقصيدة جاء فيها:

مخاطبا السيد محمد هو واخوته:

اخـي (مـحـمّـدُ) يـا رمـزَ الـوفـاء ويـا ... شـبـا الـعـقـيـدةِ إنَ الـشـكـل زنّـارُ
لـئن مـضـى الـكـوكـبُ الـدريّ وانـطـفـأت ... لـشـعـلـة الـحـق اضـواءٌ وانـوارُ
فـأنـتَ فـي الـنـجـفِ الـمـيـمـون جـذوتُـه ... وجـذوةُ الـفـكـر إعـطـاءٌ وأثـمـار
عـزمُ الـشـبـابِ عـلـى كـفّـيـك جـذوتُـه ... كـالـسـيـفِ فـي حـدَّه..والـسـيـفُ بـتّـارُ
وفـي (عـلاء) و(عـزّ الـديـن) جـمـهـرةٌ ... مـن الـصـفـاتِ الـتـي تـسـمـو وتـخـتـارُ
ثـلاثـةٌ كـالـنـجـومِ الـزهـرِ خـلـفـهـمُ ... بـحـرُ الـعـلـومِ.. فـلـلآمـالِ تـيـارُ

المبحث الثاني: السيد بحر العلوم وكلية الفقه / جمعية منتدى النشر:

الحّ الشوق على اغلب خريجي كلية منتدى النشر في مواصلة طريقهم العلمي وذلك بالدخول في اول كلية رسمية في النجف الاشرف تعنى بدراسة العلوم الدينية في اواخر خمسينات القرن الماضي.

تأسست كلية الفقه عام ١٩٥٨ بعد غمرة مخاض عسير سواء ما كان داخل حوزة النجف العلمية والنظرة المختلفة لها او ما كان داخل منتدى النشر او ما تحيط ظروف البلد والنجف من ازمة التيارات والصراعات الفكرية آنذاك.

وقد كان لتأسيس كلية الفقه الدور الاكبر في صقل مواهب الكثيرين

وتعريفهم للعالم وارسالهم رسلا تجوب شرق البلاد وغربها بعد ما ادرك جملة من المعنين والغائرين على سمعة النجف العلمية والمحافظين على شهادتها العالية.

لابد من تغيير الاسلوب والمنهج في دراسة الحوزة الدينية من اجل مواكبة التطور الحاصل فلابد من اصلاح هذه المرحلة بعد معرفة صعوبتها.وقد اقتنع جملة من المعنيين بأمر النجف ان اصلاح هذه المرحلة الدراسية لابد ان يتقوم على المبادئ الاتية:

١ ـ توسعة المناهج الدراسية الى ما يشتمل حاجة الطالب الديني في هذا العصر بحيث يتلقى من العلوم ما يجعله قادرا على خوض الصراع العقائدي المعاصر بكفاية.

٢ ـ تنظيم الدراسة تنظيما يوفر على الطالب كثيرا من الوقت والجهد وتأسست بعد اللتي والتيا سنة ١٣٧٦ هـ واعترفت بها وزارة المعارف سنة ١٣٧٧ هـ فيما بعد وقد كان بهم مؤسسي هذه المؤسسة العلمية وهم صفوة من اهل العلم في النجف ان تشارك في اعداد جيل يجمع الى عمق المعرفة في مجال اختصاصه في علوم الشريعة واللغة العربية شمولية تتسع بجملة من ركائز الثقافة الحديثة التي يحتاج اليها العالم الديني في هذا العصر.

كان مدة الدراسة فيها اربع سنوات بعد الدراسة الاعدادية او ما هو بمستواها وقد وضع مؤسسها الشيخ محمد رضا المظفر قده وهو اول عميد لها رسالة الطالب واهدافه في هذه الكلية العريقة التي تنبأ عن وعي علمي عميق واستراتيجية واضحة فعنونها:

((على طالب كلية الفقه)):

١ ـ ان يتحلى بالروح الاسلامية العالية التي تتمثل في سلوكه مع الناس من الصدق والامانة والتواضع وحب الخير والايثار والعطف على الفقير وقضاء حاجة الناس واحترام اخوانه المؤمنين والابتعاد عن كل ما ينافي مع التعاليم الاسلامية.

٢ ـ ان يشعر بانه يتحمل رسالة الاسلام في هذا العصر المنجرف بتيار اللادينية فيجعل نفسه انموذجا صالحا للمسم الغيور على دينه وامته

ولا يسلك داخل المدرسة وخارجها سلوكا يتنافى مع هذه الرسالة حتى مثل الانتساب الى الاحزاب السياسية التي تتنافى مناهجها مع تعاليم الاسلام.

٣ ـ إن يتحلى بالروح العلمية الممتازة التي تتمثل في حب البحث والمعرفة، والحرص، على الاستفادة من أساتذته، والمواظبة، على حضور محاضراتهم ودروسهم.

٤ ـ ان يتحلى بالروح الطلابية الرفيعة م الشعور بالمسؤولية تجاه مدرسته ومنتسبيها من طلاب وأساتذة ومدرسين وموظفين، فيحرص على امتثال تعليمات المدرسة وأنظمتها وتأدية واجباته المدرسية، ويحرص ايضا على الابتعاد عن العنف والقول الجارح.

٥ ـ إن يتفهم رسالة الجمعية وكليتها حق الفهم فيوجه نفسه ويعدها الى القيام بأعظم واجب اسلامي وهو الارشاد وتبليغ تعاليم الاسلام واشاعتها في اكبر عدد ممكن من المواطنة بجميع الوسائل الخيرة الممكنة. كان اختبار الطلبة في بداية افتتاح الكلية ان يخضع الى لجنة لاختبار المتقدمين وكانت المواد التي يختبر بها الطالب على النحو الاتي:

١ ـ اللغة العربية بمستوى ألفية ابن مالك.

٢ ـ المنطق بمستوى حاشية الملا عبد الله.

٣ ـ الفقه بمستوى كتاب شرائع الاسلام.

٤ ـ الأصول بمستوى كتاب معالم الدين للشيخ حسن ابن الشهيد الثاني.

٥ ـ علوم البلاغة بمستوى كتاب المختصر او المطول للتفتازاني.

ودخل السيد بحر العلوم هذه الكلية في ١٩ رجب ١٣٧٨هـ المصادف ٢٩/ ١٩٥٩/١ وكان وابتدأ الدوام في يوم السبت في ٣١م١/١٩٥٩م، ومعه ثلة كبيرة

من الواعين من طلبة العلوم الدينية ليتخرجوا في عام ١٩٦٢ مرافقا لهذه الكوكبة والاعلام وهم كل من:

١ ـ احمد الوائلي.

٢ ـ احمد زكي تفاحه.

٣ ـ احمد شوقي الامين.

٤ ـ احمد القبيسي.

٥ ـ احمد الدجيلي.

٦ ـ تقي الخاقاني.

٧ ـ جعفر ابراهيم المهاجر.

٨ ـ حسين الخرسان.

٩ ـ حسين الصغير.

١٠ـ صالح ال الشيخ راضي.

١١ ـ صالح الظالمي.

١٢ ـ طالب الرفاعي.

١٣ ـ عبد الحسين الحجار.

١٤ ـ عبد الحميد الحر.

١٥ ـ عبد العالي المظفر.

١٦ ـ عبد المنعم الساعدي.

١٧ ـ عبد الصمد الكرماني.

١٨ ـ عبد الهادي الفضلي.

١٩ ـ عدنان البكاء.

٢٠ ـ محمد الازيرجاوي.

٢١ ـ محمد مهدي الاصفي.

٢٢ ـ محمد علي الايرواني.

٢٣ ـ محمد تقي التبريزي.

٢٤ ـ محمد علي المقدسي.

٢٥ ـ محمد علي الهجري.

٢٦ ـ محمد الصدر.

٢٧ ـ محمود الكوثراني.

٢٨ ـ محمود المظفر.

٢٩ ـ مصطفى جمال الدين.

٣٠ ـ مرتضى الحكمي.

٣١ ـ مسلم الجابري.

٣٢ ـ مهدي السماوي.

٣٣ ـ يونس المظفر.

حدثني استاذنا العلامة السيد عدنان البكاء (متعنا الله ببقاءه)) ان اكثر من مئتي طالب تقدموا للامتحان والذين قبلوا ٤٥ طالبا والذي تخرجوا ٣٤ طالبا اما بقية الطلاب فقد تخلفوا في مواصلة الدراسة

وتشير الوثائق الارشيفية المحفوظة لدي ان هناك من اخفق في الدراسة ومن الطريف ان ابنه يلقب بالقاب ما انزل الله بها من سلطان

وقد كانت المناهج المقرر لهذه الدورة في كلية الفقه على مدى السنوات الاربع والتي ساهمت في افضاء المنهجية الحديثة لفقيدنا في دراسة العلوم الاسلامية وهي على النحو الاتي:

النحو والصرف وقام بتدريسه الشيخ عبد المهدي مطر والادب العربي قام بتدريسه الدكتور عبد الرزاق محي الدين اللغة الانكليزية قام بتدريسه الدكتور

عباس الوهاب الفقه الامامي قام بتدريسه الشيخ محمد تقي الايرواني الفقه المقارن قام بتدريسه السيد محمد تقي الحكيم اصول الفقه قام بتدريسه السيد محمد تقي الحكيم والشيخ محمد رضا المظفرو اصول التفسير قام بتدريسه الشيخ محمد تقي الايرواني اصول الحديث قام بتدريسه الشيخ عبد المهدي مطر الفلسفة الحديثة قام بتدريسه الدكتور صالح الشماعو الفلسفة الاسلامية قام بتدريسه الشيخ محمد رضا المظفر علم النفس قام بتدريسه الدكتور احمد حسن الرحيم علم الاجتماع قام بتدريسه الدكتور حاتم الكعبي والتاريخ الحديث قام بتدريسه الدكتور فاضل حسين التاريخ الاسلامي قام بتدريسه السيد محمد تقي الحكيم التربية واصول التدريس قام بتدريسه الدكتور احمد حسن الرحيم والمنطق قام بتدريسه الشيخ محمد رضا المظفر هؤلاء الذين تخرجوا من الكلية هي صورتها الاولى كما تخرج بعد ذلك المئات من افاضل الطلبة اخذوا سبيلهم الى الحياة العامة فكان منهم من شغل المراكز العالية في بلده ومنهم من شغل مراكز القضاء او التدريس او الادارة وبعضهم من تخصص للدراسات والتدريس في الحوزة واكثر الكثير منهم مواصلة دراستهم العليا في الجامعات.

٣ ـ انشطة السيد بحر العلوم في كلية الفقه:

كشفت مجلة النجف الصادرة في كلية الفقه ابتداءً من العدد الاول في جمادي ١٣٨٢ تشرين الاول ١٩٦٢ عن نشاط ملحوظ للسيد بحر العلوم سواء اكان على المستوى الادبي وماسطره من اشعار وقصائد في هذه المجلة، ام على المستوى الثقافي من مقالات كشفت عن ثقافته في تلك المرحلة او من ابحاث علمية حازت مكانا في المكتبة الاسلامية فقد نشرت المجلة في عددها الاول خبرين:

الاول: ـ انتخاب السيد محمد بحر العلوم عضوا اداريا في جمعية منتدى النشر بعد حصوله على اكثرية الاصوات الى جانب كل من: الشيخ محمد رضا المظفر رئيسا والسيد محمد تقي الحكيم سكرتيرا والسيد هادي فياض مديرا

والشيخ احمد الوائلي امينا للمال والشيخ مسلم الجابري محاسبا والشيخ محمد تقي الايرواني والشيخ محمد كاظم شمشاد والسيد عبد الحسين الحجار والسيد باقر شبر

الثاني: ـ انجازه رسالته عن الكندي وتقديمها الى المطبعة وتقع ترجمة الكندي في مختلف مجالاتها الاجتماعية والنفسية.

اولا: ـ المجال الادبي:

ساهم السيد بحر العلوم في حقل ((موكب الشعر)) في مجلة الكلية وكانت اولى مساهمته قصيدة بعنوان ((ذهول الحرف))

لا تسلني
وسل الايام كم شدت عليا
واماتت نشوة الاحلام فيا
ومضت تقتلع النور بحقد صارخ من مقلتيا
ها هي الامال جدب في خيالي
وانزوت معصوبة الانجم بيضاء الليالي
وتلاشت مقل النور الى غير قرار
واذا بالضحكة البلهاء تعدو للروال
لم يجرني مرفىء الضوء ولأسحر الجمال
لا تسلني
وسل الاعصار كم هز وجودي
وانأ فيقفرة امضغ آهات القيود
وحيالي رهج الذل واشباح الفناء
وبأعماقي نداء الذكريات
تزرع الوحشة والوحشة تقتات حياتي.

٣ ـ نظم ايضا قصيدة ((الصدى الثائر)) وكان قد نظمها في ١٩٥٩/٩/٢٢ وبتوقيع ((ابو ابراهيم))

يجول على وطني ساهما
صداك السخي
ويوقظ في ناظري الاسى
بعيدا... بعيدا كرجع الصدى
عميقا كظل الدهور
وتخمد في افقي المعتم خيوط الضياء
وتغفو الزهور
وتذبل اوراقها الزاهية
ويجثو صداك
على تربتي
يحدث عن حالكات السنين
ويكتف عن ثورة لا هبة
وراء الظلام
وتحت الرمال وبين الجبال
حديث دفين

٤ ـ رسالة تخرج السيد بحر العلوم

طلبت عمادة كلية الفقه آنذاك بتقديم رسائل التخرج الى استاذي الفلسفة الاسلامية والفلسفة الحديثة وهما الشيخ محمد رضا المظفر والدكتور صالح الشماع والى استاذ الادب العربي الدكتور عبد الرزاق محي الدين لتقديم رسائلهم وقد دأبت مجلة النجف نشر هذه الرسائل تحت حقل رسائل الخريجين وهي على النحو الاتي:

١ ـ حرية الارادة بين الفلسفة والعقيدة / مصطفى جمال الدين

٢ ـ ابن سينا ضلال من حياته وثقافته العامة / الشيخ مسلم الجابري

٣ ـ الكندي جوانب من فلسفته / السيد محمد بحر العلوم

٤ ـ الفارابي ملامح من حياته وثقافته العامة / الشيخ عبد الحسين الحجار

٥ ـ موقف المغالطة السفسطائية من العقل والمنطق / السيد محمد الصدر

٦ ـ علم الكلام متى نشأ واين كانت النشاة واي جهة كانت السباقة الى التأليف / محمود المظفر

٧ ـ نظرية الحركة الجوهرية عند التألهين / مرتضى الحكمي

٨ ـ المبدأ الاول في الفكر اليوناني قبل سقراط / الشيخ عبد الهادي الفضلي

وقد نشرت رسالة السيد بحر العلوم مستقلة بعنوان ((الكندي الرائد الاول للفلسفة الاسلامية ومفخرة الفكر العربي)) الجانب التاريخي.

وقد طبعت الرسالة سنة ١٣٨٢ الموافق ١٩٦٢ في مطبعة النجف الاشرف وقد ساعدت جمعية الرابطة الادبية في النجف على طبعه بلغت عدد صفحاته ٢١٨ صفحة.

قدّم له العلامة الكبير محمد تقي الحكيم استاذ الاصول والفقه المقارن في الكلية

وقد كان ضمن مقدمته اشار الى ان الفضل الاول تعرف تاريخ الكندي ومعرفة فضله تعريفا تاما تعود الى السيد بحر العلوم ويقول السيد محمد تقي الحكيم عن هذه الرسالة مادحا كاتبها.

((اما الاخ بحر العلوم فقد وفّر في جهده القيم الى انا أ قرا خلاصة وافية لعشرات من المصادر التاريخية قديمة وحديثه تتصل اتصالا مباشرا او غير مباشر بالجانب التاريخي لهذا الفيلسوف وهو الذي تكلفت هذه الرسالة تجلية

واقعية وقد كانت رسالة الكندي تشتمل على تمهيد واثنين وعشرين مبحثا وكل مبحث يشتمل على عدة مطالب.

وقد برر السيد بحر العلوم سبب اختيار العنوان محددا مشكلة البحث يقول:

في السنة المنتهية من حياتنا الدراسية في كلية الفقه في النجف الاشرف الزمنا استاذا الفلسفة الالهية والحديثة بان يضع كل منا رسالة فلسفية تقدر على ضوئها مقدرتنا العلمية وترك لنا حرية اختيار الموضوع الذي تناوله على ان لا نخرج عن اطار الفلسفة.

وكان اختياره اختيارا مبنيا على ان يكون الكندي اول فيلسوف مسلم عربي قام بدور الوسيط بين المرحلتين الفكريتين الكلام والفلسفة اما ازدياد اهتمام السيد بحر العلوم للكندي كونه يعتبر مؤسس المدرسة الفلسفية الاسلامية والرائد الاول في عصر كانت الآراء الكلامية هي السائدة بما في اكثرها من فوضى واضطراب

وكان من ثمار هذه المدرسة جل عمالقة الفكر الاسلامي كالفارابي وابن سينا وابن رشد والخواجة نصير الدين الطوسي وصدر التألهين الشيرازي.

وقد ادرك السيد محمد بحر العلوم اهمية اختيار هذه العنوان انسجاما مع احتفالات الذكرى الالفية لبغداد مدينة السلام والكندي اول فلاسفة العرب والاسلام وقد عقدت هذه الاحتفالات في المدة الواقعة بين ١ ـ ٨ كانون الاول ١٩٦٤ وتشير بعض الادبيات ان احتفالات بغداد والكندي ابتدأت في الاول من كانون الاول صباحا ومساءً في قاعة الشعب بفيض من البحوث والمحاضرات عن بغداد دار السلام وحاضرة الاسلام وعن الكندي الممهد للفلسفة العربية والاسلامية في القرن الثاني للهجرة وعاشت بغداد اياما زاهية اعادت ماضي الف زاهر بالعطاءات الكثيرة.

ويقول السيد بحر العلوم:

((وحرصا مني على استغلال مناسبة الذكرى الالفية لفيلسوفنا التي ستقام

ببغداد في هذه الايام فقد قررت ان اقدم الجزء الاول للقراء مشاركة في تمهيد ذكرى اول مسلم عربي مهد للفلسفة سبيل الانتشار بين العرب في ظل الاسلام وهو الذي وجه الفلسفة الاسلامية في وجهتا فسارت في سبيلها على ايدي تلامذته ومن اخذ عن تلامذته كانت مباحث الرسالة تتكون من:

١ ـ اسرة الكندي وفيه تسعة مطالب

٢ ـ ولادته ووفاته وفيه سبعة مطالب

٣ ـ نشأته وثقافته وفيه سبعة مطالب

٤ ـ عقيدته

٥ ـ علاقته بالخلفاء العباسيين

٦ ـ الجاحظ والكندي

٧ ـ مع المؤرخين والكتاب

٨ ـ في ميادين المعرفة

٩ ـ الترجمة ودوره فيها

١٠ ـ هل الكندي شخصية فلسفية

١١ ـ الرياضيات واثرها عنده

١٢ ـ في عالم الطب

١٣ ـ الكيمياء

١٤ ـ البصريات

١٥ ـ الفلك

١٦ ـ الجغرافيا

١٧ ـ اثاروه العلمية مؤلفتاه

١٨ ـ هل كان الكندي اديبا

١٩ ـ نهاية المطاف

وقد استخدم السيد بحر العلوم في هذا الكتاب (١٥٩) مصدر لدراسة المطالب اعلاه بالدقة والتمحيص.

ثانيا: اضواء على قانون الاحوال الشخصية:

داهم العراق ابان فترة نهاية الخمسينات المد الاحمر الذي اجتاح العراق من اقصاه الى أقصاه ودعوة النجف ومرجعيتها الحكيمة التي استطاعت إن تعيد الوضع الاسلامي الى هيبته في هذا البلد ولولا الفتاوى الخالدة التي اطلقها الامام الحكيم قده لكان الامر الى ما لا يحمد عقباه وصادف في هذه الفترة التي يطلق عليها ((المد الاحمر)) ان انجزت الدولة العراقية وراءه واصدرت القوانين التي تخالف الشريعة الاسلامية

ومن بين ذلك صدور قانون الاحوال الشخصية رقم (١٨٨) لسنة ١٩٥٩ فانبرى السيد محمد بحر العلوم رادا على هذه القانون بمؤلفه ((اضواء على قانون الاحوال الشخصية)) والذي نشرته مجلة النجف بعددها السابع في ذي القعدة ١٣٨٢هـ نيسان ١٩٦٣.

فقد ذكر السيد محمد بحر العلوم:

ثار المخلصون من العلماء وقتذاك مستنكرين اصدار مثل هذا القانون لمخالفة الكثير من مواد للشريعة المقدسة وبعده عن الموازين الدينية فضلا عن كونه لا يشمل من الاحكام المتفق عليها الا القليل وهي مخالفة صريحة لأسباب الموجبة للتشريع ورغم المحاولات العديدة مع الحاكمين حول وجوب عدم الاخذ بهذا القانون وتفهيمهم بان هذا العمل لا يخرج عن حقيقة ثابته في تجانيه الصريح بما ينص عليه القانون الاساسي لجمهوريتنا من ان دين الدولة هو الاسلام والخروج عن الاسلام بتشريع هذا القانون هو خرق لنص الدستور واثار السيد بحر العلوم الى اطلالة ثورة ١٤ رمضان فأثارها العلماء من جديد وقد استجابت قيادة الثورة استجابتهم لاهم مطلب شعبي آني وهو اعادة النظر بهذا القانون عما ترك شعب العراقي المؤمن بعقيدته بعيش ايام الانتظار في حلم لذيذ.

واثار السيد بحر العلوم الى ان الحكومة اصدرت تعديلا مساء ٢٣ شوال ١٣٨٢ الموافق ١٩/اذار ١٩٦٣ وكان يتضمن طرفا من اعادة الثالثة عشر والتي تنص على تحريم الزواج بأكثر من واحدة دون اذن القاضي والغاء المادة الرابعة والسبعين المتعلقة بأحكام المواريث وابدالها بمادة تتعلق بحكم المواريث انسيابها مع احكام الشريعة المقدسة.

وقد صرح السيد بحر العلوم ان الالغاء بهذا الاتجاه كان من ناحية احكام المواريث كما ان في الوقت نفسه وفعت عمادة كلية الفقه برقية استنكار لهذا الامر

وقد بحث السيد بحر العلوم هذا القانون مشكلاته من جهات ثلاث:.

١ ـ مخالفة القانون للدستور المؤقت للجمهورية العراقية

٢ ـ سن مثل هذا القانون تحديد لطبيعة القاضي الشرعية

٣ ـ معارضته الكثير من مواده للآراء المذاهب الاسلامية.

المبحث الثالث: السيد بحر العلوم وكلية الفقه جامعة الكوفة:

بعد ازاحة الكابوس الجاثم على صدر العراق في نيسان ٢٠٠٣ تجددت الآمال في عودة الحياة الى العراق ولا سيما الحياة العلمية للدراسة الدينية بعد ان لاقت الامرين وفقدت ما فقدت من اعلام وعلماء خلال فترة ثلاثة عقود ونصف من الزمن.

وقد كان الامل يراود استاذة كلية الفقه امثال الاعلام الاستاذ المتمرس الدكتور محمد حسين الصغير والاستاذ الدكتور حسن الحكيم والعلامة السيد عدنان البكاء والدكتور محمود المظفر وغيرهم ممن كان في دار الغربة امثال الدكتور محمد كاظم البكاء والدكتور صباح محمد كريم كلو والدكتور سعيد الزبيدي.

وقد كان الامر يراود المعنين على رئاسة جامعة الكوفة وعلى رأسهم

الاستاذ حسن الحكيم في السعي حثيثا الى اعادة كلية الفقه الى الجامعة وبالفعل عادت الى الجامعة في العام ٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤ وقد اعيدت اليها واقتناء الصرف ان يتم افتتاح كلية الفقه على يد الفقيد السيد بحر العلوم في مطلع العام الدراسي ٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥ وكان قد قرر ان يكون الافتتاح لهذه الكلية بمحاضرة عن ((جامعة النجف الاشرف العلمية ربط الحاضر بالماضي)) القيت هذه المحاضرة في رئاسة جامعة الكوفة بتاريخ ٢٠٠٤/١٠/١٠ الموافق ٢٤ شعبان ١٤٢٥هـ وقد جاء في المحاضرة: ـ حين نتحدث عن النجف ذي الاصالة التاريخية والعلمية لابد ان نتعاطى مع سمك جانب من هذين الرافدين ربما يوضح عمق الاصالة وافاق المعرفة وفاء لهذا الصرح الشامخ الذي تربينا في احضانه وتوسدنا رماله ساعات وايما كانت لنا؟؟؟ الحياة الذي نشد عودنا ونمى لصيرتنا وضاء بصرنا ومدنا من عطائه ما هيا لنا ديمومه الحياة في حلنا وغربتنا.

أ ـ النجف معهد ائمة الهدى من ال البيت المصطفى.

ت ـ النجف بعد عهد الائمة ثم كشف الاجابة عن لماذا اختار الشيخ الطوسي لمدرسته النجف الجديدة بعدها اقر جدلية الى ان الطوسي مؤسس الجامعة العلمية في النجف واستعرض حياة الشيخ الطوسي الموسوعية مبينا ادوار جامعة النجف العلمية معرجا الى انتقالات الجامعة بين النجف وكربلاء وسامراء والنجف مرة اخرى.

ثم ختم الحديث بمشروع الشيخ المظفر لتطوير الجامعة العلمية.

وقد ذكر حقيقة تاريخية قد يجهلها الكثيرون بعد ارتحال الكثير من المعاصرين لمشروع المظفر (قدس) وماحوله من ملابسات حول تأسيس الكلية من ان هذه المشروع لم يندل الاجازة الرسمية في العهد الملكي لكن كان ذلك في العهد الجمهوري وخلا زيارة الامام الراحل السيد محسن الحكيم الى بغداد للاستشفاء تشاء الصدفة ان يزور عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء العراقي وزعيم الثورة العراقية السيد الحكيم في المستشفى للمعالجة وكان المرحوم

الشيخ المظفر من جملة زائري السيد في ذلك اليوم وحين استقر المجلس بالزعيم تناول الحديث الشيخ المظفر مطالبا رئيس الحكومة حينذاك بكلية اهلية في النجف ولم يعترض احد على الطلب ووعد عبد الكريم بذلك خيرا واوعز الى رئاسة الجامعة بتنفيذ الطلب وكان رئيسها في ذلك الوقت الاستاذ الدكتور عبد الجبار عبد الله وفعلا حقق ذلك وقد لخص سماحة السيد الفقيد اهم نقاط نجاح مشروع الشيخ المظفر بالنحو الاتي:

١ ـ انه يتبنى في الواقع تطوير الحوزة العلمية التي بقيت زمنا طويلا تقليدية على طابعها القديم الذي قد لا ينسج مع متطلبات العصر الذي ينمو من وراء التغير العام الاساليب التي تفرضها طبيعة المجتمع وتطور الانسان وهي قضية لابد من ان يستوعبها المسؤولون في الجامعة النجفية اليوم.

٢ ـ ان كلية الفقه تمكنت من تخريج جماعة من الحوزويين الاكاديميين رفدوا المكتبة العربية والاسلامية خلال دراساتهم ببحوثهم التي عبرت عن اصالة المدرسة النجفية.

٣ ـ كما استطاعت كلية الفقه تحقيق النقلة في الخطاب الحوزوي وتدفعه الى المعاهد الاكاديمية في داخل العراق وخارجه وبذلك تمكنت من كسر الطوق الذي احبط بنشر افكار الجامعة الدينية النجفية.

٤ ـ ان المشروع ادعى الى تطوير مناهج الفكر الشيعي وتدريسي في المنطق واصول الفقه المقارن.

٥ ـ انها اتاحت الفرصة للحوزويين للتعرف على العلوم الاخرى في المجتمع في مجالات السياسة والتاريخ والفلسفة والرياضيات وغيرها من العلوم التي رفدت بأفكارها الحديثة الطرف الاخر ويلخص السيد بحر العلوم يعد هذا كاله الى اعطاء صورتي حول موقف المرجعية الدينية من مشروع الشيخ المظفر فيقول:

ان المرجعية الرشيدة في حينة كانت على توافق مع المشروع المظفر في

اهداف الكلية وضرورة تطوير الحوزة ورقدها بعناصر كفوؤة من خبرة كوادرها العلمية لإنجاح المشروع ولم يقتصر دعم المرجعية على الجانب الحوزوي وانما تعدى الى الجانب المادي وهي دائما ترفد الى عمل بنهي الى دفع الحوزة العلمية.

السيد بحر العلوم وانشطة كلية الفقة:

كنت قد رزقت ايام الدراسة عشق كلية الفقه وتتبع اثار اساتذتها واخبار خريجها وقراءة مناهجها كما هو حب مدرسة النجف العلمية والذي غرس في نفوسنا للطبيعة الاسرية والعقائدية التي جبلنا عليها.

وفي تعييني في كلية الفقه بعد اعادتها في العام ٢٠٠٥ حاولت جاهدا تجديد العهد بهذه الكلية فكنت اخطط استراتيجية بعيدة المدى منها خمسة اساسية استطعت ان احققها

١ ـ وضع مناهج لكلية الفقه وفق رؤية ورسالة الكلية واهدافها وبما ينسجم في تحقيق الاضافة المعرفية للطالب وبما يحقق الهدف الرئيس من تأهيل الطالب لحضور الدروس العالية في حوزة النجف العلمية

٢ ـ عزل قسم القرآن الكريم والحديث الشريف في الدراسات العليا عن قسم الفقه واصوله واعطائه العنوانات المناسبة لكلية الفقه في جامعاتها العريقة بغية تحيزه واعطائه الدور الاكبر كونه سيرفد الجامعة العلمية بأبحاث جديدة ومبتكرة

٣ ـ كان هذا القرار بعد ان اقنعت استاذنا العلامة الدكتور محمد حسين الصغير ولإظهار ما يجب عليه ان يكون القسم سيما وان الاعلام السابقين في مادة الفقه واصوله وعلم الكلام والعقيدة والفلسفة امثال الشيخ محمد رضا المظفر والسيد محمد تقي الحكيم والشيخ احمد البهادلي قد اغلقوا الباب من بعدهم في الاثر العلمي الذي تركوه مما اتعب من جاء من بعدهم ان يحيى هذه الاثار فكان لزاما علينا بعد ان قدم الدكتور الصغير الدراسات القرآنية بعشرة

اجزاء ان نؤسس هذا القسم وان نسعى لتقديم موسوعة الدراسات الحديثة الجامعية

٤ ـ إحياء المهرجانات والندوات التي تتعلق بتراث مدرسة النجف العلمية واحياء ذكرى علمائها واساتذتها الافذاذ.

٥ ـ تأسيس قسم الحديث الشريف ووضع مناهج متكاملة عدة اربع سنوات بما يقرب اكثر من ٤٠ مادة دراسية ضمن دراسة قدمتها في ٢٠١٣/١/٣١ وقد صدرت وزارة التعليم العالي موافقتها في ذلك وبذلك قد اديت رسالة قد رسمت منذ سنوات في تحقيقها وارساءها ضمن ساحة الجامعة.

٦ ـ خلق جيل كبير من استاذة علم الحديث في جامعة الكوفة وتربيتهم حديثيا ليسدوا فراغا ولينذروا طلابهم الى رجعوا اليهم وقد وفقت في ذلك في اعطاء العنوانات والتدريس والاشراف في ذلك وقد كنت دؤوبا في كل سنة دراسية ان اقدم نشاطا فكريا وعلميا احي فكر مدرسة، او علم من اعلام هذه الحوزة العلمية مستغلا وجود سيدنا بحر العلوم واساتذة كبار قد شارفوا على نهاية الخدمة الرسمية في الجامعة، فكنت اتسابق مع الزمن لإظهار هذه الانشطة وتوثيقها وكان لسيدنا بحر العلوم الحضور الاكبر في هذه الانشطة وسأتعرض لبعضها ايجازا تاركا التفاصيل في كتاب اوسع من ذلك.

١ ـ تكريم الرواد الاوائل من خريجي واساتذة كلية الفقه القدامى وذلك في كانون الثاني عام ٢٠٠٦ وقد صدرت لهم شهادة تقديرية موقعه من د. صباح عنوز عميد الكلية والاستاذ الدكتور حسن الحكيم رئيس جامعة الكوفة والاستاذ المتمرس الدكتور محمد حسين الصغير رئيس مجلة الدراسات العليا

٢ ـ في يوم ٢٠٠٦/٤/١٦ عقد اول مؤتمر في كلية الفقه وكان تحت شعار ((مدرسة النجف عطاء ابداعي واشعاع علمي متواصل)) والذي كان عنوانه ((مدرسة النجف الاشرف ودورها في اثراء المعارف الاسلامية)) وكنت قد قدمت ذلك المقترح بمناسبة صدور اول اجازة علمية في النجف الاشرف وهي ماتعرف باجازة(ابن الخمري) وكان السيد بحر العلوم قد دعا الى هذا المؤتمر

الذي تعود فكرته وللتاريخ له وكان شددي الحرص قدس ان يحضر هذا المؤتمر ويشارك في بعض جلساته بمداخلات مهمة وقد حاولت جاهدا واخوتي في العمادة ان يصدر هذا المجلد وهو باكورة اصدارات كلية الفقه للمؤتمرات يحتوي على مجموعة جديدة من البحوث التي تطرقت الى مدرسة النجف العلمية بمشاركة نخبة من الحوزويين والأكاديميين والأدباء.

٣ ـ وحين أقامت كلية مؤتمرها الاستذكاري الاول لأستاذ الجيل السيد محمد تقي الحكيم في ٢٠٠٦/٤/٢٨ كان انطلاقه هذا المؤتمر بحضور السيد بحر العلوم الذي سبق ان كرم السيد محمد تقي الحكيم في لندن حينها اصدر كتابا كاملا عن السيد محمد تقي الحكيم وجهوده الاصلاحية في النجف.

٤ ـ كان للسيد بحر العلوم مبادرة هي الاولى من نوعها في تكريم طلبتها من خريجي الدراسات العليا الدفعة الاولى وفي حينها تم عقد الاجتماع مع الدكتور الصغير والسيد رئيس جامعة الكوفة الاستاذ الدكتور عبد الرزاق العيسى والسيد عميد الكلية وكان اقتراح الدكتور الصغير والسيد رئيس الجامعة بان يكرم السيد بحر العلوم هؤلاء المتخرجين العشرة الاولى الذين ناقشوا رسائلهم وكان المؤتمر التكريم هذا وقد اقيم ٢٠٠٦/٧/٢١ وكان تكريم السيد بحر العلوم للطلبة الخريجين بدوره ((منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة)).

٥ ـ اقترح سماحة العلامة السيد محمد صادق الخرسان علينا في درسه العالي في الحديث الشريف ان تكرم شخصية استاذ الفقهاء والمجتهدين (الشيخ حسين الحلي) فحملت هذا المقترح الى عمادة الكلية ووافقت وتم مفاتحه السيد بحر العلوم بهذا الامر ورحب ترحيبا كبيرا كونه الاب الروحي له وصدر الامر الاداري على ان يكون المؤتمر مشاركة بين؟؟ الفقه ومركز النجف للدراسات والبحوث وفعلا وقد القى كلمة السيد بحر العلوم نجله العلامة السيد محمد علي بحر العلوم معنونة ((في ذكرى شيخ الفقهاء الشيخ حسين الحلي)) وقد جاء في تلك الكلمة ((وان احياءنا لمثل هذه الشخصية هو احياء

لكل ما حملته من مثل ومعان انسانيه قد نحتاجها في عصرنا الحاضر الذي ارتفع عنه الكابوس فبات يحلم نهضته علمية واسعة الجوانب تحلا العديد من الثغرات التي نشأت جراء الكبت والاضطهاد والقتل والتشريد الذي الّم بالعديد من رجالات الحوزة العلمية وقد اخذ مركز النجف للثقافة والبحوث على عاتقه ان يكون من اهم مسؤولياته احياء ذكرى هذه الشخصيات وهو اهم الاعمال التي يضطلع لما لها من اهمية في تعريف الجيل الجديد برجالات عاشت خلف الكواليس.

٦ ـ وفي الفترة من ٣ ـ ٢٠٠٦/١٢/٤ اقامت كلية الفقه مؤتمرها العلمي الثاني بالتعاون مع بيت الحكمة تحت عنوان ((الاسلام والخطاب الحضاري)).

٧ ـ وفي ٢٠٠٧/١١/٢٦ اقامت كلية الفقه مؤتمرا تكريما للدكتور صالح الظالمي وكان السيد بحر العلوم اول المشاركين في هذا المؤتمر بمحاضرة قيمة مازالت اتذكرها ويتذكرها كل من حضر المؤتمر هذا بمحاضرة قيمة مازال يتذكر روحها وروحيتها كل من حضر المؤتمر وكان عنوانها ((الظالمي ترب الصبا ورفيق المشوار الطويل)).

وقد استعرض الذكريات معرجا على كيفية وخولهم في كلية الفقه ويقول ((في هذه الفترة طرح المرحوم شيخنا الامام المصلح الشيخ محمد رضا المظفر مشروعه التثقيفي بتأسيس ((كلية الفقه)) في النجف الذي كان يخطط له منذ الاربعينيات في دعواته المتكررة بإنشاء كلية تجمع بين العلوم التقليدية الحوزوية والعلوم التي توصل المتخرج الى اقتحام الميدان التبليغي في العالم المتطور وربما يحقق هدفه الفكري الثقافي وحيث كانت اهتمامنا المشاركة في هذا المشروع فكرا وعملا قررنا العمل فيه تحقيقا للدعوات التي طالبنا بها ما يؤيد هذا المشروع والزمنا انفسنا بتحمل المسؤولية في اسناده والذي نعتبره فتحا لحياة الاجيال الثقافية القادمة وتطورا هاما للدراسات الحوزوية التي نعتقد ضرورة تطويرها بإعداد يمكن تخريجها معايشة التطور الاجتماعي العالمي.

وتحدث السيد بحر العلوم بإيجاز ذكريات لتلك المرحلة وعن الاسرة التي جمعتهم من خلال العلمين الجليلين اية الله العظمى الشيخ محمد امين زين الدين والحجة الشيخ سلمان الخاقاني وما اثرت تلك الاسرة في صقل مواهبهم الادبية والفكرية. بعدها ختم السيد بحر العلوم محاضرته بإلقائه القصيدة المحببة للشيخ صالح الظالمي ((ا نتظار)) وقد قرأها بأسلوب جميل ورقيق فتخللها تعليقات للدكتور صالح الظالمي ره مما ارجع كل من في قاعة الجامعة الى اجواء المدرسة المهدية واسرة الادب اليقظ ومن ابيات هذه القصيدة:

انا هنا كلّي مع العطْرِ اصغي لها ترفلُ بالسحْرِ
متى يضجُّ الدربُ من نورِها من عطرِها من كُوم الزهْرِ
من نظرةٍ يورقُ منْ صحوِها حتى شحوبُ اليأس بالبشْرِ
من خطوِها المرهفِ فوقَ الثرى وشوشةٌ للأنجم الزهْرِ
من رعشةِ الهدب تموجُ الدنى من حولها بكلّ ما يغْري

وفي ٢٠٠٧/٣/١٢ كرمت كلية الفقه السيد بحر العلوم وكان المؤتمر بعنوان(السيد بحر العلوم مجاهدا وفقيها واديبا) والقيت فيه الكلمات والقصائد وكان من ابرز المشاركين الأستاذ الأول المتمرس الدكتور محمد حسين الصغير والاستاذ الدكتور حسن عيسى الحكيم والدكتور مهند جمال الدين والدكتور محمد الغراوي وفي السابع عشر من مايس سنة ٢٠٠٨ شهدت جامعة الكوفة احتفالا بهيجا بوضع حجر الاساس كلية الفقه في بناية بديعة التركيب بهيجة الصنع رسمت هندستها على شكل سفينة النجاة وقد توافد المحتفلون على موقع الجامعة الدائم حيث اعدت شركة (عباس باشا) واللجنة التحضيرية احتفالا يليق بالمناسبة وقد حضر عدد من رجال الحوزة العلمية ورجال الاعمال ووجهاء النجف والادارة المحلية واعضاء مجلس المحافظة وكان منهج الاحتفال:

١ ـ د. علي خضير حجي عريف الاحتفال

٢ ـ الاستاذ الدكتور عبد الرزاق عبد الجليل رئيس جامعة الكوفة (كلمة)

٣ ـ الاستاذ الدكتور صباح عنوز عميد الكلية (كلمة)

٤ ـ قصيدة الاستاذ الاول المتمرس الدكتور محمد حسين علي الصغير

ويا كليّةَ الفقهِ... الليالي حبالى.. لا الفطامُ ولا الرضاعُ
اذا حجرُ الأساس اقيمَ مجد فللتاريخ هذا الاجتماعُ
طريقك تالدٌ زاهٍ ينادى على مستقبلٍ عبقٍ يُذاعُ
من البحث الاصيل لك ابتكارٌ وفي الفكرِ الجديد لك ابتداعُ
وكوكبةٍ من الجيل المضحّي يُمُدُّ لها من القرآن باعُ
وتفسيُر الكتابِ اجلُّ علمٍ تسامى فيه للوعيِ اندفاعُ
أصولُ الفقه يشمخُ جانباه وعلمُ الاحتجاج له انتزاعُ

وفي عام ٢٠٠٨ قدمت اقتراحا بالاحتفال باليوبيل الذهبي لتأسيس كليه الفقه وبالفعل تم ذلك وكان للسيد بحر العلوم دور في هذا المؤتمر حضورا ومشاركة، وكانت محاضرته استعراض لتاريخ كلية الفقه.

وفي كانون الاول ٢٠٠٨ عقد المؤتمر التكريمي للأستاذ المتمرس للدكتور محمد حسين علي الصغير وكان حضوره في هذا المؤتمر فاعلا.

وفي ٢٠٠٩ عقد المؤتمر التكريمي للدكتور حسين علي محفوظ وكان ذلك باقتراح من سماحة السيد بحر العلوم والدكتور عبد الرزاق العيسى رئيس جامعة الكوفة آنذاك.

وفي ٢٠٠٩/٥/١٧ عقد المؤتمر العلمي الرابع حول ((دور الحوزة العلمية في الحفاظ على اصالة اللغة العربية)) وكان السيد بحر العلوم على رأس الهيئة الاستشارية وكان له دور في الاجتماعات التي كنا نعقده في بيته العامر حول تكريم الشخصيات التي حافظت على اصالة اللغة العربية وكان(ره) يشير ان من اساسيات كلية الفقه المحافظة على اصالة اللغة العربية حتى قال لي:

اقرأ يا دكتور علي ما كُتِبَ في مقدمة (حقائق التأويل) وهو باكورة اعمال منتدى النشر وستعلمون الهدف الاسمى من تأسيس المنتدى بل حاولوا ان

تعززوا ذلك من خلال ادامة الندوات الادبية والشعرية للمحافظة على اصالة اللغة العربية

وفي عام ٢٠١٠ تم عقد مهرجانين تكريمين للحجة الشيخ باقر شريف القرشي والثاني لأية الله العظمى عبد الأعلى السبزواري (قده).

وفي ٢٠١١/٤/١٨ تم عقد المؤتمر الخامس اثر الادب في خلق المجتمع العراقي الجديد وقد كرّم في هذا المؤتمر السيد بحر العلوم باعتباره رائد من رواد الادب في النجف الاشرف وبمساهمته الكبير في المحافظة على الادب العربي وكان اخر المؤتمرات واخيرها في كلية الفقه في اذار ٢٠١٣ حول الفكر السياسي في مدرسة النجف الاشرف من الميرزا النائيني وحتى الإمام السيستاني وقد عقد المؤتمر في إثناء عمادة الأستاذ الدكتور علي سميسم.

وفي ذكرياتي ان الجلسة الاولى للمؤتمر كانت بإدارتي وكان المحاضرين فيها سماحة السيد محمد بحر العلوم والمرحوم السيد حسن بحر العلوم والاستاذ الدكتور حسن الحكيم وقد قدم السيد بحر العلوم ايجازا حول الفكر السياسي في مدرسة لنجف الاشرف.

وكان اخر مؤتمر عقدته كلية الفقه ولم تعقد بعدها اي مؤتمر في ذلك بعد ان اغرقت الكلية في ظلامها.ولم تكن علاقة السيد بحر العلوم فقط بكلية الفقه جامعة الكوفة فحسب بل كان وثيق الصلة بكلية الفقه الجامعة /منتدى النشر وحضور مناسباته في الاعوام ٢٠١٠ ـ ٢٠١٤ حضورا فاعلا واتذكر انه حين جاءت انتخابات المنتدى في عام ٢٠١٢ كنا زرناه ليلا في داره العامرة مناقشين معه اوضاع منتدى النشر وقد رشح نجله العلامة محمد علي بحر العلوم بدلا عنه وحاز الثقة لدورتين متتالتين.

وقد اقامت منتدى النشر مؤتمرا تكريما للأستاذ الدكتور محمد كاظم البكاء في شباط ٢٠١٤ وقد دعا في ذلك اقامة مؤتمرا تكريما للحجة محمد رضا المظفر.

ويبدو ان مؤسسة العلمين العتيدة وبالتعاون مع مؤسسات اخر تلبية نداء السيد(ره) بإقامة المؤتمر التكريمي للشيخ المظفر وفاء وعرفانا.

ورحل السيد بحر العلوم في ٢٠١٥/٤/٧ واشتد حزن العراق والنجف عليه وتفرق الشمل وانطفأ السراج.

((وما كان هلك قيس هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما))

وقد ساهم في رثاءه كل من استاذة الفقه:

١ ـ الاستاذ المتمرس الدكتور محمد حسين الصغير بقصيدته:

اغارَ الجوى بينَ الضلوعِ وأنجدا ... وقدْ شيّعت بحرَ العلوم محمّدا
وقدْ فقدتْ رمزَ الاخوّةِ والوفا ... فعادت بحالٍ اثكلَ القلبَ والندا
فيالكَ من خطبٍ تعاظمَ وقعُه ... يكادُ بانْ يودي الحياة بمنْ شدا
ويالكَ رزءاً يستبيح جوانحاً ... ويالك من سهمٍ إصابَ مسدَّدا
ويالك ليلًا نابغياً مسهّدا ... ويالك فجراً عادً بالحزنِ أربد ا
يقولون لا تجزعْ... فقلتُ بداهةً ... لقدْ اصحَر الصبرُ الجميل وُأبعدا
وهلّا وجدتمْ لي صديقاً مهذّباً ... بستينَ عاماً ما تحوّل أو عدا
سلالةُ أملاك... وغرسُ أئمّةٍ ... وتاريخُ أمجادِ تسلسلَ مسندا

وهي ٣٧ بيتاً

٢ ـ الأستاذ الدكتور محمد كاظم البكاء عميد كلية الفقه / جمعية منتدى النشر بكلمة ارتجالية القيت في اربعينيته

٣ ـ الدكتور السيد مهند مصطفى جمال الدين بقصيدة.

مازلتَ حيّاً ومازلتْ رؤاك هنا ... بينَ النقائضِ تبني الحبَّ والوطنا
مازلتَ تهمسُ ماءً في خواطرنا ... مازلتَ تنبعُ في ليلِ العذابِ سنا
وان تفرّقَ شملٌ واصطفاكَ مدى ... وقفتَ عمرك مفتوناً ليجمعَنا
وإن ارادَك بعضُ العاشقينِ له ... امّتَ قلبَك سهلًا كي يكونَ لنا
فلم يعدْ خافياً ما كنتَ تمنحُه ... أفشاه دمعُك حتى قد غدا علنا

ما بينَ قلبٍ وقلبٍ كنتَ مستعراً ومابرحتَ بفيضِ الوجد مقترنا
ودونَ عينيك تمشي كلهَّا طرقٌ لكنّكَ اخترتَ منها المركبَ الخشنا

٤ ـ ابنه الاستاذ الدكتور باسم باقر جريو عميد كلية التربية المختلطة واستاذ الدراسات الفلسفية والكلامية العليا قائلا:

(٠نشأت شخصية فقيدنا الراحل فكان مستجيبا لمناخات بيئته الدينية وفضاءات اسرته العلمية فترعرع مكبا على الدرس الحوزوي والاكاديمي طيلة سنين عمره ممامكنه من البزوغ في فنون مختلفة تنوعت بين الادب والتاريخ والفكر لتشكل سلسلة متكاملة الحلقات مع نضاله السياسي المرير الذي توجه بأروع ملامح المقاومة مع اخوانه المجاهدين ليكلل اخيرا بملحمة النصر العراقي الكبير)).

هذا ماوقفت عليه من تابين لاساتذة كلية الفقه.

وختاما هذا اقل القليل بحقك يا سيدي يا ابا ابراهيم واجزل لك المثوبة على ما اديته من خدمات في حقول الفكر والمعرفة وما تركته من اثار ومآثر.

الفصل الثالث

السيد بحر العلوم والكويت

١ ـ **اطلالة على المرحلة القضائية**... المحامي عبد العزيز الطاهر
٢ ـ **مثال في الخلق والالتزام**... المحامي السيد علي الموسوي
٣ ـ **بحرالعلوم والعلم والإنسانية**... ا.د عبد الرضا اسيري
٤ ـ **ذكرياتي**... ا.د عبد الرسول عبد الرضا
٥ ـ **العلامة بحر العلوم صديق الكويت**... د. عبد الله معتوق المعتوق
٦ ـ **رجل لايمكن تعويضه**... ا.د. غانم النجار
٧ ـ **السيد بحرالعلوم وال معرفي**... الأستاذ عبد الاله معرفي
٨ ـ **بحرالعلوم ساهم في التقريب بين الشعبين**... د. عبد المحسن جمال
٩ ـ **طيب الأصل ونقاء السريرة**... المحامي محمود العنزي
١٠ ـ **في ذكرى كبير رحل**... الإعلامي يوسف الجاسم
١١ ـ **العلامة بحر العلوم كما عرفته**... الأستاذ علي يوسف المتروك
١٢ ـ **العالم الذي لم يعش على هامش الحياة**... الأستاذ سامي النصف
١٣ ـ **بحرالعلوم كما عرفته**... الأستاذ الشاعر عبد العزيز البابطين
١٤ ـ **سيرة العالم والمثقف والقاضي والسياسي**... د. إبراهيم بهبهاني
١٥ ـ **السيد بحر العلوم صاحب الأيادي البيضاء**... مجلس أمناء وقف الأحقاقي
١٦ ـ **محمد بحر العلوم.. علاقة تاريخية بالكويت والإبحار في سيرة إبن النجف**... حمزة عليان
١٧ ـ **السيد بحر العلوم وذكريات الكويت**... السيد صادق بحر العلوم
١٨ ـ **ذكريات في أمواج القاهرة**... السيد رضا موسى الحكيم

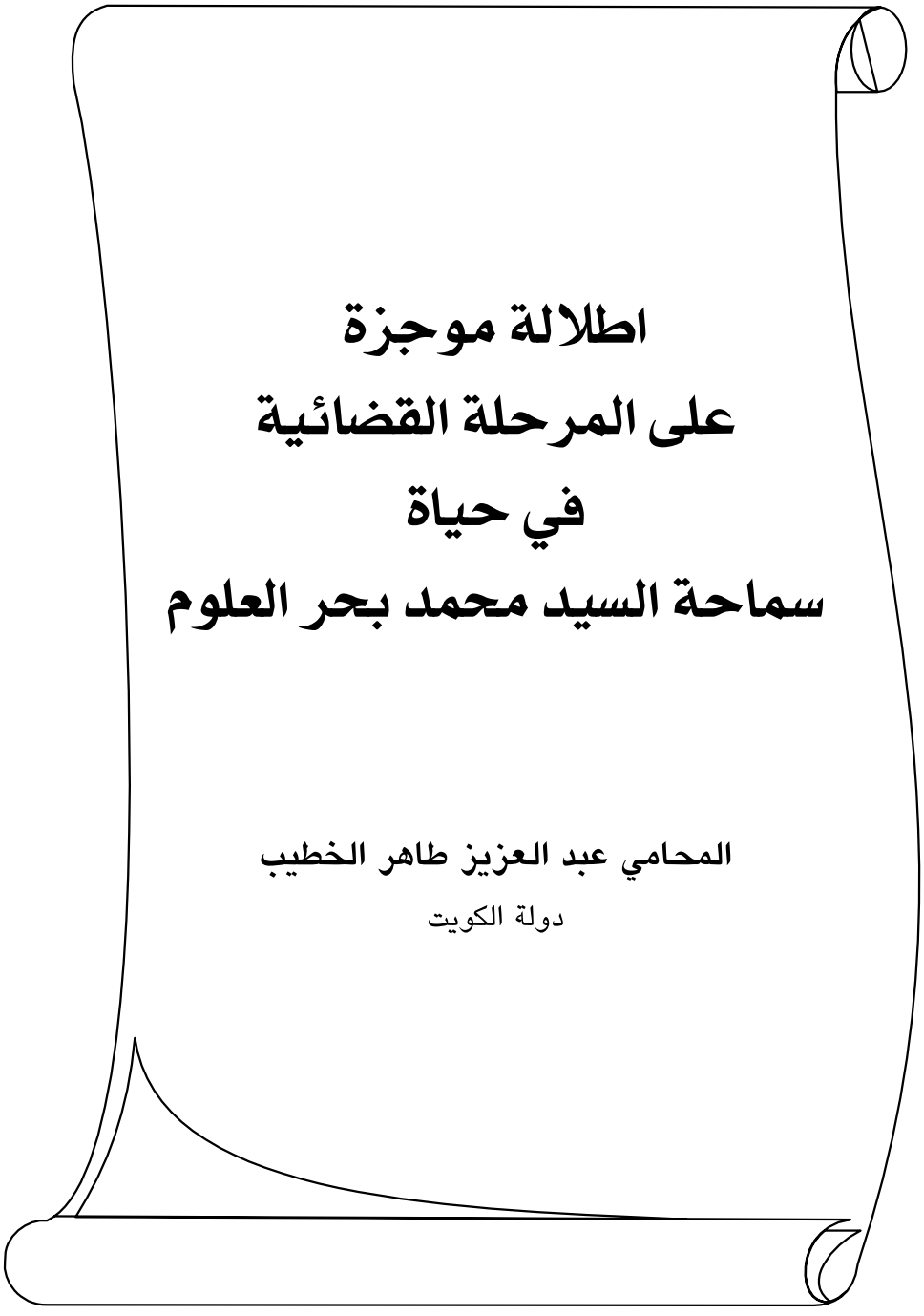

اطلالة موجزة
على المرحلة القضائية
في حياة
سماحة السيد محمد بحر العلوم

المحامي عبد العزيز طاهر الخطيب

دولة الكويت

قبل الحديث في سيرة سماحة السيد محمد بحر العلوم في المرحلة القضائية من حياته في دولة الكويت، لابدّ من القاء بعض الضوء اجمالا لسيرته العطرة في كفاحه وعطائه داخل العراق بكامله، وفي ربوع النجف الاشرف مسقط راسه الشريف، وعلى المستوى العربي والدولي، ومواقفه المبدئية النادرة في عالم السياسية، اذ كان يتصف بصفات تجعل منه رجل دين مُعتدل ومُتفتح يُواكب عصره، لم ينقطع استزادته بالعلم حتى اواخر ايامه رحمه اللّٰه واسعة، وقد ثُلم الاسلام بفقده ثلمة لا تُملا.

ولد سماحته في النجف الاشرف في ١٩٢٧/١/١٧م، وبدا تحصيله العلمي بالدراسة التقليدية في المدرسة العلمية بمدينة النجف الاشرف، وواصل دراسته وهو يافع فحصل على شهادة البكالوريوس في العلوم العربية الاسلامية من كلية الفقه في النجف جامعة بغداد، وتابع دراساته الاسلامية بجامعة بغداد سنة ١٩٦٩م، ثم حصل على درجة الماجستير في كلية الشريعة، كلية الالهيات، بجامعة طهران سنة ١٩٧٠، واستغرقه البحث العلمي حتى حصل على درجة الدكتوراه في الشريعة الاسلامية من كلية العلوم، جامعة القاهرة العريقة سنة ١٩٨٠.

مسيرته البناءة في العمل الاسلامي والكفاحي لمُواجهة الطغيان في بلده شيدها بالعديد من الاعمال والانجازات، وتعدد عطاؤه في مسيرته، فقام بالتدريس في الجامعة العلمية بالنجف الاشرف، والتفسير في كلية اصول الدين، وقام بتاسيس مركز اهل البيت الاسلامي في لندن، وهو مؤسسة بحر العلوم الخيرية للاعمال الثقافية والانسانية، واسس وتراس جمعية الرابطة

الادبية في النجف الاشرف، وكان عُضوا مؤسسا في اسرة الادب اليقظ في النجف الاشرف، ومؤسسة الامام الحكيم في النجف الاشرف، وعضوا في جمعية مُنتدى النشر، في العديد من الجمعيات والمؤسسات الدينية والعلمية، كان محورا رئيسيا في دائرة مرجعية الامام الراحل السيد الحكيم(قدس سره الشريف)، التي كانت تُعتبر قُطب الرفض لسياسات الحكومات التي توالت على العراق.

ولسماحته قُدس سره دوره الفعال في عالم السياسة، وكانت مبادئه والقيم التي يتمسّك بها هي القلادة التي لم يرى غيرها من تعامل معه، وفي عالم السياسة لم يُغير جلده، ولم يُساوم على قناعاته، فانتقل الى بارئه سبحانه وتعالى يحمل معه انجازاته العلمية والخيرية. وتميزه بالحيوية والاصرار على مكافحة الجهل والظُلم دفعه الى التنقل بين بلاد الدنيا، الاسلامية منها والعربية والدولية، باحثا عمّا يسند شعبه وناشرا لعلوم الشريعة، فبرز سياسيا كاوّل رجل دين عراقي يُوقع مع مجموعة من السياسيين العراقيين وثيقة(الديمقراطية وحقوق الانسان في العراق)، وكان عُضوا بارزا في المعارضة العراقية في (المؤتمر الوطني العراقي الموحد)، عاد الى وطنه العراق في ابريل سنة ٢٠٠٢م ليبدا باعادة بنائه بكل جوانبه بعد سقوط طاغية العراق، ومع تواصل جهاده وعمله اختير عُضوا في مجلس الحكم في يوليو سنة ٢٠٠٣ وهو اول مجلس سياسي في العراق. كما كان قُدس سره احد اعضاء الهيئة الرئاسية التسعة التي راست مجلس الحكم، ثم اوّل رئيس مؤقت لمجلس الحكم، ثم رئيس دوري للمجلس في مارس سنة ٢٠٠٤.

انتاجه العلمي الغزير غزارة عِلمه، تتوجه دراساته وبحوثه نحو عصرنة الفكر في اطار اسلامي، مُقبل على زمنه يستنبط الحلول الشرعية بما يتوافق مع الزمن، يعتبره البعض رجل دين يتقدم عصره، وقد ترك تُراثا متنوعا وعلما ينتفع به تشهد على شموليته، والمبنيّة على تسامح العالم وتواضُعِه، فهو عالم مُجتهد حق تسميته بحر العلوم، فهو بحرٌ زاخرٌ بالعلوم الدينية وعلوم ال البيت عليهم السلام.

تُوفيّ رحمه اللّٰه رحمة واسعة في يوم الثلاثاء ٢٠١٥/٤/٧، ليترك سيرة من العلِم والعمل لمن يقتدي به وبغِنى سيرته وعطاءاته، رَحِمهُ اللّٰه وقدس سرّه الشريف وجعله مع الانبياء وال البيت والشهداء والصديقين.

مرحلة حياة السيد محمد بحر العلوم (قدس سره) القضائية في دولة الكويت، وهي مرحلة اختزلت وصفه وخلقه وانجازه والتزامه الذي لا يحيد عن الشريعة الاسلامية الغرّاء، وعمل القضاء عنوان وامتحان لكل قيم الانسان.

واحبذ ان لا يعتقد القارئ بان ما اسطره هنا في هذه العُجالة جزء من سيرة رجل رَسَم نبوغه وعظمته في خطوط كفاح متوازية ومتعامدة على مر ما يزيد على نصف قرن من الزمان، اذ افضل ان اقدم نبذة متواضعة من سيرة غنية وممتدة عبر العراق واقاليم العالم، تقطُر مُنجزات كفاحية مُقيدة بمخاطر كبيرة من العنف والطغيان، فسيرته تتطلب عناية باحثين مُقتدرين لا اجد نفسي بينهم، وهذا ما يدفعني الى اجتزاء شيء يسيرٍ من عطائه في المدى الزمني الذي امضاه في دولة الكويت قاضيا للاحوال الشخصية في المحاكم الكويتية.

لسبر اغوار شخصيته القضائية، يستلزم فهم وادراك البِنية التي بُنيت عليها هذه الشخصية، فهو رجل عِلم وسياسة بافقٍ ديني مُتطور، وبكل المقاييس، هو ايضا رجل الانسانية، وتتمثل الانسانية لديه في كل ما يتعلق بحقوق الانسان، يدعو الى بناء الانسان عقلا وديدنا وروحا والناي به عن كل ما يخدش انسانيته، وهكذا كان قلمه وعقله ووضعه الديني وقُدراته السياسية والقيادية رهن ما ينفع الانسان ويرفع شانه، واذا اردنا ان نؤرّخ القضاء الكويتي فلابد ان نعرج على الزمن الذي كان فيه (قدس سره) احد اعضائه، وفترة عطائه في القضاء الكويتي عندما تقلّد القضاء جاءت في ادقّ تفاصيله، وهي في مواضيع الاحوال الشخصية. وهذه هي المرحلة التي عاصرتُهُ رحمه اللّٰه فيها باعتباري المهني في عملي بالمحاماة وجعلني لصيقا به، فهو القضاء الجالس ومهنتي تجعلني القضاء الواقف.

واود في تقديمي للقارئ هذا الرجل العالم الديني القاضي الذي شدّ

انتباهي، وانا في بدايات عملي المِهني كما تقبلته انذاك ولما رسمت له صورة في ذاكرتي، كان رجلا في منتصف العمر معمم، على مُحيّاة علامات الحَزم وابتسامة دائمة، يُثير في المتقاضين وكل يدعى ان الحق بجانبه، ولكنه ببساطة العالم وبحنكة القاضي ومرونة السياسي كانت جلسات المحكمة تسير وفق ما رسم لها، كانت افكاره وقناعاته وتوجيهاته تجد طريقها سهلة الى الناس المُتقبّلين لها، كنت اراقب هذه الحالة الفريدة وعودي الاخضر مهنيا لم يتصلّب بعد، فقررت ان اتعلم منه ما لا استطيع تعلّمه في اي مكان اخر، حيث كنت انهيت تعليمي الجامعي في جامعة القاهرة سنة ١٩٦٩م، والتي صادفت هذه البدايات، كان عليّ ان اقف امامه مُمثلا لاحد طرفي النزاع، ووطدت علاقتي بسماحته، ووجدت فيه ناصحا وموجها في اقدام بالطرح وجراة في حرية الراي، وفرصة التعامل معه تؤكد ان لا يُستغنى عن ما لديه من علوم ومعرفة.

هذا القاضي العراقي الذي اعتلى منصّة القضاء الكويتي رسم صورة مُختلفة للتعامل خلال جلسات المحكمة، وكانت عِمامته السوداء تُضيف هيبة الى هيبة مَنطقهِ وسلوكِه حتى ذاعت شُهرته وعُرِف من مُعظم المواطنين والمقيمين في البلاد، وفي هذه البدايات كانت لي رُؤى سياسية واجتماعية من مكتسبات فترة الدراسة، ولكني وجدت لدى السيد محمد بحر العلوم رحمه الله الكثير مما يُخالفها، لكنها ليست في ثوب الماضي، فقد كان يُحدثني بِلُغة العصر، وتعلمت ان الخبرة والتطور الثقافي والمدركات الانسانية عملية تراكمية تتطلب غربلتها بين حين واخر، ويكون الوضع اصدق عندما تكون في رعاية عالم مِثله، بما يكسبك الحكمة والمعرفة الحقيقية بعيدا عن الفهم المُنحرِف، ويوجد التوازن بين المفاهيم والمُسلّمات ومعطيات العصر.

أدركت مدى الحاجة لاحداث ارتباط بهذا العالم الجليل، فكانت تلك مُحاورة مع النفس اوجدتني في رحاب عِلمه وتجربته، وبحكم عملي ترددت كثيرا على القاعة التي تنعقد المحكمة فيها برئاسته، وتابعت الكثير من الحوارات والاستفسارات والطلبات التي تتم في هذه القاعة، واستطيع القول

بانه كان يضع مرضاة اللّه بين عينيه في قضائه في النزاعات، وكان دائم الانحياز نحو الصلح، يبذل جهودا مُضنية بشكل اكبر من الفصل في الدعوى، ويحرص على دفع المُتخاصمين نحو الصلح، صبورا متانيا رغم ما يحمله بعض المتقاضين من سذاجة او عدم فهم او عدم ادراك لقدسية المحكمة، الا انه بِسعة صدره وبعقلية العالم المُدرك لواجبه يصل الى اختصار المُنازعات وبما يُفيد التلاحم الاسري ويحافظ على الابناء، ويرى تحقيق ذلك بالصلح، كانت ممارسة القضاء بالنسبة له عبادة يتقرّب بها الى اللّه.

تقلّد السيد محمد بحر العلوم القضاء في الكويت في سنة ١٩٧١، واستمر بعمله قاضيا ويُصدر الوثائق الشرعية بشكل يومي طوال مدة عمله حتى غادر مِرفق القضاء الكويتي سنة ١٩٧٧م تاركا اثارا طيبة على افراد المُجتمع ومن مَثُل امامه، وعلى الاعمال الخيرية التي كان يُساندها بالوثائق الرسمية اللازمة، وفي هذا السياق يُمكننا معرفة بعض خصاله الحميدة التي كان لها اكبر الاثر في كل من عاصره في عمله، والامر لا يخلو من الاحداث الطريفة والتصرفات الابوية الدالّة على حرصه على عدم الاثقال على الناس وتسهيل امورهم فيها.

لديّ كما لدى غيري من رجال القضاء الجالس ومن المُحامين الكثير من الاحداث والوقائع التي عايشناها ابان تقلّده رحمه اللّه منصب القضاء بالكويت، وهي من وحي الذاكرة، بعضها لم يشهدها سوى سماحة السيد والراوي، لذلك وجب على من عاش مرحلته القضائية ان يُدلي باحداثها التاريخية التي هي جزء من تاريخ القضاء الكويتي، وها هي بعض المشاهد الدالّة على اصالته وصلابة حكمته.

بعض المتقاضين لا يُدرِك اهمية وحساسية المرفق القضائي لمحدودية مُستواه التعليمي والثقافي، فيتعامل امام المحكمة كما يتعامل امام ايّ مُوظف اخر من موظفي الدولة، الامر الذي يسبب للمتقاضي الكثير من الحرج امام المحكمة في الجلسات المُنعقدة، وكان سماحة السيد مُدركا وواعيا لمثل ظروف هؤلاء، فيقدم له درسا في احترام المحكمة واحترام الاصول في الجلسة

دون ان يزيد في حرجه ودون ان يَخِل بسير الجلسة، ولا يحدّه ذلك ان يضع هذا الدرس والتوجيه في قالب من الطرافة، وفي احدى جلسات المحكمة التي يراسها واثناء انعقادها دخل مُواطن وهو يُحرك (السِبحة) في يده بصوت مسموع، ولمّا جلس، طلب منه التقدم الى المنصة، امتثل لذلك ووقف امامه فساله هل هذه السبحة غالية فاجاب بنعم، فساله هل تُريد اعلامنا بان لديك سبحة غالية، مُعظم الموجودين بما فيهم انا لا نستطيع شرائها، فسارع الرجل ووضع السبحة في جيبه مُعتذرا، وبذلك اوصل سماحته رسالته التوجيهية لهذا المواطن وقدّم له درسا في السلوك المطلوب عند المثول امام المحكمة وان احترامه للمحكمة يعني احترامه لبلده ومُجتمعه بتعبير لطيف دون زيادة حرجه، ولا اتصور ان يُكرر هذا المواطن او من تواجد في قاعة الجلسة هذا الامر مُستقبلا.

جرى العرف امام المحاكم الكويتية ان تُعطي الاولوية في الحضور للمحامين حتى يتمكنوا من انجاز اعمالهم في قضاياهم المتعددة كل يوم، واثناء تواجدنا بقاعة الجلسة التي يراسها سماحة السيد تقدّم المحامون بطلب تسجيل قضاياهم، واثناء نظر اول قضية قام احد الاشخاص من غير المُحامين وطلب من سماحته ان ينظر في قضيته ايضا، لانه مُرتبط باعمال ويريد ان ينتهي من نظر قضيته، فساله سماحة السيد، ابني هل هذه اول قضية لك امام المحاكم، رد بان لديه قضايا اخرى ولكنه يحضر امام المحكمة لاول مرّة، وهنا تجلّت حكمة القاضي فاخبره اذا كنت كثير المشاغل تستطيع ان توكل مُحاميا لحضور الجلسات نيابة عنك، ومُحاميك سيُعامل كما يُعامل باقي المُحامين، وجُراتك هنا في غير محلّها، لان النظام في الجلسة مُهمتي انا ولا اسمح باي تجاوز على النظام وستاخذ دورك حسب ما هو مُدون، والظاهر انك لا تعرف الفرق بين المُوظفين وبين القُضاة وهذا ليس عُذرا فيجب ان يكون للقضاء احترامه وتقديره وعدم الخروج على ما يامر به القاضي بالجلسة، وتطوّع بعض المحامين لشرح نظام طلبات المُحامين لهذا المُتقاضي، وبطريقته الطريفة المعهودة خاطب المُحامين "ايها المُحامون اعملوا لكم رِداءً مهنيا يميزكم حتى

يعرف المتقاضون صنعتكم"، وقال مُوجها كلامه للمُتقاضي"مو تسوي لك انت ايضا رداء هذا للمحامين بس".

وفي لقاء لسماحته يرحمه اللّه مع رئيس المحكمة الكلية في مكتبه بمبنى المحاكم القديم الواقع امام المتحف العلمي تصادف وجودي، دخل سماحة السيد محمد بحر العلوم، وبعد تبادل التحايا مع الرئيس ومعي، ساله المُستشار رئيس المحكمة بانه يستغرب لعدم اخذ السيد بقانون الوصيّة الواجبة، وهو قانون صادر من الدولة يجب العمل به ولا خيار لك في عدم الاخذ به او الاعتراف به، وهناك بعض المُحامين لهم ذات المُلاحظة، فهلا يا سيدنا تراجعت عن موقفك وحكمت وفق هذا القانون، فكان رئيس المحكمة والسيد يتحلّيان بروح من الدعابة مع رزانة العلماء، فَرَدّ عليه السيد رحمه اللّه، انا قاضي احوال شخصية جعفرية، بمعنى انا اطبّق الفقه الجعفري والقوانين التي لا تتصادم مع اصول هذا الفقه، كما ان ثقافتي الشرعية تقف دون خروجي عن هذه الاصول، وتقول اصول الفِقه ان الوصية الواجبة لا وجود لها وهو ما لم تاخذ بها اغلب المذاهب الاسلامية، وهي لا تعدوا ان تكون رايا فقهيا واجبار الناس على الاخذ بها يعتبره الفقه الجعفري سُحتا، لذلك لا استطيع على المستوى الشخصي القيام بذلك فمعذرة يا سيادة المستشار لعدم تمكُني من تنفيذ ما طلبت، وارجو المعذرة للقول ان هذا المِرفق القضائي العظيم هو الذي يمنحني راتبا مُقابل عملي ويُمكن قطعه او انهاؤه، واعتقد اني ساجد بديلا عنه، ولكن سبحانه وتعالى لديه جنة ونار ليس لي الخيار بينهما ولا بديل لي عن ذلك، ولم يستمر الحديث بعد ذلك ولحمت الحِكمة في هذا القول اي نقاش.

رفعت امام سماحته دعوى قضائية بطلب الطلاق للضرر، والمُدّعية زوجة تطلب الطلاق بسبب كثرة مُعاشرة زوجها لها في ايّ ساعة وفي ايّ مكان، وقالت في دعواها انه يترك عمله اثناء الدوام لهذا الغرض، وهذه المُعاشرة الدائمة والمستمرة تسببت في اذائها مما دفعها الى طلب الطلاق تخلصا من اذاه، وبالجلسة المُحددة لنظر الدعوى حضر الطرفان الزوجة والزوج، فابدى

السيد مُلاحظة طريفة بان المحاكم عادة تنظر في تقصير الزوج في واجبات المُعاشرة ونادرا ما توجد في مواضيع النزاع، مُستغربا من الطاقة الكبيرة عند هذا الزوج، واسهبت الزوجة في شرح مُعاناتها، وسالها السيد ارجو الا يكون لديك نية مُستقبلا في طلب الطلاق نتيجة تقصيره، كذلك سال الزوج هل ما تقوله زوجتك صحيحا فاجاب ببساطة نعم وهي زوجتي وحلالي، فساله هل تاخذ ادوية او مُنشطات، فلم يفهم الرجل مقصود القاضي، الامر الذي يدل على قُدراته الطبيعية، فابلغه اذا كنت ستستمر على هذا المؤال سوف اطلقها منك، لانك لا ترحم ضعفها وتبالغ في استخدام حقوقك الزوجية، وبعد نقاش مع الزوجين سال الزوجة هل تقبلين الاستمرار في الحياة الزوجية معه اذا احسن عشرتكم وخفف من المعاشرة والمُبالغ فيها فوافقت بشرط ان يلتزم بذلك، وخاطب الزوج هل تلتزم بما يتم تحديده من مرّات المُعاشرة دون زيادة فقال اقبل ولا تطلقها مني، كما سال الزوجة هل تُمانعين من زواجه من اخرى ولم تُمانع بل رحبت، فسال الزوج لماذا لا تتزوج بثانية طالما زادت احتياجاتك، فرد بانه لن يستطيع لضالة دخله ولا يستطيع الانفاق على زوجتين، واخيرا اتفق الزوج والزوجة على تحديد مرّات المُعاشرة، واثبت ذلك في محضر الجلسة، بان ياتيها مرّة خلال الليل ومرّة خلال النهار دون زيادة وجعل من المحضر اتفاق صُلح، دون اللجوء الى الطلاق، وانذر الزوج بان في مخالفته لهذا الصُلح سيضطر الى تطليقها منه. فعلّق بعد الانتهاء من القضايا يرى المُتقاضون ان يكون القاضي معهم في غرف النوم، وانه لا يستطيع انتداب من يُراقب مدى التقيّد بالاتفاق.

يقوم قُضاة الاحوال الشخصية في ايام محددة في الاسبوع بالجلوس لصياغة وتوثيق المُستندات والاوراق الشرعية بادارة التوثيقات مثل الوصايا حجيّات الوقف وعقود الزواج وشهادات الطلاق وحصر الارث وغيرها، وفي احدى جلسات التوثيق تقدّم مُواطن بطلب تزويجه وصياغة عقد زواج له، وعادة تبدا الاجراءات بطلب يُقدم من هذا المواطن الشاب على نموذج مُخصص لذلك

فتم ذلك، فارسله القاضي بعدها الى مُوظف التوثيق لتسجيل العقد في دفاتر توثيقات المحكمة، ثم تم ارساله بعد ذلك للخطّاط حتى يخط وثيقة الزواج بخط عربي مُعتنى به، ثم ارسل بعد ذلك لصندوق المحكمة لدفع رسوم التوثيق، ثم ارسل بعدها الى مكاتب الاحصاء الادارية لاعطاء وثيقة الزواج رقما مُحددا، واستمرت هذه الاجراءات حتى انتهت، فاحضر امام القاضي(سماحة السيد) الذي عقد لهما الزواج الشرعي وفق ما تجري عليه العادة في مثل هذه الزيجات، ووقّع الزوجان عقد الزواج، كما وقّع الشهود فختمها السيد بتوقيعه بصفته قاضيا مُؤكدا على قيام الزوجية، وسلّم نُسخة من العقد للزوج الشاب الذي سبق ان دار في اروقة المحكمة لانجاز عقد الزوجية، فسال السيد، سيدي ما هو الاجراء الباقي الان، فقال له الباقي تقوم به في منزلك، تلك طُرفة اضاف بها سعادة الى سعادة الزوج لبداية حياة سعيده وتمنّى لهما كل الخير.

تجادل مُحاميان بصوتٍ عالٍ امام سماحته اثناء نظر دعوى يُمثل طرفاها هذان المحاميان، ولمّا كانت غالب قضايا الاحوال الشخصية يدفعها ويؤججها غضب المُتخاصمين بحيث لا يُنصِت احدهما للاخر، قد تنتقل هذه الخُصلة الى المحامين امام المحكمة، وتمادى المُحاميان من صمته، لم يقل لهما لا يجوز لكما التصرف امام المحكمة بما لا يليق، بل قال الاتي"العدالة عندما تُقبل وعندما تستهدف امرا يجب ان يُضفي ذلك جوا من الخشوع فيكون الجميع في هذه اللحظة في رحاب الله، وانا لا استطيع ان انصِت انصات القاضي الباحث عن العدالة في هذا الجو الصاخب، فاذا اردتما البحث عن العدالة وجب عليكما اشاعة الهدوء حتى تستوعب العقول ما تطرحانه"، وتحرّج الزميلان المُحاميان من هذا الموقف الهادىء والمعبر فاضطرّا الى التهامس بينهما ومع المحكمة، فضحك مُعلقا، الان اما اصوات رعدية او اصوات حفيف الاشجار، خليكم وسط، فالعدالة ايضا تريد ان تسمع بوضوح.

وعرض امامه نزاع في دعوى نَسب حول طفل لامراة بين رجلين احدهما

زوجا سابق والاخر زوج حالي، وكل منهما يدّعي ان الطفل من ذُريته، وحضر مُحامٍ عن احد الطرفين وحضر الاخر بنفسه، وكانت عدّة جلسات سبقت هذه الجلسة، وبالنداء على الخصوم حضر كل طرف مُكررا ادعاءه، وكان الخلاف والحوار حول مدّة الحمل الشرعي، وهل الولادة حدثت خلال زواج صحيح ام خارجه، وهي امور قد لا تكون واضحة من ناحية حساب موعد ولادة الطفل او عمره، واثناء الحوار طَرح المحامي الممثّل لاحد الطرفين قاعدة شرعية هي ان الولد للفراش اي ان الطفل يُنسب للزوج الذي يتم الحمل منه في حالة قيام الزوجية، فاجاب الخصم كُلنا جئنا من الفراش ـ مُعتقدا ان ما يقصده المحامي المكان(فراش النوم) ـ فصحح له سماحة السيد المعنى بان المقصود بالفراش قيامه حال الزوجية، وليس المكان، واراد تاكيد الفهم له بطريقته المعهودة، بشيءٍ من الطرافة بان مقولته غير صحيحة، لان مرّة يُودّيك الفراش الى الجنّة اذا كان شرعي، ومرة يُودّيك الى النار اذا كان فراش بس.

هذه بعض مُقتطفات من جلسات القضاء الكويتي برئاسة السيد محمد بحر العلوم رحمه الله رحمة واسعة، مما احتفظت بها الذاكرة بعد سنوات طويلة من تركه منصّة القضاء في الكويت، خُلاصة كل ذلك اننا كُنا بصدد رجل عِلم ومعرفة واجتهاد ديني وقاضي تزخر اسرته بنجوم القضاء في العراق، تتوسم فيه القاضي الذي يحمل تُراثا واسعا في عالم القضاء ومخزونا حضاريا بالقوانين وابن بلد عريق الحضارة القانونية من قِبَل حمورابي وبعده، ونجده يُجيد استخدام هذا المخزون لديه ليحقق ما يصبو اليه من خدمة البشر اينما كانوا، ولم يشغله ضيق الفهم الانساني بل انطلق الى رحاب قضاء الانسانية الواسع لا يحدّه قوميات او شعوب او قبائل، ولا يحدّه الخلافات العقائدية في تحقيق العدالة على ضوء القيم والاخلاق السامية.

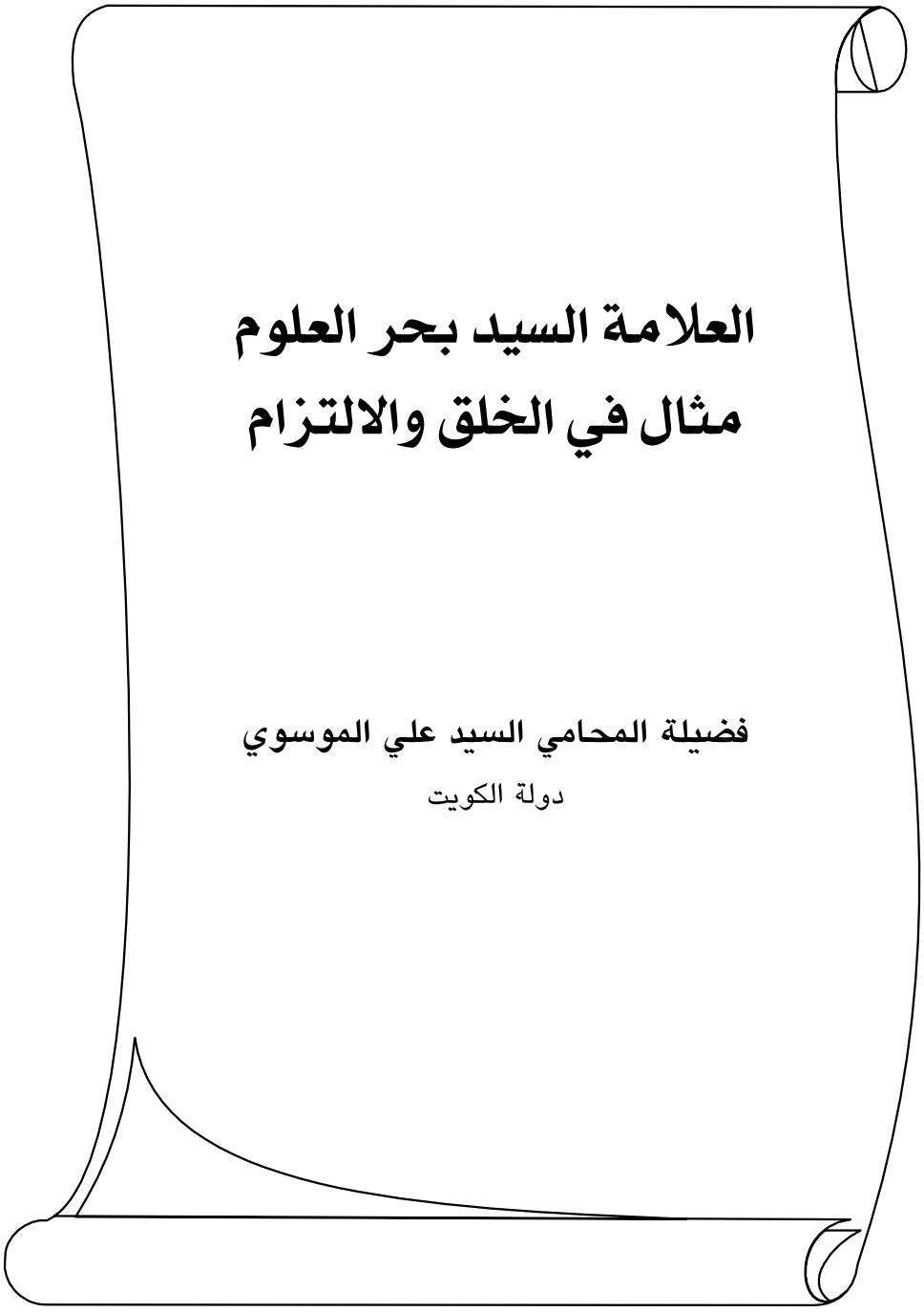

العلامة السيد بحر العلوم
مثال في الخلق والالتزام

فضيلة المحامي السيد علي الموسوي

دولة الكويت

كان المرحوم د. السيد محمد بحر العلوم من الشخصيات العلمية والثقافية والدينية التي ترك العراق، وتحديدا مدينة النجف الاشرف، واستقر في الكويت منذ نهاية الستينات تقريبا واوائل السبعينات من القرن الميلادي المنصرم قبل ان يترك الكويت وينتقل الى مصر للحصول على الدكتوراه في الشريعة ثم يسافر الى لندن في محاولة الحصول على مكان امن من ازلام صدام ومضايقاتهم.

وتولى المرحوم منصب القضاء الجعفري منذ وصل الكويت، وقد كان ممن يثق بهم الامام السيد محسن الحكيم رحمه الله، وكان قد ارسل بِناء على طلب الكويتيين انفسهم قبله رجل دين اخر من تلاميذه، وهو المرحوم العلامة الشيخ ابراهيم سليمان لكي يفصل بين المؤمنين والمؤمنات فيما نشب بينهم من نزاع.

تولى المرحوم بحر العلوم منصب القضاء الجعفري عند مجيئه الى الكويت، وكان(ره) مخلصا في عمله، على الرغم من انه لم يمارس مهنة القضاء قبل ذلك، اما وانه اضطر الى ممارستها منذ وصوله الى الكويت فقد كان وبحق عالما يستحق كل اشادة واحترام، وقاضيا يضع الحق في نصابه ويرفع المنازعة عن اطرافها.

فقد كان رحمه الله خير من يرفع لواء القضاء ويصدر الاحكام فيما كان يعرض عليه من منازعات، وعلى الرغم من الجهد الذي كان يبذله في محاولة منه لصدور الحكم الصحيح والفصل في المنازعات المعروضة امامه، فقد كان يخشى من الوقوع فيما لا ينبغي للقاضي الوقوع فيه.

وبالإضافة الى القضاء كان للمرحوم بحر العلوم مجالس يومية او شبه

يومية يجيب فيها على اسئلة الحاضرين ويناقش فيها مناقشة من غمت عليه المسائل ولم يستطع الوصول الى حل للمنازعات المعروضة ولم يختص حضور هذه المجالس باشخاص معينين، بل كل من كان يرغب في الافادة من حضورها. والاستزادة من العلم الذي يبثه السيد من خلال الاجابة على اسئلة الحاضرين.

وكنت في ذلك الوقت طالبا بكلية الحقوق والشريعة (هكذا كان اسمها، لان كلية الشريعة بصورة مستقلة لم يكن قد تاسست بعد وانما كانت هناك كلية واحدة باسم "كلية الحقوق والشريعة") يتم الى جانب القانون تدريس الفقه الاسلامي فيها، في كل احد من كل اسبوع كنا ندرس الكتب الشرعية الى جانب كتب القانون، التي تشرح مادة الاحوال الشخصية حسب ما يقرره الفقه الاسلامي، وفي يوم الاثنين من كل اسبوع كنا ندرس مادة اخرى من مواد الفقه الاسلامي، وعلى اية حال كان الاسم مثل ما ذكرت سابقا "كلية الحقوق والشريعة"، واما من ناحية الدراسة فكان يتم الاكتفاء بمادة واحدة من الفقه او اصوله يدرسها الطالب في كل يوم.

وفي يوم من الايام سالني احد الاساتذة الذين كانوا يدرسون في الكلية، وهو الاستاذ الفاضل الدكتور عبد السلام الترمانيني: اذا كنت على معرفة برجال الدين الذين يسكنون الكويت ويستقبلون من يرغب في لقائهم فانى ارغب في زيارة احد هؤلاء. فقلت له: انني على معرفة بهم وعلى استعداد للتحدث معهم تمهيدا للاذن بزيارتهم، وقد اكدت له هذه المعرفة وواعدته لتحديد موعد لزيارة احد السادة وهو السيد محمد بحر العلوم، اذ كنت اعرفه رجلا من اهل العلم والفضل فضلا عن كونه قاضيا يعرف بفهمه وادراكه كيف يمكن رفع المنازعات بين المتقاضين، وحل المشاكل بينهم.

وبعد ايام اخبرت السيد بحر العلوم(ره) بشان استاذنا الدكتور السيد عبد السلام الترمانيني وانه يرغب في زيارته، فلم يمانع في ذلك، بل رحب بها كما كنت اتوقع. اخبرت الدكتور الترمانيني بان السيد لا مانع لديه من زيارة

المؤمنين له في منزله، وان خير موعد للزيارة، كما ارى، هو بعد صلاة المغرب حسب ما ذكر السيد بحر العلوم.

وفي الموعد الذي حددته للزيارة، خرجت من البيت متوجها الى الجامعة لاصطحب الاستاذ الترمانيني الى منزل السيد بحر العلوم اذ كان ينتظرنا في المنزل. ولم نكد نصل الى بيته حتى قام هو بفتح الباب واستقبل زواره على نحو يليق بهم وتجاذب معهم اطراف الحديث لاسيما مع الاستاذ الدكتور عبد السلام الترمانيني، الذي خرج منبهرا بشخصية السيد، ويبدو انه لم يلتق بشخصية بلغت هذا المستوى من الاخلاق والعلم الجم، وقد ابلغني الدكتور الترمانيني باعجابه بما راه وشاهده في الرجل (المرحوم د. السيد محمد بحر العلوم من حسن الاستقبال ودماثة الخُلق).

وهكذا بقى السيد محمد بحر العلوم(ره) تبوّءَ منصب القاضي الجعفري وقاضي التوثيقات الجعفري الى حين صدور قرار وزارة العدل بعدم جواز اشهار الاسلام الا امام التوثيقات السنية، وكان السبب في ذلك هو ان استاذا فرنسيا اراد ان يشهر اسلامه، وكان الرجل يجهل حساسية السلطات الكويتية فيما يتعلق باشهار الاسلام وخاصة من رجل كان فرنسيا ثم اسلم ويريد اشهار اسلامه امام جهة مسلمة، او دولة مسلمة ولانه يعمل لدى دولة الكويت اختار دولة الكويت ليشهر اسلامه فيها، ولم يكن يعلم انه ليس من السهل اختيار المجتهد الذي ياخذ دينه منه حتى لو كان هو الذي قيل في حقه "لولا السنتان لهلك النعمان".

واشترط الرجل الفرنسي ان يشهر اسلامه امام التوثيقات الجعفرية، ولم يكن يعلم ان اشهار الاسلام في هذه الدول لابد وان يكون امام الدوائر السنية، ولم يكن يدرك ان قناعته لا ينبغي ان يحدد له مسار تفكيره. وعندما كان السيد بحر العلوم(ره) يسال الاستاذ الفرنسي لماذا اخترت التوثيقات الجعفرية؟، في حين فهم الجميع اختيارك للاسلام وما الذي كان دافعك على هذا الاختيار. سمع الدكتور الفرنسي ما قرره السيد(ره)، وقام بالاجابة على النحو التالي:

أتريدني ان اترك الاستاذ، وكان يقصد الامام ابو جعفر الصادق عليه السلام،

باعتباره استاذا للفقهاء الاربعة: ابو حنيفة والشافعي ومالك واحمد وهكذا. وكان يذكر اقوال هؤلاء وافتخاراتهم، بانهم من الدارسين، اما لدى الامام الصادق او لدى من درس لدى الامام الصادق عليه السلام، فقد كان قول ابو حنيفة هو الاشهر الذي يحفظه جميع الفقهاء: "لولا السنتان لهلك النعمان". لم يكن قد مر اياما على هذه الواقعة حتى صدر قرار وزارة العدل بمنع اشهار الاسلام امام غير الدائرة السنية.وعندما علم السيد(ره) صدور مثل هذا القرار من وزارة العدل قدم استقالته الى الوزارة، وترك العمل لدى محكمة الاحوال الشخصية الجعفري، بل انه ترك الكويت ليذهب الى مصر لاستكمال دراسته لدى كلية دار العلوم في جامعة القاهرة وكتابة رسالة الدكتوراه في الفقه والقانون، وقدر اختار لهذه الرسالة عنوان "عيوب الارادة في الشريعة الاسلامية".

وكان المرحوم السيد محمد بحر العلوم قد باشر مع مجموعة من زملائه الفضلاء امثال الشيخ احمد الوائلي، والسيد مصطفى جمال الدين وغيرهم، الى جانب دراستهم الاكاديمية في النجف الاشرف، كلية الفقه حتى انهوها، ومن ثم ذهبوا الى بغداد لغرض الحصول على الماجستير كما انجزوا دراسات البكالوريوس في النجف الاشرف.

واخيرا تمت منا قشة الرسالة في سنة ١٤٠٠هـ الموافق ١٩٨٠م بكلية دار العلوم، احدى مؤسسات جامعة القاهرة. وبعد ان نوقش السيد في رسالته وحصل على الدكتوراه في الشريعة من جامعة القاهرة ترك القاهرة متوجها الى الكويت في طريقه الى لندن.

عاد السيد بحر العلوم، بعد حصوله على الدكتوراه، الى الكويت لزيارة الاهل والاصدقاء، فعلم: ان قانون الاحوال الشخصية الكويتي رقم ٥١ لسنة ١٩٨٤ صدر هذا القانون بوضعه الحالي.:

أ ـ يُطبق هذا القانون على من كان يُطبّق عليهم مذهب الامام مالك، وفيما عدا ذلك فيطبّق عليهم احكامهم الخاصة بهم.

ب ـ اما اذا كان اطراف النزاع من غير المسلمين وكانوا مختلفين دينا او مذهبا سرى عليهم هذا القانون.

السيد محمد بحر العلوم
بحر المعرفة والعلم والانسانية

ا.د. عبد الرضا علي اسيري

استاذ العلوم السياسية/عميد (سابق) كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الكويت ـ دولة الكويت

حقا، يعجز القلم عن ان يجرى على السطور متحدثا عن قامة وهامة عالية الشان بوزن المرحوم سماحة السيد "محمد بحر العلوم"، الذي ملك ناصية العلم بسهولة ويسر ونطق بشتى صنوف المعرفة الانسانية، ولم يكتف بان يكون عالما وانما كان مناضلا شرسا ضد اعداء الحق والدين، فهو صورة حية للفقيه الانسان المؤمن، المخلص والعالم المتواضع، الذي قرن العلم بالواقع، حيث جسدت مواقفه الصلبة في الملمات التى مر بها العالم الاسلامي، خاصة الكويت والعراق، ايمانه العميق بمبادئ قيم العدل والحق وتطبيقها على الواقع والاحداث التي مر بها الكويت وفي اية بقعة من بقاع العالم الاسلامي والعربي.

ولد "سيدنا" في مدينة النجف الاشرف عام ١٩٢٧، منحدرا من اسرة دينية واجتماعية وسياسية سليلة المجد والشرف، ساهمت في بناء الدولة العراقية الحديثة منذ عام ١٩٢١. وهو زعيم سياسي وعالم دين ورجل ثقافة وعلم واسع، لدية عشرات المؤلفات في شتى فروع المعرفة: الفقــه، التاريخ والسياسة.. وهو حاصل على درجة البكالوريوس "في الفقه من جامعة النجف الدينية، والدكتوراه في الشريعة الاسلامية" من جامعة القاهرة عام ١٩٧٩.

ويتميز سماحته بانه صاحب توجهات سياسية مستقلة مقبولة من جميع اطراف الطيف السياسي في العراق وخارجه: في العالم الاسلامي الرحب وخاصة في الكويت.. فهو يتميز "بالواقعية" في طرح مواقفه السياسية العملية.. وكان من ابرز المعارضين لفترة حكم "صدام حسين" حتى ٢٠٠٣، وتولى رئاسة مجلس الحكم لاول مرة في (يوليو واغسطس ٢٠٠٣) ومرة ثانية في شهري (مارس وابريل ٢٠٠٤).

وقد كانت الكويت في الخمسينيات والستينيات والسبعينيات من القرن الفائت تحتضن رواد العلم والثقافة والمعرفة من شتى ربوع العالم العربي والاسلامي الذين ساهموا ايجابيا في تطور الكويت الثقافي وتسنمها دور القيادة الخليجية، وكان من بين هؤلاء الافذاذ والرواد، سيدنا الجليل: "السيد محمد بحر العلوم"، حيث وطأت قدماه ارض الكويت عام ١٩٥٨، بمناسبة حضوره لمؤتمر الادباء العرب في الكويت، فقد شارك في ندوة شعرية، ومنذ ذلك اليوم تغلغلت الكويت وشعبها في وجدانه وروحه، حيث كانت المحطة الاولى "للجوئه" الى خارج العراق بعد صدور حكم الاعدام عليه غيابيا عام ١٩٦٩ في عهد الرئيس "احمد حسن البكر" وفي نفس الوقت كانت المحطة الاخيرة له قبل عودته للعراق بعد سقوط نظام "صدام حسين" عام ٢٠٠٣.

وفي الفترة الواقعة بين عامي ١٩٧٢ ـ ١٩٧٩، عمل السيد "محمد بحر العلوم" قاضيا للاحوال الشخصية في محاكم الكويت، وترك انطباعا حسنا وماثر طيبة خلال توليه المهمة الفقهية والرسالة القانونية، ومن خلال عمله اختلط بالمجتمع الكويتي وقطاعاته المختلفة وبالمجتمع المدني، فاستقرت الكويت في وجدانه وضميره فكان ينبري مدافعا شرسا عن الكويت وعن الحق عند كل لائمة او شدة تتعرض لها الكويت واهلها.

ولم تكن ابدا، صدمة الغزو الصدامي للكويت عام ١٩٩٠، مفاجئة له، فهو اعلم ببواطن الامور وبواطن الحكم الاستبدادي الصدامي في العراق واطماعه في جيرانه، خاصة الكويت الذي مدت له يد العون في مناسبات شتى ولكن كخصال الحكومات الاستبدادية قلب لها ظهر المجن، وكيف لا يعلم كنه وبواطن هذا الحكم الاستبدادي وهو ضحية من ضحاياه؟

واثناء الغزو الصدامي للكويت، شارك سماحة السيد، في " لندن " في الكثير من المنتديات والمؤتمرات المطالبة بعودة الشرعية للكويت وانهاء الاحتلال واصدار الكثير من البيانات المنددة بالغزو العراقي الغاشم للكويت. ولا شك ان السيد كان رصيدا مضافا للحق الكويتي في حربه الاعلامية ودحض افتراءات واكاذيب الالة الاعلامية "الصدامية".

وبعد تحرير الكويت، كانت زيارات السيد "بحر العلوم" لا تنقطع للكويت وخاصة في "رمضان" من كل عام حتى غدت "فريضة رمضانية واجبة" له وللكويت والكويتيين، حيث كان يتزاور مع مسؤوليها ويلتقى مع مجتمعها المدني، عبر الدواوين والملتقيات. وكانت قطاعات كبيرة في الكويت تنتظر زياراته الرمضانية بشغف وحب وتقدير.

وكانت لكاتب هذه السطور مناسبتان، التقى خلالهما بالسيد الجهبذ "محمد بحر العلوم" تركت انطباعا ملموسا عن حبه للكويت واهلها واحترامه للمراة وتقديره لدورها. وكانت المناسبة الاولى، اثناء حضور ثلاثة من ابناء الكويت، وكنت احدهم، مؤتمر "الاسلام والنظام الدولي الجديد" الذي اقيم في "بيروت" في مارس ١٩٩٤، بدعوة من مركز الدراسات الاسلامية، برعاية المصلح الكبير المرحوم "محمد مهدي شمس الدين". وكان يحضر المؤتمر سماحة السيد "محمد بحر العلوم" الذي دعانا للافطار في مقر اقامته، وكان مهتما بالسؤال عن الكويت واوضاعها واهلها، وانشغاله باعادة اللحمة الى العلاقات الشعبية بين البلدين المتجاورين، وحملنا تحياته وسلامه ودعواته للكويت بالامن والامان، وتحياته لقيادات الكويت ومسؤوليها، وقمنا بدورنا بنقل رسالة المحبة والمودة الى المسؤولين في الكويت وقياداته.

اما المناسبة الثانية، فكانت في منزله العامر في مدينة "النجف" الاشرف، عندما كنا برفقة وفد اعلامي كويتي في زيارة للعراق (يناير ٢٠١١) واثناء المناقشات دعا سماحته "السيدات" العضوات في الوفد الجالسات في الغرفة المجاورة، بالتقدم الى الامام والجلوس قريبا منه والمشاركة في النقاش والحرص على سماع رايهن وابداء وجهة نظرهن في الموضوعات المطروحة للنقاش. وكان هذا دون ريب، ايمانا من الرجل بدور المراة وتقديره لها وضرورة مشاركتها البناءة في تنمية المجتمع وتطوره ولاشك.

ان العالم الاسلامي والعراق، فقد برحيل السيد "محمد بحر العلوم" الذي وافته المنية في ٢٠١٥/٤/٧ قمه شامخه من قمم العطاء والخصب من الفكر

المستنير والرشد في الطرح والعقلانية في الموقف. انها خسارة كبيرة للعالم الاسلامي والعربي، بفقده في وقت احوج ما نكون فيه لشخصه وارائه، في زمن تشتعل فيه الفتن ويتمزق العالم العربي والاسلامي. الرحمة للفقيد الغالي، والصبر والسلوان لذويه واهله ومحبيه.

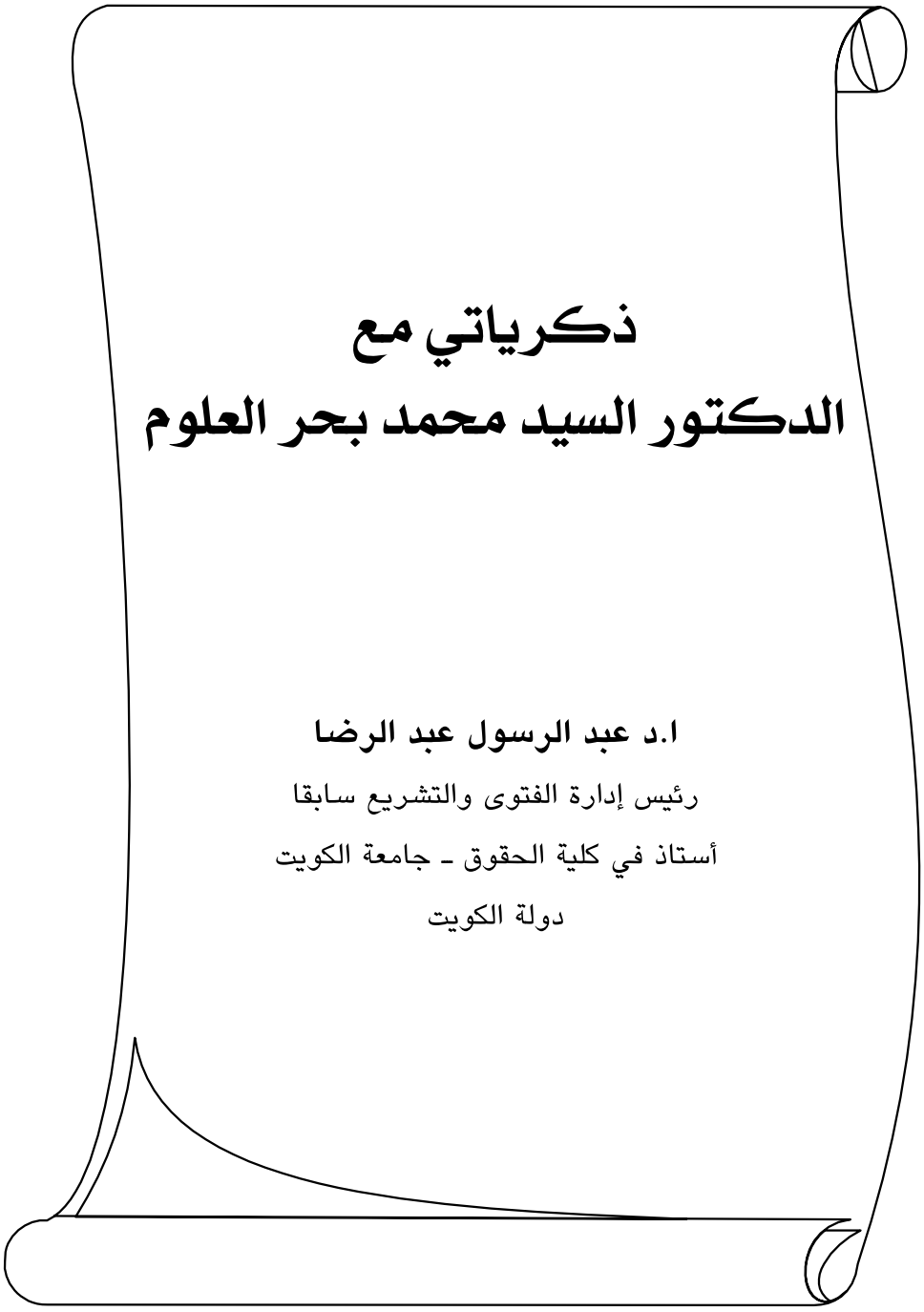

ذكرياتي مع
الدكتور السيد محمد بحر العلوم

ا.د عبد الرسول عبد الرضا

رئيس إدارة الفتوى والتشريع سابقا

أستاذ في كلية الحقوق ـ جامعة الكويت

دولة الكويت

من الصعب ان تكتب عن شخصية ذات همة عالية كشخصية السيد محمد بحر العلوم، فسيدنا رحمه اللّٰه شخصية في عدة اشخاص، تجذب كل من يقترب منه وينهل من اخلاقه وحلمه وحكمته وعلمه الكثير الكثير.

كان في سدة القضاء قاضيا مجتهدا، وفي الاخلاق والتسامح قدوة، وفي المعرفة علما واسعا، كان شاعرا اديبا متمكنا، كان كل هذا واكثر.

كان قاضيا يحرص على التوصل الى حكم عادل بين الذين عرضوا خصومتهم عليه، ذلك انه الى جانب تفقهه بالمسائل الشرعية، كان على المام تام بعلم الاجتماع، فضلا عن اطلاعه الواسع بالمنطق والفلسفة، فكان رحمه اللّٰه ذو ثقافة متعددة تسهل له الحصول على المعلومات الصحيحة والصادقة التي تجعله يحيط احاطة كاملة بالموضوع المطروح عليه فيطمئن الى الحكم الذي يصدره.

وفوق هذا كان صديقا صدوقا في كلامه ناصحا لاصدقائه مبتسما محبوبا في مناقشاته لمختلف الامور الاجتماعية والسياسية والقانونية؛ الامر الذي اكمله بهمته العالية في اطروحته للدكتوراه التي بينت الافاق الواسعة لديه والتي افادت المكتبة القانونية، وافدت منها كثيرا.

وقد كان هذا كله اثناء وجوده واسرته الكريمة في بلده الثاني دولة الكويت؛ اما بعد ذلك لم تنقطع الصلة معه لانه لا يمكنك ان تقطع الصلة معه. فاستمر تواصلي ولقاءاتي معه اثناء وجوده في لندن كلما مررت هناك كان حريصا ان يتعبقني ولو للحظات، وكنت اشعر بقربي منه، كما كنت اشعر بحبه الصادق دليلا على محبة متبادلة صادقة ومستمرة ودائمة.

وبعد عودته الى وطنه العراق وعلى الرغم من انشغاله بالامور العامة لوطنه فقد كانت همته عالية اذ انشا جامعة متميزة في النجف الاشرف، واعتقد ان هذا كان امنية عزيزة فرح بتحقيقها كما فرحنا معه، فلم ينشغل بالامور العامة وحسب وانما بصرح علمي مستمر. لا يمكنني التوقف هنا حيث كان التواصل مستمرا حتى عندما كان يزور الكويت فيخصني بزيارة خاصة يشرفني بها هو والوفد المرافق في موكب رسمي الى ديواني المتواضع.

واخيرا لا انسى علاقة الاخوة والصداقة بين ابنائه الاعزاء وابنائي، علاقة اخوة ومحبة وافرة اثناء وجودهم في الكويت. ولما كنت احظى بكل هذا الاهتمام منه كنت اتجرا احيانا بابداء رايي في بعض الامور، فكان رحمه الله بهدوئه واخلاقه السامية يقنعني بكلمة او كلمتين برايه الثاقب والصائب.

ولا يسعنى ان اختم موجز ذكرياتي الا ان اقول برحيله الى الجنة باذن الله فقدنا اخا وصديقا عزيزا علينا جميعا، ومربيا فاضلا، والله نسال ان يمنحنا واسرته الكريمة الصبر والسلوان وان يسكنه فسيح جناته.

العلامة بحر العلوم..
صديق الكويت

د.عبد الله معتوق المعتوق

رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ـ دولة الكويت

المستشار بالديوان الاميري ـ دولة الكويت

مبعوث الامين العام للامم المتحدة للشؤون الانسانية

في لحظة غدر وخيانة منقطعة النظير لحقوق الجوار وروابط المصاهرة والنسب بين الشعبين الكويتي والعراقي وقواسم الدين واللغة والجغرافيا والتاريخ، أطلق الطاغية صدام حسين العنان لجيشه المجرم الدموي لغزو دولتنا الحبيبة كويت الخير والعطاء في ٢ اغسطس من عام ١٩٩٠، فلم يرق لهذا المقبور ونظامه البائد ان ترفل دولة الكويت في النعم التي امتنن الله عليها، فملأ الغل والحقد والحسد قلبه، واستبد به الطمع والجشع، وتذرع بشعارات واهية وخادعة، وقام بفعلته الوحشية النكراء، فروع الامنين وانتهك الحرمات واغتصب الممتلكات وحرق ابار النفط وشرد الشعب الكويتي.

لكن مشيئة الله سبحانه وتعالى كانت درسا قويا وبلغيا في الامهال لا الإهمال، فقد عادت الكويت الى اهلها في ٢٦ فبراير ١٩٩١ محررة بعد ان انخرط اكثر من ٣٠ دولة في تحالف دولي اعمالا لقرار مجلس الامن رقم ٦٧٨ الذي اذن لهم باستخدام القوة مالم يسحب الجيش الغاشم من دولة الكويت.

ولم يشأ الله سبحانه وتعالى ان يخرج صدام من بلادنا الحبيبة خروجا عاديا لتماديه في الغطرسة والمكابرة وعدم استجابته لنداءات العقل والحكمة، وانما رحل ذليلا منكسرا مهزوما، وتسارعت الايام وضاع ملكه وذاقت عائلته من الكاس نفسه، فقتل منه من قتل وشرد منها من شرد، وقدم الظالم صدام الى المحاكمة وصدر ضد الحكم الذي يستحقه وهو الاعدام شنقا، فقتل شر قتله وعجل الله بهلاكه لقاء جرائمه في حق شعبه وجيرانه.

سقوط صدام حسين وحزبه كان نتاج عمل دؤوب، شاركت فيه دول شقيقة وصديقة، وثلة من رجلات العراق المخلصين، ومن هؤلاء سماحة العلامة د.

السيد محمد بحر العلوم ـ رحمه الله ـ التي تعرفت عليه بعد تحرير العراق من النظام البعثي البائد عام ٢٠٠٣، ومنذ ذلك الحين تعددت لقاءاتنا في مناسبات كثيرة، وزاراني الراحل في ديواني كلما زاره دوله الكويت وحتى وفاته في مدينة النجف يوم ٧ ابريل ٢٠١٥.

وقد عرفت الراحل عالما جليلا له العديد من المؤلفات في كل صفوف المعرفة وفروعها، ورمزا سياسيا وعروبيا بارزا، ملما بالقضايا العربية، حتى انه كان يردد من شدة اهتمامه وسعة علاقاته العربية، انه " عربي الهوى"، ولم تكن مجالسه تخلو من مثقفين وسياسين ومفكرين عرب واجانب ينتمون الى مشارب وايديولوجيات وثقافات مختلفة.

كما عرفت الراحل سليلا لأسرة عريقة وذات مكانه اجتماعية وسياسية مرموقة، وكان ساعيا ـ كما عبرت عن ذلك مواقفه ومؤلفاته للتقريب بين اهل السنة والشيعة وجمعهم على المشتركات، ولم يعرف عنه ان كان طائفيا بل كان صاحب مواقف واضحة ضد تدخلات ايران في شؤون العراق.

كان من عاداته رحمه الله اذا زار الكويت يلتقي بأهلها في دواوينهم، ويحسنون استقالبه، ويستمعون الى دروسه وتحليلاته لاوضاع الامة والاخطار المحدقة بها.

وكانت الكويت احدى محطاته حينما اضطر بمغادرة العراق، ومكث في المنفى خارج بلاده قرابة ٣٤ عاما، وظل خلالها معارضا لحكم البعث في العراق، وقد حكم عليه بالإعدام غيابيا عام ١٩٦٩ بسب انشطته السياسية المناهضة للنظام العراقي آنذاك والرامية الى اسقاطه حيث كان يتطلع الى ان ينعم العراق بنظام ديمقراطي يعيش فيه الجميع بسلام في ظل اجواء تسمح بالتعددية الثقافية والدينية.

كما كان الراحل من اشد الرافضين لغزو صدام لدولة الكويت في العام ١٩٩٠، وشارك في الكثير من المنتديات والمحافل المطالبة بعودة الشرعية، كما اصدر البيانات المنددة بالغزو الغاشم.

ولم ينقطع الراحل عن زيارته دولة الكويت بعد تحريرها الى حين وفاته، حيث كان ياتي اليها الكويت في ضيافة القيادة السياسية خلال شهر رمضان من كل عام، ويتواصل مع المجتمع الكويتي من خلال زيارته الى الدواوين فضلا عن زيارته الرسمية حيث كان يعمل على توطيد العلاقة بين البلدين الشقيقين الكويت والعراق، وبعد سقوط صدام عبر الراحل عن شكره للحكومة الكويتية ودورها في تحرير العراق من الحاكم المستبد الطاغية صدام حسين.

ارتبط الراحل بعلاقات من المودة والتواصل مع اهل الكويت، وكان حضرة صاحب السمو الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح ـ حفظه الله ورعاه ـ يحب هذا الرجل لموافقه الايجابية ـ كما اسفلنا ـ من دولة الكويت، حيث ارسل برقية تعزية الى اسرته اعرب فيها سموه عن خالص تعازيه وصادق مواساته بوفاته، وسأل المولى تعالى ان يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته، ويلهم اسرته الكريمة وذويه جميل الصبر وحسن العزاء.

وفي دليل كاشف وجلي على المكانة التي كان يحتلها الراحل لدى اهل الكويت قيادة وشعبا، اشاد سمو الامير في برقية العزاء بالمكانة الدينية الرفيعة للفقيد، وبموافقة الوطنية المشهودة، واسهاماته الجليلة في خدمة وطنه وقضايا امته الإسلامية".

وعقب وفاة العلامة بحر العلوم استقبل نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية الشيخ صباح الخالد وزير النفط العراقي السابق د. ابراهيم محمد بحر العلوم وسفير العراق لدى البلاد د. محمد حسين بحر العلوم وقدم لهما خالص تعازيه، مستذكرا بكل الاعتزاز العلاقة التاريخية الوطيدة للسيد محمد بحر العلوم رحمه الله مع الكويت وقيادتها، وأعرب عن أمله في استمرار هذا التواصل بين ابناء الفقيد واخوانهم في الكويت لما فيها من خير وصالح العلاقات الوثيقة بين البلدين الشقتين، وقدم الرجلان الشكر ـ بأسم أسرة الفقيد سماحة العلامة السيد محمد بحر العلوم رحمه الله ـ على طيب مشاعر الكويت ـ قيادة وحكومة وشعبا تجاه الاسرة في مصابها، مشيدين بالموقف الاخوي الكويتي مع محنتهم.

نسأل الله ان يتغمده العلامة بحر العلوم بواسع رحمته وان يسكنه فسيح جناته وان تكون سيرته نبراسا لكل وطني محبا لامتيه العربية والاسلامية، وكل ساع للم الشمل وجامع العرب والمسلمين على كلمة سواء بعيدا عن التناحر والتصارع الطائفي البغيض الذي لم نجن من الا الخسران المبين.

كما نسالة سبحانه وتعالى ان يرحم شهدائنا الابرار الذين قاموا الغزو الغاشم وثبتوا على ولائهم لهذه الارض الطيبة، واستبسلوا في الذود عنه حتى لقوا الله شهداء دفاعا عن الوطن والعرض والمال، وصدق رسول الله(ص) ((من قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون اهله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد))، والله الموفق والمستعان.

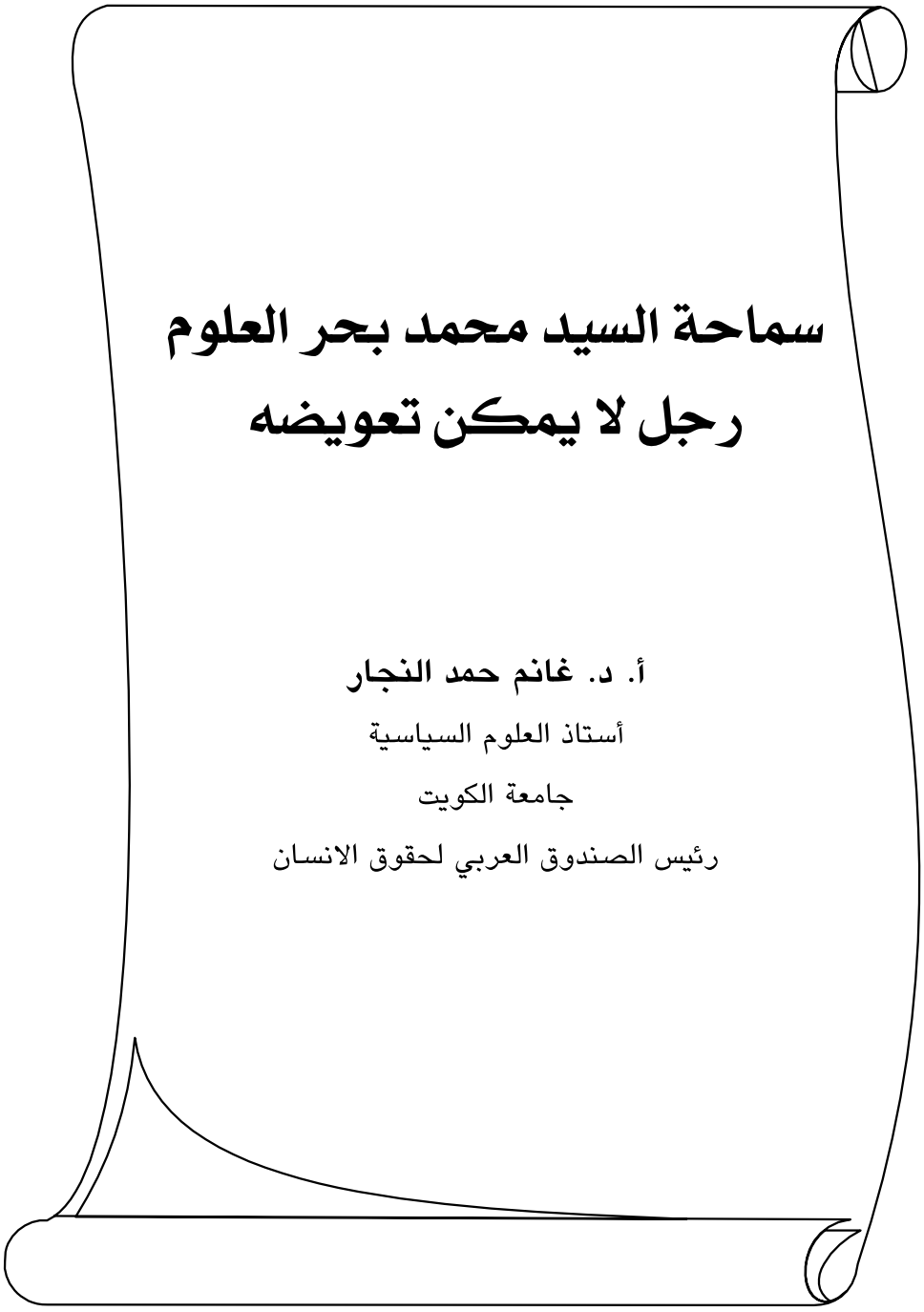

سماحة السيد محمد بحر العلوم
رجل لا يمكن تعويضه

أ. د. غانم حمد النجار

أستاذ العلوم السياسية

جامعة الكويت

رئيس الصندوق العربي لحقوق الانسان

عندما انتقل سماحة السيد محمد بحر العلوم إلى رحمة الله العام الماضي، في السابع من ابريل ٢٠١٥، شعرت بحزن شديد، فمثله تشعر بغيابه حين يغيب، ليس عن العين فحسب ولكن عن القلب ايضا. مر بي شريط الذكريات سريعا، فلم اجد في مضامينه إلا كل خير. كنت ادرك جيدا بان غيابه عن المسرح السياسي سيؤدي إلى ثلمة في معسكر الإعتدال في ساحة سياسية مضطربة في العراق والمنطقة.

إلا أن علاقتي مع السيد بحر العلوم تتجاوز الشأن السياسي، حيث كانت الحميمية الإنسانية تطغى على التقييم السياسي، ولأمر ما ومع كثرة التفاصيل التي كنا نتبادل فيها الحديث، إلا أن القيمة الإنسانية المضافة، وتهذيب خشونة السياسة ربما كانت عنصرا يقربنا أكثر فأكثر. إلتقيته عدة مرات، إن في الكويت أو في بغداد، وبالذات في المراحل الأولى لسقوط النظام السابق، حيث إضطلع السيد بحر العلوم بمهام مستحيلة، كرئاسة مجلس الحكم. وحيث أنني كنت موجودا في بغداد لمهام إنسانية، بعضها مرتبط بالأمم المتحدة، بطلب من صديقنا الراحل سيرجيو دي ميللو والذي إغتالته يد الغدر في فندق القناة في أغسطس ٢٠٠٣، حيث كان مقررا ان التقيه بعد فترة قصيرة من إغتياله، وبعضها مع منظمة العفو الدولية لرصد مدى إلتزام القوات الغازية بالقانون الدولي الإنساني، فقد جرت نقاشات عميقة بيني وبين السيد بحر العلوم والذي كان متقدما في آرائه وأفكاره. أسعدني وأراحني عميق فهمه وحسن إدراكه للمنظومة الدولية ومرونته العالية في فهم تلك المنظومة، وحتى تكييفها وتكيفها مع المعايير الشرعية.

وعندما عقدنا مؤتمر "مستقبل العلاقات العراقية الكويتية" في شهر ايار (مايس) عام ٢٠٠٠ بتنظيم من مركز الدراسات الاستراتيجية والمستقبلية بجامعة الكويت والذي كنت أرأسه حينها، ولجنة الشؤون الخارجية بمجلس الأمة الكويتي برئاسة النائب محمد جاسم الصقر، كنا نستهدف العودة الى العقلانية والتوازن بين الكويت والعراق، دون نسيان الجروح الغائرة. كان التحدي كبيرا على كافة المستويات والأصعدة، ولو قدر لي ان اكتب تلك التجربة، وربما ساكتبها يوما ما، فانها ستكون درسا مهما وعميقا. وأعترف هنا اننا ربما لم نكن بقادرين على التغلب على تلك المصاعب والتحديات بدون تعاون وحكمة ومساعدة السيد محمد بحر العلوم. كلما اقتربنا من ترتيب محاور المؤتمر وشخصياته ومتحدثيه وحتى كيفية جلوسهم، كان السيد بحر العلوم عنصرا مساندا قادرا على التواصل مع اغلب الاطراف دون حرج او ملل او كلل. كانت تجربة مؤتمر مستقبل العلاقات العراقية الكويتية الذي انعقد في الكويت سنة ٢٠٠٠، تجربة متقدمة في زمن التراجع، وكان السيد محمد بحر العلوم شمعة مضيئة ساندت العمل منذ بدايته الى نهايته، كان مؤمنا بالفكرة، وباهميتها لاستقرار المنطقة، وكان دائما مايقول بصوته الوقور، "ياإبني أي عمل يقرب بين الناس يبارك الله فيه، وماتقومون به عمل مبروك ومبارك بإذن الله".

ربما كانت احدى النقاط التي استمتع في الحوار معه حولها الخلفية العميقة عن علاقته وتقييمه لعمله مع الإمام محسن الحكيم، وكان يستطرد احيانا في شرح طبيعة الشخصية وابعادها ودورها السياسي والاجتماعي والديني.

وفي إحدى المرات واثناء زيارته لي في جامعة الكويت وتطرق حديثنا عن مستقبل التعليم والجامعات، حيث كان رحمه الله مهتما بالتعليم، كما تطرقنا للحديث عن تأسيسه لمعهد العلمين للدراسات العليا في النجف الأشرف، وقد أوضح بأنه معهد متخصص في العلوم السياسية، وربما يكون أول معهد من نوعه. كان طموحه كبيرا في ان يؤدي المعهد دورا رائدا في ترشيد العملية

السياسية من خلال تخريج كوادر مؤهلة في خذا المجال. إتفقنا من حيث المبدأ بالتعاون الاكاديمي والفني في هذا المنشط المهم.

بالطبع لم يكن لحديثنا ان ينتهي دون الحديث عن انظمة الحكم والديمقراطية وحقوق الانسان. كان رحمه الله يتحدث بوعي وادراك عن انه لايمكن لمنطقتنا ان تتطور بدون ديمقراطية، وكيف انه منذ زمن طويل رفع شعار الديمقراطية وحقوق الانسان، وكيف انه كان ربما رجل الدين الوحيد الذي وقع على وثيقة الديمقراطية وحقوق الانسان في العراق في اواخر الثمانينيات بمعية مجموعة من السياسيين العراقيين. وبحكم اختصاصي واهتمامي بحقوق الانسان فقد استمعت منه ما فتح مجالا لاعادة النظر في العديد من المعطيات السائدة.

كان السيد محمد بحر العلوم بحرا للعلوم كما هو اسمه لاينكره ولاينفصل عنه، كان مرنا متسامحا، متقبلا للراي الآخر بصدق وبلا افراط ولاتفريط، وكان قبل هذا وذاك إنسانا بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى، ولا أراني مبالغا إن قلت بأن رحيله وغيابه عن الساحة العامة، لن يمكن تعويضه.

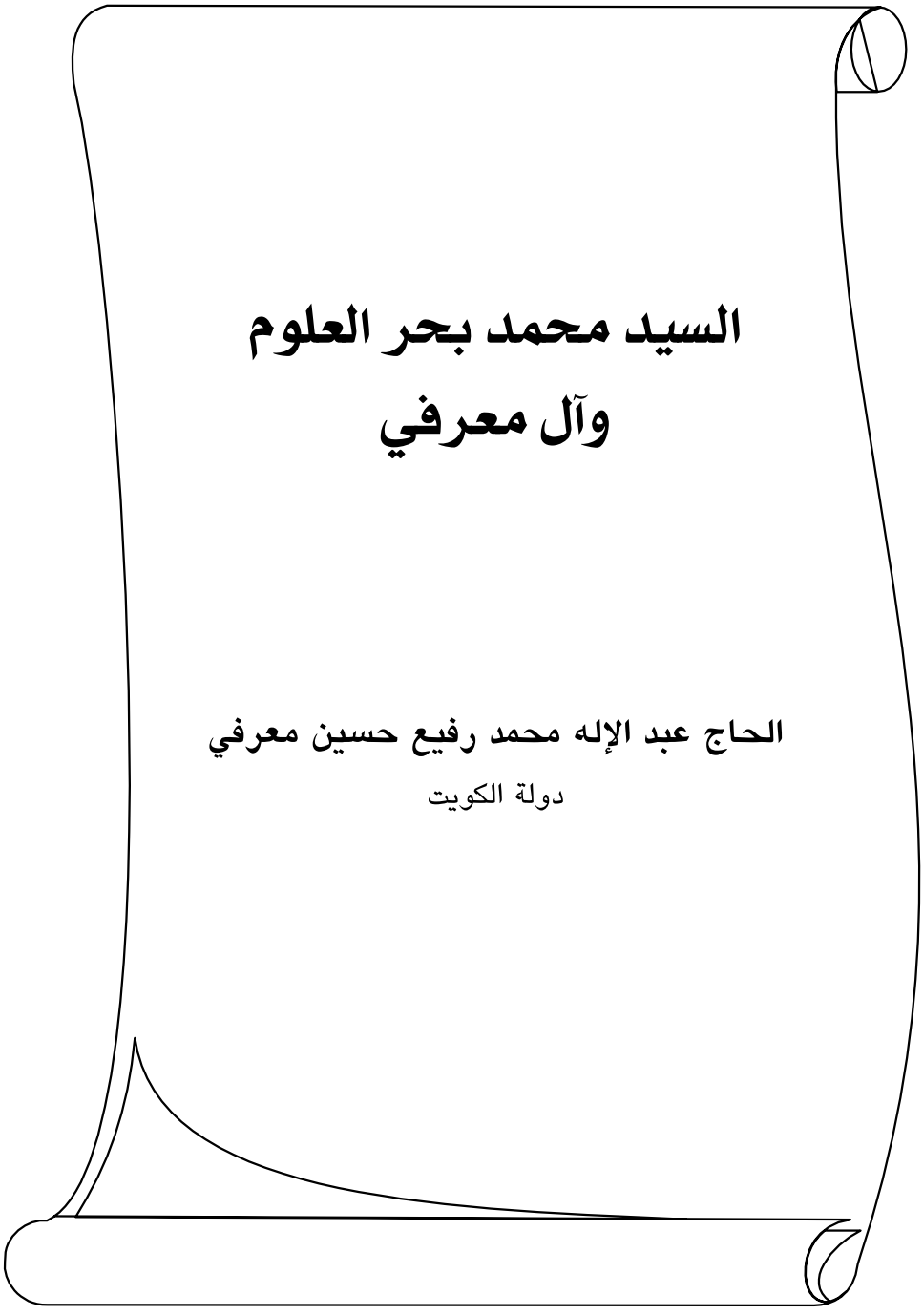

السيد محمد بحر العلوم
وآل معرفي

الحاج عبد الإله محمد رفيع حسين معرفي

دولة الكويت

السيد محمد بحر العلوم (قدس سره)، هو شخصية دينية واجتماعية وسياسية متنوعة الجوانب، يرتبط بعائلة معرفي الكويتية بروابط حميمة أخوية ودينية وصداقات دامت حقب حتى وفاته رحمه الله، وارتباطه بالعائلة امتداد لارتباط العائلة بالحوزة العلمية والمراجع العظام بالنجف، فقد كان الحاج محمد رفيع حسين معرفي رحمه الله لصيقا بالمرجعية في النجف الاشرف تجمعه صداقة ود برجال الحوزة العلمية ويحمل لهم مشاعر التقدير والاحترام.

والسيد محمد بحر العلوم احد روافد العلم في الحوزة، وتعرف عليه وهو مازال في طور البحث والتحصيل العلمي، وتلاقت المشاعر الودية بين العائلتين عائلة معرفي وعائلة السادة بحر العلوم، وترجمت هذه المشاعر إلى علاقات تعاون بين العائلتين في كثير من النشاطات الخيرية وما يتعلق بالعقيدة، كذلك وبين أفراد العائلتين التي تحلت في العلاقة الحميمة بالعالمين الكبيرين المجتهدين آية الله السيد عز الدين بحر العلوم وآية الله السيد علاء الدين بحر العلوم (قدس سرهما) شقيقي السيد محمد بحر العلوم (قدس سره) الذين كانوا جميعا في خدمة العقيدة، وناصحين وموجهين في أمور الدين والدنيا وفي كثير من الأمور الخاصة بعائلة معرفي باعتبارهم علماء الشريعة الإسلامية، واستدامت هذه العلاقة النورانية من بعدهم مع العالم الباحث المحدث السيد حسن ابن السيد عز الدين بحر العلوم (قدس سره) حتى تاريخ لقائه ببارئه تعالى في أكتوبر سنة ٢٠١٤ م.

وتوطدت علاقة عائلة معرفي بالسيد محمد بحر العلوم أبان تقلده منصب قاضي الأحوال الجعفرية بدولة الكويت في السنوات من ١٩٧١ م إلى ١٩٧٧م،

وكان بابا علميا للمشورة والتوجيه الشرعي لأهل الكويت بما فيهم آل معرفي، وموضع ثقتهم وتقديرهم، يلاحظ ذلك من استمرار عائلة معرفي التواجد بشكل دوري في ديوان العلامة محمد بحر العلوم في مسكنه بالكويت، فأحدثوا نوعا من التآخي بين الديوانين تعبيرا عن اعتزاز ومحنة آل معرفي له والدي كان يبادلهم ذلك.

وحتى بعد انتهاء فترة عمله في دولة الكويت وانتقاله إلى المملكة المتحدة، استمرت علاقاته بأهل الكويت عامة وال معرفي خاصة، واستمر مصدرا موثوقا لأحكام الشريعة، وموضع ثقة المؤمنين فيما يطلب منه من رأي أو بيان حول التصرفات والإعمال التي تقتضي فهم موقف الشريعة الإسلامية منها، وكان (قدس سره) عونا كبيرا لعائلة معرفي في إدارة وتوجيه الأعمال الخيرية التي يتصدرون لها معتمدين غزارة علمه وسعة خبرته.

كما كان رحمه الله مرتبطا ومواصلا في الحضور إلى ديوان معرفي، وتعتبر العائلة حضوره تميزا لديوان خاصة بعد أن دخل تاريخ المنطقة والعراق باعتباره عضوا في مجلس الحكم الانتقالي في العراق ثم رئيس دوري لهذا المجلس، بجانب صفته العلمية باعتباره احد العلماء الأفذاذ شرعيا وأكاديميا، ولن ينسى آل معرفي ورواد ديوان معرفي لقاءاتهم العديدة به وسعادتهم بحلوله، رحم الله العالم المجاهد الكبير السيد محمد بحر العلوم وجزاه عنا وعن امة الإسلام خير الجزاء واسكنه فسيح جناته، فقد أفاد الدين والإسلام والباحثين بتراثه الذي أضاف للفكر الإسلامي واستمرت العلاقة فيما بعد وفاته بأبنائه وعلى رأسهم الأخ الدكتور إبراهيم محمد بحر العلوم.

سماحة العلامة
السيد محمد بحر العلوم:
ساهم في تقارب الشعبين

الدكتور عبد المحسن يوسف جمال

أستاذ العلوم السياسية ـ جامعة الكويت

نائب سابق في مجلس الامة الكويتي

عضو المجلس الأعلى للتخطيط

دولة الكويت

يعتبر سماحة السيد محمد بحر العلوم من الشخصيات التي استطاعت التقريب بين الشعبين الكويتي العراقي، في كافة المراحل حياته العلمية، وخاصة في فترة الازمات الشديدة سواء اثناء عمله كقاضي شرعي في محاكم الكويت، او في فتره الغزو اثناء اقامته في بريطانيا او بعد تحرير العراق واستلامه اعلى المناصب فيها.

فحب الشعب الكويتي بقي في قلبه وعواطفه الى انتقاله للرفيق الاعلى. ويشهد بذلك كل من تعامل معه او التقى به من كافة المستويات الرسمية والشعبية. فهو عاش فتره من عمره في الكويت حين تسلم القضاء في المحكمة الجعفرية، فااحبه الناس واحبهم وكان كثير الالتقاء بهم يستشيرونه في قضاياهم الشرعية وشؤونهم العامة والخاصة، وكان يمتاز بحزمه مع تواضعه. وبمحاوراته مع قوة حجته، وانفتاحه على الجميع مع قوة شخصيته.

عرفته رحم الله نعم العالم المتبحر، والمثقف ذو العقل المنفتح، ومع فارق العمر بينا الا انه كان مستمعا جيدا ومحاورا لبقا، لايفرض رأيه على احد، ولكنه كان صريحا وواضحا في ما يطرحه من اراء. ولقد ترك القضاء بارادته حين تم سن قانون الوصية الواجبة لانه لايستطيع ان يحكم بعكس قناعته ورؤيته الشرعية.

وسافر الى بريطانيا ليستقر هناك بسبب خطورة ذهابه الى وطنه العراق في العهد السابق، وكان لي شرف الالتقاء به عدة مرات اثناء سفري المتكرر الى لندن سواء قبل غزو الكويت او اثناءه او بعده. فلقد التقيت به مرارا قبل الغزو، وكان همه الاول هو العمل لتحرير الشعب العراقي من الحكم السابق،

وحصوله على نظام جديد يرتقي الى طموح الشعب بحريه والحياة الكريمة، وكان دائم المتابعة لاحوال شعبه حيث كان بيته في لندن ملتقى العديد من الشخصيات العراقية والعربية، وكان يدير حورارات فكرية وسياسية بينهم تناول الهم العربي والاسلامي بما يتمتع به من ثقافه عالية وقدرة راقية على ادارة الحوار.

وكانت محن العراق تنعكس عليه هما وغما ومتابعة يومية بما فيها مايحدث لمنطقة الشعب الكردي في شمال البلاد، لذلك كان منزله مكانا للقاء كافة شرائح المجتمع العراقي، وبذلك كسب تقدير واحترام الجميع، وهذا ما سيظهر جليا بعد تحرير العراق من نظامه الدكتاتوري.

ولقد تعززت لقاءاتي معه فترة غزو نظام صدام حسين للكويت واقامتي في بريطانيا حيث تكثفت اللقاءات والاتصالات وبالاخص تصريحاته واستنكاره للغزو، كان قويا وصريحا منذ اليوم الاول حيث وقف مدافعا عن الحق الكويتي ومستنكرا غزوها. وصرح بذلك لكافة وسائل الاعلام التي كانت تتصل به وتاخذ رأيه. بالاضافه الى انه كثف الاتصال بشرائح المعارضه العراقية وعمل معها جاهدا للتشكيل رأيا موحدا في هذا الاتجاه، ولقد نجح باقتدار في توحيد الاتجاه وخلق رأي عام عراقي في التنديد بالغزو.

وكان في لقاءاته واتصالاته يعزز ايمانا واطمئناننا بعودة الكويت حرة عزيزة، وان الشعب العراقي بعد تحريره من الحكم الاستبداي سيكون عونا للكويت، وخاصة ان الشعبين العراقي والكويتي عانا جميعا من استبداد النظام الدكتاتوري الذي لم يحترم حرمة الجوار. وبعد سقوط نظام صدام حسين كان لسماحة السيد الدور الكبير في تعزيز استقرار والوحدة الوطنية في العراق وذلك لعلاقاته المميزة مع كافة الشرائح المجتمع العراقي.

ولقد كان له الدور الكبير في اعادة جو الثقة بين الشعبين العراقي والكويتي وخاصة حين استلامه الدوري لرئاسة الدولة في العراق، وتصريحاته المتواصلة بضروة اقامة العلاقات الطبعية والمميزة بين العراق والكويت والتي

كان يسعى لها جاهدا، ونجح في مسعاه باعادة جو الود والتعاون، وذلك من خلال زياراته المتكررة للكويت وتصريحاته الودية والمتفائله دائما. وكان يتحفنا دائما بالتفضل بزيارة ديواننا في كل زيارته الرمضانية حيث يدور دائما نقاشا اخويا حول علاقة البلدين، وكان يجيب على كافة الاسئلة والاستفسارات التي توجه لسماحته بكل شفافية واريحية، وبالصراحة التي تميز بها دائما مع وجود الصحافه المحلية التي كانت تنقلها للرأي العام الكويتي الذي كام يتلقاها بكل ارتياح وترحيب.

رحم الله سماحاة العلامة السيد محمد بحر العلوم، واسكنه فسيح جناته فلقد ترك بصماته الكبيرة والمؤثرة، وخلق مناخا قويا من الثقة بين الشعبين الكويتي والعراقي.

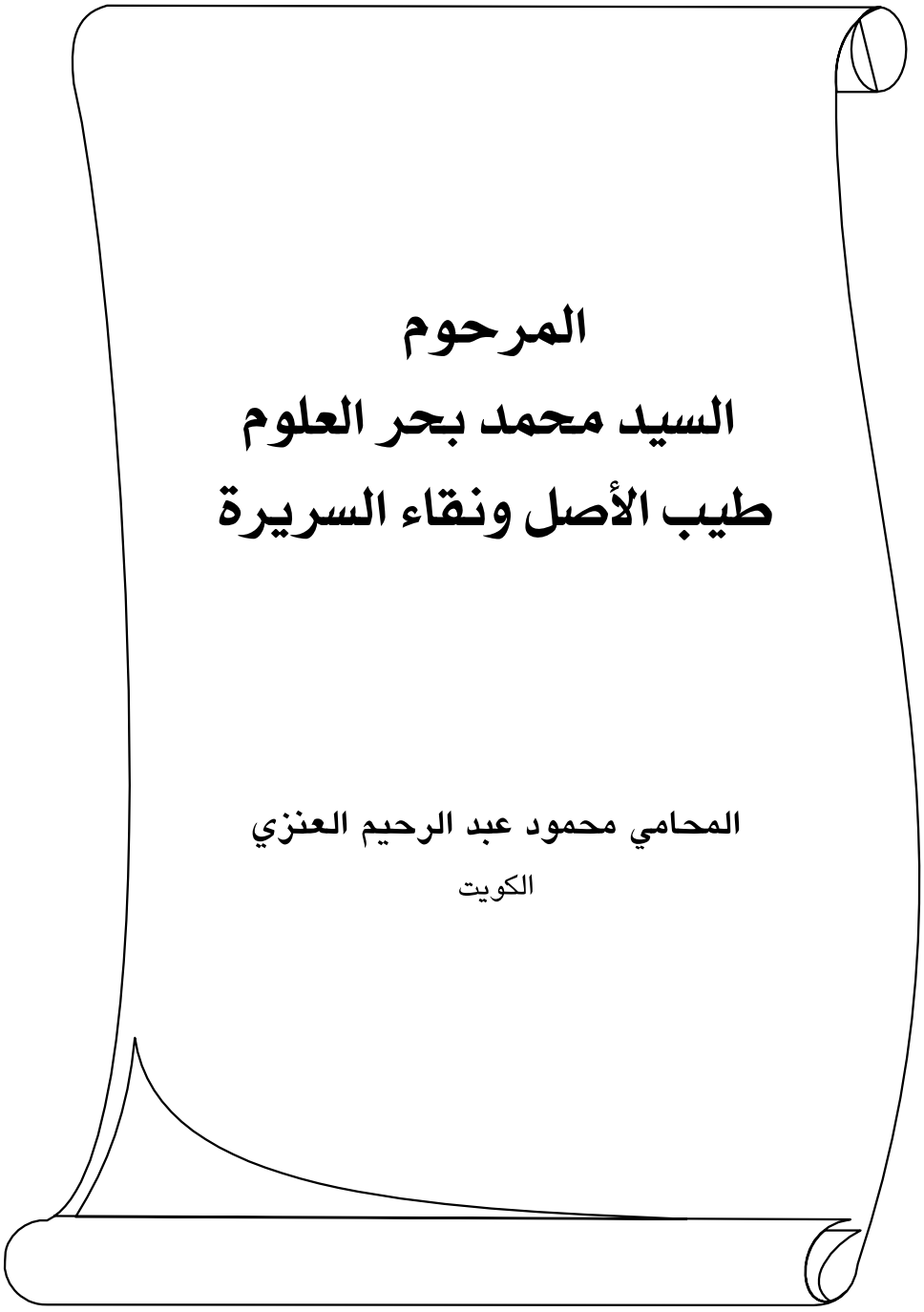

المرحوم
السيد محمد بحر العلوم
طيب الأصل ونقاء السريرة

المحامي محمود عبد الرحيم العنزي

الكويت

يـا طـيـبَ مـنْ رافـقـتُ مـنْ رجـلٍ ... الـلهُ يـرحـمُـه قـدْ كـان أحـسـنَـنـا
عـذبـا صـدوقـاً صـائـمـاً سـمـحـاً ... جـلداً صـبـوراً قـانـتـاً حَـزنـا
عـبـقـاً عـطـوراً بـاسـمـاً شـرفـاً ... فَـطِـيـنـاً إذا لـلـصـالـحـاتِ رنـا
سَـلَمـاً لـكـلِّ الـمـؤمـنـيـن لِهـم ... مـسـتـغـفـرا لـلهِ حـيـثُ دنـا
حـربـاً عـلى الـفـسّـاق يـمـحـقُـهـم ... بـالـنـورِ مـنِ بـيـنِ الـجـبـيـنِ سـنـا
لـلـه مـحـزونـي عـلـيـك أيـا خـيـرَ ... الـرفـاقِ الـنـاصـحـيـنَ لـنـا
يـعـطـيـكَ ربّـي جـنـةً فـرحـاً ... تـحـيـا بـهـا مـسـتـنـعـمـاً بـهـنـا
تـدعـو لـنـا الله الـغـفـوَر بـأنْ ... يـمـحـو خـطـايـانـا ويـرحـمَـنـا

تعجز الكلمات عن وصف الرجال وتجف الأقلام في حصره من يعجز اللسان عن انتقاء الكلمات لوصفهم.

فإن السيد محمد بحر العلوم رجل ندر وجوده في زمان قل فيه الرجال، فان حضرة الجناب الأجل والكهف الاظل الملاذ المفخم محط رحال الفقراء والكبراء من تنزل في ساحته الأسفار، وتلقى عنده عصى التسيار، هذا العبد الفقير إلى الله العظيم في ممشاه، عزيز النفس، دمث الخلق، كريم الطباع، راقيها يفخر بمعرفته كل من يسمع اسمه، جمعتنا به المرافقة والمصادقة والذكريات، وحفرت في القلوب ذكراه، ونقش بالذاكرة ملتقاه حينما اعتلى منصة القضاء الجعفري بدول الكويت أبان العقد الثامن من القرن المنصرم، ولمدة قاربت ألثمان سنوات، مرت بسرعة البراق، واحتوت على مواقف وذكريات تدل على طيب الأصل ونقاء السريرة، وليس هذا ببعيد عن الموصوف فهو وليد عائلة جليلة عائلة اسم على مسمى عائلة (بحر العلوم). إلا أن تشاء الأقدار بانقطاع العلاقة حين مغادرته دولة الكويت إلى الخارج.

فإنني وأبان تلك الحقبة المشار إليها كنت رئيسا للادعاء العام وكان لزاما حضوري بجلسات محكمة الجنح المستأنفة، فكنا نجتمع بعد الجلسات في مكتب المرحوم نتسامر ونتباحث ونستعرض غرائب القضايا وما يتعلق بقضايا الأحوال الشخصية الجعفرية من زواج وطلاق وما يرتبط بهما، ولقد شرفني المرحوم بإهدائي بحثا قام بإعداده تحت عنوان ((الشهادة على الزواج والطلاق والرجعة))، هذا البحث الزاخر بالمعلومات والمبادئ المجمعة الذي اعتبره والكثير من الإخوة المحامين مرجعا قيما لقضايا الأحوال الشخصية الجعفرية يتم الارتكان إليه والتأصيل في ضوئه فهو بحث متعمق وفر ذو غزارة في الفكر وتدفق في المعلومات المجمعة المبسطة التي يستفاد منها القاصي والداني وبالأخص ((رجال القانون من محامين ومستشارين)).

فإنني وأبان فترة الصداقة كنت ارتاد منزل الفقيد ما بين الحين والأخر، وخبرته رجل مضياف زرع في ولديه السيد إبراهيم والسيد محمد حسين السفير العراقي بالكويت جل هذه الطباع، فكان لهما نبراس الهداية ومنبع الخلق والكرم والعلم نعم الوارث والموروث.

وحين سقط المقبور الطاغية صدام حسين كنا نتابع أخبار قاضينا المرحوم الفقيد السيد محمد بحر العلوم عبر شاشات التلفزيون، نفخر بالأعمال التي شارك فيها لنهضة وتأسيس الجمهورية العراقية الجديدة القائمة على أنقاض دولة المقبور.

وعقب سقوط الطاغية وطأت قدم الفقيد ارض الكويت، وقمت بزيارته آنذاك بفندق هيلتون وكان لي شرف التقائه بعد انقطاع دام عدة سنوات لنعيد ذكريات الماضي.

وحين تم تعيين السيد محمد حسين بحر العلوم سفيرا للجمهورية العراقية بدولة الكويت تبادلنا اللقاءات والزيارات التي أعادتني إلى زمن الفقيد رحمه الله، وإذا كان الفقيد قد رحل عنا بجسده فان ذكراه وعلمه باقي إلى أن يشاء الله.

وأخيرا وليس أخرا فان ذكرى الفقيد باقية بقاء الدهر، ونسأل الله أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه مع أجداده آل البيت الكرام.

وفي هذا المقام لا يسعنا إلا أن نتذكر قول خير البرية رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا مات ابن ادم انقطع عمله إلا عن ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له. وفقيدنا جمع كل هذه الخصال فعلمه باقي بقاء الدهر ينتفع به وولديه صالحين صلاح الاباء والاجداد وصدقاته جارية معلومة للكافة.

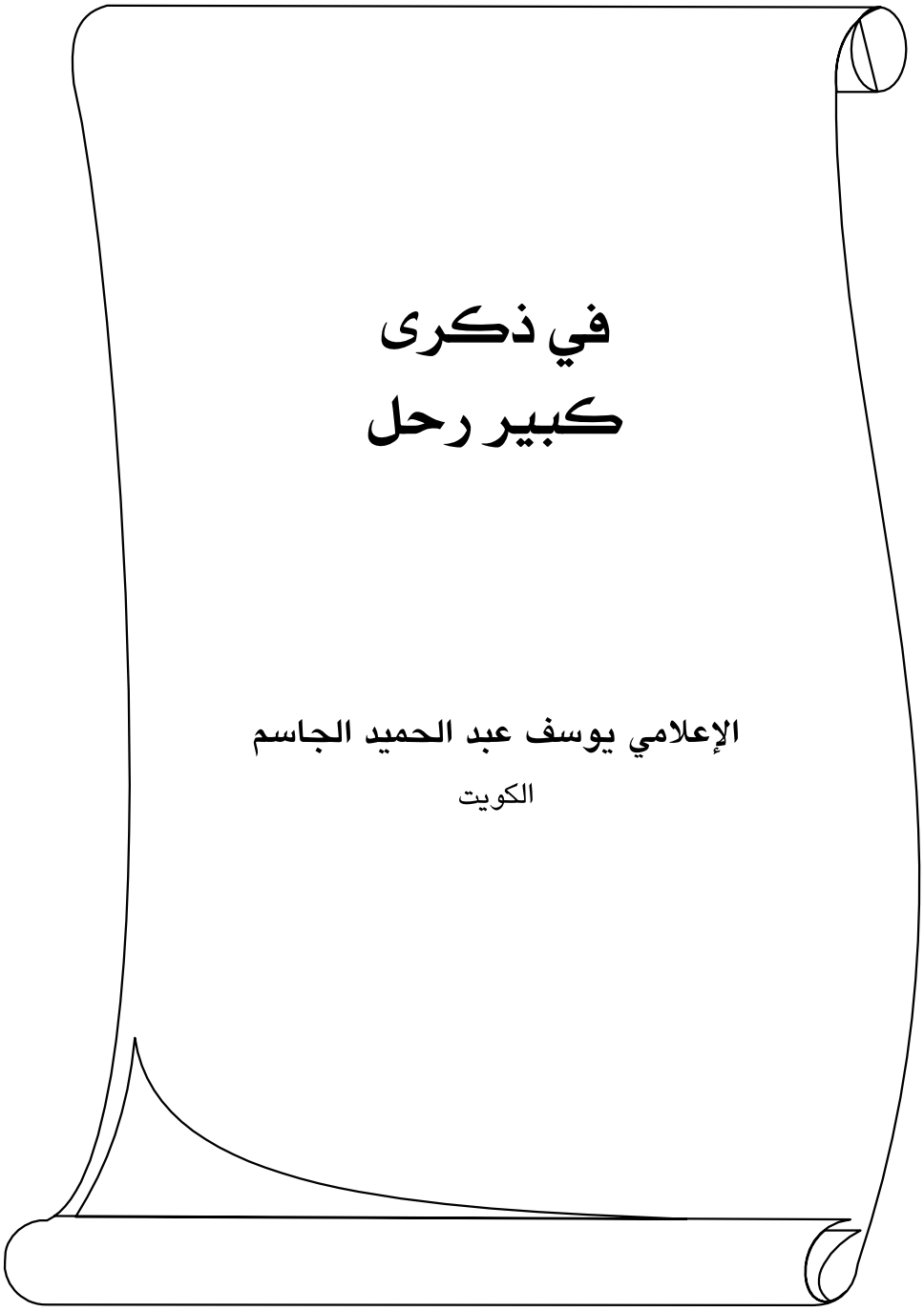

في ذكرى
كبير رحل

الإعلامي يوسف عبد الحميد الجاسم

الكويت

كنت متهيأ كإعلامي آت من الكويت لقاءه حين تحدد موعد تسجيل حلقة من حلقات برنامج (قضايا وردود) الذي كنت أتولي ادراته حواراته من على شاشة تلفزيون الكويت والذي كانت تعده جمعية الخريحين الكويتية، مع قامة شامخة من قامات ورموز الجهاد ضد الطغيان في العراق تحت الحكم الغابر لصدام حسين.

فقد كان الموعد في مساء يوم من ايام شهر نوفمر ١٩٩٣ في لندن، للقاء العلامة المجاهد الدكتور السيد محمد بحر العلوم ـ طيب الله ثراه ـ بمشاركة من السيد تيراس كلارك السفير البريطاني الاسبق في العراق، والدكتور صلاح الشيحلي امين عام حركة الوفاق الوطني آنذاك، وهو فصيل من فصائل الكفاح ضد الطاغية (صدام حسين)، وقد اصبح الدكتور الشيخلي فيما بعد سفيرا لبلاده في المملكة المتحدة بعد سقوط النظام البعثي في العراق.

مبعث التهيب كان اللقاء مع قامة شامخة كالعلامة السيد الدكتور محمد بحر العلوم، وهو يعتبر كتيبة من الرجال في رحل واحد (علما ومرجعية ومكانة ادبية واجتماعية وسياسية وتاريخية وجهادية)، وهي صفات قل ان تجتمع في رجل واحد كمثل الراحل الكبير. ولكن وما ان فيها ولجت الغرفة الصغيرة الذي كان ينتظرني فيه ذلك الرجل الكبير حتى بادرني بالتحية والوجه المشرق الطافح بالسماحة والذي يدخل الى قلب من يلقاه بدون استذان، ويرافقه السفير السيد محمد حسين بحر العلوم الذي كان ملازما ومرافقا لوالده المغفور له العلامة محمد بحر العلوم طوال سنوات نضاله وكفاحه ضد الطغيان من منفاه البعيد، ولم يزد تواضع السيد الا رفعة ومهابة.

فكانت اللحظات الاولى للقاء قبل التسجيل كفيلة بأزاحة أي ظلال للتهيب من جانبي، امام هذا التواضع الجم والصوت الابوي الحاني الذي تأتلف من حوله عادة قلوب الأبناء، كيف لا وهو من استطاع بحلمه ان يوحد حوله مئات الالاف من القلوب الثابته على الحق، والسواعد غير المرتجفة التي استطاعت بثباتها ان تهز اعتى العروش، وتسقط من جثم على صدر العراق السنين الطوال.

ذلك المجاهد الكبير، والذي كان سلاحه الصدق والنزاهة والورع والتقى، وجمع بين صلابة الدفاع عن الهوية الاسلامية وصدق التمسك بثوابت القيم الوطنية، فأصبح على الدوام شوكة في حلق الباطل، وركنا من اركان المقاومة لم يهتز له جنان.

وبدأت الحوار مع الضيف الكبير والدكتور صلاح الشيخلي والسيد كلارك، لا جد ان التسعين دقيقة قد مضت وكأنها الثواني، ولم اكن ادر هل اعرف من فيضه الثقافي والفكري والادبي؟ ام من سجائه الفقهي، وتنحره بامور دينه؟ او اعطاءاته في السياسة والكفاح من اجل استرداد الوطن من بين ايادي جلاديه.

ولم يكن العلامة بحر العلوم في ذلك اللقاء مترددا في استشراف مستقبل خلاص العراق، بالرغم من الستائر الفولاذية التي اقامها الجلاد صدام حسين اسوارا حول ارض الرافدين، وعلى الرغم من مواكب الاحرار الذين كان يسوقهم فرادى وجماعات الى غياهب التعذيب والفناء، فقد كان السيد الكبير يردد طوال لقائي معه حول (مستقبل العراق) انني اراه واضحا كما اراك امامي يا (ابني يوسف) حرا مستقبلا سائرا نحو الخلاص، ولكنه لم يخف رحمه الله تخوفه على العراق من اختلافات أبنائه (والله يستر من هكذا مصير) قالها بحرقه وصدق وثاقب بصيرة رحمه الله، وهو ماتحقق بعد ذلك امام العيان.

والملفت انني التقيته في اخر زيارة له الى الكويت عام ٢٠١٢ في ديوان الاخ الكبير جواد بو خمسين بصحبة ابنه سعادة السفير العراقي محمد حسين بحر العلوم الذي قدمني للمرحوم اعرفك بالاستاذ، ولم يكمل جملته حيث اكمل

السيد الاب (نعم هو الاستاذ يوسف الجاسم الذي اجرى لقاءا تلفزيونيا معي عام ١٩٩٣) سبحان الله بالرغم من مشاغله العزيزه وفارق عقديين من الزمان بين الحدثين، الا ان ذاكرته رحمه الله كانت حاضرة ومتوقدة، فقبلت رأسه وقلت له أسال الله ان يمنحنا ونحن ابناؤك بعضا من ذاكرة سماحتكم وجلدكم وصبركم فابتسم قائلا (انا للحين شاب).

خسرت الامتان العربية والإسلامية بفقيد السيد الدكتور محمد بحر العلوم رمزا من رموز الاعتدال والوسطية والتسامح ودعاة التقارب، ونحن اليوم من امس الحاجة لوجودهم بيننا في غمرة الاحتراب والعصف الإرهابي المقيت الذي يعيش بيننا.

فقدناه كبيرا وترك بشخصه فراغا أكبر، ولكن العزاء لنا في أبنائه الذين ورثوا العلم والخلق من بعده، وفي مدارسه العلمية والفكرية والمنهجية التي اقامها في النجف الاشرف وكافة ارجاء العراق والوطن العربي الكبير القائمة على النيل والتسامح، باقية بيننا لترتقي بهذه الامة مهما كانت محاولات المدمرين والساعين نحو الفرقة والفتنه.

رحم الله فقيد الامة العلامة الكبير السيد الدكتور محمد بحر العلوم واسكنه فسيح جناته، وعوضنا بأبنائه ومريديه وتلامذته خيرا. وانا لله وانا اليه راجعون.

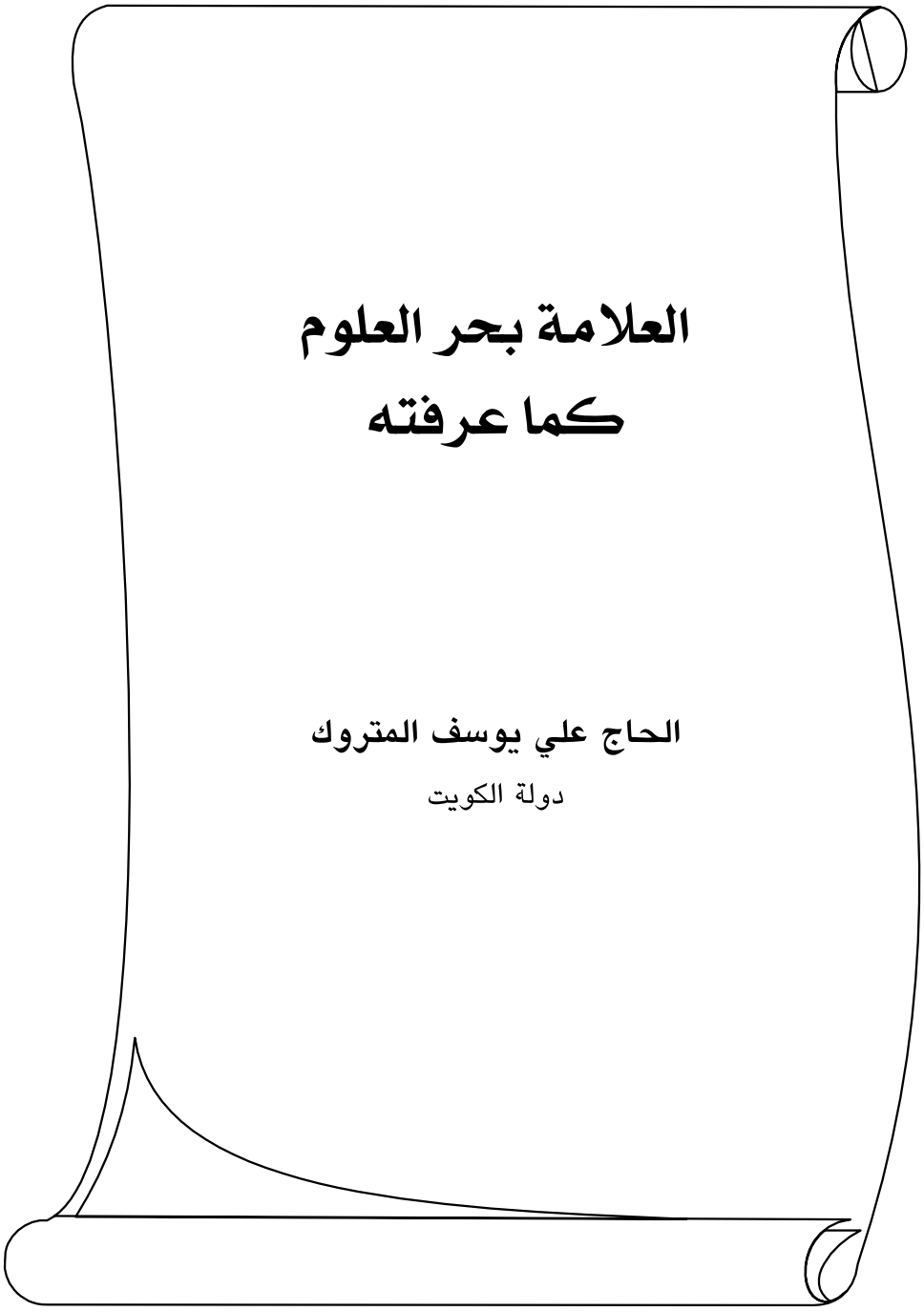

العلامة بحر العلوم
كما عرفته

الحاج علي يوسف المتروك

دولة الكويت

كنت قد أبّنتُ المرحوم سماحة السيد محمد بحر العلوم بقصيدة نشرت بديواني بعنوان (للشعر صوت) الصادر سنة ٢٠١٥، ولكن نجله سعادة سفير العراق بدولة الكويت السيد محمد حسين طلب مني ـ بالإضافة الى الرثاء ـ أن أكتب نبذة عن سماحة السيد بحر العلوم لقربي منه على مدى السنين الماضية سواء في الكويت أو عندما رحل إلى لندن.

فتحيرت من أين أبدأ مع هذا الصديق العزيز المجاهد منذ أن فرَّ بدينه وحياته من العراق إلى الكويت سنة ١٩٦٩م، بعد أن حكم عليه (الطاغية صدام) بالإعدام الذي طال عدداً من أفراد أسرته من آل بحر العلوم وغيرهم من العلماء المناهضين لحكمه.

أثناء إقامته بالكويت والتي امتدت إلى حوالي عشر سنوات، ورغم ما أحاطه الكويتيون من حب ورعاية. فقد كان يحمل ألم الغربة بكل ما فيها من معاناة، وكان يحمل محنة شعب تسلطت عليه طغمة من الطغاة يستعملون كل أنواع القمع والإذلال والملاحقة لكل من يخالفهم بالرأي ويأخذون الناس على التهمة والظنة.

والعجب أن صدام الذي استطاع أن يرهب كل من حواليه بالقوة والعنف. وأن يرعب دول الجوار بما كان يجمع من أسلحة ويجند الجيوش. واستطاع أن يشتري الضمائر بالمال ليسكت كل من يحاول أن ينتقد حكمه وتصرفاته الجائرة. كان سماحة السيد بحر العلوم منفرداً يؤمن بقضية اسمها تحرير العراق وإزاحة صدام وزبانيته من السلطة، ولم تكن السلطات العراقية غافلة عن نشاطه مما اضطره للسفر إلى لندن لمواصلة النضال والمقاومة.

وكان يجادل ويحاور من منطلق الواقع المعاش ومتغيرات العصر والمصالح المشتركة، ولم يكن يصر على رأي بل كان محاوراً بارعاً بشخصيته الجذابة التي لا يستطيع من يحاورها إلا أن يحترمها إلى درجة الإجلال.

وفي الوقت الذي كان الكثير من الزعماء العراقيين يتحاشون الاتصال بمراكز القرار في الغرب لأسباب متعددة ومعروفة. كان السيد بحر العلوم بغاية الوضوح والصراحة، فهو يعرف مكمن الداء ويصرح به علناً، فلم يكن بالإمكان إزاحة صدام مع من يسانده من قوى إقليمية؛ إلا بمساعدة قوى خارجية لما قام به صدام من استنزاف مدمر لطاقات الشعب العراقي، وجعله غير قادر على الحركة.

عندما ترك الكويت سنة ١٩٨١م؛ ذهب إلى لندن واستقر هناك، وافتتح مقراً بعنوان مركز (أهل البيت ـ عليهم السلام ـ) وكان هذا المركز قبلة للزوار، وإقامة المناسبات الدينية والسياسية، ومكان تجمع للعراقيين أثناء العطل والمناسبات الدينية، ولطالما شهد هذا المكان تجمعات ومؤتمرات في شتى المناسبات، وكان سماحة السيد بحر العلوم يتلقى الجميع بصدر رحب وإيمان قوي بقضيته، وعزيمة لا تنكسر أو تنحني أمام الصعاب. ومع أن العراقيين يعيشون بالمنفى فقد كانت تحكمهم مشارب شتى واتجاهات سياسية متضاربة؛ إلا أن سماحة السيد يستوعب الجميع فيرخي عليها جناحه حتى يسود الوئام والوفاق بين شرائح ذلك المجتمع المتعددة.

أذكر عندما تخلى حلفاء الأمريكان ـ للسماح لهم بالانطلاق من مطاراتهم وعلى رأسهم تركية لتحرير العراق وكان ذلك سنة ٢٠٠٣ ـ جاء سماحة السيد بحر العلوم إلى الكويت واجتمع مع سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد، وكان وقتها وزيراً للخارجية فأقنعه يومها بأن تكون الكويت منطلقاً للتحرير، وهكذا كان. وتلك جهود يجب أن توثق لتكون ملكاً وإرثاً للشعب العراقي الذي ذاق الأمرين من حكم البعث الجائر وأحمد الله أن السيد بحر العلوم (رحمه الله وأعلى منازله مع الشهداء والصديقين) قد شاهد التحرير وعودة العراق إلى

أهله؛ رغم ما يعيشه العراق اليوم من مخاض عسير وتشرذم. يؤلم النفس ويهز المشاعر ولله في خلقه شؤون.

قبل أن أختم هذه الرسالة أود أن أوثّق دوراً مهماً هو غاية للوفاء فعندما اجتاحت قوات صدام سنة ١٩٩٠م الكويت؛ كنت يومها في لندن فاتصل بي المرحوم الشيخ سالم الصباح، وكان وزيراً للدفاع لترتيب اجتماع مع المعارضة العراقية لإصدار بيان استنكار ورفض للاحتلال الصدامي، فكان المرحوم بحر العلوم أول من تم الاتصال به، وبالفعل فقد تمَّ الاجتماع بحضور حوالي عشرين شخصية عراقية وأكثرهم حضروا بدعوة من سماحة السيد بحر العلوم، فكان العتاب والاحتجاج واللوم. ومنهم من لم يكن متحمِّساً لهذا الطلب، ولكن المرحوم بحر العلوم لعلو مكانته وجلالة قدره، ومحبته للكويت. استطاع أن يطفئ نيران الغضب فصدر بيان بالإجتماع استنكاراً وتنديداً بالاحتلال.

لو كان الأمر بيدي لنصبت للفقيد السعيد السيد بحر العلوم تمثالًا يعبِّر عما قدَّمه للعراق من خدمات جليلة. ليكون مثالًا يحتذى به للجهاد والمثابرة والإصرار على المقاومة حتى النصر.

رحم الله الفقيد ولنا العزاء بما ترك لنا من سيرة عطرة لا تنسى على مدى الأيام.

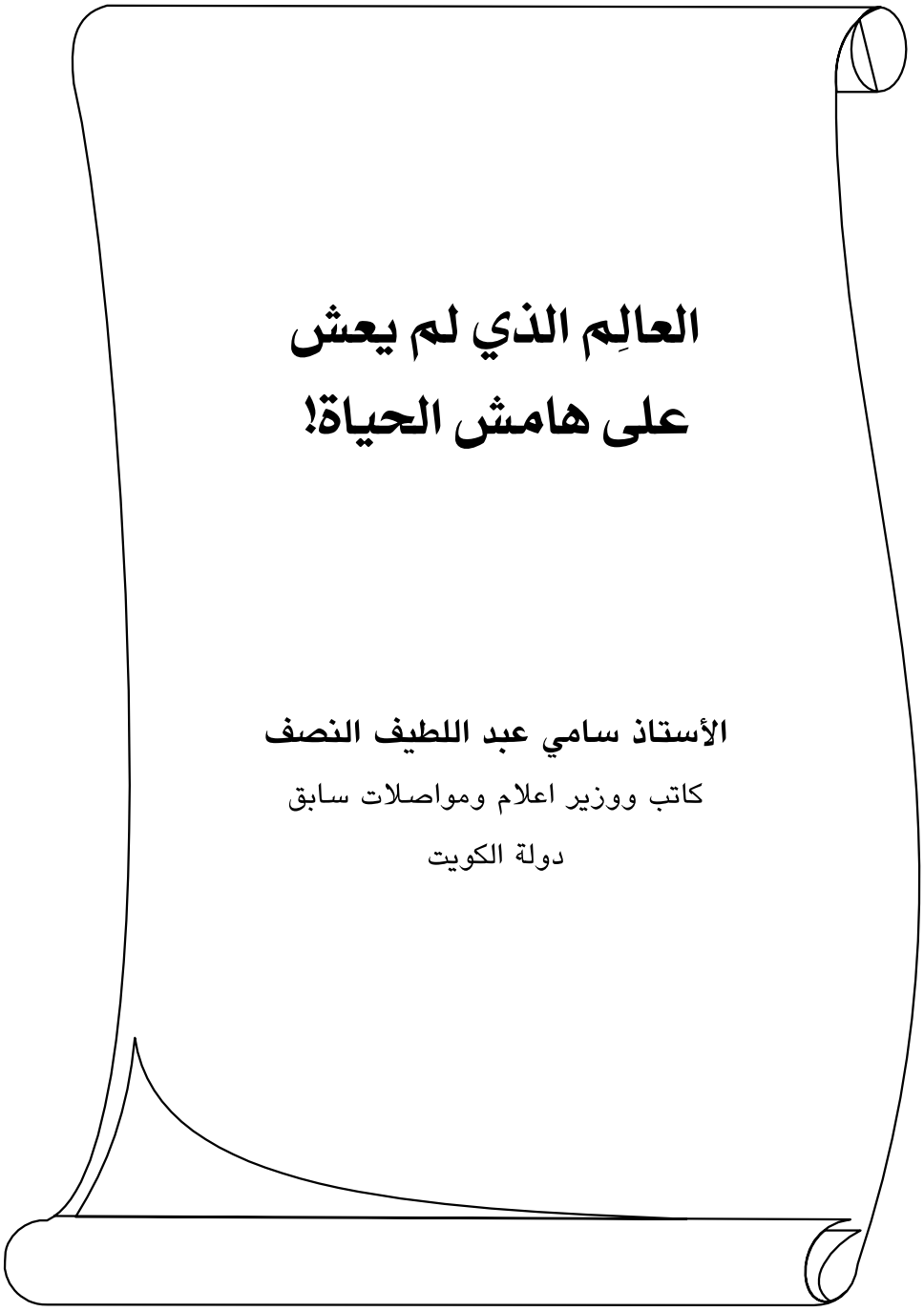

العالِم الذي لم يعش على هامش الحياة!

الأستاذ سامي عبد اللطيف النصف

كاتب ووزير اعلام ومواصلات سابق

دولة الكويت

الرجال العظام لا يعيشون قط على هامش الحياة ولا يعتبرون الدنيا رياضة متفرجين يجلسون على المقاعد ليتابعوا أحداثها عن بعد، بل يرون أن الحياة تحتاج لاعبين أساسيين فيها يغيروا واقع أوطانهم من اليأس إلى الأمل ويحيلوا بؤس شعوبهم إلى الرضا، وقد كان راحلنا الكبير العلامة الدكتور/ محمد بحر العلوم على رأس هؤلاء العظماء فهو ممن لم يكتفوا بالجلوس في محرابهم بل خرجوا لينهضوا بالأمة ويساعدوا بزرع العدل والقسطاط والإحسان بين الناس.

وتظهر سيرة الراحل الكبيرة العلامة الدكتور محمد بحر العلوم بتصديه لظلم وقمع الأنظمة الإنقلابية التي حكمت العراق بعد عام ١٩٥٨ والتي تسببت بتفشي القمع والمذابح على أرض السواد، واستبدلت تلك الانظمة القمعية خيرات الهلال الخصيب بجعل أرضه الخصبة مقابر جماعية للشهداء والمظلومين، وقد تصدى راحلنا الكبير لتلك المظالم حتى صدر من النظام الإنقلابي الذي وصل للحكم عام ١٩٦٨ حكماً بالإعدام عليه فاضطر سماحته لترك العراق عام ١٩٦٩ ليبدأ مسار جديد في سفر حياته وسيرته العطرة.

لقد كان بإمكان الراحل الكبير أن يعتكف في أحد المراكز الفقهية أو البحثية ويتفرغ لهم إلا أن إحساسه بالدور التاريخي المناط به وأيمانه بأن العظماء وطلاب الحق لا يعيشون على هامش الأحداث وتحضيره المسبق لذاته الكريمة للقيام بذلك الدور التاريخي عبر حصوله على البكالوريوس من جامعة بغداد والماجستير من جامعة طهران والدكتوراه من جامعة القاهرة وهو ما جعله أكثر استعداداً للعمل الدنيوي الشاق بأكثر مما لو حصل على تلك الشهادات من جامعات النجف وقم والأزهر رغم مكانتهم السامية وعلو

تحصيلهم العلمي، ولم يترك سماحته واجبه الديني للحظة ابان نضاله حيث شارك وساهم في تأسيس العديد من الجمعيات الدينية خارج العراق كرابطة أهل البيت الاسلامية العالمية وغيرها من أنشطة إسلامية، كما لم يتوقف عن النضال السياسي لتغيير واقع العراق للأفضل عندما يأس واعتزل واعتكف كثير من رفاقه الساسة وقادة المعارضة خاصة بعد أن استقصد النظام الكثير منهم بالاغتيال.

لذا كان سماحته على رأس المعارضة العراقية التي اجتمعت في محافظة صلاح الدين عام ١٩٩٢ وكانت بمثابة المسمار الأول الذي دق في عرش الجماجم والعظام الحاكم في بغداد كما كان سماحته مرة أُخرى على رأس المعارضة التي اجتمعت في لندن عام ٢٠٠٢ وكان ذلك بمثابة المسمار الأخير الذي عجَّل بسقوط الطاغية صدام ونظامه القمعي.

إن ثروات الشعوب ليس كما يقال في شبابها أو حتى في رجالها ونسائها على وجه العموم، فقد ينحرف هؤلاء ويدمروا الأوطان ويضروا بالشعوب، إن الثروة الحقيقية للأوطان وللشعوب هي في الحكماء والعلماء والنبلاء والعقلاء من الأبناء وعلى رأس هؤلاء يأتي السيد والعلامة الفقيه والدكتور والقاضي والسياسي والمؤرخ والمناضل والشاعر والأديب ودمث الأخلاق المرحوم/ محمد بحر العلوم الذي كان بحق بحراً زاخراً من المعرفة ونهراً جارياً من العلوم ولا زلتُ أذكر زيارتنا لسماحته في بيته المتواضع بالنجف الأشرف الذي لا يغلق بابه عن الضيوف والمحتاجين بالليل والنهار واستقباله لنا بكل أريحية وبشاشة وكرم شديد وحديثه الشائق الذي لا يُمَل.

رحم الله فقيد العراق والعروبة والاسلام الكبير العلامة والدكتور محمد بحر العلوم ففي رحيله ثلمت الحكمة ونقص التعقل وما أحوج أرض الرافدين وأراضي العرب والمسلمين للحكمة والتعقل بعد أن تولى البعض منها الاشرار فالأمور كما قال الشاعر:

" الحالّ تُهدى بأهلِ الرأي إنْ صلحتْ وإن تـولّت فبالاشـرارِ تنقـادُ"

السيد محمد بحر العلوم
كما عرفته

الأستاذ الشاعر عبد العزيز سعود البابطين

رئيس مؤسسة عبد العزيز البابطين الثقافية

دولة الكويت

عرفته رجلا وطنيا من الطراز الأول...

فهو عراقي يدين بولائه لوطنه العراق...

وعربيا بكل ما تحمله الكلمة من معنى...

وانسانا راقيا يحلم بالسلام للبشرية جمعاء دون تميز او فرق...

متسامحا لا قصى ماتسمح به الشرائع السماوية مهووسا بتدينه...

مرحا في تعامله مع الاخرين...

يحرص كل الحرص على النكتة العفيفه...

يحب الجميع بروح التسامح والتسامي...

متواضعاً وبعلمه العزيز...

ويصور لك بكل هذا تسامح الإسلام...

تحب مجالسته وتأنس إليه...

عرفته مثالًا رائعاً يتحذى به رجال الدين، لا يعقد الأمور بل يبسطها، يخشى اللّٰه وحريص على على الارتقاء بثقافة العرب والمسلمين الى اعلى الدرجات...

اسكنه اللّٰه في جناته في عليين.

عبد العزيز سعود البابطين

٨ شباط ٢٠١٦

الإسكندرية ـ مصر العربية

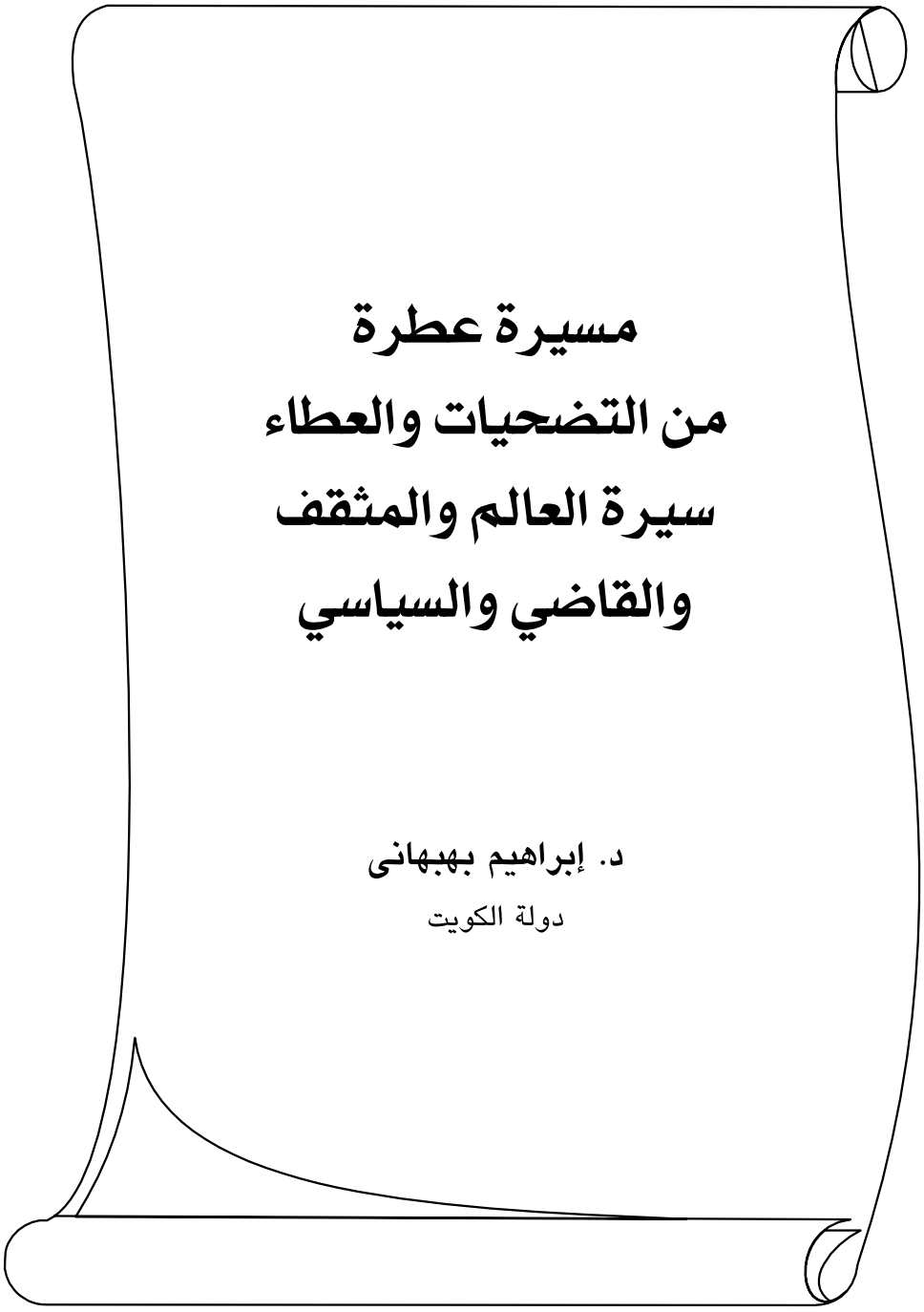

مسيرة عطرة
من التضحيات والعطاء
سيرة العالم والمثقف
والقاضي والسياسي

د. إبراهيم بهبهانى

دولة الكويت

روايتي لحياة العلامة السيد محمد بحر العلوم، أشبه بحديث الأبن عن أبيه، فقد كانت الوشائج والعلاقات الأسرية هي مفتاح الوصول إلى عوالم هذا الفقيه والإنسان، وبالصدفة أو الحظ أن أسم ولده الأكبر السيد إبراهيم وينادى بإسم "ابو إبراهيم"، وكنت احب اناديه بصفتين جناب السيد و"بابو إبراهيم" فهو بالنسبة لي أولًا عالم وسيد ومجتهد وقاض، و"ابو إبراهيم" يخيل إلى إنه بمقام والدي وصديقي وحبيبي وقد كان بالفعل هو ذلك.

لقد كانت لي علاقات متصلة مع السيد "ابو إبراهيم" منذ إنتهاء دراستي الجامعية الأولى وبحكم هذا التواصل أتيح لي أن أتعرف على جوانب من سيرته. البداية حصلت بعد رجوعي من مصر وحصولي على شهادة البكالوريوس في طب الأسنان من جامعة الاسكندريه سنة ١٩٧٥، يومها كانت الظروف صعبة جداً نتيجة ما حصل داخل العائلة بعد وفاة جدي محمد قاسم بهبهاني زادت عليها الآلام أثر وفاة والدي محمد حسين بهبهاني (في أوائل ١٩٧٦) رحمة الله عليه، كانت صدمة شديدة فقد آلت كل المسؤوليات التي حملها في حياته إلي، مسؤولية الوالدة وشقيقتان "وابن شقيقة" وفي حينه ذهبت إلى المحكمة الجعفرية من أجل إتمام حصر الإرث، ومن هنا كانت البدايات الأولى التي نشأت بيني وبينه بحكم كونه يعمل قاضياً في المحكمة، وتطورت العلاقة على المستوى الاجتماعي والعائلي، فشاءت الظروف أن يأتي من يتقدم بطلب يد شقيقتي الصغرى وهو من عائلة محترمة ويعمل في الطب وكان عمرها ذاك الوقت سبعة عشرة سنة.

ولم تكن بعد ذكرى الاربعين لوفاة والدي قد مرَّت، وهو ما دعاني للذهاب

إليه وعرض الحالة وإستشارته في الأمر، سيما وأن الذين تقدموا بطلب الزواج كانوا يريدون أتمام عقد الزواج. فما كان منه إلا أن بادرني بالقول "زوَّجها وتوكل على اللّه. ففترة العزاء على المتوفي هي من العادات وليست من أصول الشرع"، وحكى لي قصة زواج شقيقته عندما توفى والده، وكيف أنه قام بعقد زواجها في اليوم الثاني من الوفاة، فالموت على حد تعبيره لا يمنع فرحة الإنسان.

المهم أنني أنهيت موضوع كتب كتاب شقيقتي الصغرى وأتممت أوراقي بشأن حصر الإرث، واعطاني حكم بأن أكون المسؤول والقيم عن شقيقتي الكبرى المريضة ولها طفل من زواجها الذي لم يدم بسبب مرضها ومراجعاتها المستمرة ودخول المستشفى، ومرض الزوج وتردده على المستشفى والذي اعطاني توكيلًا لرعاية ابنه "ابن شقيقتي"، حين قررت السفر إلى لندن للدراسة وحاولت علاج مطلقته والدة الطفل ولاحقاً أثناء وجودنا في لندن توفى، وقام السيد بوضع الطفل بوصايتي بعد حصولي على حكم القيمومة، وسافرت إلى لندن وأخذت الجميع معي بعد أخذ النصيحة من السيد "ابو إبراهيم"، وحاجة شقيقتي الكبرى للعملية وكانت صعبة النجاح ونسبة النجاح فيها كانت ١٪.

لجأت إلى السيد "ابو إبراهيم" وكان بعد مغادرته الكويت واستقراره في لندن، فكان جوابه "اطلب من اللّه الاستخارة"، وفعلًا أجرينا العملية لشقيقتي وتحسنت حالتها وبدل وجودها في المستشفى، قضيت بقية حياتها معنا في البيت إلى أن توفاها اللّه. وأثناء فترة علاجها ووجودها في المستشفى كان دائماً يزروها مع "أم إبراهيم" ويدعو لها ويقرأ القرآن والادعية في حجرتها بالمستشفى، نظراً لوضعها الصحي وتحملي مسؤولية القيمومة عليها والوصاية على ابنها القاصر، كان دائم النصح والتوجيه والسؤال عنها وعن والدتي بعد اصابتها بالشلل النصفي مع بداية ١٩٩٢ بعد التحرير وأثناء علاجها في لندن على نفقة سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح. وكان السيد "ابو إبراهيم" ورغم مسؤولياته السياسية والاجتماعية

الممتدة يشملني وأهلي دائماً بالسؤال والزيارة السنوية في البيت، ولاحقاً بالديوان "مجلس الزهراء(ع)" والعيادة وأثناء زياراته المعتادة للبيت أو الديوان يقوم بزيارة الوالدة وشقيقتي وكلاهما كانتا في حالة صحية غير مستقرة ومعاقتان، فكان يحرص على زيارتهما والدعاء لهما مهما كانت ظروفه واشغاله.

عام ١٩٦٩ إعلن النظام الحاكم في بغداد الحرب على المرجعية الدينية وصدرت أحكام على السيدين، السيد محمد مهدي الحكيم، والسيد محمد بحر العلوم، أضطر السيد محمد بحر العلوم مغادرة العراق وإللجوء إلى الكويت. وبدأ يتنقل بين طهران ودمشق ولبنان ومصر ليستقر في طهران، لكنه لم يشعر بالراحة هناك، علماً أنه نال شهادة الماجستير في الشريعة الإسلامية وكان موضوعها عن "الاجتهاد" من جامعة طهران وهي الشهادة التي كان من المفترض ان يحصل عليها في بغداد، لكن الظروف السياسية منعته من ذلك.

عام ١٩٧٢ طُرح موضوع القضاء الجعفري في الكويت وكان عدد من وجهاء الشيعة آنذاك أمثال المرحوم زيد الكاظمي عضو مجلس أمة سابق، والحاج محمد قبازرد عضو مجلس أمة سابق واشتهر بتجارة المعدات البحرية كما اشتهر بالتصوير حيث حصل تلفزيون الكويت على جميع الافلام التي صورها واحتفظ بها وتبث دائماً في المناسبات الوطنية، وكانت تربطه علاقة طيبة بالسيد "ابو إبراهيم" استمرت حتى أثناء مغادرته وسكنه في لندن.

في تلك الفترة أثير الموضوع مع القيادة السياسية بالكويت وحصلوا على الموافقة من سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح، حيث صدر مرسوم بتكليف السيد محمد بحر العلوم قاضياً بالأحوال الشخصية بالمحكمة الجعفرية وكان إلى جانبه بالدائرة السيد جعفر القزويني. وتولى القضاء الجعفري في الكويت منذ العام ١٩٧١ وإلى العام ١٩٧٧.

شهدت تلك المرحلة تميزاً في تاريخ القضاء الجعفري، وبقيت الأحكام الصادرة في حينه مرجعاً إلى اليوم واستمر الحال إلى نهاية السبيعينات تقريباً

عندما حصل خلاف بين السيد محمد بحر العلوم والسيد عبدالله المفرج، وزير العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية (آنذاك) حول عدم قبول اشهار الإسلام أمام القاضي الجعفري، لكن السيد محمد بحر العلوم اعترض على ذلك، وقابل الوزير ولم يكن هناك مجالًا لتراجع الوزير عن قراره، فقدم استقالته وبعد مدة قصيرة توقف عن ممارسة القضاء وقيل في حينه أن هناك ضغوط على الكويت من قبل حزب البعث في العراق، وهي أحد الأسباب وليس كلها، إضافة إلى أن المخابرات العراقية كانت تلاحقه في حينه، وقال لي شخصياً أن بعض كبار المسؤولين في الدولة ولعلاقته الطيبة معهم "نصحوه بمغادرة الكويت لصعوبة حمايته". ورغم وجوده في الغربة في لندن إلا أنه كان في دوام السؤال عنهم وخاصة سمو امير البلاد وكان بينهم علاقة متميزة، وكان أحد العناصر المهمة في نمو العلاقات العراقية الكويتية بعد سقوط الطاغية صدام ومحاولة تحسين العلاقات ومحو آثار العدوان. بعدها، أي في منتصف العام ١٩٧٩ توجه إلى مصر وراح يكمل رسالة الدكتوراة، لينالها من جامعة القاهرة كلية العلوم الإسلامية وكانت حول "عيوب الإرادة في الشريعة الإسلامية".

توجه بعدها الى لندن ليبدأ حياة جديدة مع الجالية العراقية هناك ويؤسس مركز أهل البيت بمشاركة زميله السيد محمد مهدي الحكيم وفي عام ١٩٨٥ أسسا مع وجوه شيعية عالمية "رابطة أهل البيت الإسلامية العالمية" وكان معهم الحاج محمد قبازرد، الذي سكن في شقته لمدة ثمان سنوات حتى وفاته حيث أرجعها السيد محمد بحر العلوم إلى الورثة.

أذكر أنه عندما سقطت ١٤ محافظة عراقية تزامناً بانتفاضة الجنوب عام ١٩٩١ والسماح لصدام حسين باستخدام طائرات الهيلوكبتر لقمع المتظاهرين، أضطر عدد من أسر علماء النجف وأقربائهم للنزوح من العراق واللجوء إلى الكويت، ومنهم ابنة السيد الكبرى (والدة السيد على عبد الصاحب الحكيم) واحفاده وبعض أفراد عائلة السيد محمد مهدي الحكيم، وكان من بينهم عائلات العلماء المجتهدين من النجف وكربلاء ومنهم من بيت الحكيم وبحر

العلوم وآل الخرسان والسبزواري، وهؤلاء جميعاً دخلوا مخيم العبدلي الذي اقامته دولة الكويت، وكنت أتولى مسؤولية المخيم بحكم عملي كمسئول عن الهلال الأحمر والجمعيات الإنسانية العاملة بعد التحرير، وبدأت المشكلة في الأسبوع الأول من التحرير حيث دخلت قافلة الهلال الأحمر حوالي الساعه ٠٠:١١ مساءً من يوم الخميس ١٩٩١/٠٢/٢٨ ومع بداية الأسبوع الأول ونحن نبحث عن مقر للهلال الأحمر حيث استقرينا في أحد المنازل بالجابرية، يومها جاءني مندوب الصليب الأحمر لمناقشة الاستعداد لاستقبال الاسرى على الحدود، وذكر بأنهم سيبلغوني بالوقت قبل شهر للاستعداد، وكان يرافق ممثل اللجنة الدولية للصليب الأحمر د. عبد الرحمن المحيلان (أستاذ بكلية الطب وعضو المجلس المؤقت وزميلي في الاعتقال ولاحقاً وزير الصحة "الأسبق")، جأتنا تعليمات من وزارة الداخلية والدفاع للاجتماع في المستشفى العسكري مع رئيس الاركان آنذاك اللواء جابر الخالد الصباح يوم الثلاثاء ١٩٩١/٠٣/٠٧ مساءً. وفي اليوم الأول وصلت الدفعة الثانية من قافلة الهلال الأحمر البحريني، وفي المساء اجتمع ممثلي الداخلية والدفاع واللجنة الدولية للصليب الأحمر واتحاد جمعيات الهلال الأحمر والصليب الأحمر وضابط التنسيق كولونيل ايفان بروكس وبقية ضباط التنسيق وكان الحديث يدور عن الاستعداد لاستقبال الأسرى وأنهم سوف يبلغونا قبلها بشهر من الموعد، وفجأة جاء أحد الضباط وطلبنا لمكتب رئيس الاركان والذي كان يحاضر عن نفس الموضوع بحضور الوجوه المختصة من مختلف أجهزة الدولة وكان يتكلم عن شهر استعداد وفجأة أسبوع ثم أصبح يوم، وقبل منتصف الليل حضر جندي ومعه رسالة تقول أن الأسرى قد وصلوا إلى نقطة في البصرة ويتوقع وصولهم للكويت غداً صباحاً.

فانفرط الاجتماع وطلب رئيس الأركان الذهاب للحدود مع المعدات المطلوبة والآكل ولوازم الطوارئ، وكانت المشكلة وسائل النقل، وحاولنا في الصباح مع عدة جهات بما فيها الجيش والداخلية، وفي النهاية توجهت إلى

مكان تواجد الشاحنات البحرينية التي دخلت في اليوم السابق، وهي الدفعة الثانية من البحرين والذي شارك فيها البحرين حكومة وشعباً في التبرع والتحضير، وقدرت أن أقنع عدد من السواق على الذهاب معنا، وأخذنا سيارات الشحن إلى مدرسة بالجابرية قرب الجمعية حيث مخازننا وتم تفريغ الشحنات وإعادة شحنها بالمواد المطلوبة على الحدود، وغادرنا عصر يوم ١٩٩١/٠٣/٠٨، ووصلنا قبل الغروب حيث كانت هناك نقطة كتيبة بريطانية طبية على وشك المغادرة حيث اقترحوا أستلام موقعهم لتشابه العمل الإنساني الذي نقوم به. وبدأنا بنصب خيمة لأفراد الهلال الأحمر وأفراد الحدود من الشرطة طلبوا عدم نصب الخيم حتى وصول التعليمات وبعد غروب الشمس حوالي الساعة ٠٠:٨ مساءً جاءت سيارة منطلقة بسرعة، واوقفها الشرطي لينزل السايق ويقول "أسراكم" وأخرجهم الشرطي للتدقيق وثبت أن كلهم كانوا عراقيين ما عدا أسرة مكونة من زوجة حامل في الشهر التاسع على وشك الطلق ومعها طفلة بعمر بعمر ٢ ـ ٣ سنوات، وطلب الشرطي منا نصب خيمة للأسرى الكويتين، وحين طلبنا منها الاستراحة بالخيمة رفضت وقالت ما اتحرك إلا وعمي وعمتي معاي رغم ما تعانيه من الحمل وبعد البحث وجدنا العم والعمة (والد ووالدة الزوج المعتقل في الاشهر الأولى من الاحتلال والذي اخذوا بسببه والده ووالدته وزوجته الحامل والطفلة) ولم يتمكنوا من الوصول إليه طوال فترة سجنهم وأخذوهم للعراق وثبت أن الزوجة من بيت الكندري وكانوا يسكنون في القرين وبعدها طلب نصب عدد من الخيم لبعض الأخوة العراقيين وكان هذا بداية إنشاء مخيم العبدلي (١) جنوب محطة البنزين، وكانت الخيام متفرقة من دون نظام لأنها كانت تسلم للاجئين لنصبها وبدأ الوضع في ازدياد مع الأيام التالية، المهم ماذا حصل للأسرى المفرج عنهم لما وصلت قافلة الهلال الأحمر بلغنا بأن أول دفعة من الأسرى وصلت فجر ذات اليوم أي قبل وصول الهلال الأحمر قبل المغرب، ولم يكن هناك استعداد على الحدود ولا سيارات فقام الأسرى بالمشي من الحدود إلى منطقة الجهراء وتجمعوا في مستشفى الجهراء وسط

أرتباك المسئولين وحاجة الأسرى للوصول إلى أهاليهم، المهم في النهاية كل ذهب بوسيلة أو أخرى إلى بيته لنفاجأ باننا بدل استقبال الأسرى تحولنا إلى مخيم للاجئين.

الأخ/ ناصر حسين آغا محمد ـ مدرس مرحلة ثانوية ـ من حيث معرفتي حيث إنه صديق لشقيق زوجتي المهندس رشيد عبدالسلام ـ بلدية الكويت، وكان له علاقة طيبة أثناء الغزو مع رشيد ووالده وأهل بيته وكان مع زملاء آخرين يتعاونون لسد الحاجات اليومية للعوائل الكويتية وللتأقلم بالحياة في ظل الاحتلال الغاشم والمستبد، ومن الأسبوع الأول يوم الثلاثاء ١٩٩٠/٠٣/٠٧ قلنا بأنه كان هناك اجتماع مع رئيس الأركان الشيخ جابر الخالد الصباح في المستشفى العسكري بوجود ضباط الارتباط من الجيش الأمريكي ومختلف الجهات العاملة في المجال الإنساني والامداد، وتطور الموضوع من استقبال الاسرى إلى مخيم للاجئين جنوب محطة البنزينن وبعد زيارة الشيخ أحمد الحمود محافظ الجهراء، تقرر نقل المخيم إلى الشمال على خط الحدود مع العراق بتاريخ ١٩٩١/٠٣/١١، وطلبت من مهندس رشيد الاتصال بـ ناصرلتسلم إدارة مخيم العبدلي، لأهمية وجوده من الناحية الإدارية والأمنية للكويت، ووافق على ذلك واخذته معي في صباح اليوم التالي إلى منزل الشايع في منطقة الشامية (مقابل ثانوية كيفان على الدائري الثاني) حيث عرفته على معالي وزير الدفاع آنذاك (سمو ولي العهد الشيخ نواف الاحمد) ونائب رئيس الاركان اللواء السابق على المؤمن حيث استقلينا طائرة هليكوبتر من ثانوية كيفان مع بعض الضباط وأفراد الحماية ووصلنا إلى موقع مخيم العبدلي(٢).

وبعد تفقد الحال وتعريفه على المتطوعين بالمخيم والذين تدربوا في البحرين، غادر معالي الوزير وبقية مرافقيه والدكتور لأبدأ تنسيق العمل والترتيب في المخيم والتعرف على مجموعات المندوبين الدوليين مع ملاحظة أن المخيم كان مرتباً من قبل دكتور كيركرنغ ـ خبير مخيمات بالاتحاد الدولي للصليب والهلال الأحمر، وكان قد قسم المخيم إلى أربعة قطع، واحدة للعوائل

والثانية للعزاب (رجال) والثالثة للنساء من دون مرافق مع الاطفال من دون أولياءهم، أما الجزء الآخير فكان للإدارة والمستشفى والمخازن والأجهزة الكهربائية ومطبخ تحضير صغير (حيث كان المطبخ الرئيسي في أحد مزارع العبدلي والخاص) حيث كنا نستعمله للطبخ لفرق الهلال الأحمر والصليب الأحمر والاتحاد الدولي ومقراً للاستراحة، وكذلك عرفني الدكتور على أحد الأفراد من لواء الشهيد، والذي كان مسئولًا عن الأمن في المنطقة والذي بدوره عرفنى على الملازم أول حسين (بوعلي) الذي كان ضابط الارتباط بين الإدرارة ولواء الشهيد وبالتالي المراقبة الأمنية ومع تطور الأحداث وبداية حرب الجنوب المسمى "الضربة الشعبانية" والانتفاضة الشعبية التي حصلت في ١٤ محافظة عراقية والسماح لقوات نظام صدام بضرب الانتفاضة وقمعها ما أدى إلى كوارث ونزوح جماعي، بحيث كبر المخيم ووصل إلى ١٠٠٠٠ لاجئ بالإضافة لمخيم صفوان في الأرضي العراقية (مخيم كلكتا) ووصل إلى ٧٥٠٠ لاجئ، ومخيم عرر في الأراضي السعودية. وتطورت الأحداث ولاحظت وجود العديد من رجال الدين من شيوخ وسادة بالإضافة إلى عوائلهم ومرافقيهم وحمايتهم، وقد تعرفت عليهم أثناء توزيع الخيام والمؤونة، حيث ثبت أنهم من بيوت السادة العلماء ال الشيرازي، الخوئي، وال بحر العلوم، وال الحكيم. والسيد فارس كان المنسق بين إدارة المخيم وعوائل رجال الدين، وكان يشرف على حاجتهم اليومية وتوفير الراحة والأمان لهم، وحضرت مجموعات صحفية عن طريق المنظمات الدولية وعملوا لقاءات مع الموجودين في المخيم مع التركيز على عوائل العلماء.

كما حضر مجموعات من خبراء الألغام للاشراف على تحديد مواقع الالغام ومن ثم تفجيرها، حيث وضعوا اكياس حول الالغام ليتجنبها الناس، وفي نفس اليوم بعد تحديد الالغام بأكياس الرمل قام أحد أفراد لواء الشهيد، وهو الشهيد خلف عذبي العنزي باللعب بعصاة بالألغام ومع صلاة المغرب أنفجر أحد الألغام التي كان يعبث بها ونقلته مع المتطوع أمين النجار إلى مستشفى الصباح وعند وصولنا إلى دوار دخول المستشفى (بين الصدري الاطفال

والباطنية) توفى الشهيد وسلمنا جثته لإدارة المستشفى وقد تم تبليغ أهله ومحل علمه.

وفي اليوم التالي حضر أفراد من الجيش الأمريكي وقاموا بتفجير الألغام واعطوا التعليمات بالابتعاد عن أماكن الألغام المتفجرة وبعد يومين حضروا وبدوأ بالتأكد من تفجير الألغام وأثناء حركة احد الألغام بالأرجل من أحد أفراد الفرقة أنفجر في جندي امريكي حيث بترت قدماه وعضوه التناسلي وجرح رقبته، ونقل بواسطة الهليكوبتر الأمريكية إلى الإدارات الطبية في معسكر الجيش الأمريكي في الدوحة.

في أحد الأيام أثناء حضوري إلى المخيم أخذني ناصر حسين مسؤول المخيم على جنب وقال لي "أن الوضع خطير حيث دخل بعض الجنود العراقيين من الناحية القريبة من جهة الحدود العراقية ثم غادروا وعلمت بأنهم كانوا يبحثون عن رجال الدين وطلب مني التصرف"، وطلبت من ناصر حسين تحديد جنسيات اللاجئين حيث قمنا بالاتصال بالسفارات المعنية لترتيب خروجهم، كما تم حجز بعض العوائل الكويتية العائدة من زيارة الأسرى في العراق حيث يتم تبليغ الجهات الأمنية حتى نتلقى الأمر بالسماح للدخول الكويت أو عدمه وخصوصاً عوائل البدون.

وبناءً على ما جاء في تقرير الأخ ناصر حسين قمت بإبلاغ الحكومة في بيت الشايع في الشامية حيث كُلفت بإبلاغ السفارة الإيرانية، فذهبت إلى منزل مقابل للبيت الثاني في بنيد القار وحضر أحد الأخوة وكنت أعتقد بإنه القنصل ولكن ثبت لاحقاً بعد سنوات إنه كان موظفاً بالسفارة ومقيماً بالكويت، واتفقنا على أن أخذه في اليوم التالي إلى الحدود في سيارة الهلال الأحمر، ووصلنا حوالي ١٠ صباحاً. وطلب مني أن يتجول بحرية في المخيم من دون وجودي، فوافقت وسلمته للأخ ناصر حسين مسئول المخيم والذي قام بالتجول معه حيث كان يركز على علماء الدين وعوائلهم ويسأل عن طلباتهم حيث كانوا جميعاً يذكرون بالخير مسئولي المخيم ويقولون أن كل شيء متوفر لديهم وقد

أكد لهم بأن الحكومة الإيرانية ترتب لعملية إخراجهم إلى طهران، وأن الموضوع قريب جداً، وفجأة جاء مسرعاً مع الأخ ناصر حسين، حيث طلب سرعة الخروج من المخيم وفي طريق العودة شرح لي ما شاهده وقال أن الوضع خطير ولابد من عمل سريع لتأمين حماية رجال الدين وعوائلهم والموجودين بالمخيم.

وبعدها بعدة أيام بُلغت من طرف الحكومة في بيت الشايع حيث كنت اتواجد بشكل يومي خصوصاً عند عودتي من مخيم اللاجئين، بأن الحكومة الإيرانية سوف تأخذ مجموعات اللاجئين، وقد تم ترتيب طائرات الجامبو بواقع طائرة كل يوم لمدة خمسة أيام، وطلب مني المسئول التنسيق مع السفارة، وبعدها بلغوني السفارة بوصول ثلاثة مندوبين عن الهلال الأحمر الإيراني لإخراج اللاجئين.

وصار بعض النقاش حول أولوية الخروج بين اللاجئين وخصوصاً الذين لديهم وثيقة إيرانية أو متزوجين، وفي النهاية قررت أن يسمح للجميع دون تفريق مع إعطاء الاولوية لعوائل العلماء، والذين تم نقلهم بالطائرة الأولى يوم ١٩٩١/٤/٢١ والتي كان من ضمنها أبنة السيد محمد بحر العلوم وكان أحد مندوبي الهلال الأحمر الإيراني هو السيد على عبد الصاحب الحكيم هو أبنها (سبط السيد محمد بحر العلوم).

وعلمت مؤخراً أن بقية اللاجئين الذين خرجوا في الأيام الاربعة التالية كان يتم التدقيق عليهم بعد مغادرة الطائرة الأولى في الفترة الصباحية مع مسئولي وزارة الداخلية الكويتية التي كانت في منطقة العديلية، وبعد وضع كشوف الاسماء يتم الاتصال بين مندوبي الهلال الأحمر الإيراني والشهيد محمد باقر الحكيم في طهران عن طريق الاتصال مع وزارة الخارجية والتي كانت في فندق هيلتون (السفير حالياً) في منطقة بنيد القار.

أن عملية نقل اللاجئين تمت بتنسيق مباشر بين قيادى الحكومة الكويتية والحكومة الإيرانية والمعارضة العراقية والتي انتهت بتخصيص خمس طائرات جامبو إيرانية للدفعة الأولى حيث خرج حوالي ٢٢٠٠ شخص وفي الدفعة الثانية خصصت الحكومة الكويتية خمسة طائرات جامبو لنفس الغرض.

وصار الوضع ثلاث مخيمات على الحدود، الأولى: مخيم العبدلي (١) داخل الحدود الكويتية جنوب محطة البنزين ووصل في أقصى حد إلى أكثر من (١٠٠٠٠) عشرة آلاف لاجئ بعد نقله إلى الشمال ٥٠٠ متر من الحدود العراقية بوصول مندوبي الصليب الأحمر الامريكي والممرضات وخبراء المخيمات حيث قاموا بالتخطيط للمكان الجديد وتنظيمه وتقسيمه حسب القواعد الدولية وذلك بعد حضور الشيخ أحمد الحمود ١٩٩١/٠٣/١٠ وطلب نقل المخيم شمالًا خارج الحدود الكويتية وبعد اعتراض من الصليب الأحمر وافق على وجود المخيم على الحدود في الأراضي الكويتية ـ ومخيم في الشمال (شمال الحدود) في الأراضي العراقية في صفوان ويشرف عليه قوات التحالف وكانوا يسمونه مخيم "كلكتا" وكان به أكثر من (٧٥٠٠) سبعة الآف وخمسمائة لاجئ ـ وأخيراً مخيم العرعر بالإراضي السعودية ناحية الغرب وبه اعداد أكبر من اللاجئين وصلت إلى حد المائة ألف لاجئ.

وتعاون جميع الجهات الحكومية والأهلية من هذه الدول والحلفاء لتوفير المتطلبات الازمة للمخيم، ومع بداية أبريل كان بداية قرار انسحاب القوات الامريكية (التحالف) من المنطقة وتقرر نقل اللاجئين من مخيم صفوان "كلكتا" أو مخيم العبدلي (٢) إلى مخيم عرعر بالسعودية واشتركت القوة الجوية للحلفاء (الولايات المتحدة والسعودية) لتامين طائرات النقل من نوع "هيركليز" والتي كانت تنزل في مطار قديم في منطقة الصفوان وتأخذ اللاجئين إلى مخيم عرعر بالسعودية.

وانتهى الموضوع بنهاية مخيم صفوان "كلكتا" وإغلاقه ونزوح كمية كبيرة من النازحين إلى مخيم عرعر في السعودية والباقي في مخيم العبدلي (٢) حيث بقى حوالي (٥٠٠٠) خمسة آلاف لاجئ، وكان أكثر الاوقات خطورة هي اندلاع الحرب الأهلية حيث بدأت قوات حزب البعث هجومها لتصفية المعارضة في ١٤ محافظة وعملت مجازر في كل العراق حيث نزح الكثيرون إلى المناطق الحدودية.

وفي أحد الأيام كلمني مسؤول المخيم الأخ ناصر حسين، وقال أن هناك أسلحة وخطورة على بعض عوائل العلماء الذين تركوا بيوتهم في النجف وكربلاء وإنه قد جرت محاولات لقتلهم، فأبلغت القيادة السياسية في الشامية عن ذلك بواسطة نائب رئيس جمعية الهلال الأحمر الكويتي ووزير الدولة لشئون مجلس الوزراء د/ عبدالرحمن العوضي، حيث ابلغني لاحقاً بالإتصال بالسفارة الإيرانية حيث مقر سكن السفير في منطقة بنيد القار مقابل البيت الثاني، حيث طلب مني مرافقتة للذهاب إلى المخيم في اليوم التالي، وذهبنا معاً ولما وصلنا المخيم طلب مني أن يترك له حرية التجول من دون وجودي، فكلفت مسئول المخيم الأخ ناصر حسين، ليأخذه في جوله، وقبل أذان الظهر جاء مسرعاً وطلب العودة إلى الكويت، وفي الطريق أبلغني بأن الوضع خطير وإنه سيبلغ السلطات في طهران وبعد عشرة أيام أبلغني د/ عبدالرحمن عبدالله العوضي أن الخطوط الجوية الإيرانية سوف تبدأ بعملية إخلاء للاجئين في المخيم إعتباراً من الخميس ١٩ ابريل ١٩٩١، وفي يوم الاربعاء ١٩٩١/٠٢/١٨ وصل ثلاث مندوبين يمثلون جمعية الهلال الأحمر الإيراني وهم السيد/ علي صاحب الحكيم، ود/ محمد رضا نجف، والشيخ/ محمد رضا الانصاري، حيث خصصت الحكومة الإيرانية خمس طائرات جامبو (طائرة لكل يوم) لإخراج أهالي العلماء الذين نزحوا إلى الكويت بعد قمع الانتفاضة الشعبية والتصفيات التي قامت بها الحكومة العراقية بعد تحرير الكويت.

الجزء التالي معلومات أخذتها بالتليفون من السيد علي عبد الصاحب الحكيم ابن بنت السيد "أبو إبراهيم" وبها معلومات لم اكن أعلمها سابقاً، ويقول السيد علي الحكيم عند وصولنا للكويت كان عدد اللاجئين في المخيم (١٠٠٠٠) عشرة آلاف شخص والعملية كانت بالتنسيق بين الامم المتحدة والحكومة الإيرانية والحكومة الكويتية وكان يدير العملية الشهيد السيد/ محمد باقر الحكيم شخصياً وحضورنا كان بالتخويل من الشهيد السيد/ محمد باقر الحكيم وكنا في اتصال دائم معه عن طريق وزارة الخارجية الكويتية والتي كانت

متواجدة في فندق الهيلتون (حالياً فندق السفير) وخصصت الحكومة الإيرانية خمس طائرات جامبو بالدفعة الأولى والفوج الأول من الدفعة الأولى كان بترتيب من السفارة الإيرانية وكان بها عوائل العلماء، والأفواج الآخرى التالية كانت بالتنسيق بين وزارة الداخلية والسيد محمد باقر الحكيم وكنا نسهر حتى الساعات الأولى من الفجر لتنسيق الأشخاص الذين سيغادرون على الطائرة في كل يوم. والمجموعة الأولى خمس طائرات نقلت ٢٢٠٠ شخص، ثم نزح بعض اللاجئين إلى مخيم رفحاء بالسعودية، وبدأت عملية الإخلاء الثانية.

لم تتوقف العلاقة مع "السيد ابو إبراهيم" بل توطدت أكثر، واستمرت وقويت في لندن، خاصة بين حرمه المرحومة الفاضلة "أم إبراهيم" وبين والدتي حيث كنا نلتقي كل شهر تقريباً، في تلك الجلسات كانت الحوارات تتصل بالشأن الاجتماعي والأسرة بعيداً عن الهم السياسي وفي كل جلسة، يوصيني بأن أكمل دراستي فعنده أن التعليم هو أساس تقدم الشعوب.. وكان يهتم بشقيقتي المريضة ويتابع حالتها ودائم السؤال عنها.

بعد عودتي إلى الكويت في عام ١٩٨٧، تعرض السيد محمد مهدي الحكيم إلى عملية إغتيال من قبل حزب البعث، في الخرطوم أثناء المؤتمر الإسلامي الذي عقد بالعاصمة السودانية وكان وقع الحادث علينا جميعاً كالصاعقة.

في لندن مارس السيد محمد بحر العلوم، الشأن السياسي والوطني العام كما هو شأنه منذ إنضمامه إلى حزب الدعوة بعد تأسيسه واستقالته بعد ثلاث سنوات، وكان على الدوام محركاً وقيادياً ولصيقاً بالحركات والتجمعات المناهضة لحزب البعث.

شخصيته جمعت بين الأدب والسياسة والثقافة والقضاء، وهو من أسرة نجفية عريقة ذات وجود إجتماعي وسياسي وثقافي وديني يمتد إلى أكثر من أربعة قرون.

ارتبط أسم المرحوم السيد/ محمد بحر العلوم بعلاقات خاصة وحميمية بالكويت منذ أوائل السبعينات وإلى آخر سنة في حياته المديدة، بعد أن انتقل

إلى جوار ربه في شهر أبريل ٢٠١٥، وأن كان قبل ذلك حاضراً في مناسبات أدبية وثقافية.

إرتبطت أسرة محمد بحر العلوم بوشائج وعلاقات متينة مع العشائر العراقية، وخاصة في الفرات الأوسط، لما تتمتع به هذه الأسرة منذ الأباء والأجداد من انفتاح كبير على المجتمع العراقي بكل أطيافه، لذلك من الصعب ألا تجد أحداً من الساسة العراقيين، عرباً وكرداً، لا يبدي تقديراً خاصاً للسيد محمد بحر العلوم.

في زمن المعارضة للنظام العراقي السابق، كرَّس جُلَّ وقته في خدمة المعارضة بغية التخلص من النظام الجائر، فكان منزله ومركزه الإسلامي في لندن بمثابة "بيت المعارضة" والمنطلق لاجتماعاته ونشاطاته السياسية والإعلامية.

عرف عنه الوفاء لاصدقائه، فقد أقام حفلًا تكريمياً للشاعر العراقي السيد مصطفى جمال الدين بعد أن اخبره الأطباء اثناء علاجه في لندن أن حالته ميؤوس منها، فقد جمع عدداً كبيراً من العلماء والشعراء والأُدباء وشدد عليهم بضرورة تكريم الشخصيات المهمة في حياتها وليس بعد مماتها، فأقام حفلًا تكريمياً كبيراً شارك فيه أُدباء وشعراء عراقيون ولبنانيون من بينهم الشاعر اللبناني محمد على شمس الدين، والسيد حسن الأمين، والسيد هاني فحص، والشاعر نزار حاتم، والشاعر جودت القزويني، والشاعر العراقي الراحل بلند الحيدري، والسيد حسين محمد هادي الصدر، بالإضافة إلى مشاركة السيد محمد بحر العلوم بقصيدة خص بها رفيق عمره الشاعر مصطفى جمال الدين.

تربطه علاقة متينة بالشيخ محمد مهدي شمس الدين، فقد كان الآخير يعمد حال وصوله إلى لندن، الاتصال هاتفياً به ويمازحه تعبيراً عن الرغبة في لقائه بالقول "نريد طبيخ باقلا" أي "نتناول الرز مع الباقلاء" الاكلة النجفية المتداولة، فيقيم السيد بحر العلوم مأدبة غداء أو عشاء على شرف الراحل

السيد/ محمد مهدي شمس الدين، وكثيراً ما كان يتجاذب معه الذكريات المتبادلة عن النجف التي كان السيد/ محمد مهدي شمس الدين قد تخرج من حوزتها العلمية.

وكان بيته في النجف عقب سقوط النظام، استأنف بقوة علاقاته مع الجميع، لذا تجد مضيفه مفتوحا أمامهم، وموصياً ابناءه بالاستمرار في خدمة الناس وعدم رد طلباتهم الممكنة.

يكتب الشعر، أصدر ديوناً كاملًا واستمر يواصل الكتابة طوال حياته كلما تأثر بشيء، ولا يتردد في كتابة قصائد الغزل رغم أنه رجل دين ويحفظ كثيراً للشاعر نزار قباني وحين يستمع للشعر ينسى كل ما حوله لأنه ينشد بقوة القصائد الجيدة ويحيي الشاعر كثيراً، فيما يطرق برأسه صامتاً إذا استمع إلى شعر رديء، وفي أول اجتماع لمجلس الحكم الانتقالي انشد ابياتاً من الشعر العربي الأخاذ وعندما سأله الزميل ناجح بلال من صحيفة السياسة عن اهم الأبيات التي كان يرددها مع نفسه في الغربة قال:

ولي وطنٌ بينَ الضلوعِ مقامُه ... وصورتُه محفورةٌ في محاجري
فلا أنا أنساه مدى العمرِ روعةً ... ولا هو ينساني وإن صالَ هاجري
تغرّبت عنه لا قلىً أو ملالةً ... ولكنني أكرهتُ ركبَ المخاطرِ
تصّورت أيامي ظلاماً بغيره ... وهل ينجلي عني ظلامُ المسافرِ

محب للنكتة ويحفظ ما يعجبه منها، صريح بتحفظ (يقول ماذا يحب وماذا يكره دون المساس بالآخرين) يبدي عاطفته وعواطفه دون خجل ولا تكلف ويحرص على تفقد الاصدقاء ويطالبهم بالمجيء اليه على مائدة غداء او عشاء، لكي يلتقيهم ويطمئن على أحوالهم، يتحدث عن شيخوخته بسخرية لامعة وحديثه دائما مليء بالصور والذكريات.

إلى جانب الوقار الشديد الذي يميز شخصه وحضوره فإن حسن الفكاهة يكاد يكون موازياً في شخصيته، فإذا ما تكلم عن قضية سياسية جادة ألحقها برواية طريفة تدل على المعنى المقصود. وإذا ما جاء على ذكر شخصية ما

سارع إلى تشبيه تلك الشخصية، بما يتناسب معها من شخصيات تاريخية أو كرتونية، وأحياناً يستعين بصفات الحيوان والنبات.

يرفض صبغ هوية العراق بغير الهوية العربية ويصر على أن يكون للعرب وجود وحضور يتناسب والظروف الصعبة التي يمرون بها وكان من أنصار الدعاة إلى عدم أخذ البلد إلى حالة من التغريب عن مكوناته وتاريخه واتباع سياسة متوازنة وغير عدائية مع كل جيرانه الذين يحيطون به، وهي سياسة تسير بعكس ما كان أيام حكم البعث وصدام.

ارتبط أسم المرحوم حجة الإسلام، السيد محمد بحر العلوم بعلاقات خاصة وحميمية بالكويت وكما قلت منذ السبعينات وإلى آخر سنة في حياته المديدة، بعد أن انتقل إلى جوار ربه في شهر أبريل عام ٢٠١٥ وإن كان قبل ذلك له حضور في مناسبات ادبية وثقافية أقيمت في الكويت.

كان من الشخصيات العراقية التي وقفت مع الكويت وادانت الغزو وله صلات وثيقة مع صاحب السمو أمير البلاد عندما كان وزيراً للخارجية وهو ارتباط شخصي وعندما يحل ضيفاً على الكويت يكون في ضيافة سموه، ويوليه عنايته بتوفير الأمن له، وعند زيارته الكويت، لا يتوقف عن زيارة الدواوين، وكان بحق وعن جدارة "مهندس" العلاقات الكويتية العراقية، ومن أبرز القادة على المستوى العربي والإسلامي. اتذكر، عندما كان يأتيني إلى عيادتي ليعالج أسنانه، كيف كان يتحول الشارع إلى خلية أمن وسيارات الشرطة، لدرجة أن الجيران صاروا يتساءلون من هي الشخصية المرموقة التي تزور عيادة باب هاني.

وفي عام ٢٠٠٨ باع ملاك العمارة حلالهم وطلب المالك الجديد إخلاء العين، حصلت عملية انتقال لعياداتنا إلى مقر جديد بعد ٢٠ سنة، ومنذ البداية في العيادة في ١٩٩٨ كنا نخرج جزء من دخل العيادة ونضعه في حساب خاص بأسم صندوق اسميناه "صندوق الزهراء" عليها السلام، تزامنت تلك النقلة، مع حديث جرى مع سماحة السيد وإبنه سعادة السفير محمد حسين، حيث أن

العيادة كان بها ١٤ عيادة أسنان بجميع متطلباتها والمكان الجديد لا يسع إلا تسعة عيادات، وكانت الفكرة من احد الأخوان بالتبرع بباقي العيادات للعراق، وتحدثت مع سعادة السفير محمد حسين عن الموضوع، عن مدى الحاجة لعيادات مستعملة ولكنها تعمل بصورة جيدة فرحب بذلك ونقل الموضوع إلى السيد محمد بحر العلوم الذي شجعنا على ذلك وبالفعل تم الترتيب لنقل خمسة عيادات مع الأجهزة المرفقة إلى العراق عن طريق د/ عادل اليوسفي من شركة ناشيونال باناسونيك في أوائل ٢٠٠٩ ولاحقاً بعد أن تم تثبيت العيادات وتزويدها بكل ما تحتاج إليه من أدوات وأجهزة للتشغيل، فاجئني السيد "ابو إبراهيم" بأنهم كانوا يخططون لمشروع طبي في النجف الاشرف لمساعدة الفقراء والمساكين وجاءت العيادات في الوقت المناسب وقاموا بإفتتاح المركز واطلق السيد "ابو إبراهيم" أسم "مجمع فاطمة الطبي" عليه، وأتخذ من النجف مقراً له وفيه كافة التخصصات الطبية والأسنان وقال أخترنا الأسم لاحساسنا بعلاقتك الخاص مع الزهراء عليها السلام.

حصل ما لم يكن بالحسبان، شاءت إرادة الله أن تتوفى والدتي، والتي بقيت مقعدة وعاجزة بالفراش لمدة ٢٠ سنة، ولم يتأخر السيد "ابو إبراهيم" عن زيارتها في كل زيارة له إلى الكويت أثناء حضوره لبيتي والديوان "مجلس الزهراء عليها السلام"، المهم أنني وجدت وصيتها بالصدفة بين أوراقي، وعندما قرأتها، عرفت أن أختي الصغيرة هي من قامت بكتابتها ووجدت فيها أن الوالدة توصي بماء سبيل في أحد المساجد أو الحسينيات، وأن تدفن عند زوجها في النجف الأشرف أو في كربلاء، والحقيقة أنني التزمت بتنفيذ الوصية وساعدني بذلك نجل السيد محمد بحر العلوم، والذي عين سفيراً للعراق لدى الكويت في حينه وهو من قام بتسهيل نقل الجثمان عن طريق البحرين وصولًا إلى النجف، وأخذ الجثمان ابن شقيقتي (حفيدها) وقد استقبله في مطار النجف الاشرف نجل السيد ويدعى السيد/ محمد علي بحر العلوم وهو الوحيد من أبنائه المعمَّم والبقية يمارسون حياتهم الدبلوماسية والوزارية بالشكل

الإعتيادي، وكان قد رتب لهم وسائل النقل حيث أخذوا الجثمان إلى كربلاء وكان يتتبعهم عن طريق التليفون وسهل لهم الإجراءات وكانت العراق في هذه الفترة بها نقاط تفتيش على طول الطريق وقام بنفسه بإستقبالهم عند عودتهم إلى النجف الاشرف وقام بنفسه بجميع مراسم زيارة الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام وإجراءات الدفن، ولاحقاً حين ذهابي للزيارة إلى النجف الاشرف لزيارة قبر الوالدة كان ابن السيد محمد على بحر العلوم يرافقني في جميع زياراتي وساعدني في تحقيق رغبة الوالدة رحمها الله بعمل سبيل ماء وعرفنا من أحد المسئولين بالمقام والذي بين حاجة المقام إلى فلاتر كبيرة للماء لتزويد المقام بالماء للوضوء والشرب وهذا ما حصل وأخذنا السيد محمد علي بحر العلوم لزيارة "مركز الزهراء للخدمات الطبية" حيث اطلعنا وسلمنا على العاملين فيه في جميع التخصصات ولجوء المحتاجين إليه ورتب السيد محمد علي بحر العلوم زيارة لأحد المشاغل التي تدار لتدريب السيدات والفتيات على اعمال الخياطة والانتاج يوزع عائده على الاسر المحتاجه. وفأجاني الحارس حين استقبلني بالترحاب بإنه يعرفني وذكرني بنشاطي في مخيم اللاجئين في العبدلي وما قمت به من دور في عملية حماية اللاجئين وإخلائهم مع الهلال الأحمر إلى طهران وكان صاحبة المشغل من ضمنهم.

تكررت زيارتي إلى مدينة النجف وفي كل مرة أحرص على زيارة العلامة السيد "ابو إبراهيم" في بيته والتحدث بالأمور الدينية وغيرها، فكانت العلاقة تزداد ثقة ورسوخاً، لدرجة أنها وصلت إلى مستوى العلاقة بين الأب وإبنه، وفي أحد الزيارات كانت كانت ترافقني زوجتي الدكتورة حيث استقبلنا في منزله على الغداء مع أفراد العائلة كلهم وكان يحمل كل حب ومودة لزوجتي سواء أثناء تواجدها معي في لندن أو أثناء زيارات العلاج بالعيادة بعد التحرير، وأذكر عندما قررت الارتباط بها اشترط والدها عمي يوسف عبدالسلام كتابة العقد عند كاتب عدل سني بالمحكمة، وسألت السيد "ابو إبراهيم"، فبارك لي وقال لا فرق بين العقد السني والشيعي فالعقد عبارة عن إيجاب وقبول وشهود وهذا موجود في جميع المذاهب.

النجل الأكبر للسيد محمد بحر العلوم هو إبراهيم، حيث عمل كمهندس في وزارة النفط الكويتية عندما تولى عبدالمطلب الكاظمي منصب الوزير لمدة خمس سنوات، واضطر لترك الكويت في بداية الثمانينات. ولحق بوالده في لندن وأكمل دراسته وحصل على درجة الدكتوراه في اختصاصه من جامعات في الولايات المتحدة، ولاحقاً أصبح وزير للبترول في أول حكومة عراقية بعد سقوط الطاغية صدام عام ٢٠٠٣. ثم تولى الوزارة ثانية في ٢٠٠٥ واستقال على اثر قرار الحكومة في زيادة أسعار المشتقات بشكل مضاعف، وانتخب عضوا في مجلس النواب عام ٢٠١٤ وهو عضو في لجنة النفط والطاقة النيابية.

يوم وفاته وأثناء العزاء برحيله عام ٢٠١٥، وجدث نفسي أجهش بالبكاء، وكلما حاولت التكلم لا أقوى عليه، الآن دموعي تسبقني في ذلك. وحتى حين طلب مني السيد محمد حسين بحر العلوم سفير العراق بالكويت الكتابة عن علاقتي بالسيد "ابو إبراهيم" ظللت لمدة اشهر وأنا أحاول ولا استطيع ذلك وأخيراً لجأت لأحد الزملاء للمساعدة واستطعت التغلب على دموعي وهذا بعض من كثير لشخص كان بمثابة الأب لي.

عادت بي الذاكرة إلى الوراء، ففي مرحلة ما بعد سقوط تمثال صدام في ساحة الفردوس عام ٢٠٠٣ وبداية حرب تحرير العراق كنت مع طاقم اذاعة الكويت نقوم بتقديم برنامج إعلامي موجه للعراق، كان السيد "ابو إبراهيم" خير معين لي بإيصالي إلى شخصيات وقيادات المعارضة العراقية والذين استضفتهم على الهواء مباشرة.

من المواقف التي لا تنسى عن سيرة المرحوم السيد محمد بحر العلوم، قصة لقاءه ومجموعة من القيادات الحزبية والعقول السياسية عام ١٩٦٨ بصدام حسين بعد أن استولوا على الحكم في العراق، جلس على الطاولة وأمامه بندقية كلاشينكوف وكان السيد أول الجالسين على يمينه، وأثناء المناقشات أحتد الصدام والكلام بقوة، فتحدث صدام وأمسك بالكلاشينكوف

بيده ووجه كلامه للحاضرين، "نحن أخذنا الحكم بهذا، ورفع الكلاشينكوف إذا كنتم تريدون الحكم فعليكم بهذا السلاح"... "أي بالقوة".

عميد أسرة آل بحر العلوم وامين عام مركز اهل البيت ومؤسس رابطة أهل البيت أيضاً.. ومن الذين وجدوا أنفسهم في المهجر هرباً من جور نظام البعث الصدامي.

كان له في نفوس أهل الكويت وقيادتها شأن ومحبة وتقدير، وهو الذي اختير عام ٢٠٠٣ عضواً في إدارة الحكم المؤقت للعراق بعد تحريره من حكم صدام حسين وتعينه ناطقاً بأسم المجلس لكونه الأكثر حكمة وعلماً، والذي ترأس بين عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٤ مجلس الحكم المؤقت في العراق ووقع عليه الاختيار، ولأجل ذلك وبعد وفاته

وفي الأول من شهر يونيو ٢٠١٥ أقامت الجمعية الثقافية الاجتماعية حفل تأبين للعلامة السيد محمد بحر العلوم، فتحدث النائب يوسف زلزلة وقال عنه "عرفته الكويت عالماً جليلًا وصديقاً محباً للخير ووحدة المسلمين، كانت له علاقة خاصة بالكويت والكويتين" أضاف "تعلمنا منه القيم النبيلة وتربينا على مواقفه الإنسانية السمحة وكان حريصاً على حضور المجلس الحسيني كل جمعة في ديوان الزلزلة، فلم يكن أبداً يميز بين سني وشيعي وخطابه دائماً كان خطاب الوحدة والتسامح".

وتحدث أيضاً الأمين العام للتحالف الوطني الإسلامي الشيخ حسين المعتوق الذي قال "كان له دور جهادي عندما كان في العراق إلى جانب المرجعية، وقد انطلق من الكويت إلى العراق ليعمل على توثيق العلاقات السياسية والحكومية والشعبية بين البلدين الشقيقين العراق والكويت".

وفي حفل التأبين الذي أقيم له في الكويت عام ٢٠١٥ كانت كلمة لنجله السيد محمد علي بحر العلوم حيث قال "يصعب عليه جدا أن يقف مؤبنا والده رحمه الله، إلا أن ما يسهل هذه المهمة أنه يتحدث هنا بينهم وقد عرفتموه أخا وصديقا، أثبتت تجربته أن علاقات الشعوب أبقى وأهم من الطغاة"

وتابع بحر العلوم "عندما عرف والدي عن قيام صدام حسين بغزو الكويت لم يتردد لحظة واحدة في استنكار ذلك وأصدر فتوى بحرمة هذا العمل الشنيع وتبرؤ الشعب العراقي منه، كما كانت له مساهمات كبيرة في تنظيم مظاهرات مناوئة لهذا الاحتلال، وكان له دور في تسهيل عمل لجنة الأسرى الكويتيين. لقد كان رحمه الله واضحا وجريئا بالحق ضد الظلم، وكان قدرنا في العراق أن نبتلى بحكام ظالمين يورطوننا مع الشعب الكويتي الشقيق، ولكن بفضل الله خرج الشعبان أكثر تماسكا... وأكمل بحر العلوم قائلًا بأن والده أقام في الكويت سبع سنوات كانت مليئة بالجد والعمل الدؤوب، أثمرت في توطيد العلاقات بين الشعبين وكان حريصا على التواصل الاجتماعي مع أهل الكويت وحريصا على إزالة آثار العدوان الصدامي، وأكد بحر العلوم على أن خطاب الكراهية والطائفية لا يجد طريقه إلا في القلوب الضعيفة غير المؤمنة، مشيراً إلى أن الفقيد كان يرفض ذلك تماما وعمل طوال حياته على كل ما من شأنه تقريب المسلمين ووحدتهم، وتابع بحر العلوم لقد كان لوالدي رحمه الله علاقة متميزة مع الكويت، فكانت محطته الأولى حين غادر العراق مرغما عام ١٩٦٩، وكانت بوابته للعودة إلى وطنه أيضا، أحب الكويت وأحبته، وما هذا التأبين إلا دلالة واضحة على هذه العلاقة المتميزة وعلى وفاء هذا الشعب الكريم".

وكثيراً ما صرح للصحفين أثناء زيارته السنوية التقليدية إلى الكويت وفي شهر رمضان مشدداً على أواصر الأخوة والصداقة التي تجمع الكويت بالعراق وأن "الكويت في قلوبنا منذ أكثر من ٤٠ سنة، فهي بلدنا الثاني، وذلك بفضل القيادة الحكيمة التي تسيَّر مسيرة الكويت سياسياً واقتصادياً وجميع ما يتعلق بمراحل الاستقرار والنمو" وبلقاء له ٢٠١٢ مع الصحافة الكويتية أعتبر "أن صاحب السمو امير البلاد لم يختلف في أخلاقياته بالنسبة للعراق فكما في السابق، تجلى موقفه الرائع في مؤتمر القمة حيث كان من المصرين والمؤيدين لانعقاد القمة العربية في بغداد، وتجلى اهتمام سموه بحضورالقمة والمشاركة فيها، اضافة الى جلوسه الطويل في المؤتمر الذي لاحظه العراقيون كافة،

ومسك الختام تمثل في الخطاب الرائع المشحون بالمودة والاخوة والاهتمام بالعراق ونجاحه. هذا المعنى أثار كل الاهتمام في نفسية العراقي الذي قد يحسب حسابا لما حصل من القضايا بعد غزو النظام السابق للكويت".

وابدى بحرالعلوم ارتياحه لمسار العلاقة مع الكويت "والتي امتازت خلال الفترة الطويلة من الزمن بالخير والمصارحة والمودة بيننا"، معربا عن امله في ان تتوثق هذه المسيرة اكثر، ومعتبرا انه مما لاشك فيه ان رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي يحمل نفس المشاعر الطيبة والأخوية للكويت، ويعمل على توثيق هذه العلاقة.

وتابع قائلا: "قاربت على ٨٦ عاما من العمر، وأقصد المجيء إلى الكويت كل عام منذ سقوط النظام الصدامي من أجل ان أفهم الاخوة الكويتيين أن العراق لكم وبلدكم، وأن أي استقرار في العراق استقرار لكم، واستقراركم استقرار للعراق"، مشددا على أن "الوشائج التي تربطنا مع الشعب الكويتي كثيرة، فلا نجعل هذه الوشائج في مهب الريح في قضايا لا أثر لها في المصلحة العامة. نحن مع المصلحة العامة وعملنا كثيراً"، ومؤكدا أن "المرجعية الدينية في النجف تهتم كثيرا بتوثيق العلاقة مع دول الجوار وتهتم كثيرا بضوابط هذه العلاقة وأن تكون في مصلحة البلدين"، موضحا: "اننا لاحظنا أن الأجواء المكفهرة والكثير من المشاكل التي تشهدها البلاد، اضافة الى الكثير من القضايا التي تهم دول الجوار مع العراق تأتي بطريقها من بعض دول الجوار التي انزه وابعد الكويت عنها".

كان المرحوم العلامة السيد محمد بحر العلوم على صلة دائمة بالكويت خصوصاً بعد التحرير وهو الذي وقف مع الحق الكويتي أثناء الغزو، أقام علاقة مع سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الصباح منذ زمن طويل قبل التحرير وبعده، وواظب على القيام بزيارة الكويت كل رمضان والتقائه بصاحب السمو أمير البلاد وبقيادات كويتية وزياراته للدواوين، وكان ابن النجف وابناؤه ومنهم السفير العراقي لدى الكويت محمد حسين بحر العلوم، وشقيقاه من الأصدقاء المخلصين والأوفياء للكويت.

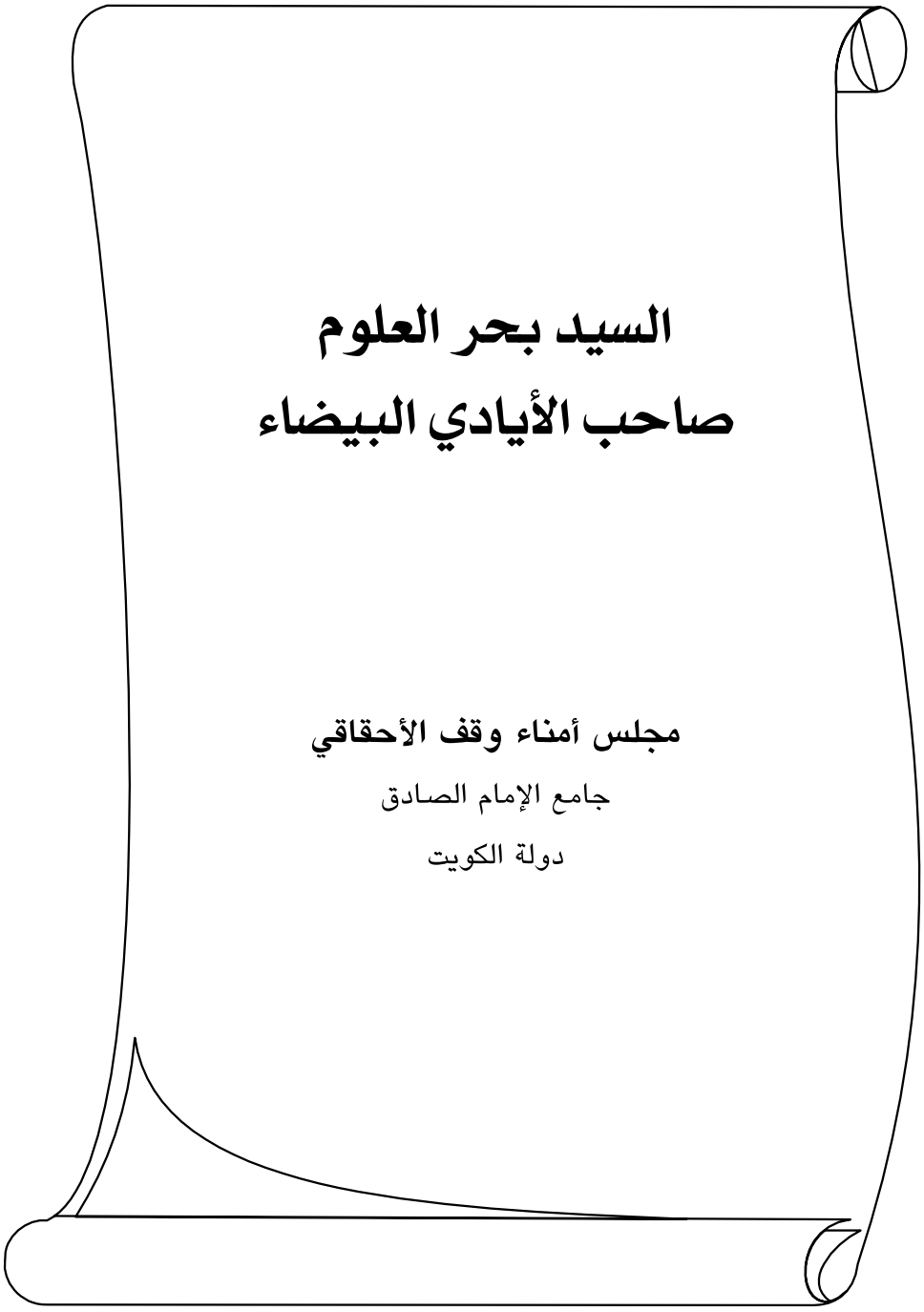

السيد بحر العلوم
صاحب الأيادي البيضاء

مجلس أمناء وقف الأحقاقي

جامع الإمام الصادق

دولة الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

"إذا مات العالم ثلم في الدين ثلمة لا يسدها شيء".

رحمك الله واسكنك الفسيح من جنانه يا صاحب الفضيلة والأيادي البيضاء آية الله السيد محمد بحر العلوم. لقد كنت دوماً سنداً وعوناً لكل محتاج وصاحب قضية، لم تبخل برأي أو مال لقضاء حاجة المؤمنين الذين كانوا يرون فيك الأمل والسند بعد الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام وكيف لا تكون كذلك وانت من سلالة الرسول والأئمة الاطهار (عليهم السلام).

عندما نقول انك سنداً وعوناً ليس لأبناء طائفتك أو القريبين منك بل كنت عالمياً في العطاء لا فرق عندك بين فردٍ أو آخر، أو عائلة او أُخرى حتى أحبك وتشرف بمعرفتك ابناء الكويت جميعاً حكاماً ومحكومين ولقد لمسنا ذلك من خلال تشريفكم مقعد القضاء في محاكم الكويت وقربكم من أبناء الكويت وزياراتكم لمجالسهم ومنتدياتهم، يرون فيك الناصح من خلال الرأي والمشورة، وبعدما تركت الكويت وفقدك مقعد القضاء الذي أرسيت فيه الكثير من المبادئ السامية والتي سار عليها من تبعك في هذا المجال وسافرت الى بلدك وبلدنا الحبيب العراق لتكون بالقرب من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة الاطهار(عليهم السلام)، لم تنسَ الكويت بل كانت لك زيارات متعددة وخالدة في ذهن الكويت وابنائها وهم يرون السيد بحر العلوم بالقرب من

أميرهم وحاكمهم، كم كانت سعادتهم وهم يرون هذا المنظر كل عام، رحمك الله لقد كنت دوماً صاحب الفضل والمبادرة.

وان كنا نتحدث عن تلك الفترة التي عشناها مع اخوانك وابنائك في الكويت نقول.. لقد اسديت رحمك الله وأسست المبادئ المباركة في القضاء الكويتي وكانت بصماتك واضحة للقاصي والداني من دماثة الخلق والحرص على المصلحة العامة والتوصيات والمقترحات الكبيرة التي أسهمت وبشكل كبير في ارساء قواعد ومواد قضائية وأحكام متميزة حتى كانت الأنموذج الذي يحتذى به ولأجيال متعاقبة في محاكم الكويت، لم تكن قاضياً او مستشاراً بل كنت مدرساً ومعلماً وضع الأسس لأجيال لاحقة تتعلم من أحكامك وصياغتها والسير على نهجها كل ذلك كان ارساء للعدالة ورضا الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام.

كما أسلفنا لم يقتصر عملك وجهدك على كرسي القضاء فقط بل كنت مصلحاً ورائداً في التصدي لمشاكل المجتمع ومواطن الكويت ولم تكن ترى ان العمل مختص في ساحة القضاء وإنما في مرافق المجتمع بشكل عام حتى حفظك أهل الكويت في ذاكرتهم ووجدانهم.

إما علاقتك المتميزة مع حكام الكويت كانت فخراً لأبناء الكويت بشكل عام حيث يرون فيها العلاقة التاريخية بين الشعبين العراقي والكويتي رغم ما مرت به هذه العلاقة في فترات معينة من تجاوزات أبرزها مرحلة الغزو الصدامي الغاشم. إن مواقفكم النبيلة اثناء فترة الغزو لتدعوا الى الفخر والاعتزاز ولعل زياراتكم المتكررة الى الكويت وأنتم في الموقع العراقي العام العام والخاص كان لها الأثر البالغ في اعادة الكثير من الامور الى أوضاعها الطبيعية وتجاوز الأزمة، ويكمل حالياً الطريق إبنكم البار السيد محمد حسين بحر العلوم(حفظه الله) سفير العراق في الكويت، فهو على طريقكم ومبادئ مدرستكم. أعزك (رحمك الله) أهل الكويت وحكامهم يرون فيك المثل والقدوة والرجل الذي يرى أن المصلحة العامة أهم وأكبر من أي مصلحة خاصة.

أما علاقتك مع ابناء الكويت كما اسلفنا فهي علاقة متميزة وكبيرة لم تترك مجلساً أو ديواناً الا وزرته، وتشرفوا بوجودك حتى وجدوا فيك الأخ والصديق والمعين، وكم كان الألم كبيراً عند فراقك ومغادرتك الكويت، وكان الألم اكبر عند التحاقك بالرفيق الأعلى ولازال صدى اسمك وتاريخك في أسماع وأذهان أهل الكويت، لقد أحببتهم وأحبوك وأنسوا بوجودك بينهم.

لقد كانت لقاءاتك مع مراجعنا الكرام تتبع بالصدمة والمودة والسعادة ولعل أبرزها لقاؤك مع المرجع الراحل الإمام المصلح الحاج ميرزا حسن الحائري الاحقاقي (قده). وكذلك خادم الشريعة المرجع الديني المرحوم الميرزا عبد الرسول الاحقاقي(قده) وباقي المراجع الكرام ولعل الصور تحكي هذه العلاقة وان صممت الصور لكنها تشع بتاريخ العلاقة وتحكي عن سعادتها.

ولو بشكل موجز، عندما حاول البعض النيل من مراجعنا حول قضية مصحف فاطمة(ع) من جهل أو عناد ورُفِعت بعض القضايا، فكان تصديكم للموضوع بالحجة وروايات أهل البيت أفحمتم الجميع ووقفتم متحصنين بالولاية والمعطى وما ورد عن أهل بيت العصمة حول مصحف فاطمة(ع) حتى ظهر الحق المبين. لقد أديت الأمانة وحفظت سيرة وسر أهل البيت(ع) جمعك الله واياهم في اعلى منازل الجنان مع محمد وآله الطاهرين.

لقد كان لنا شرف لقائكم والميرزا عبد الله الاحقاقي الحكيم الالهي (حفظه الله) وما كان بينكم من حديث يثلج الصدور ويعزز الأمل بأن الدين والاسلام بخير.

لقد كنت ممن تشرف ولمرات عديدة بلقائكم والجلوس معكم وانتم تشاركون في الملتقيات التي تقيمها ادارة الوقف الجعفري بالكويت حيث كانت توجيهاتكم ونصائحكم ومقترحاتكم الطريق المنير للإدارة ولجانها المختلفة كما كان الجميع سعيداً لوجودكم ومشاركتكم التي اعطت تلك الملتقيات ميزة مميزة وأمل كبير بالنجاح. وان كنا نذكر ذلك فهو غيض من فيض فمن يستطيع أن يتكلم او يكتب في تاريخكم العظيم الزاخر بالمواقف الايمانية والوطنية

والانسانية والاجتماعية، انه تاريخ يسطر بأحرف من نور محفوف بنور الولاية العظمى محمد وآله الطاهرين عليهم السلام.

هذا بعض من كثير وقطرة في بحر زاخر من عطاياكم وتاريخكم، ونسأل الله العلي القدير أن يتغمدكم بواسع رحمته، وان يسكنكم الفسيح من جنانه، وان يلهمنا والمؤمنين واسرتكم الكريمة الصبر والسلوان، وأن يمنح الله البركة دائماً في ابنائكم الأعزاء لإكمال مسيرة التضحية والعطاء تحت راية مولانا صاحب العصر والزمان الحجة المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد بحر العلوم..
علاقة تاريخية بالكويت
والإبحار في سيرة إبن النجف

الأستاذ حمزة عليان

كاتب وصحفي لبناني

سكرتير تحرير جريدة القبس الكويتية

ارتبط اسم المرحوم السيد محمد بحر العلوم بعلاقات خاصة وحميمة بالكويت منذ أوائل السبعينات والى آخر سنة من حياته المديدة، بعد أن توفاه الله في العام ٢٠١٥، وان كان قبل ذلك حاضراً في مناسبات أدبية وثقافية، كمشاركته في مهرجان الشعر العربي الذي أقيم في الكويت عام ١٩٥٨.

وبالإضافة الى نشاطه العلمي والتعليمي داخل العراق وفي مدينة النجف وخارجها، وترؤسه لأول مجلس إدارة حكم بعد سقوط نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣، فقد عمل قاضياً للأحوال الشخصية في الكويت منذ عام ١٩٧١ ولغاية عام ١٩٧٧ واستمرت علاقاته بتلك المحاكم الى يوم وفاته.

عرف عنه النزاهة والصدق والأمانة والحرص على أداء رسالته، أقام علاقات واسعة مع أهل الكويت الذين يقدرون مكانته ويحترمونه لعلمه وحكمته.

كان يقيم ديوانه كل يوم أربعاء في مجمع الأندلس بمنطقة حولي، ويعمل على حل القضايا والخلافات بالمقابلة الشخصية دون اللجوء إلى المحكمة والكثير منها تمت تسويته ودياً.

كان على صلة دائمة بالكويت خصوصاً بعد التحرير وهو الذي وقف مع الحق الكويتي أثناء الغزو. أقام علاقة مع سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الصباح منذ زمن طويل قبل التحرير وبعده، وواظب على القيام بزيارة الكويت كل رمضان والتقائه بصاحب السمو أمير البلاد وبقيادات كويتية وزياراته للدواوين، وكان ابن النجف وابناؤه ومنهم السفير العراقي لدى الكويت محمد حسين بحر العلوم وشقيقاه من الأصدقاء المخلصين والأوفياء للكويت.

(امام ليبرالي) وصف أُطلِق عليه في وسائل الاعلام بعد تعيينه رئيساً لأول

مجلس انتقالي يحكم العراق بعد سقوط صدام في ساحة الفردوس عام ٢٠٠٣، وهو شخصية جمعت بين الأدب والسياسة والثقافة والقضاء، ومن أسرة نجفية عريقة ذات وجود اجتماعي وسياسي وثقافي وديني يمتد اكثر من اربعة قرون.

زعيم اسلامي بارز في العراق، عميد اسرة آل بحر العلوم، وعضو مجلس مؤسسة الخوئي في لندن، وايضاً تلك مسميات عُرِف بها عند الحديث عن شخصه ومواقفه وسيرة حياته، أقام علاقة حميمة ونجله ابراهيم ـ الذي عُيِّن وزيراً للنفط في الأعوام ٢٠٠٣ و٢٠٠٤ و٢٠٠٥ ـ مع الكويت وعلى مختلف المستويات القيادية والشعبية بالدولة، التي يحرص على زيارتها، خصوصاً في شهر رمضان من كل عام، وهو لذلك يتمتع برصيد واسع من العلاقات بناه عندما عمل بالقضاء الشرعي هنا واستمر بعلاقاته من بعدها وإلى يومنا هذا.

كان على الدوام صديقا وفياً للكويت، أبدى حرصه وسعيه المتواصلين على توضيح الموقف العراقي تجاه القضايا الساخنة والمعلقة التي غالباً ما تطرح في الاعلام بطريقة التحريض والاثارة، وقال اكثر من مرة في العلن والسر: "ليست لنا اطماع في الكويت، وترسيم الحدود حصل بقرار دولي وانتهى، وصدام حسين سقط الى الأبد وستبقى الكويت جارة وفية ومخلصة لنا"، على حد تعبيره. ولها مكانة خاصة في قلبه، فقد كانت اول محطة عندما تغرَّب عن وطنه وآخر محطة عندما عاد من منفاه.

أسرة السيد محمد بحر العلوم ترتبط بوشائج وعلاقات متينة مع العشائر العراقية، لا سيما في منطقة المشخاب التابعة لمحافظة الديوانية ـ لما تتمتع به هذه الأسرة منذ الآباء والأجداد من انفتاح كبير على المجتمع العراقي بكل اطيافه ـ لذا، لا تجد احداً من الساسة العراقيين ـ اسلاميين وعلمانيين عرباً وكرداً ـ لا يبدي تقديراً خاصاً للسيد محمد بحر العلوم.

في زمن المعارضة للنظام العراقي السابق، كرس السيد محمد بحر العلوم كل جهده في خدمة المعارضة بغية التخلص من النظام السابق، فكان منزله ومركزه الاسلامي في لندن ما يشبه المنطلق لاجتماعات المعارضة ومنطلقها لنشاطاتها السياسية والاعلامية.

عرف عنه الوفاء لأصدقائه، فقد اقام حفلًا تكريمياً للشاعر العراقي السيد مصطفى جمال الدين بعد ان أخبره الأطباء اثناء علاجه في لندن ان حالته ميؤوس منها، فقد جمع عدداً كبيراً من العلماء والشعراء والأدباء وشدد عليهم بضرورة تكريم الشخصيات المهمة في حياتها وليس بعد مماتها، فأقام حفلًا تكريمياً كبيراً شارك فيه ادباء وشعراء عراقيون ولبنانيون من بينهم الشاعر اللبناني محمد علي شمس الدين، والسيد حسن الأمين، والسيد هاني فحص، والشاعر نزار حاتم، والشاعر جودة القزويني، والشاعر العراقي الراحل بلند الحيدري، والسيد حسين محمد هادي الصدر، بالاضافة الى مشاركة السيد محمد بحر العلوم بقصيدة خص بها رفيق عمره الشاعر مصطفى جمال الدين.

تربطه علاقة متينة بالشيخ محمد مهدي شمس الدين، فقد كان الاخير يعمد حال وصوله الى لندن، الاتصال هاتفياً به ويمازحه تعبيراً عن الرغبة في لقائه بالقول " نريد طبيخ باقلا"، اي "نتناول الرز مع الباقلاء" الأكلة النجفية المتداولة في بيتك فيقيم السيد بحر العلوم مأدبة غداء او عشاء على شرف الشيخ الراحل شمس الدين، وكثيراً ما كان يتجاذب معه الذكريات المتبادلة عن النجف التي كان شمس الدين قد تخرج من حوزتها العلمية.

بيته في النجف عقب سقوط النظام، استأنف بقوة علاقاته مع الجميع، لذا تجد مضيفه مفتوحاً امامهم، وموصياً ابناءه بالاستمرار في خدمة الناس وعدم رد طلباتهم الممكنة.

يكتب الشعر، اصدر ديواناً كاملًا ومازال يواصل الكتابة كلما تأثر بشيء، ولا يتردد في كتابة قصائد الغزل رغم انه رجل دين ويحفظ كثيراً للشاعر نزار قباني وحين يستمع للشعر ينسى كل ما حوله لأنه ينشد بقوة للقصائد الجيدة، ويحيي الشاعر كثيراً، فيما يطرق برأسه صامتاً اذا استمع الى شعر رديء وفي اول اجتماع لمجلس الحكم الانتقالي انشد ابياتاً من الشعر العربي الاخاذ وعندما سأله الزميل ناجح بلال من صحيفة السياسة عن اهم الابيات التي كان يرددها مع نفسه في الغربة قال:

ولي وطنٌ بين الضلوع مقامه وصورته محفورة في محاجري
فلا أنا أنساه مدى العمر روعة ولا هو ينساني وان صال هاجري
تغربت عنه لا قلى ولا ملالة ولكنني اكرهت ركب المخاطر
تصورت ايامي ظلاما بغيره وهل ينجلي عني ظلام المسافر

محب للنكتة ويحفظ ما يعجبه منها، صريح بتحفظ يقول ماذا يحب وماذا يكره دون المساس بالآخرين، يبدي عاطفته وعواطفه دون خجل ولا تكلف ويحرص على تفقد الأصدقاء ويطالبهم بالمجيء اليه على مائدة غداء او عشاء، لكي يلتقيهم ويطمئن على أحوالهم، يتحدث عن شيخوخته بسخرية لامعة وحديثه دائماً مليء بالصور والذكريات.

زار الكويت بعد أشهر قليلة على وفاة زوجته ورغم أن لقاءه مع الزميلة منى فرح كان سياسياً بالكامل، فانه أصر على أن يأتي على ذكرها.. تحدث عنها وطلب نشر مقاطع من قصيدة الرثاء التي كتبها فيها وحبه للمرأة لا يخفيه واحترامه الكبير لها، يتعاطف مع كل قضاياها بما في ذلك حقوقها السياسية.

إلى جانب الوقار الشديد الذي يميز شخصه وحضوره فإن حس الفكاهة يكاد يكون موازياً في شخصيته، فإذا ما تكلم عن قضية سياسية جادة ألحقها برواية طريفة تدل على المعنى المقصود. واذا ما جاء على ذكر شخصية ما، سارع الى تشبيه تلك الشخصية بما يتناسب معها من شخصيات تاريخية أو كارتونية، وأحياناً يستعين بصفات الحيوان والنبات.

الانتقاد، في مجالسه الخاصة يتحفظ كثيراً وبمرارة على أسلوب هذا الرجل وإدارته السيئة لشؤون العراق وعدم إلمامه ومعرفته بأحوال اهله، وهو ما تسبب بقرارات كانت نتائجها سيئة معدداً جملة من الأخطاء وقعت فيها الإدارة الأمريكية في العراق.

يرفض صبغ هوية العراق بغير الهوية العربية، ويصر على أن يكون للعرب وجود وحضور يتناسب والظروف الصعبة التي يمرون بها وكان من انصار الدعاة الى عدم أخذ البلد الى حالة من التغريب عن مكوناته وتاريخه، واتباع سياسة

متوازنة وغير عدائية مع كل جيرانه الذين يحيطون به، وهي سياسة تسير بعكس ما كان ايام حكم البعث وصدام.

٥٣ عاماً قضاها في الغربة بعيداً عن وطنه، يبحث عمن يؤانسه، يفتش عن اهله وعمن يشاركه همومه وأحلامه، وعندما عاد استقرت نفسه عاقدا العزم على مواصلة البناء والإصلاح مبدياً اعترافه بكمٍ من الأخطاء التي وقعت من الشيعة والسنة من دون أن ينظر اليها من زاوية الصراع الطائفي بقدر ما كانت محصلة لظروف سياسية وغيرها فهو مع كل عراقي طالما هو مخلص لبلده ومع كل إنسان ديمقراطي شرط أن لا يكون قاتلًا أو ظالماً.

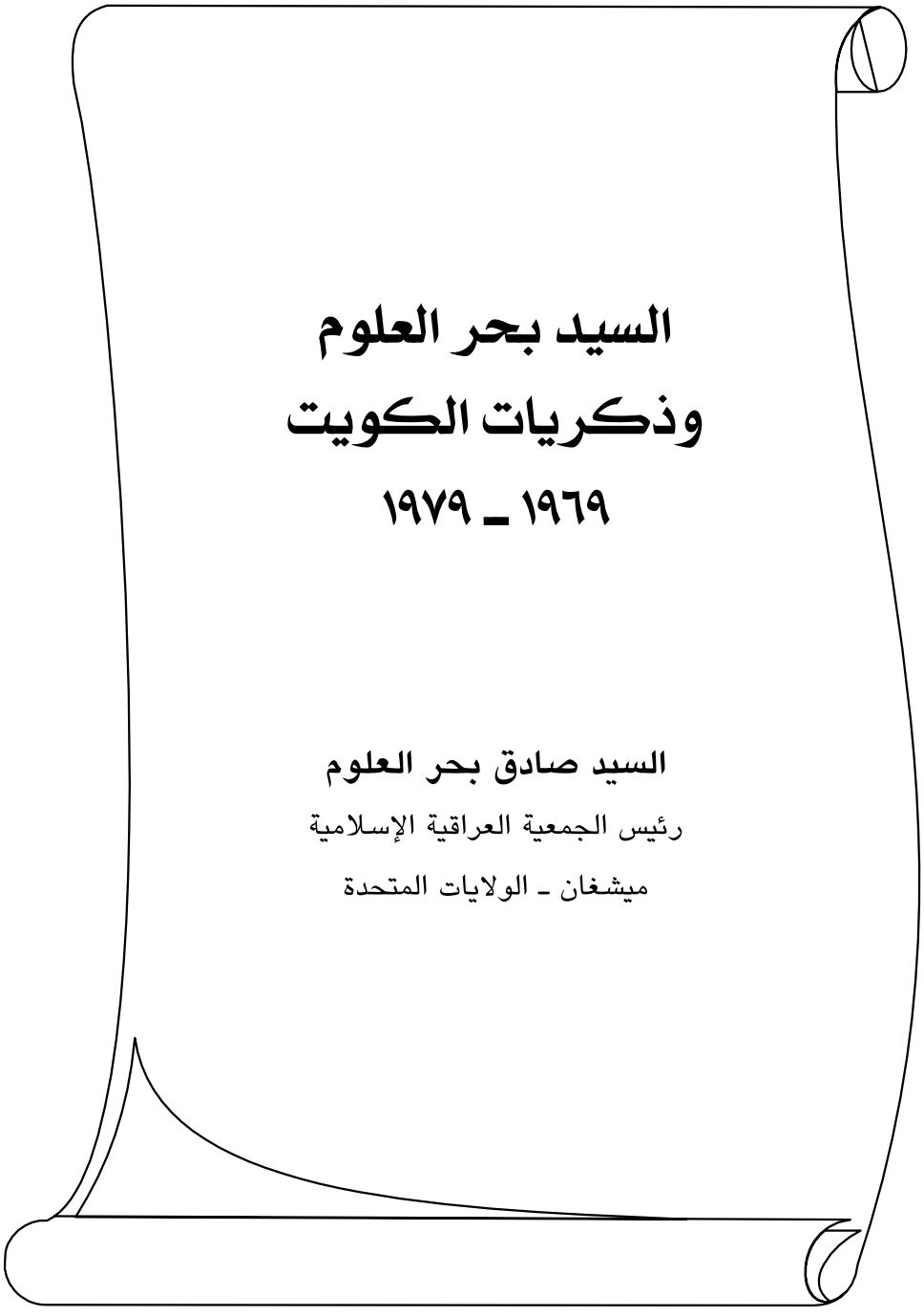

السيد بحر العلوم
وذكريات الكويت
١٩٦٩ ـ ١٩٧٩

السيد صادق بحر العلوم

رئيس الجمعية العراقية الإسلامية

ميشغان ـ الولايات المتحدة

كانت ظلمة الليل شديدة وحركة السير لم تكن سريعة بكثر ما نأمل أن يشد السائق بسرعته خشية ان يسبقنا الوقت، فقد تركت بغداد ومعي أخوين عزيزين كانا ينويان حضور مؤتمر دُعيا لحضوره، فشاركتهم الطريق الى الكويت ولا يدري اي منا الهدف من السفر. جاءني أحد الضباط العراقيين (صديق وفي) للدائرة في بغداد مبكراً وطلب مني مغادرة العراق فورا قبل ان أقع فريسة بيد الأمن، ولم يترك لي مجالًا للسؤال لماذا؟، وكنت ممن مطلوب لمراجعة التجنيد ولي بعض الارتباطات السياسية التي كانت هادئة في حينها، وكنت في أمسها قد التقيت بالصديقين اللذين اعربا عن عزمهما السفر لحضور مؤتمر في الكويت، فاتصلت فورا بأحدهما أسأله هل ممكن ان أسافر معهما ولم يعترضا على الامر، فحزمت حقيبتي ولم يسمح الوقت بالذهاب الى النجف وإخبار الأهل بسفري وفي مقدمتهم المرحوم الخال السيد محمد بحر العلوم حيث هو مقام والدي، وكان يهتم بتوجيهي في الحياة وكنت استشعر المسؤولية امامه في كل صغيرة وكبيرة، وتوجهنا نحو الكويت وماهي الا ساعات ست، ودخلنا دولة الكويت، كنت قد اخبرت الاخوين بان الكويت ستكون محطة مرور للتوجه الى المانيا، لكن الامر جاء خلاف ذلك فقد اقمت بالكويت عقدين من الزمن. سعيت ان أتجول في السوق في اليوم التالي، وفجأة وأنا أدخل إحدى المحلات وإذا يواجهني احد الاصدقاء وبعد المعانقة وإبداء التحيات كنت أريد أن اعرف ماذا يعمل هنا ليساعدني، فأعلمني أنه يدير هذا المحل ويحتاج إلى مساعد فتحدثنا طويلًا فاستقر الرأي بنا أن أعمل معه ثلاثة أشهر حتى تنجلي الامور. اتصلت بالسيد الخال لاخبره بوجودي في الكويت، فوجدته في بادئ الأمر

عصبياً وممتعضا للغاية وأخذت أشرح له الظروف من جميع أطرافها فوجدته بدأ يقتنع تدريجيا ثم هدأ كلياً ليسألني كيف تدبر أمرك؟ كانت عاطفته نحوي لا توصف فلم أجد مثيلها على وجه الأرض، ولمت نفسي لماذا لم اخبره بموضوع سفري.

وفي بداية عملي بالكويت، حدث ما لا اتوقعه، فقد وصلتني برقية من العراق بالنص التالي: الكويت السيد صادق بحر العلوم أشكر تهنئتكم وفقتم للخير/ عبد الرزاق محي الدين/ مجلس الوزراء العراقي. لقد سبق أن علمت باستيزاره فأبرقت مهنئاً وكان من المحبين والاصدقاء، فأجابني فوراً. وتصل البرقية للدوائر الكويتية ولم تحمل عنواناً وتحمل توقيعاً من مجلس الوزراء، وبعد أربعة أيام وصلتني إلى المحل الذي اعمل فيه. هذه الحادثة شكلت مدخلا للتعرف على بعض شخصيات الدولة وفي الوقت ذاته تعرفوا على مساحة علاقاتنا في العراق.

وبعد فترة برزت في العراق الصراعات الطائفية وازدادت عنفا، وكان ذلك في اوائل الستينات من القرن الماضي فقد أثارها بشدة عبد السلام عارف وبدأت الحرب في دوائر الدولة حتى في المنزل العراقي أصبح النقاش الطائفي ثم امتد الى الأحزاب وأصبح العهد العارفي يحصد السلام ويشم منه رائحة البعث.

وبعد فترة من الزمن جاء السيد الخال لزيارة الكويت بمناسبة افتتاح احد مساجد الكويت المهمة (مسجد النقي بالدسمة) مع وفد شارك فيه علية القوم من اركان مرجعية الامام السيد الحكيم، كانت زيارته الاولى للكويت في عام ١٩٥٨ للمشاركة في مؤتمر ادباء العرب وتمثليه النجف والعراق في مهرجان الشعر العربي قد تركت انطباعا حسنا لدى المسؤولين والاوساط الثقافية وتوطدت العلاقات بين العديد من وجهاء وتجار الكويت وسياسيين في فترة الستينات، فكانت بعض وجوه الكويت الثقافية والاجتماعية تحرص على استجابة الدعوة التي يوجهها السيد الخال لحضور احتفالات النجف في ميلاد

الامام الحسين(ع). وكان الملحق الثقافي الكويتي في العراق المرحوم عبد الصمد تركي والذي تربطه علاقات وثيقة مع السيد الخال له الدور كذلك في توطيد العلاقات بين النجف والكويت.

وعندما كشف النظام البعثي عن مخططاته لشن حربه ضد المرجعية الدينية ومطاردته لاركانها واصدار احكام الاعدام واوامر الاعتقال للحلقات الخاصة لها، كنت قلقا على ما ستؤول اليه الاوضاع في العراق. لذا كان قراره بالسفر الى الكويت كاول محطة له في ايلول ١٩٦٩ خيارا سديدا، وبقى فترة من الزمن يجوب بين طهران والقاهرة وبيروت حتى اخذ يفكر في اتخاذ الكويت مقرا له بعد ان اطمأن بعض الشي من خلال الاتصال بشخصيات البلد والقيادات السياسية في اوائل السبيعينات من القرن الماضي في الكويت.

وبعد تعمق اتصالاته شعر بضرورة العمل، وكان للمرحوم الحاج زيد الكاظمي والحاج محمد قبازرد واخرين من الوجوه الاجتماعية المعروفة في الكويت الدور في توفير القناعات في بقائه بالكويت والعمل في مجال القضاء الشرعي في وزارة العدل. وكانت خليفيته الحوزوية والاكاديمية ودراساته ومؤلفاته وبحوثه كلها مشجعة للغوص في هذا الامر. وما هي إلّا أياما إلّا وأذاع راديو الكويت الديوان الاميري بتعيين السيد بحر العلوم قاضياً في المحكمة الكلية في الكويت.

بدأ السيد بحر العلوم بعد استقراره نسبياً بالكويت بتنظيم عمله واتصالاته ولقاءاته بالشرائح المختلفة، حتى اصبح محورا اساسيا في الساحة الكويتية في السبيعينات. فقد اعتاد ان يعقد مجلسا اسبوعيا وفي ليالي شهر رمضان في بيته يقصده علماء ورجال الدين، والقضاة ورجال القضاء، نخب اكاديمية، ووجوه اجتماعية، ورجال اعمال وسياسيين، والادباء والشعراء. وقد عرف السيد بحر العلوم بسعة حركته الاجتماعية وتواصله مع مختلف الشرائح، فقد توطدت علاقاته مع رجالات الكويت وفكان حضوره المستمر في الديوانيات التي تشتهر بها الكويت طوال العام بشكل متميز، وكان حضوره في الفعاليات الثقافية

والادبية والاعلامية الكويتية فاعلا، وكان وجوده العلمائي في المساجد والحسينات بارزا. وكان راعيا للجالية العراقية حينها، يشارك العراقيون برامجهم الخاصة والعامة. كان السيد بحر العلوم صاحب مبادرة للفعاليات الثقافية في الساحة الكويتية، ولا زلنا نتذكر تكريم الكاتب المصري عبد الفتاح عبد المقصود في الكويت صاحب موسوعة (الامام علي)، وكذلك كان في مقدمة المتصدين لتكريم الامام السيد موسى الصدر حين زياراته للكويت. وفي اوائل السبيعينات، كان الامام الصدر قد اقنع الكويتين بضرورة نقل تجربة لبنان الى الكويت وانشاء المجلس الاعلى الاسلامي الشيعي، وفي الوقت ذاته كان قد اقنع السيد بحر العلوم في حالة نجاح المشروع توليه.

كان السيد يعقد اجتماعات أدبية ودينية ويحضرها الكثير من الأساتذة والعلماء، وكان يحضر في معظم مساجد الكويت ودواوينها سنة وشيعة ليلقي محاضرة وتبدأ الأسئلة والحوارات، وكان تثار أسئلة في بعض هذه الاجتماعات حول أوضاع العراق، وكان ازلام النظام البائد واركان السفارة العراقية في الكويت حينذاك ترصد تحركاتنا بشكل دقيق وتمارس بشكل واخر المضايقات للحد منها، وبدأنا نُضايَق من قبل سفارة العراق ويُلاحق السيد بحر العلوم ومن يحيط به في أغلب تحركاته، ورغم أنّ الحكومة الكويتية كانت ترحب بوجوده إلّا أنّها ضويقت من أمن السفارة العراقية، وكان في تلك الفترة نشاط للسفارة بشكل خطير للغاية، وقد تم خطف أكثر من شخص من رجال الدين من الشوارع العامة ويودعون في دبة سياراتهم ينقلونهم إلى الحدود على قاعدة (ذهب ولم يعد)، كنا حذرين جداً من هذا العمل حيث تعرض الكثير في السبيعينات للخطف والاعتقال من قبل ازلام النظام.

بدأ يشعر السيد بحر العلوم في نهاية السبيعينات وابان انتصار الثورة الاسلامية في ايران، بان بقاءه في الكويت اصبح غير مؤمنا، فقد اوصلت الحكومة الكويتية رسائل بهذا الخصوص له بضرورة ترك البلد إلى مكان آخر يؤمن له الاستقرار، وكان القرار صعباً جداً فاضطر أخيراً ترك الكويت في

نهاية السبيعينات، ولاحقت السفارة العراقية بعد تركه الكويت، نجله إبراهيم الذي أُرسل له كتاب بتسليم نفسه للسفارة، فاضطر إبراهيم إلى مغادرة الكويت في ١٩٨١ ليتحقق للسفارة وأمنها هدفهم في إبعاد أفراد الأسرة وتشتيتها.

كانت الحكومة الكويتية تتابع حركة السيد بحر العلوم ورغم معرفتها بحراجة عدم امكانية توفير مستلزمات السلامة، إلّا أنّها في نفس الوقت كانت تنسجم مع آرائه وقد وضعت له كل الامكانيات المستطاعة، ورغم مغادرته الكويت لكن علاقاته مع المجتمع الكويتي ظلت فاعلة، وتطورت علاقاته مع القيادات السياسية الكويتية العليا بعد ان غزو النظام الصدامي للكويت والمواقف التي سجلتها المعارضة العراقية خلال التسعينات دفاعا عن الكويت وحقوق اهلها. واستمرت علاقات المرحوم متميزة مع الكويت حكومة وشعبا، خصوصاً عندما لم الشمل واجتمع الأهل ويشعر بأنه قريب إلى وطنه وأهله جميعاً. وامضى تقريباً ثمانية أعوام في الكويت، كان فيها موضع حفاوة الكويتين شعباً وحكومة وقيادة،

وفي خلال عقد السبيعينات، كانت لقاءات السيد بحر العلوم مع المعارضة العراقية مستمرة يتناول فيها أخبار الوطن في العراق وكيفية معالجتها ان أمكن عن طريقه، وسافر عدة مرات إلى الخارج لبحث الموضوع على صعيد عربي واقليمي، لقد كانت اتصالاته تمتد إلى الجسم السياسي والعسكري، فكانت له اتصالات مع إخوان عراقيين عسكريين يضعون أفكارهم عند رحابه فيناقشهم ويدفعهم إلى التعاون والتنسيق مع الداخل. أعطى للقضية العربية والعراقية وقتاً واسعاً وعمل ما كان يجب أن يعمله.

وحدث مرة ان سافر السيد بحر العلوم إلى بيروت متوجهاً من الكويت للاجتماع الطارئ لبعض الشخصيات السياسية المعارضة، وكان السيد أحد الاعضاء المشاركين، وكان حضوره فاعلا لتحريك شعب العراق، تتخذ أسلوب الخطابات المسجلة ونشرها بين صفوف الشعب العراقي الثوري وتحريك العشائر العراقية، وبعد الانتهاء من اجتماعهم وعودته للكويت، فأشير عليه في

مطار الكويت وهو عائد من بيروت (أنّه ممنوع من دخول الكويت)، وبعد نقاش طويل مع مسؤولين في الداخلية، سمح له البقاء لأسبوع واحد لترتيب أمره، ودخل البلد مؤقتاً، ففوجئنا جميعاً بهذه الخطوة، وارتبك الآخرون من هذه العملية أن تشملهم في تنقلاتهم، وقد قمت بمقابلة السيد وزير الداخلية آنذاك واخباره بمجريات الامور، ولم يفاجئ بل اهتم به واعيدت للسيد بحر العلوم إقامته وبدأ يزاول عمله ودوامه المعتاد.

وفي احد السنين، وفي أواخر شهر رمضان والناس تنتظر وحدة الهلال في أول أيام عيد الفطر المبارك، وكان السيد المرحوم على اتصال وثيق بالمرجعية الدينية في النجف الأشرف آنذاك وطلب برجاء منهم محاولة ثبوت الأول من شوال، حيث عمل على توحيد رؤية الهلال وطلب من علماء الدين في الكويت الاجتماع لهذا الامر، وتوحدت بعد نقاش طويل امتد إلى الفجر باتفاق جميع الأطراف بعد ان ثبتت بعض الرؤيا للهلال في بلاد إسلامية أخرى، وقد ترك بهذا سيدنا بحر العلوم أثراً كبيراً في قلوب الشعب الكويتي سنة وشيعة واهتمامه، وسجل له الموقف الكبير والعمل السديد بذلك. وكان السيد بحر العلوم يشعر بذلك بأنّ أيادي خفية تعمل لتأجيج الموقف وتثير طائفية بين الشيعة والسنة فيكون الشارع مشحوناً، كان يبذل الكثير في تهدئة الامر.

كنت قد أقمت بالكويت لعشرين عاما عشنا بين أهاليها بلطف ومحبة للغاية أصبحت اتصالاتي كثيرة التشعب، وكنت منذ ان دخل السيد المرحوم البلاد ووضع قدميه على أرضها كنت الى جنبه، في كل صغيرة وكبيرة، وكان يقظاً في تصرفاته وعمله، وترك البلاد والكل يشيد بحسن التصرف والأداء في المجال القضائي والاجتماعي والثقافي.

وفي بريطانيا استشعر السيد بحر العلوم افاق الحرية في الجانبين الديني والسياسي، كان أكثر انطلاقاً من أي مكان آخر، وقد استطاع خدمة جاليته، واستطاع المضي في انجازاته مما أتاح له التقدم في الاحتياجات العامة. وأنطلق صوت المعارضة العراقية يصدح في اروربا واميركا، واصبحت مهمة

السيد بحر العلوم مع رفاقه طوال عقدين من الزمن نقل مظلومية الشعب العراقي الى العالم، وقضى معظم وقته في الاتصال بالاورقة الدولية والحكومات والشخصيات السياسية رافعاً إليهم الوضع العراقي وانتهاكات حقوق الانسان على يد النظام الديكتاتوري، ووسع تحركه مع الولايات المتحدة الأمريكية، فأقيمت المؤتمرات والندوات والحوارات والمقابلات على صعيد دولي والاقليمي، وضاق النظام ذرعا من هذا النشاط السياسي وبدأ يضيق أكثر مما كان على الأسرة والنجف الأشرف والمرجعية عله يخفف من موقفه الذي أصر على الاستمرار دون توقف وما صدام إلّا أن يقتل ويسجن ويلاحق الأسرة التي لم يجد فيها غير مزيد من الصلابة في موقف السيد بحر العلوم.

وأخذ السيد بحر العلوم يجمع شتات العراقيين هنا وهناك ويقيم ندوات الحوار والمؤتمرات، وفي أحدى النشاطات الكبيرة سعى مع اخوانه لاقامة مؤتمر الغدير في لندن، وكان واسعاً جداً حضر له من معظم الدول الإسلامية وفي العالم وساندته المرجعية الدينية، وترك أثره بين جميع الطبقات أن يحضر العدد الكبير من الأجانب وفي طليعتهم البريطانيين فرصة التعرف على القيادات والشخصيات الإسلامية الشيعية وامتدت اللقاءات إلى جميع أطراف أمريكا.

وفي الانتفاضة الشعبانية ١٩٩١، كان الجهود منصبة في استثمار الانتفاضة الشعبانية التي شكلت علامة فارقة في مسيرة الشعب الجهادية ضد النظام الديكتاتوري، غير ان المؤمرات الاقليمية والدولية فسحت المجال امام النظام لاستعادة انفاسه فسحق المنتفضين واعتقل عشرات الاف واعدم المئات حيث أعدم العلماء من أسرته وإخوان السيد بحر العلوم وهما السيد علاء الدين والسيد عز الدين وابن عمه السيد جعفر بحر العلوم ومجموعة أخرى من أهله بحدود ستة عشر شخص بين علماء ومثقفين كل ذلك لم يوقف السيد بحر العلوم بالمضي في جهاده وتعرية الحكومة الصدامية وفضح أعمالها الاجرامية.

وبعد الانتفاضة نجح السيد بحر العلوم في احداث نقلة نوعية في توحيد

المعارضة بكل فصائلها وتوفير الدعم الدولي والاقليمي لتنظيم صفوفها، فكان مؤتمر فينا وصلاح الدين في اربيل، عندما دُعي المعارضون إلى إقامة المؤتمر العراقي الموحد في أرض العراق، وأقيم في مدينة أربيل في شمال العراق وباستضافة رئيس الأقليم مسعود البرزاني والسيد جلال طالباني ولمدة ثلاثة أيام عشنا مع جمع من إخواننا العراقيين، وكان الاجتماع رائع جداّ اصبح ركيزة من ركائز العمل السياسي ضد النظام. بتوجيه وادارة الأخوة الأكراد والسيد بحر العلوم والدكتور أحمد الجلبي وكل الاحزاب الاسلامية والوطنية، حضر الأخوة العراقيين المعارضين والمكتوين بنار صدام وتحدث الجميع وشُكلت لجان عمل لمواجهة النظام سياسيا واعلاميا وعسكريا. وكان للسيد بحر العلوم دور كبير في توجيه العمل السياسي، وكان هذا المؤتمر الأول من نوعه حيث عقد على أرض عراقية وبحضور عراقي واسع من جميع التوجهات والأحزاب. واستمرت هذه المؤتمرات في أمريكا وأوربا لنقل الوضع المأساوي في العراق، فأصبح سيدنا بمرور الأيام محوراً لأخبار البلاد من جميع الاطراف، وبذل الجهد الكبير في اطلاع الحكومات الاجنبية مجلس الأمن وسفراء العالم بشراسة حكومة العراق.

وعاد السيد بحر العلوم للعراق ليشارك شعبه في عملية بناء العراق الجديد، وكان اختياره للكويت محطة للدخول لها اكثر من دلالة معنوية وسياسية، وبقيت علاقاته متميزة مع الكويت قيادة وشعبا وكان يزو الكويت سنويا في شهر رمضان للتواصل مع القيادات السياسية العليا والمجتمع الكويتي. كان السيد (رحمه الله) يزور ديوانيات الكويت ويتعامل معهم في قضاياهم وأمورهم وكانوا يتخذون منه أباً يتفقدهم أحوالهم، وبذلك دخل في قلوب الكثير منهم باخلاقه واعتداله ونبذه للطائفية، ودعمه للتعايش السلمي ونبذ سياسات العنف والكراهية التي حاول صدام وجلاوزته زرع بذورها بين الشعبين فحضي بمكتانة مرموقة ومحترمة.

وفي العراق كان من ابرز القيادات السياسية العراقية التي سارعت للعودة

بعد سقوط النظام، وانتخب كأول رئيسا لمجلس الحكم في ١٣ تموز ٢٠٠٣ ليتابع عمله كأول رئيس للجمهورية بشكل مؤقت، ثم اعيد انتخابه لرئاسة مجلس الحكم في اذار ٢٠٠٤، وضم المجلس ٢٥ عضواً يمثل مختلف الفعاليات العراقية. وعاد الى النجف في عام ٢٠٠٥ ليساهم في بناء العراق انطلاقا من النجف مركزا على تطوير الكولدر العراقية من خلال تأسيسه لمعهد العلمين للدراسات العليا، كاول صرح اكاديمي للدراسات القانونية والسياسية في التعليم الاهلي.

هكذا كان السيد بحر العلوم عاش حياته لغيره من المؤمنين وترك حياته وهو لا يملك من حطامها إلّا أعمال تركها للتاريخ يحكم بها، ولقد ثبت صحة خياراته، هذا هو السيد بحر العلوم وهو يعيش بيننا حياً في أنفاسه ومماته. إنا لله وإنا إليه راجعون.

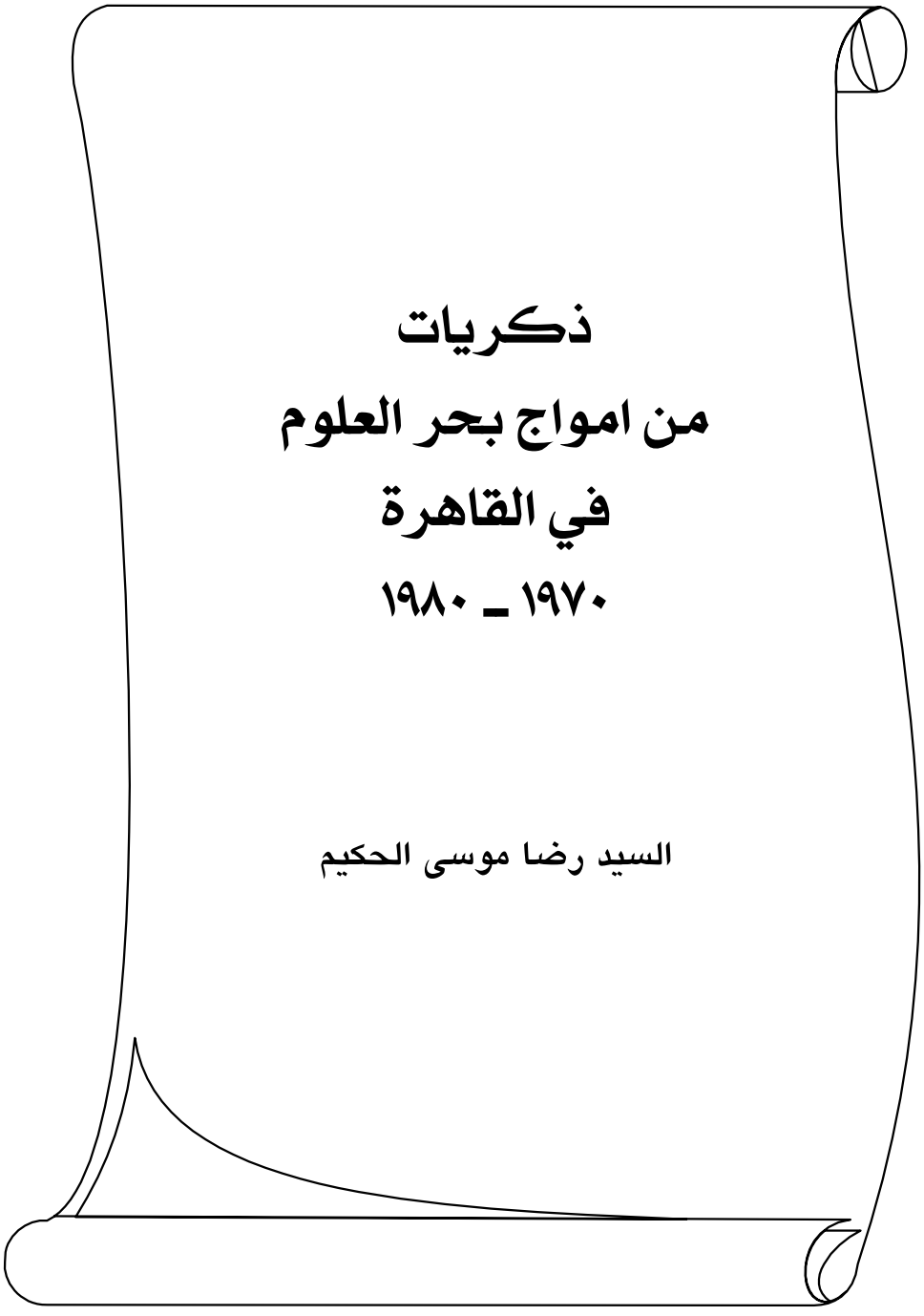

ذكريات
من امواج بحر العلوم
في القاهرة
١٩٧٠ ـ ١٩٨٠

السيد رضا موسى الحكيم

في شهر اذار من عام ١٩٧٠ وصل الى القاهره سماحة العلامة السيد محمد بحر العلوم واستضفته بشقتي لعدة ايام وطلب الانتقال الى شقه أخرى، لان هدف زيارته التواصل مع الشخصيات السياسية العراقية، وانه اطلع سماحة العلامة السيد محمد مهدي الحكيم والعلامة السيد مرتضى العسكري على مسعاه في التواصل مع شخصيات معارضة للنظام من عسكرين ومدنيين، وبدأ السيد بحرالعلوم بالتحرك نحو هذا الهدف واجرى اتصالات مع كثيرين منهم:

١ ـ اللواء الركن السيد حسين الحصونه قائد الفرقة الاولى في عهد عبد الكريم قاسم

٢ ـ اللواء الطيار عارف عبد الرزاق رئيس الوزراء في عهد عبد السلام عارف

٣ ـ العميد صبحي عبد الحميد وزير الداخلية والخارجية في عهد عبد السلام عارف.

٤ ـ العميد رجب عبد المجيد نائب رئيس الوزراء في عهد عبد الرحمن عارف

٥ ـ حسن الدجيلي وزير المواصلات في عهد عبد السلام عارف

٦ ـ عباس كاشف الغطاء المدير العام للبنك الاسلامي

٧ ـ عبد الله الركابي عضو القيادة القطرية لحزب البعث سابقاً

٨ ـ عبد المجيد عبد النبي وكيل وزارة الزراعة السلبق

وكانت المناقشات في هذه اللقاءات تتجه نحو توحيد الرؤية السياسية،

والاتفاق على مبادئ عامة حول مستقبل الوضع السياسي في العراق والعودة الى الحياة الديمقراطية واجراء انتخابات حره ونزيهه وتشكيل احزاب وطنية تخدم الشعب العراقي واعطاء الاكراد حقوقهم في الحكم الذاتي،

وحظيت تصورات السيد بحر العلوم باهتمام الحكومة المصرية، وكان ذلك جليا عند زيارته للوزير امين هويدي، والذي شغل منصب سفير الجمهورية العربيه المتحدة في بغداد خلال اعوام ١٩٦٣ ـ ١٩٦٦ثم شغل منصب مدير المخابرات العامة بعد نكبة حزيران عام ١٩٦٧، وكان يرافقه في اللقاء الوزير السابق حسن الدجيلي واللواء حميد السيد حسين وكاتب هذه الاسطر، وابلغه بان الرئيس جمال عبد الناصر منزعج جدا من تصرفات النظام العراقي لارتكابه مذابح واسعة ضد شرائح المتجمع العراقي، وكان اخرها المذبحة التي ارتكبها بداية هذا العام، وان الرئيس جمال عبد الناصر يبارك أي جهد سياسي معارض، وبعد ذلك استفسر الوزير هويدي من السيد بحر العلوم عن صحة الامام الحكيم الذي يرقد في احدى مستشفيات لندن، وقال بان الرئيس عبد الناصر ارسل سفير مصر لدى بريطانيا لزيارة فضيلته مع تمنياته بالشفاء العاجل.

كما تمت زيارة الوزير الاستاذ حسن التهامي، حيث شرح السيد بحر العلوم له طبيعة وتركيبة المجتمع العراقي للوزير ودور العشائر والقبائل العراقية في ثورة العشرين ضد القوات البريطانية الغازية وتكبديهم خسائر كبيرة في الارواح والمعدات وكذلك دورهم في انتفاضات عديده طوال العهد الملكي حتى انبثاق ثورة الجيش في١٤ تموز عام ١٩٥٨، واتفقا على مواصلة اللقاءات بينهما.

وقد تدهورت العلاقات بين الرئيس جمال عبد الناصر وقادة النظام في العراق في تلك الفترة، وشنت صحيفة الاهرام واختها اذاعة صوت العرب حملات اعلامية ضد احمد حسن البكر وصدام حسين، واتهم الاستاذ محمد حسنين هيكل في مقال له كل من البكر وصدام بالتعامل مع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، وفي وسط هذه الاجواء التي تبشر الى تحرك كبير ضد

نظام البعث، وصل الينا نبأ رحيل المرجع الديني الاعلى الامام السيد محسن الحكيم الى جنان الخلد، وظل السيد بحر العلوم يتابع اخبار مراسيم التشيع في بغداد والنجف عبر الاتصالات الكثيرة مع الكويت وطهران وبيروت ولندن، وحضر الكثير من الشخصيات السياسية والعسكرية العراقية المعارضة لمنزله لتقديم التعازي، وتقرر اقامة مجلس عزاء (الفاتحة) على روحه الطاهرة، واختارت رئاسة الجمهورية مسجد عمر مكرم، وهو من المساجد المهم وسط القاهرة، واقيمت الفاتحة وكان السيد بحر العلوم وحسن الدجيلي وعارف عبد الرزاق وحميد الحصونة في مقدمة الذين يتلقون التعازي، وحضرها عدد من سفراء الدول العربية والاسلامية والأفريقية والاوربية والسيد اسعد الاسعد الامين العلم المساعد لجامعة الدول العربية، وكبار علماء الازهر الشريف والسيد امين هويدي ممثلًا عن الرئيس جمال عبد الناصر، وفي اليوم التالي رافقت السيد بحر العلوم وحسن الدجيلي لتقديم الشكر للسيد الرئيس وللوزير هويدي الذي اشاد بموقف الامام الحكيم وخاصة موافقه من احداث العدوان الثلاثي على مصر وموقفه الدائم للقضية الفلسطنية.

قرر السيد بحر العلوم مغادرة القاهرة للتدارس والتباحث في الفراغ الكبير الذي احدثه غياب الامام الحكيم، وبعد غياب دام اكثر من عام ونصف العام عاد السيد بحر العلوم الى القاهرة ثانية، وكانت زيارته مقصورة على تهئنة رفاقه من اللاجئين السياسين العراقين اثر تعرضعهم لمحاولة اغتيال من قبل ضباط امن ارسلهم صدام حسين وناظم كزار مدير الامن العام الى القاهرة لتنفيذ عمليات الاغتيال، وعند مرافقتي للسيد بحر العلوم في زيارته للسيد صبحي عبد الحميد قال لنا جاء ثلاثة اشخاص الى شقتي (وهي في الطابق العاشر من عمارة برج ابي الفدافي في منطقة الزمالك) وعندما سمعت دقات الجرس استغربت من هذا الدق في هذا الوقت المبكر من الصباح، وناديت عليهم فاجابني احدهم بلهجة اهلنا انا صديق وحامل رسالة اليكم، فقلت له هل من المعقول ان تجلب رسالة في هذا الوقت المبكر؟ فرد علي الا تثق بي، فقلت

فكيف اثق بك وانا لا اعرفك وحاولوا كسر باب الشقة ولكنهم فشلوا وتركوا العمارة هاربين.

وزرنا بعد ذلك اللواء عارف عبد الرزاق، وهنأه السيد بحر العلوم بالسلامة وكذلك زرنا اللواء حميد السيد حسين والعميد رشيد محسن واللواء عبد الهادي الراوي ود مبدر الويس، وكان العميد عرفان وجدي الوحيد الذي اصابه طلق ناري ونقل الى المستشفى، وجميعهم طلبوا من السيد بحر العلوم مغادرة القاهرة خوفاً من تعرضه لعملية اغتيال، لان هناك بعض الاعترافات لازلام امن النظام اشارت الى وجود اسم السيد بحر العلوم في قائمة الاغتيالات، واخبرنا اللواء حميد السيد حسين بان السلطات الامن المصرية القت القبض على هؤلاء القتلة، وعددهم ثلاثين ضابط امن وطردت حامد الورد الملحق العكسري في السفارة العراقية بمصر والذي استأجر اماكن السكن لهم، وتخشى السلطات المصرية من وجود خلايا اخرى.

عاد السيد بحر العلوم الى الكويت بعد صدور قرار من الحكومة الكويتية بتعينة قاضياً للأحوال الشخصية في المحكمة الشرعية، وبقيت اتابع معادلة شهادته للماجستير التي حصل عليها من كلية الالهيات بجامعة طهران، بعد تعذر مناقشته بجامعة بغداد بسبب الحملة الشرسة على رجال الدين المحيطين بالأمام السيد محسن الحكيم، وفي نهاية عام ١٩٧٣ تمت الموافقة على دراسة لنيل شهادة الدكتوراه بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة واتصلت به تلفونيا واخبرته بضروه الحضور للقاهرة للتسجيل رسالة الدكتوراه، وبعد اسبوع وصل الى القاهرة واستكمل اجراءات القبول وتم اختيار الأستاذ الشيخ علي الخفيف احد كبار علماء الازهر الشريف ليكون مشرفاً على الرسالة، وذهبنا الى منزله في المعادى احدى ضواحي القاهرة، واستقبلنا بترحاب شديد وقوي، وعندما طلب السيد بحر العلوم منه الاشراف على الرسالة، اخبرنا بانه يشرف على رسالة الدكتوراه للسيد عبد الهادي السيد محسن الحكيم ورغم شيخوخته واعتلال صحته حيث تجاوز الثمانين عاماً وافق على الاشراف، وسأله عن سبب

اختياره موضوع ((عيوب الارادة في الشريعة الاسلامية)) دراسة فقهية مقارنة بالقوانين الوضعية، فشرح له السيد بحر العلوم اهمية الموضوع وابعاده الفقهية والقانونية، وقدم نسخة من رسالة الماجستير لفضيلته والتي حملت عنوان ((الاجتهاد اصوله واحكامه)) ـ دراسة في اصول الفقه ومصادر التشريع الإسلامي ـ، وتمنى الشيخ الخفيف للسيد محمد بحر العلوم النجاح والموفقية في اعماله الفكرية والأدبية، وكتب لنا الشيخ الخفيف رسالة الى عمادة الكلية بالموافقة على الاشراف، ووافق مجلس الكلية على تسجيل الرسالة واختار الدكتور محمد البلتاجي مشرفاً ثانوياً، وبعد مرض الشيخ الخفيف وعدم مقدرته على الاشراف اصبح الدكتور البلتاجي المشرف الأساس والذي اصبح رئيسا لقسم الشريعة الإسلامية في كلية دار العلوم.

بدأ السيد بحر العوم بكتابة رسالته في الكويت منذ عام ١٩٧٥ وانتهى منها في عام ١٩٧٩ وحملها الى القاهرة، واطلع عليها الاستاذ المشرف وامر بطبعها وتمت مناقشتها اواخر عام ١٩٨٠ وتألفت لجنة المناقشة من أربعة أساتذة ومنهم المشرف البلتاجي، وحصل السيد بحر العلوم على درجة متفوقة، وغادر بعدها الى لندن لتكون مقراً له مع صديق عمره السيد محمد مهدي الحكيم ويقوداً من هناك المعارضة الاساسية لنظام صدام حسين الدموي.

نشاطه الثقافي في القاهرة:

من الممكن كتابة كتاب كامل حول علاقات السيد بحر العلوم بالادباء والشعراء العرب بشكل عام وبشعراء وادباء مصر بشكل خاص، فاثناء رحلاته المتعددة، اضحت علاقته مع كل من الادباء والشعراء والكتاب متميزة، وخاصة مع احمد عبد المعطي حجازي[١] وصلاح عبد الصبور[٢] واحمد حسن اسماعيل[٣] ومحمد التهامي[٤] والدكتور بدوي طبانه[٥] وخالد محمد خالد[٦] وعبد الرحمن الشرقاوي[٧] واحسان عبد القدوس[٨] والدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطي)[٩] والاستاذة المربية امينة السعيد[١٠].

وتميزت زيارته للشاعر احمد عبد المعطي حجازي بالحوار الرائع الذي دار بينهما وحسب ما اتذكر كان كالاتي:

السيد بحر العلوم: كان العدوان الثلاثي على مصر بمثابة ثورة ايقضت الضمير الانساني والاسلامي والعربي، وحركت فينا مشاعر الغضب ضد الغزو الفرنسي البريطاني الصهيوني على بور سعيد، وكنت ارغب انذاك وانا عمري ٢٩ سنة ان اقول اشياء واشياء، وكان عنف السلطة في عهد نوري السعيد وعبد الاله ضد الاحتجاجات الشعبية في النجف الاشرف، قد زرع فينا كتابة الشعر، لان الشعر هو الاكثر تأثيراً بالجماهير من أي نوع ادبي اخر، ففي الشعر خطاب مباشر لان المطلوب من الشاعر ليس مايقول بل كيف يقول، وكنت احاول ترك الكلمات تأخذ شكلها الخاص.

الاستاذ حجازي: ان القصيدة تتمثل بالايحاءات والمدلولات ويجب ان تنطلق من هموم الناس البسطاء، والذين ترسم حياتهم اليومية لوحات تشكيلة رائعة الجمال فهؤلاء الناس هم المادة الاساسية للابداع الشعري بشكل خاص والادبي بشكل عام. وطلب السيد بحر العلوم من الشاعر حجازي قراءة اخر قصيدة نظمها، فقرأ علينا القصيدة، وكان يتطلع الى وجه السيد بحر العلوم، فيراه منسجما معها غاية الانسجام ثم قرأعلينا قصيدة اخرى وطلب من السيد بحر العلوم قراءة اخر قصيدة كتبها في القاهرة فقرأ علينا قصيدته المهداة الى زوجتة ام ابراهيم اواخرها

ستمرّ الايامَ تلوي الاعاصيرَ فيهوى شموخُها في ربانا
ويعودُ الفجرُ الجديدُ الينا خطوَ أذياله حكايا عدانا

واثار تعجب واستغراب الاستاذ حجازي اشد الاستغراب من ان رجل دين، يكتب إضافة الى الشعر العمودي، الشعر الحر في تلك الفترة الزمنية التي شهدت حروباً على الشعر الحر من قبل المحافظين ورجال الدين.

واستقبلنا الشاعر محمد التهامي الذي زار العراق عدة مرات وله علاقات جيدة مع العديد من الادباء واساتذة الجامعات العراقية وقال لنا سأقرأ عليكم قصيدة كتبها بالامام الحسين بن علي عليهما السلام واتذكر مطلعها:

يـا مـهـبـطَ الـنـفـحـاتِ والاضـواءِ يـا مـلـتـقـى الـكـرمـاءِ والـسـعـداءِ
يـا ظـلَّ جـنّـاتِ الـسـمـاءِ بـعـالـمٍ يـسـقـيـه ان يـحـيـا بـغـيـرِ سـمـاءِ

ومنها ايضاً:

يـاربّ فـي هـذا الـمـكـانِ قـداسـةٌ مـن كـثـرةِ الـعـبّـادِ والـخـلـصـاءِ
يـا طـالـمـا تُـلِيَ الـكـتـاب بـسـاحـةٍ فـاهـتـز لـلـتـرتـيـلِ والاصـغـاءِ

وكان السيد بحر العلوم يطلب من الشاعر تكرار البيت الشعري ودموعه تنهمر من عينيه، وبعد الانتهاء منها قرأ علينا قصيدة اخرى وعند الانتهاء منها طلب من السيد بحر العوم قراءة قصيدة له فقرأ علينا قصيدة في رثاء المرجع الديني الاعلى السيد محسن الحكيم وكان مطلعها:

يـاأبـا يـوسـفٍ وقـد هـزّنـي الـنـعـيُ وتـاهـت فِـي نـاظـريّ الـدهـورُ
أصحيح أنت الموسّدُ في الميدان؟ كـلّا فـغـيـرُك الـمـقـبـورُ

وكانت علاقة السيد بحر العلوم مع الدكتور بدوي طبانة علاقة متميزة، وقد تكررت زيارته الى هذا العالم المصري الجليل والذي يعشق الشعراء من اهل العراق حسب قوله وهو يطلب من السيد بحر العلوم ان يقرأ عليه قصائد لهم، فكان السيد يقرأ على سامعه قصائد للشيخ محمد علي اليعقوبي والشيخ عبد المنعم الفرطوسي والسيد مصطفى جمال الدين وصالح الجعفري وعبد الرزاق محي الدين، وكان يردد بيت من شعر الدكتور محي الدين:

تـؤرّقـنـي الـذكـرى فـلا انـتَ سـامـعٌ ولا أنـتَ مـنـسـيّ ولا انـت راجـع

ويقول ان كل هؤلاء الاشخاص سفوا اللغة العربية سفاية جيدة جداً فهم شعراء كبار، وان الوطن العربي يفتخر بشعراء كبار مثل هؤلاء. وفي احدى الجلسات التي حضرها الدكتور طبانة في شقة السيد بحر العلوم وصادفت في يوم التاسع من شهر محرم، فقرأعلينا كلمته التي قالها في ضريح الامام الحسين، وقمت بكتابتها وجاء فيها: رويدكم ايها الباكون، وعلى رسلكم ايها الملتاعون ورفقاً ايها الداجون، تعالوا الى هذا الندب الذي اجتمعت قلوبنا على حبه، حتى اصبحت عقيدة من عقائدنا، ليس يضير الحسين ان قتل فقد

صعدت روحه الى ربها راضية مرضية، ليس يؤلم الحسين ان يسفك دمه الطاهر وان يحز رأسه الشريف بالسيف، وان يمثل بجسده الشريف. اليسد الحسين نجل علي الذي كان يردد (اليك عني يادنيا غرّي غيري، ولو رغبت لكان له خير ما يرغب وكل ما يطلب، اذن فلتسيلي ايتها الدماء ولتتفرقي ايتها الاشلاء، فلست عزيزة على صاحبك عزة سلامة الدين عنده ولست قوية قوة نفسه وروحه، هذا فرع دوحتنا وغصن سادتنا، الشهيد ابن الشهيد ابن البتول وسبط الرسول ونجل سيف اللّه المسلول. عاشوا في الدنيا وليسوا من اهلها، وفارقوها غير آسفين على فراقها، شهب هداية ورسل نور، واحلام رحمة." رحمة اللّه وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد".

وفي اجواء عشق الامام الحسين عليه السلام توطدت العلاقة بين السيد بحر العلوم والاستاذ خالد محمد خالد الذي كتب بعطر الطيب كتابه "في رحاب الامام علي" وكتب بماء الورد كتابه "ابناء الرسول في كربلاء"، وفي احد الجلسات قال الأستاذ خالد "ان معاوية بن ابي سفيان استخدم وسائل الاعلام المتمثلة آنذاك ببعض اصحاب رسول اللّه ابشع استغلال، وجعل بعضهم يساهم في تشويه الحقائق ضد الامام علي وابناء الرسول ولعله استغلال حرب صفين ومقتل الشهيد عمار بن ياسر ليبرر حربه ضد الخليفة الشرعي مدعيا بان الذين اخرجوه هم الفئة الباغية"، وطلب السيد بحر العلوم ان يكتب دراسة موسعة عن انتهاكات حقوق الانسان في العهدين الاموي والعباسي، فرد السيد بحر العلوم بان تلك الانتهاكات استمرت وتضاعفت في عهد نظام البعث الذي يقوده احمد حسن البكر وصدام حسين.

امسيات على شرف السيد بحر العلوم:

خلال اقامته في القاهرة أقام صديقه الاستاذ قاسم الخطاط وليمة على شرفه، حضرها عدد من الادباء والشعراء المصريين وتحولت الوليمة فيما بعد الى ندوة ادبية وشعرية. وكذلك اقام الامير صقر بن محمد القاسمي وليمة

على شرف السيد بحر العلوم حضرها العديد من الشخصيات، وكان القاسمي اميراً للشارقة ثم عزله ابن عمه واقام في القاهرة ثم رجع الى الشارقة مع قوة عسكرية واحتل قصر الامارة ولكنه قُتل هناك.

واقام اللواء حميد السيد حسين الحصون وليمة على شرف السيد حضرها الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوي والعديد من الادباء والشعراء، وتحولت الوليمة فيما بعد الى ندوة ادبية تحدث فيها الاستاذ الشرقاوي عن حب اهل مصر لآل البيت عليهم السلام عبر مئات السنين، وجرت بين السيد بحر العلوم والحاضرين مناقشة عن احداث القرن الاول الهجري وعن اقامة حوار حقيقي بين المرجعية الشيعية والازهر الشريف.

واقام السيد بحر العلوم وليمة حضرها الاستاذ الشرقاوي والدكتور ابراهيم مدكور٠٩ وعدد من الشخصيات العراقية والمصرية وخاصة صديقه الاستاذ قاسم الخطاط مدير معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، والدكتور رشاد عبد المطلب خبير المخطوطات بالمعهد المذكور واللواء حميد حسين والوزير الشاب صبحي عبد الحميد، وبعد الانتهاء من الوليمة استفسر الدكتور مدكور من السيد بحر العلوم عن الفيلسوف الكندي وعن الفلسفة الاستشراقية، وقال السيد بحر العلوم بان الكندي يعنبر اول من اشتغل بالفلسفة من العرب، وان الفلسفة هي تعبير عن حضارة المجتمع بدأ من ارسطو وافلاطون مرورا بفلاسفة القرون الاولى للميلاد وانتهاء بفلاسفة القرون الأخيرة، فالكندي كان يمثل حضارة المجتمع الاسلامي في العهد العباسي الذي انفتح المجتمع فيه على الترجمة وقراءة الحضارات الاخرى.

ثم قام السيد بزيارة الدكتور مدكور في المجمع العلمي المصري، وقدم له بعض من مؤلفاته ومنها كتابه عن الكندي وكان الدكتور مدكور يرتبط بعلاقات مميزة مع الدكتور عبد الرزاق محيي الدين والدكتور سليم النعيمي والعلامة السيد محمد تقي الحكيم، وانضم السيد بحر العلوم الى هؤلاء الاعلام حسب قول الدكتورمدكور.

واذا كان الاتصال بالادباء والشعراء من مزايا السيد بحر العلوم، فقد حرص ايضا على اقامة افضل العلاقات مع علماء الازهر الشريف، وفي مقدمتهم الشيخ احمد حسن الباقوري والشيخ عبد الحليم محمود والشيخ محمود ابو ريه، وكانت احاديثه معهم تدور حول جمع كلمة المسلمين، وعدم تعريض بنيان الامة الاسلامية الى خطر التناحر المذهبي.

واخيرا لابد من ذكر الظروف الصعبة والضاغطة التي مر بها السيد بحر العلوم، وخاصة بعد نجاح الثورة في ايران في شباط عام ١٩٧٩، وطلبت الجهات الامنة الامتناع عن تصريحات اعلامية مناصرة لها، وكانت الصدمة الكبيرة التي اصابته سماعه نبأ اغتيال صديقه واخ زوجته اية اللّه السيد رضي الشيرازي احد كبار علماء طهران وعضو مجلس قيادة الثورة آنذاك، حيث اصيب بطلقات نارية كادت تودي بحياته، ووافقت الحكومة الامريكية على نقله لعلاج في احدى مستشفياتها، وبقي السيد بحر العلوم يتابع اخبار السيد الشيرازي عبر الهاتف بشكل يومي.

وكانت المفاجاة الكبيرة رغبة رئاسة الجمهورية المصرية الصلاة على جنازة شاه ايران الذي توفي في القاهرة، واخبرت السيد بحر العلوم بذلك فقال لي ما العمل؟ قلت له نذهب الى حلوان للاختفاء عند قريب، هو المهندس السيد عبد الامير الحكيم، وعلى الفور غادرنا الشقة، ووصلنا الى حلوان، وبقينا نتابع اخبار مراسم الدفن من هناك، وشاهدنا من خلال الشاشة سماحة العلامة السيد طالب الرفاعي يقوم بالصلاة عليه، وبعد عودتنا الى القاهرة ووصولنا الى الشقة، جاءنا الحارس وقال لنا ان سيارات الحكومة ظلت طوال الليل تسأل عنكم، وان رجال الحكومة يسألون عنكم في كل ساعة، وعلمنا فيما بعد ان الرئاسة كانت تريد ان يصلي السيد بحر العلوم عليه.

واخيرا فان السيد بحر العلوم كان الداعية الاسلامية الرائدة الى وحدة المسلمين، فالوحدة الاسلامية هي ضمان لاستمتاع الاجيال القادمة بنور المعرفة، وكان يردد دائما ان سبيل الامة الوحيد للحضارة هو نور العلم، ويجب

ان نبذل جهودنا لتحقيق ذلك، واشاد رحمة الله عليه معهد العلمين للدراسات العليا لترسيخ اقدام العلم والمعرفة في النجف بشكل خاص وفي العراق بشكل عام.

رعايته للطلاب العراقيين وندوته الادبية:

احتضن السيد بحر العلوم الطلبة العراقيين الدارسين في الجامعات المصرية، وكان يسهل عليهم معاناة الغربة بمنحه عطف الابوة لهم بالاضافة الى استفادتهم من ثقافته الواسعة في ميادين الادب والفلسفة والفقه واصول الفقه وعلوم التفسير، واضحى منزله بمثابة ندوة لهؤلاء المثقفين وفي طليعتهم الشيخ فاضل السهلاني والمرحوم السيد زكي السويج والسيد صالح مهدي الحكيم والدكتور حسين محيي الدين والدكتور ابراهيم عبد الزهرة العاتي والمرحوم رضوان مهدي العبود والمرحوم عباس حلمي النميري وعشرات ممن لا تحضرني أسماؤهم.

وتوسعت ندوته لتضم طلاب من دول الخليج العربي وبحكم ثقافته الواسعة وممارساته الطويلة في الحياة كان يجيب على اسئلتهم بمعرفته الموسوعية، واتسعت ندوته الادبية بعد وصول الشاعر الكبير الاستاذ محمد الهجري الى القاهرة قادما من المملكة العربية السعودية التي استقر بها وبعد فراق بينهما استمر عقد ونصف من الزمن، ويعودا الى التاريخ الذي عاشا فيه بمدينة النجف الاشرف والى ايام نضالها الثوري سواء في حرب السويس في عام ١٩٥٦ او في الدفاع عن الشعب الجزائري الذي قاوم الاستعمار الفرنسي او الوقوف الى جانب الشعب الفلسطيني في نضاله ضد الصهيونية وانضم اليهما كل من الشعراء والادباء، صالح الظالمي والشيخ احمد الوائلي والسيد عبد الصاحب الموسوي وبيان يوسف رجيب وعلي محيي الدين وكل هؤلاء يجمعهم تاريخ ادبي مشترك وعلاقة مودة وإخلاص، لا تنفصل بمرور الزمن، وكانت زيارات الدكتور عبد الهادي الفضلي للسيد بحر العلوم لا تنقطع، وفي احدى

الزيارات طلب من السيد بحر العلوم القيام برحلة الى الاسكندرية لتفقد صحة الاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود مؤلف كتاب الامام علي، وفعلا ذهبنا الى هذه المدينة الجميلة، وزرنا الاستاذ عبد المقصود في منزله وكانت علاقة السيد بحر العلوم به علاقة مميزة ودار ال، حديث عن ائمة اهل البيت(ع) وطلب منه تأليف كتاب عن فاطمة الزهراء سلام الله عليها، وبعد ذلك قام السيد بحر العلوم بدعوته الى الكويت وتكريمه في حفلات عديدة اقيمت على شرفه، وقام الدكتور عبد الهادي الفضلي بجهود كبيرة فيما بعد لاقامة علاقات ثقافية واجتماعية ين وجهاء وادباء القطيف والمنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية مع الاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود.

ان النشاط الثقافي الخلاق الذي ساهم فيه السيد بحر العلوم سواء في النجف او في القاهرة او في الكويت او في لندن هو جزء من مشروعه النهضوي الذي ينير للامة العربية والاسلامية طريق المجد والعزة، واخيرا:

لقد عاش السيد بحر العلوم في ظروف تميزت بالهزات والاضطرابات والثورات والحروب سواء في العراق او في منطقة الشرق الاوسط ولم تؤثر على منجزاته الفكرية والثقافية واستمر في العطاء حتى الرمق الاخير، واستمر في الوفاء لأصدقائه ومحبيه حتى الشهيق الاخير، فرحم الله ابا ابراهيم يوم ولد بوم يبعث حيا.

الهوامش:

١ ـ احمد عبد المعطي حجازي: من شعراء مصر المبدعين وله دواوين شعرية عديدة وشارك في مؤتمرات أدبية، ويعتبر من رواد الشعر الحديث في الوطن العربي.

٢ ـ صلاح عبد الصبور: من اشهر شعراء مصر، ودافع عن قضايا التحرر العربي في الخمسينيات من القرن الماضي، وخلال وجود السيد بحر العلوم في القاهرة اضحت علاقتهما الادبية علاقة لا تمحى بصماتها من الذاكرة، فكلاهما اعطى للادب والشعر العربي حيوية وتجديد او ابعداه عن الرتابة والجمود، وكان يرى السيد بحر العلوم ان شعر صلاح عبد الصبور نسيج فريد يجمع الاحلام الهادئة والنضال الثوري وان شعره اصبح مثالا للاجيال الصاعدة.

٣ ـ احمد حسن اسماعيل: يتميز شعره بالذهنية الملتهبة، وبالصوفية الذوقية، والنوازع العاطفية والوجدانية، وارتباطه مع الخالق العظيم، وهذا الشعر يجعل السيد بحر العلوم ينجذب تلقائيا مع الشاعر احمد حسن اسماعيل الذي ضمه الى قائمة الاصدقاء في القاهرة وكانت زياراته للشاعر متعددة، والحوار يستمر لساعات، فكلاهما ينظم اروع القصائد، ويختار المعاني الجديدة والعبارات الجددة الملتهبة باحاسيس الناس ومشاعرهم المحملة بالعنفوان واللهيب.

٤ ـ محمد التهامي: من مواليد عام ١٩٢٠ في احدى قرى المنوفية، حصل على شهادة الليسانس في الحقوق وساهم في عدة مؤتمرات ادبية في الوطن العربي وله عدة دواوين شعرية.

٥ ـ الدكتور بدوي طبانه: ولد في مدينة المنوفية بمصر عام ١٩١٤ واكمل تعليمه الجامعي وحصل على الدكتوراه عام ١٩٥٣، واشرف على عشرات الرسائل الجامعية لنيل الماجستير والدكتوراه، ويعتبر من ابرز علماء مصر في النقد الادبي، انتدب للتدرس في العراق بدار المعلمين العالية وله علاقات واسعة مع ادباء وشعراء العراق.

٦ ـ خالد محمد خالد: ولد عام ١٩٢٠ في احدى قرى المنوفية عام ١٩٢٠ وحصل على شهادة الليسانس في اواخر الابعينيات من كلية الشريعة بجامعة الازهر، قام بتأليف كتب عديدة من بينها، الاسلام ينادي البشر، في رحاب علي، بين يدي عمر، ابناء الرسول في كربلاء وتتميز كتاباته بالاسلوب الادبي الرائع مثلما تتميز كتابات صديقه السيد بحر العلوم.

٧ ـ عبد الرحمن الشرقاوي: من ادباء مصر الكبار ولديه القدرة الكبيرة في نقل الاحداث الاسلامية بشكلها الدقيق فكان مبدعاً في كتابة مسرحية ((الحسين ثائرا)) و((ثار الله)) وفي كتابه (علي امام المتقين) وتميز حواره مع السيد بحر العلوم اثناء لقاءاتهما المتعددة بالعمق والصفاء والوضوح، فكلاهما داعية لوحدة الصف الاسلامي ونبذ لغة التكفير فالشرقاوي يقول ((نحن في مصر نصلي وراء الامام الصالح شيعيا كان ام سنينا مالكيا كان او شافعيا او حنبليا

او حنيفيا ونحن ننتمي الى الإسلام، ونخدم ائمته على سواء، وقد اخذ القانون المصري في الاحوال الشخصية من الشيعة الزيدية، كما اخذ من فقه الشيعة الامامية الاثنى عشرة، واقول الحق ان الذين ينشرون هذا الخلاف بين المذاهب الاسلامية جمعاء))

اما السيد بحر العلوم فيقول له ((ان التضامن الاسلامي يعطي انطلاقة جديدة للامة الاسلامية وهذا التضامن يجب ان ينطلق من كتابات الادباء والمفكرين وعلماء الشريعة سواء في الازهر الشريف او في النجف او في قم فالاسلام واجه اخطارا عديدة وحربا اعلامية ونفسية وعسكرية ولا سبيل للانتصار الا بالوحدة والتضامن والتكاتف)).

٨ ـ احسان عبد القدوس: من مشاهير كتاب القصة في مصر وتوطدت علاقة السيد بحر العلوم به، وفي احدى المناسبات كانا يجلسان معا فقال لهما احد الادباء ((بالله كيف تلتقيان))، فرد السيد بحر العلوم بان الادب يجمعهما وان نسبة الادب هي اقرب من نسب القرابة العشائرية.

٩ ـ عائشة عبد الرحمن: من اهم كاتبات مصر وباحثة اسلامية ومن مؤلفاتها نساء النبي، بنات النبي، والسيدة زينب بطلة كربلاء، ام النبي ص وسكينة بنت الحسين، وكان الادب العربي والتاريخ الاسلامي والرؤية المستقبلية للامة الاسلامية محاور بحث ونقاش بينهما وبين السيد بحر العلوم الذي كان يحرص على زيارتها في معظم رحلاته الى القاهرة.

١٠ ـ امينة السعيد: كاتبة وصحفية مصرية وتميزت كتاباتها بالدعوة الى اصلاح المجتمع واشاعة اجواء الفضيلة داخله وكانت دائمة النقاش مع السيد بحر العلوم حول شروح احكام الاحول الشخصية وكانت تسمع الآراء السيد وتقول له بان الامة بحاجة الى علماء وفقهاء على ضوء تطورات العصر الحديث واحتياجات المجتمعات للآراء الجديدة والاجتهادات البناءة.

المحتويات

المقدمة ٧

■ **الفصل الأول: بحر العلوم وروح الريادة** ٣٩

السيد بحر العلوم سيرة متفردة ٤١

الأستاذ محمد رضا القاموسي

الذكريات الماثلات تهزني ٥٩

الاستاذ الدكتور سعد علوش

وترجل فارس النجف ٧١

سماحة الشيخ محمد الخاقاني

نقاط مضيئة من حياة الفقيد السيد محمد بحر العلوم ٧٩

الخطيب الدكتور الشيخ إبراهيم النصيراوي

السيد الكبير ٩٩

الدكتور جابر الجابري (ابو مدين)

العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم (سنوات الجهاد والإبداع) ١٠٩

أ. د. إبراهيم العاتي

خواطر أدبية في سجل الذاكرة ١٢١

الخطيب السيد داخل السيد حسن

السيد بحر العلوم شمعة الهدى والعون والمحبة لا تخبو ١٣١
سماحة الشيخ فاضل السهلاني

روح الريادة في سيرة العلامة السيد محمد بحر العلوم(ره) ومسيرته الثقافية ١٤١
سماحة الدكتور السيد مسلم الجابري

■ **الفصل الثاني: بحر العلوم ومدرسة النجف العلمية** ٢٠١

مع استاذه وصديقه السيد التقي الحكيم في منهجية البحث العلمي ٢٠٣
النائب الدكتور السيد عبد الهادي الحكيم

إطلالة على الدور المبكّر للعلامة بحر العلوم في دعم الباحثين الأكاديميين تجربتي الشخصية ٢٣١
أ. د. جهاد الحسني

رحلة السياسة والعلم: مع استاذي وملهمي السيد الدكتور محمد بحر العلوم ٢٤٥
الدكتورة نجوى صالح الجواد

العلامة السيد بحر العلوم ومشروع معهد العلمين للدراسات العليا ٢٥٧
أ. د. عباس عبود عباس

العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم وكلية الفقه سيرة وذكريات ٢٦٩
الدكتور علي خضير حجي

■ **الفصل الثالث: السيد بحر العلوم والكويت** ٣١٥

اطلالة موجزة على المرحلة القضائية في حياة سماحة السيد محمد بحر العلوم ٣١٧
المحامي عبد العزيز طاهر الخطيب

العلامة السيد بحر العلوم مثال في الخلق والالتزام ٣٢٩
فضيلة المحامي السيد علي الموسوي

السيد محمد بحر العلوم بحر المعرفة والعلم والانسانية ٣٣٥
ا.د. عبد الرضا علي اسيري

ذكرياتي مع الدكتور السيد محمد بحر العلوم ٣٤١
ا.د عبد الرسول عبد الرضا

العلامة بحر العلوم.. صديق الكويت ٣٤٥
د.عبد الله معتوق المعتوق

سماحة السيد محمد بحر العلوم رجل لا يمكن تعويضه ٣٥١
أ. د. غانم حمد النجار

السيد محمد بحر العلوم وآل معرفي ٣٥٧
الحاج عبد الإله محمد رفيع حسين معرفي

سماحة العلامة السيد محمد بحر العلوم: ساهم في تقارب الشعبين ... ٣٦١
الدكتور عبد المحسن يوسف جمال

المرحوم السيد محمد بحر العلوم طيب الأصل ونقاء السريرة ٣٦٧
المحامي محمود عبد الرحيم العنزي

في ذكرى كبير رحل ٣٧٣
الإعلامي يوسف عبد الحميد الجاسم

العلامة بحر العلوم كما عرفته ٣٧٩
الحاج علي يوسف المتروك

العالِم الذي لم يعش على هامش الحياة! ٣٨٥
الأستاذ سامي عبد اللطيف النصف

السيد محمد بحر العلوم كما عرفته ٣٨٩
الأستاذ الشاعر عبد العزيز سعود البابطين

مسيرة عطرة من التضحيات والعطاء ٣٩٣
د. إبراهيم بهبهانى

السيد بحر العلوم صاحب الأيادي البيضاء ٤١٧
مجلس أمناء وقف الأحقاقي

محمد بحر العلوم.. علاقة تاريخية بالكويت والإبحار في سيرة إبن النجف ٤٢٣
الأستاذ حمزة عليان

السيد بحر العلوم وذكريات الكويت ١٩٦٩ ـ ١٩٧٩ ..... ٤٣١
السيد صادق بحر العلوم

ذكريات من امواج بحر العلوم في القاهرة ١٩٧٠ ـ ١٩٨٠ ..... ٤٤٣
السيد رضا موسى الحكيم